مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه

صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفا لوالديه
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الثاني عشر

من سورة السجدة إلى سورة الجاثية

مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير

طبع على نفقة الفقير إلى الله

سَعْد بن عبد الله بن غنَيْم الحقبَانِي وجَعَلَهُ وَقْفًا لوالدَيْه

ح مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية، ١٤٤٦هـ
عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز،
مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لسور وآيات من
القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير. / عبد العزيز بن
عبدالله بن عبد الرحمن بن باز ؛ صلاح الدين عثمان أحمد - ط١.
الرياض، ١٤٤٦هـ
١٤ مج.

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٧٩٧٥
ردمك: ٠-٤٨ - ٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٢-٦٠-٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١٢)

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم
معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الثاني عشر

من سورة السجدة إلى سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير آيات من سورة السجدة

وقال مجاهدٌ: ﴿مَّهِينٍ ۝٨﴾ [٨]: ضعيفٍ، نطفة الرجل، ﴿ضَلَلْنَا﴾ [١٠]: هلكنا، وقال ابن عباسٍ: ﴿ٱلْجُرُزِ﴾ [٢٧]: التي لا تمطر إلا مطرًا لا يغني عنها شيئًا، ﴿يَهْدِ﴾ [٢٦]: نبين.

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧](١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من فضله ﷻ؛ حيث قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما رواه عنه رسوله ﷺ: **«أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»**؛ يعني: أعدّ لهم نعيمًا عظيمًا، لم يخطر على بال أحدٍ، ولم تره عين أحدٍ، ولم تسمعه أذن أحدٍ؛ يعني: أنواعٌ من النّعيم الّذي فوق ما أُخبروا به، ثمّ قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، الله أكبر.

*

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان، عن أبي الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: **«قَالَ اللهُ تَبَارَكَ**

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

وَتَعَالَى: **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**» قال أبو هريرة: **اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»، وحدّثنا عليٌّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا أبو الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: «قَالَ اللهُ...» مثله، قيل لسفيان: روايةً؟ قال: فأيّ شيءٍ؟ قال أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالحٍ قرأ أبو هريرة: «قُرَّاتِ أعْيُنٍ»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الله أكبر؛ يعني: أعدّ الله لهم من النّعيم ما لا يخطر على البال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بفضله وجوده ﷻ: (**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**) من أنواع النّعيم الّذي أعدّه الله لأوليائه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، نسأل الله أن يجعلنا وإيّاكم منهم، الله أكبر، الله أكبر، يا لها من نعمةٍ، الله المستعان.

قوله: (**قِيلَ لِسُفْيَانَ: رِوَايَة؟**): ومعنى «رواية»: يعني: مرفوعًا؛ اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

*

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حدّثني إسحاق بن نصرٍ، حدّثنا أبو أسامة، عن الأعمش، حدّثنا أبو صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النّبيّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ**»، ثمّ قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ برقم (٤٧٧٩).

أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله يجعلنا وإيّاكم منهم، أسأل الله أن يجعلنا وإيّاكم منهم، الله أكبر، ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾ [الطور: ١٧]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥]، ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]. الله المستعان، الله أكبر.

عجيب من المؤلف ما ذكر حديث قراءتها في فجر يوم الجمعة مع أنّها في تفسيره، أقول: مناسبٌ ذكر قراءة النّبيّ ﷺ لهذه السورة في صلاة الفجر يوم الجمعة؛ كأنّ المؤلّف نسي أن يذكرها هنا؛ مع أنّه تقدّم في الصّلاة، ولكن هنا مناسبٌ[(٢)].

قوله: (**بَلْه مَا أُطَلِعَتْمْ عَلَيْهِ**)؛ يعني: دع ما اطّلعتم عليه؛ يعني: غير ما اطّلعتم عليه.

(**من الطّلاب**): عندنا: «ممن أطلعتم عليه».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

راجع الشّارح ماذا قال؟ لعلّ «من» زائدةٌ؟ يعني: يفهم منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غير ما أطلعكم عليه في الدّنيا في كتابه العظيم على لسان نبيّه ﷺ من أنواع النّعيم، هذا نعيمٌ آخر، الله أكبر.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥١٦)]: «قوله: (**ذُخْرًا**) بضمّ الدّال المهملة وسكون المعجمة، منصوبٌ متعلّقٌ بأعددت؛ أي: جعلت ذلك لهم مدخورًا».

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ برقم (٤٧٨٠)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٢٤).

(٢) تعليق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قوله: «هذه مما ذكر...» إلى هنا جاء متأخرًا ضمن إجابات الأسئلة، وقدمته لتمام الفائدة.

قوله: (مِنْ بَلْهَ مَا أُطلِعتمْ عَلَيْهِ): قال الخطّابيّ: كأنّه يقول: دع ما أطلعتم عليه؛ فإنّه سهلٌ في جنب ما ادّخر لهم.

قلت: وهذا لائقٌ بشرح (بَلْهَ) بغير تقدّم من عليها، وأمّا إذا تقدّمت (مِنْ) عليها فقد قيل: هي بمعنى «كيف»، ويقال: بمعنى أجل، ويقال: بمعنى «غير أو سوى»، وقيل: بمعنى فضل، لكن قال الصّغانيّ: اتّفقت نسخ الصّحيح على (مِنْ بَلْهَ)، والصّواب إسقاط كلمة (مِنْ).

وتعقّب بأنّه لا يتعيّن إسقاطها إلّا إذا فسّرت بمعنى «دع»، وأمّا إذا فسّرت بمعنى «من أجل أو من غير أو سوى» فلا، وقد ثبت في عدّة مصنّفاتٍ خارج الصّحيح بإثبات (مِنْ). وأخرجه سعيد بن منصورٍ، ومن طريقه ابن مردويه من رواية أبي معاوية عن الأعمش كذلك.

وقال ابن مالكٍ: المعروف (بَلْهَ) اسم فعلٍ بمعنى «اترك» ناصبًا لما يليها بمقتضى المفعوليّة، واستعماله مصدرًا بمعنى التّرك مضافًا إلى ما يليه، والفتحة في الأولى بنائيّةٌ، وفي الثّانية إعرابيّةٌ، وهو مصدرٌ مهمل الفعل ممنوع الصّرف.

وقال الأخفش: (بَلْهَ) هنا مصدرٌ كما تقول: ضرب زيد. وندر دخول (مِنْ) عليها زائدةً.

ووقع في «المغني» لابن هشام: أنّ (بَلْهَ) استعملت معربةً مجرورةً «بمن»، وأنّها بمعنى «غير»، ولم يذكر سواه. وفيه نظر؛ لأنّ ابن التّين حكى رواية (مِنْ بَلْهَ) بفتح الهاء مع وجود «من»؛ فعلى هذا فهي مبنيّةٌ، و«ما» مصدريّةٌ، وهي وصلتها في موضع رفعٍ على الابتداء، والخبر هو الجارّ والمجرور المتقدّم، ويكون المراد ببله: كيف الّتي يقصد بها الاستبعاد.

والمعنى: من أين اطّلاعكم على هذا القدر الّذي تقصر عقول البشر عن الإحاطة به، ودخول (مِنْ) على بله إذا كانت بهذا المعنى جائزٌ، كما أشار إليه الشّريف في «شرح الحاجبيّة».

قلت: وأصحّ التّوجيهات لخصوص سياق حديث الباب؛ حيث وقع فيه: «ولا خطر على قلب بشرٍ دخرًا من بله ما أطلعتم»، أنّها بمعنى غير، وذلك بيّنٌ لمن تأمّله، والله أعلم». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في اللّفظ الآخر قرأه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن معناه أنّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تارةً يرفع هذا للنّبيّ ﷺ، وتارةً يقرأ الآية للإيضاح والتّفسير.

• **س: «من بله»؛ يعني: «من غير»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: على معنى من سواه، أو من غيره.

تكلّم على «ثمّ قرأ أبو هريرة»؟ تعرّض له؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قوله: قال أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالحٍ قرأ أبو هريرة: قرات أعين». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قرّات قراءةٌ، «قرّات» قرّةٌ للأفراد والجماعة.

• **س: أحسن الله إليك: من مات وهو يدعو الجنّ يصلّى عليه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يصلّى على الكافر؟! أعوذ بالله، من دعا الجنّ فهو كافرٌ.

• **س: مقلدة مجتهدي المعتزلة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من كان على دينهم فهو مثلهم، أقول: من كان على دين الجهميّة والمعتزلة؛ فهو مثلهم، نسأل الله العافية.

• **س: بارك الله فيك يا شيخ: امرأةٌ نفساء ـ أحسن الله إليك ـ جلست عشرة أيّام، ثمّ أتاها الدّم ثلاثة أيّام، ثمّ انقطع عنها، ثلاثة أيّامٍ يأتيها الدّم، ثمّ انقطع عنها في هذه الحال الأيّام الّتي لم يأتها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا رأت الطّهارة تغتسل، النّفساء إذا رأت الطّهارة تغتسل، ولو ما ترى إلّا يومًا واحدًا دمًا، إذا رأت الدّم لا تصلّي ولا تصوم، وإذا رأت الطّهارة وهي بنت يوم، أو يومين، أو عشرةٍ، أو عشرين تغتسل؛ حتّى تكمّل الأربعين، فإذا كمّلت أربعين، وجب عليها الاغتسال والصّلاة، ولو جاءها الدّم ـ دمٌ فاسدٌ ـ تتوضّأ لكلّ صلاةٍ، فلو طهرت بعد النّفاس بيومٍ أو يومين أو ثلاثةٍ؛ تصلّي وتصوم؛ فإذا عاد لها الدّم في الأربعين تجلس لا تصلّي ولا تصوم، وهكذا حتّى تكمّل الأربعين، إذا رأت الطّهارة صلّت واغتسلت، وإذا رأت الدّم جلست؛ هذا الصّواب.

السّائل: ولو بعض يومٍ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ولو بعض يومٍ.

(من الطالب): يعني: العبرة (بهذا الشّيء)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: العبرة بوجود الدّم وعدمه، وهكذا الحائض في أيّام حيضها.

- **س: وهل لها تحديد سنٍّ يا شيخ، هل لها تحديد سنٍّ معينٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الغالب أنّها بنت تسعٍ، المشهور بنت تسعٍ، هي الّتي تحمل فما فوق.

- **س: إذا وافق عادةً ـ أحسن الله إليك ـ بعد الأربعين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا وافق عادةً لا تصلّي ولا تصوم، لكن الأصل عدم العادة في الغالب، لكن إذا وافق العادة لا تصلّي ولا تصوم، لا تصلّي ولا تصوم في عادة الحيض.

المقصود: أنّ نهاية النّفاس أربعون، هذه نهايته، فمن رأت الدّم بعد الأربعين فهو دم فسادٍ، تصلّي وتصوم وتتوضّأ لكلّ صلاةٍ،

كالمُستحاضات، فإذا وجدت عادةً لها، عرفت أنّها وافق العادة؛ لا تصلّي ولا تصوم.

• **س: إذا جاءها الدّم ـ أحسن الله إليك ـ قبل الولادة بساعاتٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا كان مع الطّلق فهو دمٌ تبع النّفاس.

(من الطّالب): أمّا قبل الطّلق؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تصلّي وتصوم وتتوضّأ لكلّ صلاةٍ.

• **س: الطّهر يا شيخ بالبيضاء أم بالجفاف؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا رأت النّظافة فهذا الطّهر، أو قصةً بيضاء، أو رأت النّظافة مثل قطنٍ أو غيره، ما يكون معه صفرةٌ ولا كدرةٌ هذه طهارةٌ.



تفسير آيات من سورة الأحزاب[1]

وقال مجاهدٌ: ﴿صَيَاصِيهِمْ﴾ [٢٦]: قصورهم، معروفًا في الكتاب.

حدّثني إبراهيم بن المنذر، حدّثنا محمّد بن فليحٍ، حدّثنا أبي عن هلال بن عليٍّ، عن عبد الرّحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [٦]، **فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، فَإِنْ تَرَكَ دَيْنًا، أَوْ ضِيَاعًا، فَلْيَأْتِنِي، وَأَنَا مَوْلَاهُ**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا هو معنى الآية الكريمة: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ هو وليّ كلّ مؤمنٍ عليه الصّلاة والسّلام، ولهذا قال ﷺ: (**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ من نفسِهِ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾)، «**فَمَنْ تَرَكَ مَالًا فلورثته ومن ترك دَيْنًا أو ضياعًا فإليَّ**»، «**مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ**»[٣]، وفي لفظ: «**فَلْيَأْتِنِي**»[٤].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ برقم (٤٧٨١)، ومسلم في كتاب الفرائض، باب من ترك مالًا لورثته برقم (١٦١٩).

(٣) رواه الدارقطني في «السنن» (٤١١٦).

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب الصلاة على من ترك الدنيا برقم (٢٣٩٩)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين.

فالمقصود: أنّه ﷺ يتولّى أمور المسلمين من جهة ديونهم، ومن جهة عوائلهم إذا لم يخلّفوا شيئًا.

وقد استنبط بعض أهل العلم من ذلك: أن وليّ الأمر كذلك، وليّ أمر المسلمين يقوم بما يقوم به النّبيّ ﷺ، فإذا مات إنسانٌ وعليه دينٌ، أو وله أطفالٌ صغارٌ، ليس عندهم من التّركة ما يقوم بحالهم؛ ينفق عليهم من بيت المال، وتؤدّى الدّيون من بيت المال، وهذا قولٌ واضحٌ، وقولٌ وجيهٌ جيدٌ، إذا استطاع بيت المال ذلك، إذا كان في بيت المال ما يطيق ذلك.

قوله ﷺ: **(وَأَنَا مَوْلَاهُ)**: لا شكّ أنّه أولى بكلّ مؤمنٍ من نفسه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فهو أولى بهم من أنفسهم، يدفعون عنه، ويقونه بأنفسهم شرّ كلّ شيءٍ عليه الصّلاة والسّلام، ويقدّمون هديه وطاعته على كلّ أحدٍ، ثمّ يقول ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَعَلَيَّ وَإِلَيَّ، وَأَنَا أَوْلَى بِالمُؤْمِنِيْنَ**»، عليه الصّلاة والسّلام. وفي لفظٍ: **(فليأتني)**. فهو أولى بهم من أنفسهم.

فأموالهم للورثة، أمّا إن تركوا دينًا فهو يقضيه عليه الصّلاة والسّلام ممّا يأتي الله به على يديه، أو ترك ضياعًا قُصّارًا، أو ذريةً قُصَّارًا فهو يقوم بهم عليه الصّلاة والسّلام.

وهكذا يجب على وليّ الأمر على الصّحيح، يجب على ولاة الأمور مع القدرة أن يقوموا بذلك؛ لأنّهم نوّابه بعده ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، فمن ترك دَينًا قضاه وليّ الأمر من بيت المال مع القدرة، ومن ترك عيالًا قاصرين وجب على وليّ الأمر القيام بهم، وترتيب ما يكفيهم؛ حتّى يرتفعوا ويتسبّبوا ويكْفوا أنفسهم. والله المستعان.

● **س: والآخرة، أولى النّاس به في الدّنيا والآخرة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

على ظاهره في الآخرة كذلك، أولى بهم من أنفسهم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: تكلّم عليه الشّارح؟ (أنا أولى بكل مؤمنٍ من نفسه)؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٥١٧)]: «قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾: ثبتت هذه التّرجمة لأبي ذرٍّ، وذكر فيه حديث أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ...**» الحديث، وسيأتي الكلام عليه في الفرائض إن شاء الله تعالى». [انتهى كلامه].

● **س: المراد بالتّقديم يعني: أنا أقدم من نفسه، يعني قوله: «أنا أولى به من نفسه»؛ يعني: أقدم من نفسه مقدّمٌ على نفسه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم، ولهذا يحبّه أكثر من حبّ نفسه، ويفديه لو عرض بلاءٌ، وجب أن يفدى النّبيّ ﷺ قبل النّفس، في القتال وفي غيره.

● **س: خاصّةٌ بأهل العلم مع قارون أو عامّة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ما الّذي هو عامٌّ؟ ما مقصودك؟

(**منَ السَّائِل**): الآية ـ أحسن الله إليك ـ خاصّةٌ في قصّة قارون مع أهل العلم، مع قارون أو عامّة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الآية عامّةٌ لجميع المؤمنين، الآية عامّةٌ: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

● **س: أحسن الله إليك: الحديث يدلّ على ميراث ذوي الأرحام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ما فيه صريحٌ؛ لأنّه قال: «لعصبته».

(من السائل): قوله: (**فليرثه عصبته من كانوا**)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: العصبة معلومٌ، ما فيهم خلافٌ، الخلاف في ذوي الأرحام.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥](١).

حدّثنا معلّى بن أسدٍ، حدّثنا عبد العزيز بن المختار، حدّثنا موسى بن عقبة، قال: حدّثني سالمٌ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أنّ زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنّا ندعوه إلّا زيد بن محمّدٍ، حتّى نزل القرآن: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأنّه كان يتبنّاه، كانوا في الجاهليّة يتبنّون بعض النّاس؛ فنسخ الله ذلك وأبطله؛ ووجب أن يدعى الإنسان بأبيه: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾، فلا يدعى إلى مولاه، ولا إلى أيّ أحدٍ، بل يدعى إلى أبيه، وجاء في ذلك الوعيد الشّديد لمن دعا أحدًا لغير أبيه، بعض النّاس قد يقع منه شرٌّ: مثل أبوه ليس بمشهور فينتسب إلى شخصٍ آخر، إمّا لأخذ الجنسيّة أو لأسباب أخرى، هذا من الكبائر العظيمة، ومنكرٌ عظيمٌ، نسأل الله العافية، ولو كان أبوه غير مشهور، فالإنسان ينتسب إلى أبيه، ولا ينتسب إلى غيره مطلقًا.

وكان في الجاهليّة التّبنّي معروفًا؛ فإذا أراد أحدٌ أن يتبنّى أحدًا ضمّه إليه، وأحسن إليه، ونسبه إلى نفسه إن كان مجهولًا؛ نسب إليه وإن كان غير مجهول فبرضاء أهله إذا رضوا أن ينسب إليه نسبوه إليه.

وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى الرّسول ﷺ قد تبنّاه النّبيّ ﷺ،

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ برقم (٤٧٨٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد برقم (٢٤٢٥).

فكان ينسب إليه حتّى أنزل الله ﷻ: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾، فنسب إلى أبيه زيد بن حارثة.

وهكذا بقيّة المنسوبين إلى غير آبائهم؛ نسبوا إلى آبائهم طاعةً لله ﷻ، وامتثالًا لقوله سبحانه: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾؛ يعني: هو أعدل عند الله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٢][(١)].

فهذه الآية الكريمة تتعلَّق بالثقة بالله، والتوكل عليه، واليقين بما أخبر به سبحانه وما يستحقه على عباده، فعلى الأمة جميعًا وعلى كل مكلف أن يتيقن كلَّ ما أخبر الله به ورسوله أنه حقٌّ، وأن يصدِّق بذلك، وأن يعلم أنه لا إلـٰه إلا الله، يعلم يقينًا أنه لا معبود بحقٍّ إلا الله سبحانه، وأن ما عبده الناس من دون الله من أصنام أو أشجار أو أحجار أو كواكب أو جن أو ملائكة أو أنبياء أو غيرهم كله معبود بالباطل، العبادة حق الله، هو الذي يُدعى، وهو الذي يُرجى، وهو الذي يُصلَّى له، ويُصام له، ويُحَج له، إلى غير هذا من العبادة، كما قال ﷻ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

والعبادة هي التذلُّل لله بطاعته، وترك معصيته، هي الذل والخضوع لله بأداء ما أوجب، وترك ما حرَّم، والمسارعة إلى مراضيه إخلاصًا له وحده، وطلبًا لمرضاته وتركًا لمعصيته سبحانه وتعالى، هذا هو الواجب

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين ج١ (ص١٨).

على جميع المكلفين أن يعبدوه وحده، ويخصُّوه بالعبادة دون كل ما سواه، وأن يتيقَّنوا هذا يقينًا أن هذا حق عليهم، ولازم لهم، كما قال ﷻ في أول سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٢ ـ ٥].

فلا بد من اليقين والصدق فيما أخبرت به الرسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم نبينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فأن تكون على يقين يجب أن تكون على يقين؛ لأنك عبد الله، وأن الواجب عليك إخلاص العبادة لله، وأنك مخلوق لعبادة الله لا لغير ذلك، مخلوق لتعبد ربك بطاعة أوامره وترك نواهيه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، لم تُخلق لأجل الزراعة أو تعمير البيوت أو الأكل والشرب أو الحدادة أو النجارة أو الخياطة أو غير ذلك، لا، خُلِقت لتعبد ربك، وتطيع أوامره، وتنتهي عن نواهيه، وخلق الله لك هذه الأمور في الدنيا؛ لتستعين بها على طاعته، خلق لك الماء والرزق والحيوان وأنزل المطر وأنبت النبات، حتى تستعين بنعم الله على طاعة الله، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، خلق لنا ما في الأرض من حيوان ونبات ومعادن وغير هذا؛ لنستعين بها على طاعته، واتقاء سخطه، والقيام بحقه ﷻ مع الإيمان واليقين بأن محمدًا عبد الله ورسوله، وتصديق المرسلين الماضين الذين أخبر الله عنهم أنهم صدَّقوا فيما قالوه، وبلَّغوا عن الله رسالته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

فلا بد من الصدق في العمل، ولا بد من تصديق ما أخبرت به الرسل، وما أخبر الله به في كتابه، ثم لا بد من التوكل على الله، فعليك أن تشهد أنه لا معبود بحق إلا الله، وأنه إلٰهك، وأنه معبودك الحق،

وأن ما عبده الناس من دون الله باطل، وأنَّ صرفَ العبادة لغيره من صنم أو جن أو إنس شركٌ بالله. عليك أن تتيقن هذا، وعليك أن تتيقن أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله إلى الناس كافة، إلى الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فعليك أن تؤمن بهذا، وعليك أن تنقاد لما جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأن تستقيم عليه، وأن تَعَضَّ عليه بالنواجذ عن يقين، وعن إيمان وعن صدق بما جاء به الرسول ﷺ، وأنه حق، وأن الواجب عليك اتباعه.

كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويقول ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فالمفلح هو الذي اتبع الرسول ﷺ، وهو المحبوب عند الله، الذي اتبع الرسول، وانقاد لأمره، وسار على طريقه، ولا بد من التوكل على الله في أمورك كلها؛ تأخذ بالأسباب، تعمل بالأسباب، تزرع تعمل بالأسباب الأخرى، خياطة، نجارة، تجارة، غير ذلك، لكن مع التوكل على الله. تأخذ بالأسباب تعلم أن الرازق هو الله، وأن ما كتبه الله لك لا بد أن يأتيك، وما صرفه الله عنك لا يأتيك، عليك أن تتوكل على الله في كل أمورك، لا على أسبابك، ولا على جهودك، ولكن على الله وحده، وتأخذ بالأسباب، لا تدع الأسباب، تكدح وتعمل، تأخذ بالأسباب؛ تجارة، زراعة، صنعة من الصناعات، تستعين بها على طاعة الله ـ جل وعلا ـ وهكذا يقول ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ يعني: يكفينا الله. وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ يعني: هو كافيه، فأنت إذا أخذت بالأسباب، وأطعت ربك، وتوكلت عليه كفاك ما أهمَّك ﷻ، عليك أن تأخذ بالأسباب، وأن تعلم أن ربك، هو الرزاق، وأنه سبحانه هو الذي يدبر الأمور، إنما أنت عبد مأمور، تأخذ بالأسباب، والله مدبِّر الأمور، وقاضي الحاجات ﷻ وهو الرزاق ﷻ فعليه التوكُّل، وإليه المرجع ﷻ.

فالإنسان يمضي في حاجته، ويتوكل على الله ﷻ؛ ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»(١)، وفي لفظ يقول: «**اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»(٢). لا يتشاءم، يخرج في حاجته ولا يبالي، يستعين بالله، ويتوكل عليه ﷻ، وكان أهل الجاهلية إذا رأوا شيئًا ما يناسبهم عند خروجهم من بيوتهم لحاجة، أو سمعوا صوتًا ما يناسبهم رجعوا، هذا التطيُّر الذي ذمَّه الله ﷻ، وأنكره رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فينبغي للمؤمن أن يحذر ذلك، وألّا يتطيَّر، فإذا رأى ما يكره يقول: «**اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**». ويمضي في حاجته، ولا يضره ذلك، ولا يتشاءم، لا في صَفَر ولا في غيره؛ لأن بعض الجاهلية يتشاءمون في صفر، وبعضهم يتشاءمون بيوم الأربعاء، وبعضهم يتشاءم بشوال، كلها باطلة، كلها من عمل الجاهلية، كل الشهور ليس فيها تشاؤم، كل الأيام ليس فيها تشاؤم، لا في سفر، ولا في زواج، ولا غيره.

*

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عروة بن عامر في كتاب الطب، باب فِي الطِّيَرَةِ برقم (٣٩١٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٢٠).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣][1].

﴿نَحْبَهُۥ﴾ [٢٣]: عَهْدَهُ، ﴿أَقْطَارِهَا﴾ [١٤]: جَوَانِبِهَا، ﴿ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا﴾ [١٤]: لأَعْطَوْهَا.

حدّثني محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا محمّد بن عبد الله الأنصاريّ، قال: حدّثني أبي عن ثمامة، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النّضر ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [٢٣]»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأنّ أنس بن النّضر رضي الله عنه لم يحضر غزوة بدرٍ، فهذه أوّل غزوةٍ جمع الله بين نبيّه وبين عدوّه فيها، ولم يحضرها ـ لئن أشهدني الله غزوةً أخرى ليرينّ الله ما أفعل ـ؛ يعني: سوف أنصح فيها، وأجتهد في حرب الأعداء، فلمّا جاءت غزوة أحدٍ حضر فيها، ولمّا انكشف النّاس تقدّم هو إلى جهة العدوّ وقال: اللّهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء ـ يعني: المشركين ـ وأعتذر إليك ممّا صنع هؤلاء ـ يعني: أصحابه الّذين انكشفوا ـ ثمّ تقدّم وقاتل حتّى قتل، قال أنسٌ رضي الله عنه: فوجدنا فيه بضعًا وثمانين ضربةً، ما بين ضربةٍ بسهمٍ، وطعنةٍ برمحٍ، وضربةٍ بسيفٍ رضي الله عنه ورحمه[3].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ برقم (٤٧٨٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد برقم (١٩٠٣).
(٣) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الأحزاب برقم (٣٢٠١).

قول أنسٍ ﷺ: (نُرَى هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بنِ النَّضْرِ): يعني: فيه وفي أمثاله ممّن أوفى بما عليه وصدق الله في عمله؛ فالآية فيه وفي أمثاله؛ لأنّه تقدّم يوم أحدٍ لمّا انهزم النّاس تقدّم وقال: إنّي لأجدُ ريح الجنّة دون أُحدٍ.

فلم يزل يقاتل حتّى قُتل ﷺ؛ فوُجد فيه ما بين بضعٍ وثمانين ضربةٍ، ما بين طعنةٍ برمحٍ، وما بين رميةٍ بسهمٍ، رضي الله عنه وأرضاه.

• س: ولد الزّنا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يدعى لأمّه.

(من السّائل): فلان ابن فلانة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ما له أبٌ، مثل عيسى عليه السلام، عيسى ابن مريم عليه السلام.

• س: أحسن الله عملك، إذا مثلًا أولو العلم لهم الحقّ في التّبجيل والاحترام، ثمّ كتب رسالةً وقال: الوالد فلانٌ، هل يدخل إلى النّهي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، تسميتك باسم الوالد ما يخالف، والدٌ من جهة العطف، ومن جهة الحنوّ، ومن جهة كبر السّنّ.

• س: من يلقي بنفسه ـ أحسن الله إليك ـ عند انكشاف أصحابه عن العدوّ ومقاتلة عدوّه، يلقي بنفسه وهو يعلم أنّه سيهلك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما يضرّ هذا، هذا من باب التّقدّم في القتال، من باب التّقدّم، كما تقدّم جمعٌ من الصّحابة في ذلك ـ رضي الله عنهم ـ.

• س: الّذي يفجّر نفسه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا ما ينبغي، التّفجير ما ينبغي، أخشى أن يكون قاتلًا نفسه، ما ينبغي التّفجير.

• س: أحسن الله إليك، الأولاد الّذين هم أولاد الزّنا، وأولاد اللّقطة الّذين يوجدون في الرّعاية يسمّونهم بأسماء حتّى لا...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما يخالف، ينسبون إلى عبد الرّحمٰن، عبد المجيد، عبد الملك، عبد القادر، ما فيه بأسٌ.

(**من السّائل**): ويضعون ـ أحسن الله إليك ـ لهم باءً؛ يقولون: عبد الرّحمن بن عليٍّ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود إذا سمّوهم بأسماءٍ صالحةٍ فلا بأس إن شاء الله؛ حتّى يدعوا بها.

• س: كثيرًا ـ أحسن الله إليك ـ ما ينسب الموالي لمواليهم، يقولون: مولاهم فلانٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المولى ما يخالف، يقال: مولى بني فلانٍ ما يخالف، مولى بني فلانٍ، مولى الأنصار، مولى كذا، مولى عتيبة، مولى مطير، هو مطيري بالولاء ما يخالف، مثل ما يقال: الأنصاريّ بالولاء للأنصار، والقرشيّ؛ لأنّه من موالي قريشٍ.

(**من السّائل**): لا، يقال له مثلًا: فلانٌ القرشيّ مولاهم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو، المعنى صحيحٌ، هذا معروف عند أهل العلم، لكن ما يقال: فلانٌ ابن فلانٍ وهو ليس أباه، ما يقال: فلان ابن فلانٍ وهو ليس أباه؛ يكذب؛ لأنّه مشهورٌ، أو لأنّه شجاعٌ، أو لأنّه يعطونه الجنسيّة من أجلهم، ما يجوز هذا، لا ينسب إلى غير أبيه، أمّا أن يسمّى المولى أنّه يكون مولى الأنصار، مولى عتيبة، مولى كذا، فما فيه بأسٌ.

*

حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابتٍ أنّ زيد بن ثابتٍ قال: «لمّا نسخنا الصّحف في المصاحف، فقدت آيةً من سورة الأحزاب كنت كثيرًا أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها، لم أجدها عند أحدٍ إلّا مع خزيمة الأنصاريّ الّذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]»[1].

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨﴾ **[الأحزاب: ٢٨]**[2].

التّبرّج: أن تُخرج محاسنها، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ [٣٨]: استنّها: جعلها.

حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرّحمن أنّ عائشة رضي الله عنها زوج النّبيّ ﷺ أخبرته أنّ رسول الله ﷺ جاءها حين أمر الله أن يخيّر أزواجه، فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال: «**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكِ أَنْ تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**»، **وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل﴾ **إِلَى تَمَامِ الآيَتَيْنِ، فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ برقم (٤٧٨٤).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٣) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ...﴾ إلخ برقم (٤٧٨٥)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير المرأة لا يكون طلاقًا إلا بالنية برقم (١٤٧٥).

قال سماحته: وهذا يدل على فقه عظيم وفضل كبير وعلم جيد رضي الله عنها. الله أكبر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

● **س: (فلا عليك أن ألّا تستعجلي) أم (أن تستعجلي)؟**

○ **ج**: كأنّها ساقطةٌ، المعروف في الرّواية: «أن لا تستعجلي» ما عندكم في النّسخ الأخرى؟

(من الطّالب): عندنا «وأن تستعجلي».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بمعنى، مثل: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ يعني: لئلّا تضلّوا، قد تسقط (لا) المعنى واضحٌ.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ **[الأحزاب: ٢٩]**[١].

وقال قتادة: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [٣٤]: القرآن والسنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

رضي الله عنهنّ، وهذا يدلّ على فضل وعلم أزواج النّبيّ ﷺ، وخيرٍ عظيم.

وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قال: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [٢٨] إِلَى: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ رسول الله ﷺ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ»، تابعه موسى بن أعين عن معمرٍ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني أبو سلمة، وقال عبد الرّزّاق، وأبو سفيان المعمريّ عن معمرٍ، عن الزّهريّ، عن عروة، عن عائشة[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني هذا معنى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، التّبرّج: إظهار المحاسن والمفاتن، هذا التّبرّج، إظهار الرّقبة، إظهار الرّأس، إظهار الصّدر، وهكذا إظهار الوجه.

● **س: تكرار التّرجمة والحديث مع أنّ الآية واحدةٌ، الآيتان في قصةٍ واحدةٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لعلّه للتّنبيه، أقول: لعلّه للتّنبيه، وإلّا فالمعنى واحدٌ، لعلّه للتّنبيه رَحِمَهُ اللَّهُ.

● **س: ما الحكمة في تخيير أزواجه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأنّه حصل منهنّ ما حصل؛ بسبب النّفقة خُيِّرن، من شدّة النّفقة، وهجرهنّ شهرًا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وخيّرهنّ الله جَلَّ وَعَلَا، الّتي تصبر على ما يصيب من الشّدّة والحاجة، وقلّة الدّنيا، فلتصبر، ومن أرادت الطّلاق طلّقت.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ...﴾ إلخ برقم (٤٧٨٦)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين.

أصابهم شدّةٌ في المدينة وصبروا رضي الله عنهم، وصبر المسلمون أيضًا، تقول عائشة رضي الله عنها: «لقد هلّ هلالٌ، ثمّ هلالٌ، ثمّ هلالٌ ما أوقد في أبيات النّبيّ نارٌ»، فقال لها عروة رضي الله عنه: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التّمر والماء[1].

● **س: تخيير الزّوجات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا عامٌّ، إذا جاء شدّة فهذا عامٌّ، إذا جاء شدّة ما يستطيع ينفق عليهنّ يخيّر.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ **[الأحزاب: ٣٣]**[2].

هذه الآية الكريمة تتعلق بأهل بيت النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وما ينبغي من إكرامهم، والإحسان إليهم، والذبِّ عنهم، وتقدير منزلتهم من الرسول ﷺ على الوجه الذي يرضي الله من غير غلو ولا جفاء، وأهل بيته هم أزواجه وأقاربه من بني هاشم هؤلاء هم أهل بيته، أزواجه رضي الله عنهن وأقاربه المسلمون من أهل بيته من بني هاشم كآل جعفر بن أبي طالب، وآل علي بن أبي طالب، وآل عقيل بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب وذريته، وهكذا بقية بني هاشم كلهم من أهل البيت؛ لأنهم رهطه الأدنون، قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب فضل الهبة برقم (٢٥٦٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق برقم (٩٧٢) بنحوه.

(٢) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين لسماحته رحمه الله (٢/ ٥١).

يريد الله، هذه الإرادة الشرعية؛ المعنى: يأمركم ويحب منكم ويرضى لكم هذه الأمور بعدما قال ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

فالمقصود أنه ﷻ أوصى المؤمنين بأن يلاحظوا أهل البيت الذين أثنى عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. والرجس: الشرك والنجاسة والمعاصي والكفر ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: من الكفر والشرك وسائر أنواع النجاسة التي هي المعاصي ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أي: من ذلك بالإسلام والإيمان والاستقامة، فإن الشرك أعظم النجاسة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] فنجاسة الشرك ونجاسة الاعتقاد أعظم النجاسات والقذر والخُبث، فالله ﷻ أمر أهل البيت، وشرع لهم، وأراد لهم أن يتطهَّروا من هذا الشيء، وأن يُذْهِب الله عنهم ذلك الشيء الرجس، بما شرع لهم وأمرهم به من طاعته وتوحيده واتباع شريعته، فالإرادة إرادتان: شرعية وكونية، الكونية: بمعنى المشيئة، والشرعية: بمعنى الرضى والمحبة، والمراد هنا الشرعية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾، يأمر ويرضى ويحب منكم أن تستقيموا على التوحيد الذي هو ضد الشرك وضد النجاسة، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وهذا هو الواجب على جميع المؤمنين جميع المكلفين؛ أن يبتعدوا عن الشرك، وأن يتطهروا منه، وأن يحذروه، وأن يستقيموا على توحيد الله الذي هو في غاية الطهارة وغاية الهدى، وليس معناه أنها إرادة كونية، وأنهم معصومون، لا، ليسوا معصومين كما يظن الرافضة، ليسوا معصومين، إنما هم مأمورون بأن يتطهروا من الشرك، ويعتصموا بحبل الله، وأن يستقيموا على ما يرضي الله؛ لأن هذا هو الواجب عليهم وعلى غيرهم، ولكنهم بوجه أخص أحق الناس بأن يستقيموا؛ لأنهم قرابة من النبي ﷺ وأهل بيته، فالواجب عليهم أعظم في أن يستقيموا؛ على دينه، وعلى شريعته، وأن يحذروا مخالفته، هذا هو الواجب عليهم وعلى غيرهم، ولكنهم بنسبة أخص، فالواجب عليهم أعظم لكونهم قرابته وأهل بيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وهكذا قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] كل ما عظَّمه الله فهو من شعائر الله؛ فتعظيم الصلاة من شعائر الله، وتعظيم الزكاة من شعائر الله، ومن حرمات الله، وتعظيم المعاصي من حرمات الله، وتعظيم أهل البيت بتوجيههم إلى الخير وإرشادهم وتعليمهم، وإزالة السوء عنهم من شعائر الله ومن محارم الله، طاعة الرب ﷻ في مواساة الفقراء والإحسان إليهم من شعائر الله، كل ما يتعلق بأمر الله وتعظيمه وبنهي الله وتركه كله من الشعائر ومن علامات الدين، ومما يحبه الله ويرضاه أن تعظّم الأوامر، وأن تترك النواهي، وأن يُعان من استقام على أمر الله، وأن يشجع، وأن يُدعى من انتهك محارم الله إلى طاعة الله، وإلى التوبة من معاصي الله؛ لأن هذا كله من تعظيم شعائر الله، ومن تعظيم حرماته سبحانه وتعالى.

ولما سُئِل زيد بن أرقم ـ سأله هؤلاء الجماعة من التابعين ـ عن أهل بيت الرسول ﷺ قالوا: هنيئًا لك يا زيد، لقيت رسول الله ورأيته وسمعت حديثه، حدِّثنا بما سمعت من رسول الله، فحدَّثهم بحديث أنه سمع النبي ﷺ وذلك لما انصرف من حجة الوداع في آخر حياته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، لما صار في أثناء الطريق راجعًا إلى المدينة خطب الناس في شهر ذي الحجة في ماءٍ يُدعى خُمًّا حول رابغ المعروف، خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ووعظهم وذكَّرهم ثم قال لهم: إني تارك فيكم ثقلين؛ أي: للناس «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»(١)، وفي اللفظ الآخر: «**أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ ﷻ هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى،**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه من كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٨).

وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ»، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»، كرَّرها ثلاثًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحثُّ الناس على إكرامهم والإحسان إليهم، وعدم العدوان عليهم، وعدم ظلمهم وعدم الإساءة إليهم من زوجات وأقارب، يجب الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم، وإعطاؤهم حقوقهم من غير غلوٍّ، كما تفعل الرافضة، ولا جفاء، كما تفعل النواصب، فلا جفاء ولا غلو، ولكن بين ذلك، وهو التوسُّط، والإحسان إليهم، وإكرامهم، وإعطاؤهم حقوقهم، والذب عنهم، وعدم الغلو فيهم، وعدم الجفاء.

وجاء في أثر الصديق رضي الله عنه، أبو بكر رضي الله عنه، أنه كان يقول للناس في خطبته: ارقبوا محمدًا في أهله. ارقبوا؛ أي: لاحظوا محمدًا في أهله، لا تُسيئوا إليهم، أحسنوا إليهم؛ لحقهم عليكم، ولحقِّ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ يعني: ما داموا أهل بيته فلهم حق من جهتين: من جهة أنهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ومن جهة أنهم إخوانكم ومسلمون، ولهم حق الإسلام، وحق قربهم من رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فلهم حقان من جهة القرابة والزوجية، ومن جهة الإسلام والإيمان والشريكة في هذا الخير العظيم.

أما الكافر فلا؛ كأبي لهب، وأبي طالب، وغيرهما من الكفرة من أهل البيت ليس لهم حق على المسلمين إلا ذمهم وعيبهم على عملهم الخبيث، وإنما هذا في المسلمين الذين ماتوا على الإسلام، واستقاموا على الإسلام، هم الذين لهم الحق على المسلمين؛ كالعباس وعلي وجعفر وعقيل ونحوهم من آل بيت النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، الذين استقاموا على دين الله، وساروا على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء هم المراد، والذين جاؤوا من نسلهم وذرياتهم إلى يوم القيامة، إذا استقاموا على الإسلام، إذا ثبتوا على دين الله فلهم الحق من جهة إسلامهم، ولهم حق من جهة قرابتهم بالإحسان إليهم، ومواساتهم، وكف الأذى عنهم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ **[الأحزاب: ٣٧]**(١).

حدّثنا محمّد بن عبد الرّحيم، حدّثنا معلّى بن منصورٍ عن حمّاد بن زيدٍ، حدّثنا ثابتٌ، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه «أنّ هذه الآية: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحشٍ وزيد بن حارثة»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا قال الشّارح على الباب؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٥٢٤)]: «قوله: (**بَابُ**: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾): لم تختلف الرّوايات أنّها نزلت في قصّة زيد بن حارثة وزينب بنت جحشٍ.

قوله: (**حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ**): هو الرّازيّ، وليس له عند البخاريّ سوى هذا الحديث وآخر في البيوع، وقد قال في «التّاريخ الصّغير»: دخلنا عليه سنة عشرٍ؛ فكأنّه لم يكثر عنه؛ ولهذا حدّث عنه في هذين الموضعين بواسطةٍ.

قوله: (**حَدَّثَنَا ثَابِتٌ**): كذا قال معلّى بن منصورٍ عن حمّادٍ، وتابعه محمّد بن أبي بكرٍ المقدّميّ وعارمٌ وغيرهما، وقال الصّلت بن مسعودٍ وروح بن عبد المؤمن وغيرهما: عن حمّاد بن زيد، عن أيّوب، عن أبي قلابة عن أنسٍ. فلعلّ لحمّادٍ فيه إسنادين.

وقد أخرجه الإسماعيليّ من طريق سليمان بن أيّوب ـ صاحب البصريّ ـ عن حمّاد بن زيدٍ بالإسنادين معًا.

قوله: (**إن هذه الآية**: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ **نَزَلَتْ فِي شَأْنِ**

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ...﴾ إلخ برقم (٤٧٨٧).

زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بنِ حَارِثَةَ): هكذا اقتصر على هذا القدر من هذه القصّة، وقد أخرجه في التّوحيد من وجهٍ آخر عن حمّاد بن زيدٍ عن ثابتٍ عن أنسٍ قال: جاء زيد بن حارثة يشكو؛ فجعل النّبيّ ﷺ يقول: «**اتَّقِ اللهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْك زَوْجَكَ**»، قال أنسٌ: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه الآية. قال: وكانت تفتخر على أزواج النّبيّ ﷺ... الحديث.

وأخرجه أحمد، عن مؤمّل بن إسماعيل، عن حمّاد بن زيدٍ بهذا الإسناد بلفظ: أتى رسول الله ﷺ منزل زيد بن حارثة فجاءه زيدٌ يشكوها إليه، فقال له: «**أَمْسِكْ عَلَيْك زَوْجَكَ، وَاتَّقِ اللهَ**»؛ فَنزلت إِلَى قَوْله: ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾. قال: يعني: زينب بنت جحشٍ.

وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصّة من طريق السّدّيّ فساقها سياقًا واضحًا حسنًا، ولفظه: بلغنا أنّ هذه الآية نزلت في زينب بنت جحشٍ، وكانت أمّها أميمة بنت عبد المطّلب عمّة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوّجها زيد بن حارثة مولاه؛ فكرهت ذلك، ثمّ إنّها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ، فزوّجها إيّاه، ثمّ أعلم الله ﷻ نبيّه ﷺ بعدُ أنّها من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيدٍ وزينب ما يكون من النّاس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه، وأن يتّقي الله، وكان يخشى النّاس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوّج امرأة ابنه، وكان قد تبنّى زيدًا.

وعنده من طريق عليّ بن زيدٍ، عن عليّ بن الحسين بن عليٍّ قال: أعلم الله نبيّه ﷺ أنّ زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوّجها؛ فلمّا أتاه زيدٌ يشكوها إليه وقال له: «**اتَّقِ اللهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْك زَوْجَكَ**»، قال الله: قد أخبرتك أنّي مزوّجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه.

وقد أطنب التّرمذيّ الحكيم في تحسين هذه الرّواية وقال: إنّها من جواهر العلم المكنون، وكأنّه لم يقف على تفسير السّدّيّ الّذي أوردته، وهو أوضح سياقًا وأصحّ إسنادًا إليه؛ لضعف عليّ بن زيد بن جدعان». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كلّ هذه مرسلةٌ، رواية عليّ بن زيدٍ مرسلةٌ عن عليّ بن الحسين التّابعيّ، ورواية السّدّيّ مرسلةٌ أيضًا؛ لأنّ السّديّ تابعيٌّ أيضًا، كلاهما مرسلٌ.

• **س: (التّرمذيّ الحكيم) المعروف؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: غير صاحب السّنن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«وروى عبد الرّزّاق عن معمرٍ، عن قتادة قال: جاء زيد بن حارثة؛ فقال: يا رسول الله، إنّ زينب اشتدّ عليّ لسانها، وأنا أريد أن أطلّقها. فقال له: «**اتَّقِ اللهُ، وَأَمْسِكْ عَلَيْك زَوْجَكَ**»؛ قال: والنّبيّ ﷺ يحبّ أن يطلّقها، ويخشى قالة النّاس.

ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتمٍ والطّبريّ، ونقلها كثيرٌ من المفسّرين لا ينبغي التّشاغل بها، والّذي أوردته منها هو المعتمد». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني لأنّه أخبره أنّها زوجته، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، لكن لها أجلٌ؛ فقد ترك هذا الموضوع إلى أن يأتي الأجل من جهة الله؛ حتّى طلّقها زيدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ باختياره.

• **س: لكن المحبّة؛ يعني: المحبّة لأجل خبر الله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم الظّاهر، أو لأنّها بنت عمته، أو لأسباب أخرى غير الخبر، محتملٌ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«والحاصل: أنّ الّذي كان يخفيه النّبيّ ﷺ هو إخبار الله إيّاه أنّها ستصير زوجته، والّذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول النّاس: تزوّج امرأة ابنه. وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهليّة عليه من أحكام التّبنّي بأمرٍ لا أبلغ في الإبطال منه، وهو تزوّج امرأة الّذي يدعى ابنًا». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أولًا أبطلها بقوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، ثمّ جاء تزويجه لها، وزال الأمر بالكلّيّة، وبقي أمر التّبنّي أمرًا لا وجه له، ولا أثر له، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ووقوع ذلك من إمام المسلمين؛ ليكون أدعى لقبولهم، وإنّما وقع الخبط في تأويل متعلّق الخشية، والله أعلم.

وقد أخرج التّرمذيّ من طريق داود بن أبي هندٍ، عن الشّعبيّ عن عائشة قالت: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ يعني: بالإسلام، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾وإنّ رسول الله ﷺ لمّا تزوّجها قالوا: تزوّج حليلة ابنه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية، وكان تبنّاه وهو صغيرٌ.

قلت: حتّى صار رجلًا يقال له: زيد بن محمّد؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ قال التّرمذيّ: روي عن داود عن الشّعبيّ عن مسروقٍ عن عائشة إلى قوله: لكتم هذه الآية. ولم يذكر ما بعده».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي نفس الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. الله بيّن في الآية أيضًا أنّه لإزالة الحرج، وحتّى لا يبقى حرج في نفوس النّاس في تزوّج أدعيائهم. الله أكبر.

- **س: الخشية الّتي للخطب أو هي أنّه يخشى قالة النّاس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قالة النّاس أنّه تزوّج [زوجة] ابنه.

- **س: من قال تزوّجها للفتنة منافقون أم كفّارٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قد يقوله المنافقون، ويقوله الكفرة أيضًا؛ لأنّ أعداءه قسمان: كفرةٌ وثنيّون ومنافقون. وقسمٌ ثالثٌ وهم اليهود أيضًا.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥١].

قال ابن عبّاسٍ: ترجئ: تؤخّر، ﴿أَرْجِهْ﴾ [الأعراف: ١١١]: أَخِّرْهُ.

حدّثنا زكريّا بن يحيى، حدّثنا أبو أسامة قال هشامٌ، حدّثنا، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كنت أغار على اللّاتي وهبن أنفسهنّ لرسول الله ﷺ، وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلمّا أنزل الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ قلت: «ما أرى ربّك إلّا يسارع في هواك»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه هي المنزلة العظيمة ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، له المنزلة العظيمة عند ربّه، وهو خليل الله، وهو الخليل الثّاني، وهو أفضل الخلق ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

وهذا من تيسير الله له، ورحمته إيّاه وعفوه عنه: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾. هذا من رحمة الله وإحسانه إليه ﷺ. عليه الصّلاة والسّلام.

● **س: أحسن الله إليك: هذا خاصٌّ بالنّبيّ ﷺ، قسمه لزوجاته؟**

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ برقم (٤٧٨٨)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب جواز هبتها ونوبتها لضرتها برقم (١٤٦٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل ما قال ﷻ: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ﴾ نعم، ولكن كان يقسم فيعدل، كان يقسم بينهنّ ويعدل، ويقول: «**اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ؛ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ**»[(١)] اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

* *

حدّثنا حبّان بن موسى، أخبرنا عبد الله، أخبرنا عاصمٌ الأحول عن معاذة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنّ رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منّا بعد أن أنزلت هذه الآية: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: «كنت أقول له: إن كان ذاك إليّ، فإنّي لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحدًا»، تابعه عبّاد بن عبّادٍ سمع عاصمًا[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من حسن عشرته ﷺ، من حسن العشرة، مع كونه مأذونًا له، لكن كان يستأذن، وكان يعدل، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم؛ أخذًا بقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩]، مع أنّه مأذونٌ له أن يترك من يشاء، ويصطفي من يشاء، لكنّه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ كان يقسم بينهنّ ويعدل ويقول: «**اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلُمْنِي، فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ**». اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

● **س: لا يجب عليه القسم؟**

---

(١) سبق تخريجه في (٥/ ٢٩) (٦/ ٣٠٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الكتاب والباب السابقين برقم (٤٧٨٩)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية برقم (١٤٧٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم هذا ظاهر الآية الكريمة، بل صريحها، لكنّه فعله من باب العشرة وتأليف القلوب، من باب حسن العشرة.

• **س: قوله: تابعه عبّاد بن عبّادٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أعرفه. راجع (**عبّاد بن عبادٍ**) في «التقريب».

(**القارئ**): [قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٣١٣٢)]: «عبّاد بن عبّاد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزديّ، أبو معاوية البصريّ، ثقةٌ ربّما وهم، من السّابعة، مات سنة تسعٍ وسبعين أو بعدها بسنة، ع».

«عبّاد بن عبّاد بن علقمة المازنيّ المصريّ، المعروف بابن أخضر، وكان زوج أمّه، صدوقٌ من السّابعة س».

«عبّاد بن عبّاد بن الرملي الأرسوفيّ ـ بمهملةٍ وفاءٍ ـ أبو عتبة الخوّاص صدوقٌ يهم، أفحش ابن حبّان فقال: يستحقّ التّرك. من التّاسعة، د».

(**من الطّالب**): العينيّ قال: «عبّاد بن عبّادٍ ـ بتشديد الباء الموحدة فيهما ـ أبو معاوية المهلبيّ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هو الأوّل، ابن حبيبٍ المهلبيّ بن أبي صفرة الأزديّ.

• **س: يعني زوج أمّه يعني: اثنين فقط يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إي نعم، هذا مازنيّ، وذاك أزديٌّ؛ يعني: أخضر منسوبٌ إلى زوج أمّه.

(**من الشّيخ**): ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٢٦)]: «قوله: (**يستأذن المرأة في اليوم**)؛ أي: الّذي يكون فيه نوبتها إذا أراد أن يتوجّه إلى الأخرى». [انتهى كلامه].

• **س: العبارة، الجملة هذه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو الظّاهر ـ والله أعلم ـ من باب تطييب النّفوس إذا كان في يوم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأراد يذهب إلى زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أو غيرها يستأذن الّتي هي في يومها أن تسمح بهذه الحصّة للمرأة الأخرى.

• **س: يعني في أثناء اليوم، أو في جميع اليوم يستأذن، يستأذن أن ينتقل إليها في جميع اليوم أم في بعضه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، يمكن في بعض تخصيص الوقت من وقت هذه لهذه، كان قد رتّب لهنّ الزّيارة بعد العصر؛ يعمّهنّ، فإذا رأى الحادث استأذن، في غير الوقت المعتاد يعني؛ كالظّهر أو الضّحى، أو ما أشبه ذلك؛ حتّى لا يقع في النّفس شيءٌ.

• **س: أحسن الله إليك، اليوم تابعٌ لليلة في القسم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، اليوم تابعٌ للّيلة، لكن كان قد جعل لهنّ وقتًا مشتركًا، وهو العصر، يزورهنّ جميعًا.

• **س: أحسن الله إليك، يعوّضها مكانه، أو إذا طابت نفسها فلا حاجة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الظّاهر ما فيه عوضٌ، ما فيه عوضٌ.

• **س: أحسن الله إليك، طوفانه عليهنّ في ساعةٍ واحدةٍ مشتركةٍ، حينما طاف عليهنّ في وقتٍ واحدٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إي، حتّى يبلغ الّتي هي يومها فيبيت عندها، يسلّم عليهنّ، يجلس قليلًا ثمّ يقوم، وهذا من طيب العشرة، والتماس ما لو تكون لهذه حاجةٌ، قد يطرأ حاجةٌ، فإذا زارهنّ صار على بيّنةٍ من أمرهنّ جميعًا.

*

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]**(١).

هذه الآية الكريمة في تحريم الخلوة للأجنبية، ثبت عن النبي ﷺ ما يدل على تحريم ذلك، وما ذاك إلا لأنه وسيلة إلى نزغات الشيطان، وسيلة إلى الجريمة؛ ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»(٢)، وروى أحمد في المسند عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا**»(٣)، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**»، **فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، (أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟) قَالَ**: «**الحَمْوُ المَوْتُ**»(٤)؛ يعني: الخطر العظيم الحمو كالأخ والعم وابن العم وابن الأخ؛ لأنه قد تتساهل المرأة، ولا تتحجب، ولا تبالي فيطمع فيها، فالمقصود أن الخلوة بالأجنبي مطلقًا ولو كان حموًا، ولو كان أخاه أو عمه أو ابن عمه ليس لها ذلك حتى يكون معهم ثالث من امرأة أو رجل، ثالث تزول به الفتنة والتهمة.

في قوله ﷺ: «**حُرْمَةُ نِسَاءِ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ**

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٣٨٢).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجَّة برقم (٣٠٠٦)، ومسلم في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم للحج وغيره برقم (١٣١٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١/ ١٨)، والترمذي في كتاب الفتن، باب في لزوم الجماعة برقم (٢١٦٥).

(٤) متفق عليه من حديث عقبة بن عامر، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيَّبة برقم (٥٢٣٢). ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية برقم (٢١٧٢).

أُمَّهَاتِهِمْ»[١]، (يعني: الحرمة شديدة كون الإنسان يخرج في الجهاد في سبيل الله ثم يخلفه أحد في أهله بسوء، هذا من أقبح السيئات من أقبح القبائح؛ ولهذا قال: «**كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ**»)، «**وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟**»؛ يعني: ما ظنكم أنه يبقي له شيئًا ما حنقه عليه وغضبه عليه ما يبقي له شيئًا يأخذ ما أمكنه من حسناته مع ما هو متوعَّد به من العذاب على هذه الجريمة، فالواجب الحذر من الخلوة ولا سيما في نساء الغُياب للجهاد أو لطلب العلم أو نحو ذلك، فإنهم أحق بأن يحترموا أكثر تقديرًا لعمل أزواجهم الطيب من جهاد وطلب علم ونحو ذلك.

وهذا شيء معروف، فإن الخلوة لها خطر عظيم، الشيطان يُزين للخالي أنه في إمكانك أن تفعل كذا وتفعل كذا، ويزيِّن له ما رآه أنه في إمكانك أن تفعل كذا، ولا يعلم زوجها، ولا يعلم أحدٌ من أقاربها حتى يوقع الشيطان الفتنة، فالواجب على الجميع الحذر من الرجال والنساء هذا واجبهم الحذر، والواجب على الرجل الحذر من ذلك، ومن هذا ركوب المرأة مع الرجل مع السائق وحدها الذهاب بها هاهنا وهاهنا، فإنها خلوة، وقد يزيِّن الشيطان للسائق أن يذهب بها إلى جهات كثيرة إلى فنادق أو إلى غيرها، المقصود أن الخلوة مطلقًا مع السائق أو غير السائق مع الحمو أو مع غير الحمو لا تجوز، أما إذا كان معهم ثالث أو رابع تزول الخلوة في غير السفر.

أما السفر فلا، ليس للمرأة أن تسافر إلا مع ذي محرم مطلقًا.

* *

---

(١) أخرجه مسلم من حديث بريدة عن أبيه ﷺ في كتاب الإمارة، باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيهن برقم (١٨٩٧).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ **[الأحزاب: ٥٣]**[1].

يقال: ﴿إِنَاهُ﴾: إدراكه، أنى يأني أناةً، ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [٦٣] إذا وصفت صفة المؤنّث قلت: قريبةً، وإذا جعلته ظرفًا وبدلًا، ولم ترد الصّفة نزعت الهاء من المؤنّث، وكذلك لفظها في الواحد والاثنين والجميع للذّكر والأنثى.

حدّثنا مسدّدٌ، عن يحيى، عن حميدٍ، عن أنسٍ قال: قال عمر رضي الله عنه: قلت: «يَا رَسُولَ اللهِ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْحِجَابِ»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

• **س: الآية: «فإذا» ولّا** ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

آية الحجاب، قصدك آية الحجاب؟ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عمر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ برقم (٤٧٩٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر برقم (٢٣٩٩).

(السَّائِل): لا ـ أحسن الله إليك ـ ﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عندك ماذا هنا؟

(من الطّالب): بالفاء ـ أحسن الله إليك ـ موجود في النّسخ بالواو.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: على كلّ حالٍ تصحيفٌ، غلطٌ، الّذي عنده «واو» يصلّحها.

● **س: أحسن الله إليك، من قال: إنّ عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **شديدٌ غليظٌ، عمر بن الخطّاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كان عنده قوّةٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كلامه ومخاطبته للنّاس، وإذا غضب على أحدٍ، مثل ما قال ﷺ: «**أشدّ أمّتي في دين الله عمر بن الخطّاب**»[(١)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

حدثنا محمّد بن عبد الله الرّقاشيّ، حدّثنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يقول: حدّثنا أبو مجلزٍ، عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لمّا تزوّج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحشٍ دعا القوم فطعموا، ثمّ جلسوا يتحدّثون، وإذا هو كأنّه يتأهّب للقيام، فلم يقوموا، فلمّا رأى ذلك قام، فلمّا قام قام من قام، وقعد ثلاثة نفرٍ، فجاء النّبيّ ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوسٌ، ثمّ إنّهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النّبيّ ﷺ أنّهم قد انطلقوا، فجاء حتّى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآيَةَ»[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب المنافق عن رسول الله ﷺ، باب مناقب معاذ بن جبل برقم (٣٧٩٠)، وابن ماجه في المقدمة، باب من فضائل أصحاب الرسول ﷺ برقم (١٥٤)، وأحمد في المستدرك (٣/ ١٨٤ و٢٨١).

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ﴾ برقم =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من حسن خُلقه ﷺ، ومن كمال تواضعه، وعدم مقابلته لأحدٍ بما يكره؛ فلهذا لم يقل لهم: قوموا، وإنّما لمّا رأى عدم قيامهم قام؛ ليقوموا ولم يفطن أولئك الثلاثة للمقصد، فجلسوا يتحدّثون، ثمّ لما جاء ورجع ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ قاموا.

المقصود: أنّه ﷺ كان يحرص ألا يقابل أحدًا من أصحابه بما يكره، وكان ربّما يعرّض بالشّيء أو يشير بالشّيء؛ ليفطن الحاضرون فينتبهوا، وربّما قام لينتبه الحاضرون لقيامه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

وفي هذا من الدّلائل والفوائد: أنّ السّنّة والمشروع بعد انتهاء الحاجة أن يقوم المدعوّون؛ ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾، ولا يجلسوا؛ لأنّ جلوسهم للتّحدّث قد يؤذي صاحب البيت، قد يمنعه من حاجاتٍ، وهذا أمرٌ معلومٌ مفروغٌ منه؛ لهذا أنزل الله: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾، الآية.

وفي هذا: أنّ الحجاب فيه مصالح عظيمةٌ؛ فإنّ حجاب المرأة يدعو إلى عدم الانبساط في الجلوس، لا من الرّجال ولا من النّساء، بخلاف ما إذا أسفرت وتحدّثت؛ فإنّ هذا قد يسبّب طول الجلوس منها ومنهم؛ فربّما ترتّب على ذلك ما لا تحمد عقباه، فالسّفور من أعظم وسائل الشّرّ، والحجاب من أعظم وسائل الخير؛ فلهذا من رحمة الله أن شرع الحجاب قطعًا لدابر الشّرّ والفساد، وحمايةً للأعراض، فله الحمد والمنّة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

● **س: إذا طلب صاحب البيت الجلوس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا بأس، هذا شيءٌ معروف، إذا طلب الجلوس أو اعتادوا أنّ

= (٤٧٩١)، ومسلم في كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس برقم (١٤٢٨).

هناك بقيّة قهوةٍ مع الطّعام، أو طيبًا، أو شايًا، أو شيئًا، الشّيء المعتاد يستثنى؛ لأنّه تبع الطّعام.

• **س: قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾؛ يعني: الجدار أو الثّياب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الشّيء الّذي يسترهنّ، ليس لزامًا الجدار، العباءة والجلباب وغير ذلك.

• **س: يا شيخ سقط في الآية: قوله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾؛ يعني: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ﴾؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الآية ما كمّلها. ماذا هي عندك؟

(من القارئ): ساقطةٌ عندي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إيه، صلّحها، لا بدّ تثبت.

• **س: يدخل في ذلك النّساء، يدخلن في الآية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم الباب واحدٌ للرّجال والنّساء.

• **س: هل صوت المرأة عورةٌ يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صوتها ليس بعورةٍ؛ ولهذا كانت تتحدّث مع النّبيّ ﷺ تسأل، وتسأل الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إنّما العورة تغنّجها وخضوعها بالقول: أمّا في الصّوت العاديّ لا؛ الله قال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

*

حدّثنا سليمان بن حربٍ، حدّثنا حمّاد بن زيدٍ، عن أيّوب، عن أبي قلابة قال أنس بن مالكٍ: «أنا أعلم النّاس بهذه الآية: آية الحجاب، لمّا أهديت زينب إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت، صنع طعامًا، ودعا القوم، فقعدوا يتحدّثون، فجعل النّبيّ ﷺ يخرج ثمّ يرجع، وهم قعودٌ

يتحدّثون، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ إلى قوله: ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾، فضرب الحجاب، وقام القوم»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه الدّلالة على أنّه ينبغي للضّيوف أن يلاحظوا عدم المشقّة على المضيّف، وأنّه إذا انتهوا من الطّعام لا يجلسون عنده، قد يكون فيه مضايقةٌ، وهذا يتبيّن بالعرف المعتاد، هذه أمورٌ تفسّرها الأعراف، فإذا كان من عرفهم القهوة بعد الطّعام، أو الطّيب بعد الطّعام أو شايٌ بعد الطّعام فلا بأس، وإذا كان من عرف البلد أو الجماعة أنّهم إذا غسّلوا أيديهم مشوا، لا يتخلّف، يمشي، يمشي بالعرف المعتاد، ولا يضايق صاحب البيت؛ لأنّ هذه أمورٌ عرفيّةٌ، يحكمها العرف.

● **س: أحسن الله إليك، إهداء المرأة كيف يكون اللّفظ يعني، لو كان واحدٌ عنده بنتٌ يهديها لواحدٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: برضاها، إذا رضيت فلا بأس.

(من السّائل): كيف اللّفظ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول: عندي بنتٌ هل لك رغبة في الزّواج، مثل ما قال عمر للصّدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إذا كان لك رغبةٌ في حفصة زوّجتك إيّاها، وقال لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك، يقول له: يا فلان، إنّي والله أحبّك في الله، وأنا عندي بنتٌ إذا كان ترغب في الزّواج فأنا موافقٌ، أو عندي أختٌ؛ لكن بشرط أن ترضى إذا كانت مكلّفةً، إذا كانت يعني بنت سبعٍ فأكثر، لا بدّ من مشورتها، والبكر تستأذن.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين برقم (٤٧٩٢)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين برقم (١٤٢٨).

• س: أحسن الله إليكم يا شيخ، يقول بعضهم: إنّ آية الحجاب هذه خاصّةٌ بأزواج النّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، عامّةٌ، الحكم عامٌّ: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. أطهر لقلوب الجميع، العلّة للجميع، هو ما نزل في أزواج النّبيّ ﷺ، أو في غيرهم، للأمّة كلّها، إلّا أن يقال: خاصّةٌ، مثل ما قال للواهبة، الواهبة: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وإلّا فالعموم ما نزل في حقّ النّبيّ ﷺ أو حقّ زوجاته، أو حقّ غيرهم هو للأمّة كلّهم.

• س: أحسن الله إليك، إذا وهب البنت وهي صغيرةٌ، ثمّ كبرت فهل يستأذنها والدها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، إذا تمّ العقد وهي صغيرةٌ مضى، إذا تمّ العقد عليها، أمّا مجرّد هبةٍ من دون عقدٍ ما هو بشيءٍ، لا بدّ من عقدٍ شرعيٍّ.

• س: سلّمك الله، رجلٌ قال لرجلٍ آخر: زوّجتك ابنتي، فقبل ذلك الرّجل ـ وهي صغيرةٌ ـ ثمّ عندما كبرت هذه البنت؟

• س: (من الشّيخ): فيه شاهدان، حضر شاهدان؟

(من السّائل): فيه شاهدان، ولكن لمّا كبرت هذه البنت رفضت؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، ما لها رفضٌ، قد مضى الأمر، إن ادّعت مسألة الخلاف بينهم فشيءٌ آخر، مسألة الخلع شيءٌ آخر.

• س: ولكن لو حصل دون الشّاهدين، القبول والإيجاب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يصلح، ما يثبت.

(السّائل): ما يلزمه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يلزم، لا، باطلٌ.

* *

حدّثنا أبو معمرٍ، حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا عبد العزيزِ بن صهيبٍ، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا، فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، قال: «**ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ**»، وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ: فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللهِ**»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ، بَارَكَ اللهُ لَكَ، فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ: فَإِذَا ثَلَاثَةٌ مِنْ رَهْطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَدِيدَ الْحَيَاءِ، فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَمَا أَدْرِي آخْبَرْتُهُ، أَوْ أُخْبِرَ، أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا، فَرَجَعَ، حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ الْبَابِ دَاخِلَةً، وَأُخْرَى خَارِجَةً، أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

قوله: (**فَأَرْسَلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا**). لعلّها «أرسلت»، أرسله النّبيّ ﷺ. ماذا قال الشّارح عليه؟

(من الطّالب): قال العينيّ: «فأرسلت على صيغة المجهول».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذا أحسن «فأرسلت» أحسن؛ يعني: أرسله النّبيّ ﷺ.

وكانت زينب رضي الله عنها أولَم عليها ﷺ وليمةً كبيرةً، وأمر أنسًا رضي الله عنه أن يدعو ناسًا معيّنين، قال: «ومن لقيت من النّاس فدعا ناسًا كثيرين، كلّ من جاء يأكل، ثمّ يخرج خبزًا ولحمًا، وكانت وليمةً واسعةً.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين برقم (٤٧٩٣)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين برقم (١٤٢٨).

وفيه حسن خلقه ﷺ وتواضعه؛ حتّى خرجوا من أنفسهم، ما قال اخرجوا، حتّى خرجوا من أنفسهم، كونه إذا دخل على أهله سلّم عليهم: (السَّلَامُ عَلَيْكم أَهْلَ البَيْتِ ورحمةُ اللهِ وَبَركَاتُه)، وحسن ردّهنّ عليه رضي الله عنهنّ وأرضاهنّ.

وهكذا أولم على صفية رضي الله عنها بحيسٍ ليس فيه لحمٌ، تمرٌ وسمنٌ وأقطٌ، هذا يدلّ على أنّه لا بأس بهذا، لكن إذا كان فيه لحمٌ يكون أولى؛ لقول النّبيّ ﷺ لعبد الرّحمن رضي الله عنه: «**أولم ولو بشاةٍ**»[1] يكون فيه شاةٌ أو أكثر، يكون أولى، على حسب التّيسير.

● **س: أحسن الله إليك، الوليمة تكفي في إعلان النّكاح؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لا ما تكفي، يشهد على العقد مع الوليمة، ومع ما جرت به العادة من العرف الّذي يعلن النّكاح.

حدّثنا إسحاق بن منصورٍ، أخبرنا عبد الله بن بكرٍ السّهميّ، حدّثنا حميدٌ، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «أولم رسول الله ﷺ حين بنى بزينب ابنة جحشٍ، فأشبع النّاس خبزًا ولحمًا، ثمّ خرج إلى حجر أمّهات المؤمنين، كما كان يصنع صبيحة بنائه، فيسلّم عليهنّ، ويدعو لهنّ، ويسلّمن عليه، ويدعون له، فلمّا رجع إلى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث، فلمّا رآهما رجع عن بيته، فلمّا رأى الرّجلان نبيّ الله ﷺ رجع عن بيته، وثبا مسرعين، فما أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أخبر، فرجع حتّى دخل البيت، وأرخى السّتر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب»، وقال ابن أبي مريم: أخبرنا يحيى، حدّثني حميدٌ سمع أنسًا، عن النّبيّ ﷺ[2].

---

(١) أخرجه البخاري عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه في كتاب البيوع، باب ما جاء في قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾... برقم (٢٠٤٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين برقم (٤٧٩٤)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين برقم (١٤٢٨).

حدّثني زكريّا بن يحيى، حدّثنا أبو أسامة عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خرجت سودة، بعد ما ضرب الحجاب، لحاجتها، وكانت امرأةً جسيمةً لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطّاب فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعةً، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنّه ليتعشّى وفي يده عَرقٌ، فدخلت فقالت: يا رسول الله، إنّي خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه، ثمّ رفع عنه وإنّ العرق في يده ما وضعه، فقال: «**إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ**»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وكان عمر رضي الله عنه يحبّ ألّا يخرجن، فأذن الله لهنّ في الخروج؛ لأنّهنّ ما كنّ يتّخذن الكنف في البيوت، ما كان النّاس يعتادون الكنف، وكانوا يخرجون إلى الصّحراء لقضاء الحاجة، وكان النّساء يخرجن في اللّيل، ثمّ اتّخذوا ما اتّخذ النّاس، الحمّامات والكنف في البيوت، واستغنين عن ذلك.

● **س: أحسن الله إليك، عمر** رضي الله عنه **كان يرغب أن يخرجن ليلًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: كان عمر رضي الله عنه يرغب ألا يخرجن.

(السّائل): إلّا في اللّيل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: مطلقًا، ما يخرجن إلّا في اللّيل، يريد أن يكنّ في البيوت، حاجتهنّ تقضى في البيوت.

(من الطّالب): يعني: لزوجات المصطفى ﷺ فقط؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هن وغيرهن، مقصوده السّتر.

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...﴾ إلخ برقم (٤٧٩٥)، ومسلم في كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان برقم (٢١٧٠).

• س: أحسن الله إليك، وليمة الزّواج أفضل يوم الزّواج أم ثاني يومٍ، صبيحة الزّواج؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يوم الزّواج، اليوم الّذي يصبحون فيه، هذه السّنّة، وإن قدّموه قبل الدّخول أو بعده.

المقصود أنّ هذه أمورٌ عرفيةٌ، المهمّ إظهارها، والعادة المعروفة الآن صبيحة الزّواج، فلو كان أمام الزّواج، أو ليلة الزّواج فكلّه طيبٌ.

• س: أحسن الله إليك، ما المراد بالجاهليّة الأولى؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الظّاهر ـ والله أعلم ـ هي جاهليّة الكفرة، أهل مكّة وغيرهم، وهنا بقية الجاهليّة، قد تقع بين النّاس جاهليّةٌ، لكن الجاهليّة الأولى الّتي فيها الذّمّ والتّحذير جاهليّة الكفّار وما كانوا عليه من العوائد الشّركيّة والباطلة.

• س: يعني وما يأتي بعدها من الجاهليّات يكون هي الجاهليّة الثّانية يعني؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا يعرف من النّهي عن مخالفة الشّرع، أقول: يعرف من مخالفة الشّرع، كلّ ما يخالف الشّرع فهو جاهليٌّ.

• س: لكن لها مفهومٌ ـ أحسن الله إليك ـ: الأولى، الأولى لها مفهوم التّقييد بالأولى؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الظّاهر الجاهليّة الأولى جاهليّة كفار قريشٍ وغيرهم قبل بعث النّبيّ ﷺ.

• س: بعد الدّعوة والإسلام هل يقال: فيه جاهليّة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

إيه فيه جاهليّةٌ عندك الآن في كلّ مكانٍ جاهليّة، كلّ مكانٍ يجهل فيه الشّرع، ويهتك فيه الشّرع نوع جاهليّةٍ، مثل ما قال النّبيّ ﷺ لأبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

ـ لمّا عيّر غلامه بأمّه، قال: يابن فلانة ـ قال: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» يقول لأبي ذرٍّ ﷺ، قال: يا رسول الله، وعلى سنّي هذا؟ قال: «**نَعَم**»(١).

(**من السّائل**): أحسن الله إليك، وحديث: «**أربعٌ في أمّتي من أمر الجاهليّة**»(٢)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كذلك: «**الفخر بالأحساب والطّعن في الأنساب...**» الحديث.

● **س: التّعميم بأنّ الأمّة رجعت إلى الجاهليّة بدون استثناءٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كلا، غلطٌ، قال: فيهم جاهليّة أو رجعوا إلى شيءٍ من الجاهليّة.

● **س: إذا أولم الإنسان وهو فقيرٌ يعني أولم بشاي وقهوةٍ، بقهوةٍ هل تكفي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، مثل ما أولم النبي ﷺ بالحيس.

● **س: أحسن الله إليك، شيخ عبد العزيز ما أقلّ الحيض؟ وما أكثره؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المشهور عند الجمهور أقلّه يومٌ وليلةٌ وأكثره خمسة عشر يومًا، وبعض أهل العلم ما يرى لأقلّه حدًّا ولا لأكثره حدًّا، حسب الواقع، والمشهور عند العلماء هو هذا، يومٌ وليلةٌ أقلّه وأكثره خمس عشرة ليلةً.

● **س: وبعده استحاضةٌ؟**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن برقم (٦٠٥٠)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه برقم (١٦٦١).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة برقم (٩٣٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عند الجمهور ما زاد فهو استحاضةٌ.

● **س: أحسن الله إليك، من قال في هذا العصر لأخيه يابن السّوداء يقال له بعينه: «إنّك امرؤ فيك جاهليّة»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إي نعم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ **[الأحزاب: ٥٤، ٥٥]**(١).

حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، حدّثني عروة بن الزّبير أنّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «استأذن عليّ أفلح أخو أبي القعيس بعد ما أنزل الحجاب، فقلت: لا آذن له حتّى أستأذن فيه النّبيّ ﷺ، فإنّ أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فدخل عليّ النّبيّ ﷺ فقلت له: يا رسول الله، إنّ أفلح أخا أبي القعيس استأذن، فأبيت أن آذن حتّى أستأذنك، فقال النّبيّ ﷺ: «**وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِين؟ عَمُّكِ**»، قلت: يا رسول الله، إنّ الرّجل ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فقال: «**ائْذَنِي لَهُ، فَإِنَّهُ عَمُّكِ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ**»، **قَالَ عُرْوَةُ: فَلِذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: «حَرِّمُوا مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا تُحَرِّمُونَ مِنَ النَّسَبِ»**(٢).

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ برقم (٤٧٩٦)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة برقم (١٤٤٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهكذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ: «**يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ**»(١)، فكما أنّ الأب من النّسب مَحرمٌ، وهكذا من الرّضاع، وهكذا الزّوج الّذي حصل الرّضاع من زوجته يكون أبًا للرّضيع والرّضيعة، والمرضعة أمٌّ، والأخ عمٌّ، وأخو المرضعة خالٌ؛ «**يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ**».

ولهذا قال: (**ائذني لَهُ، فَإِنَّهُ عمُّك**) وهو أفلح أخو أبي القعيس، «**يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب**» سواءٌ بسواءٍ.

قوله ﷺ: (**وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِي؟ عَمّكِ؟**):

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «تأذنين» بالنون كذا عندكم؟ تعرّض لها الشّارح؟ قال: رواية؟

(**القارئ**): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ١٢٥)]: «قوله: «أن تأذنين» ويروى: تأذني، بحذف النّون وهي لغةٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: صار روايةً.

وهذا يدلّ على أنّ الرّضاع يكون للفحل، ويكون للأنثى، فهو يشمل هذا وهذا، يشمل الأقارب من جهة الأب، والأقارب من جهة الأمّ. فإنّ الرّضاعة كما تكون للأمّ فهي تكون لزوجها صاحب اللّبن، فإنّ اللّبن نشأ عن ذلك، عن اتّصاله بها، وحملها منه، وولادتها منه؛ فكان الرّضاع كاملًا لهما جميعًا.

فإذا أرضعت امرأةٌ إنسانًا، صار ولدًا لها، وولدًا لزوجها، وصار

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض برقم (٢٦٤٥)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة برقم (١٤٤٧).

زوجها أباه، وإخوته أعمامه، وصارت المرأة أمًّا، وأخواتها خالات، وإخوانها أخوالًا: «**يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ**».

وقوله سبحانه: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾، يبيّن لعباده أنّه لا يخفى عليه خافيةٌ، وأنّ ما أبداه النّاس أو أخفوه، فهو معلومٌ عند الله ﷻ.

والمقصود من هذا: التّحذير من إسرار ما حرّمه الله، أو المخادعة، أو فعل ما حرّمه الله على العبد سرًّا، فإنّ الله لا تخفى عليه خافيةٌ ﷻ، فالواجب الحذر من كلّ ما حرّم الله سرًّا وعلنًا أينما كنت.

• **س: والد الزّوج من الرّضاعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: مثل الوالد من النّسب سواءٌ بسواءٍ.

• **س: والعمّ من الرّضاعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم؛ «**يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب**»

• **س: يجوز منع المرأة من السّلام على أخيها من الرّضاع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

إذا كان له أسبابٌ؛ أنّه رجلٌ فاجرٌ ويخشى الزّوج عليها منه، خبيثٌ، لا بأس، أمّا إذا كان ما فيه بأسٌ لا يمنعها، مثل ما أنّ الرّسول لم يمنع عائشة رضي الله عنها قال: (**ائذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ**)، فإذا كان رجلًا لا بأس به يؤذن له يسلّم عليه، أمّا إذا كان رجلًا معروفًا بالشّرّ أو الفساد، والزّوج يعرف ذلك يمنع.

• **س: أحسن الله إليك، الصّهر يدخل في النّسب، الصّهر يدخل في الرّضاع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم المصاهرة كالنّسب؛ «**يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب**»، عامٌّ من جهة المصاهرة، ومن جهة القرابة.

فيه قولٌ شاذٌّ ذكره ابن كثيرٍ عن بعض أهل العلم، لكنّه قولٌ شاذٌّ،

استثناء المصاهرة، قولٌ شاذٌ قال بعض النّاس به، وهذا قولٌ خطأٌ باطلٌ، المصاهرة كالنّسب سواءٌ، عامٌّ، الرّسول ﷺ يقول: «**يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ**». وأبو الزّوج من النّسب، حرامٌ، فهكذا أبوه من الرّضاعة، عمّه، جدّه من النّسب حرامٌ فهكذا جدّه من الرّضاعة، ابنه من النّسب حرامٌ كذلك ابنه من الرّضاعة وهكذا ابن ابنه.

• **س: ينسب إلى شيخ الإسلام ـ أحسن الله إليك ـ، محكيٌّ عن شيخ الإسلام ابن تيميّة هذا القول؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكره ابن القيّم، ولكنّه قولٌ لا وجه له، يرحمه الله.

• **س: لو لم يكن هناك وريثٌ غير أخٍ من الرّضاعة ليس هناك ورثةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، الرّضاعة ما فيها إرثٌ يا ولدي، لا، الرّضاعة ما فيها إلّا محرميّةٌ، المحرميّة فقط، الإرث بإجماع المسلمين، ما يرث الرّضيع للأرحام للأقارب والزّوج والزّوجة فقط أو ولاء العتق.

• **س: وهكذا الصّلة، عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولصّلة كذلك نعم.

• **س: أخت المرضعة هل تكون في حكم الخالة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم أختها خالتك، وأمّ أمّها جدّتك وبنتها أختك «**يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ**».

• **س: مطابقة الحديث للتّرجمة كيف التّرجمة هذه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأنّ الله يقول: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾؛ يعني: من النّسب والرّضاعة هذا مقصوده مع الآية.

• **س: زوجة الابن من الرّضاعة تحرم على أبيه من الرّضاع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

• س: يكون الأب محرمًا لها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦][1].

قال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدّعاء، قال ابن عبّاسٍ: ﴿يُصَلُّونَ﴾: يُبرِّكُونَ، ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ﴾ [٦٠]: لَنُسَلِّطَنَّك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يبرّكون؛ يعني: يدعون بالبركة والمغفرة والرّحمة.

قال البخاري:

حدّثني سعيد بن يحيى، حدّثنا أبي، حدّثنا مسعرٌ، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قيل: يا رسول الله، أمّا السّلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصّلاة عليك؟ قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء في هذا عدّة صفاتٍ كلّها تفسير لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾. جاء هذا اللّفظ الّذي ذكره المؤلّف من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْت**

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ برقم (٤٧٩٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد برقم (٤٠٦).

عَلَى إِبْرَاهِيْم وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْم، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

وجاء الجمع بينهما - أي: بين محمّد وآله، وبين إبراهيم وآله - في الصّحيح أيضًا: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْم، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْم، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم**» من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه أيضًا.

وجاء: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»، هذا جاء أيضًا في الصّحيح من حديث أبي حميدٍ رضي الله عنه.

وجاء: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

كلّها بأيِّ نوعٍ من الصّفات الثّابتة صلّى بها الرّجل فقد فعل السّنّة، وإذا أتى بهذا تارةً وبهذا تارةً فحسنٌ.

● **س: وفي النّفل والفرض؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: في النّفل والفرض نعم جميعًا.

ومعنى «السّلام قد عرفناه»: من قوله: «**السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**» في التّشهّد، قد عرفوه في التّشهّد، «**السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**»؛ فلهذا قالوا: أمّا السّلام؛ فقد عرفناه، فكيف الصّلاة عليك؟ فبيّن لهم ﷺ الصّلاة عليه[1].

---

(١) وقال سماحته رحمه الله في القراءة الأولى: وهي جاءت بعدّة ألفاظٍ، وبأي لفظٍ أتى بها المؤمن في الصّلاة وفي خارجها، فقد فعل المشروع، فمنها: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كما صليتَ على إبراهيم، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى** =

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ، الألفاظ المبتدعة في الصّلاة مثل صلاة الفاتح وصلاة (الماليّة) أورد النّبهاني في هذا كتابٍ، وسمّاه: «الصلوات على سيد السادات»، كتابٌ كاملٌ تبلغ عشرين صلاةً؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الواجب على المؤمن أن ينظر ما جاءت به السّنّة ويكتفي، والحمد لله، أمّا اختراعات النّاس، وتحسين أشياء، وتنظيم أشياء، فهذا لا أصل له. هذه أمورٌ عباديّةٌ تتعلّق بما جاءت به السّنّة.

فالواجب على المؤمن أن يتحرّى ما جاءت به السّنّة، وبأيّ نوعٍ فعل فالحمد لله.

أما صلاة الفاتح الّتي أحدثها بعض الأفارقة النّيجيريون هذه ما لها أصلٌ.

• **س: بارك الله فيك، بالنّسبة للسّلام على النّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ كان في حياته يقولون له: السّلام عليك، وبعد مماته يقال: «السّلام على النّبيّ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، في هذا وهذا «السّلام عليك أيّها النّبيّ» في التّشهّد وغيره، في حياته وبعد وفاته، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

= **آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبراهيم؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**.

ومنها: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيم**» كما هنا: «**إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آل إبراهيم، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

ومنها الجمع بين إبراهيم وآله، ومحمدٍ وآله جميعًا: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْم وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيم إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْم، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْم**». كما رواه البخاريُّ نفسُه في أحاديثِ الأنبياءِ، فهي أنواعٌ، اللَّهُمَّ صلِّ عليهِ وَسَلِّم.

هذا غلطٌ، يقال هذا «السّلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته»، في حياته وبعد وفاته ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

لكن بعض الصّحابة ﵃ قال: كنّا نقول كذا، ولا ينفي ما كان يفعله الصّحابة ﵃ الآخرون، والنّبيّ ﷺ علّمهم إيّاه، وهو قد يكون بعيدًا عنهم، قد يكون في جهةٍ بعيدةٍ، ويقولون: السّلام عليك أيّها النّبيّ، وهم في جهةٍ بعيدةٍ، ما هم حاضرون عنده. فهذا يقال بعد وفاته، وفي حياته ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

والمراد الاستحضار، «السّلام عليك أيّها النّبيّ»، استحضاره بالقلب، «عليك» خطابٌ له، كأنّه مستحضرٌ في القلب ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

• **س: يا شيخ، صلاة التّسابيح؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀: الصّحيح فيها أنّها غير محفوظةٍ، الصّحيح أنّها موضوعةٌ.

• **س: في التّشهّد الأوّل هل يصلّى على النّبيّ ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

أفضل، الأكثرون يقولون: يختصّ بالأخير، ولكن ما عليه دليلٌ لا. عموم الأدلّة تدلّ على أنّه يقال في الأوّل والآخر.

*

حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا اللّيث، قال: حدّثني ابن الهاد، عن عبد الله بن خبّابٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريّ قال: قلنا: يا رسول الله، هذا التّسليم، فكيف نصلّي عليك؟ قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**»، **قال أبو صالح عن اللّيث: «عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ»، حدّثنا إبراهيم بن**

حمزة، حدّثنا ابن أبي حازم، والدّراورديّ عن يزيد، وقال: «كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا نوعٌ من الصّلاة عليه، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

• **س: أحسن الله إليك، هنا نقل الحافظ في الحاشية، قال الحافظ في «الفتح» عن ابن عبد البرّ قال: أخرج عنه ابن عبّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **بإسنادٍ صحيحٍ قال: «لا تصلح الصّلاة على أحدٍ إلّا على النّبيّ** ﷺ**، ولكن للمسلمين والمسلمات الاستغفار»**(٢)**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا مشهورٌ؛ يعني: ما يتّخذ شعارًا لغير النّبيّ ﷺ، ولكن إذا فعله في بعض الأحيان، مثل ما قال النّبيّ ﷺ ـ لمّا أتى آل أبي أوفى بزكاةٍ ـ قال: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»**(٣).

إذا فعله بعض الأحيان قال: اللّهمّ صلّ على آل فلانٍ، أو صلّ على فلانٍ في بعض الأحيان ليس بشعارٍ لا بأس، أمّا الشّعار فيكون للنّبيّ ﷺ كما جاءت به السّنّة، ودلّ عليه القرآن.

• **س: الصّلاة على النّبيّ** ﷺ **حكمها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: المشهور عند أهل العلم الفرضيّة في التّشهّد الأخير، قال بعضهم: إنّها سنّةٌ في الجميع.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٥٥).

(٢) ذكره شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّةَ في «الفتاوى» (٢٢/ ٤٧٣) (٢٧/ ٤١٠): بلفظ: «لَا أَعْلَمُ الصَّلَاةَ تَنْبَغِي مِنْ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ».

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى في كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة برقم (١٤٩٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن يصدقه برقم (١٠٧٧).

الأحوط للمؤمن يأتي بها في التّشهّد الأخير، ويحافظ عليها خروجًا من الخلاف؛ لأنّ فيها أقوالًا ثلاثة: الرّكنيّة، والوجوب، والسّنّيّة فقط؛ لأنّ الرّسول ما أوجبها أصلًا، لما سألوا قالوا: يا رسول الله، كيف نصلّي عليك؟ فلو كانت فرضًا لعلّمهم قبل أن يسألوا، فلمّا لم يعلّمهم حتّى سألوا دلّ على أنّها سنّةٌ.

وقال آخرون: بل تجب؛ لأنّ الرّسول ﷺ قال: **(قولوا)**. وهذا أمرٌ، والأمر يقتضي الوجوب، فقالوا: إنّها تجب أو ركنٌ.

فالمؤمن يحتاط ويأتي بها، وإذا أتى بها في التّشهّد الأوّل أيضًا كذلك؛ لعموم الأحاديث، إذا أتى بها في التّشهّد الأوّل أيضًا فأفضل على الصّحيح؛ لعموم الأحاديث مستحبّةٌ في الأوّل بلا شكٍّ، أما في الأخير فهو محلّ الخلاف: تجب، أو ركنٌ، أو سنّةٌ. على أقوالٍ ثلاثةٍ، والأحوط للمؤمن أن يأتي بها دائمًا؛ خصوصًا في التّشهّد الأوّل[(١)]، حتّى يخرج من الخلاف بيقينٍ، وتسلم له صلاته بيقينٍ.

• **س: زواج المسلم بالكتابيّة يعني يأتي بشاهدٍ ووليٍّ أم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: مثله مثل المسلم.

• **س: طيّب إذا ما التزمت بالحجاب وأبت تلتزم بما...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يجاهدها، يجاهدها مثل المسلمة، يجاهدها ويعلّمها، مجاهدتها ولّا يطلّقها.

[(٢)].. السّنّة أن يأتي بها؛ كما علّم النّبيّ ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، السّنّة أن يأتي بها كما علم النّبيّ ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، يصلّي على محمّد وآل محمّد، ويصلّي على إبراهيم، أو على إبراهيم وآل إبراهيم، أو على آل إبراهيم كما جاءت الرّوايات.

• **س: من فسّر السّلام بالتّحيّة؟**

---

(١) كذا في الأصل المسموع، ولعلها: التشهد الأخير.

(٢) هنا سقط في الأصل المسموع.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: سلام؟

(**من الطّالب**): السّلام من الله (الصّلاة والسّلام)؟

• **س: (من الشّيخ): يعني: اللّهمّ أنت السّلام ومنك السّلام؟ جاءت النّصوص بأنّه سلام الله، يسلّم عليهم سلامًا صريحًا: «السَّلَام عَلَيْكم يَا أَهْلَ الجَنَّة»[1] جاء النص بهذا.**

• **س: وقريبٌ من هذا أنّه لا يقال: «محمّد ﷻ» وإن كان معناه صحيحًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأنّ هذا شعار تعظيم لله ﷻ، ما كان شعارًا لله لا يفعل مع النّبيّ ﷺ، قال الله ﷻ، قال الله تعالى، ما يقال: قال محمّد ﷻ، وقال محمّد تعالى أو سبحانه، لا، وإن كان عزيزًا جليلًا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ لأنّ هذا شعار المسلمين، وصفوا به الربّ ﷻ؛ حتّى لا يتوهّم متوهّمٌ الغلو.

• **س: قاعدةٌ يا شيخ ما كان شعارًا لله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يستعمل مع غيره.

• **س: وما كان شعارًا للنّبيّ ﷺ لا يفعل مع غيره؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

*

□ **قَالَ الله تَعَالَى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦][2].

هذه الآية الكريمة مع الأحاديث كلها تدل على فضل الصلاة على

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المقدمة، باب فيما أنكر الجهمية برقم (١٨٤).

(٢) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٤/١١٨).

النبي ﷺ، وأنه ينبغي الإكثار منها، وأن مَنْ صَلَّى عَلَيْه واحدة، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والصلاة من الله على عبده في الملأ الأعلى ورحمته إياه، ومنا الدعاء نقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»، هكذا فسَّرها النبي ﷺ، فيشرع لنا الإكثار من ذلك في الليل والنهار في كل وقت، ولا سيما بعد الأذان، إذا أذن المؤذن قلت: لا إلـه إلا الله، أجبت المؤذن تقول: بعد لا إلـه إلا الله تصلي على النبي، تقول: اللَّهُمَّ صلِّ على محمد إلخ، ثم تقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ**»، يقول النبي ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»، فينبغي الإكثار من الصلاة عليه، ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ويقول ﷺ: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَومَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**»(١)، أَوْلَى النَّاسِ بالنبي ﷺ أَكْثَرُهُمْ عليه صلاة، عن إيمان به وعن محبة له ـ عليه الصلاة والسلام ـ، واتباع لشريعته.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٤٨٤) وقال: هذا حديث حسن غريب.

ويقول ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَومَ الجُمُعَةِ**»[١]، في اللفظ الآخر: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا**»، «**فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**». (**قَالَ: قالوا: يَا رسول الله، وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟**)؛ يعني: أرممت؛ يعني: بليت قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**»، روحه في أعلى العليين، ومن صلى عليه وسلم عليه ترد عليه روحه حتى يرد عليه السلام كما قال ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»[٢]. ممكنًا أن تحمل الملائكة الصلاة عليه إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فإنه ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»[٣].

فالإكثار من الصلاة عليه والسلام عليه يبلغ إياه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ويرد على من سلَّم عليه، فينبغي الإكثار من ذلك على ما جاء في الأحاديث الصحيحة في صفة الصلاة عليه بيَّنها ﷺ بقوله: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،**

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أوس بن أوس في كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة برقم (١٠٤٧)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب فضل الجمعة برقم (١٠٨٥)، والنسائي في كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة برقم (١٣٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب المناسك، باب زيارة القبور برقم (٢٠٤١).

(٣) أخرجه النسائي من حديث عبد الله ﷺ في كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ برقم (١٢٨٢)، وأحمد ١/ ٣٨٧.

كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». هذه صفة الصلاة عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أما السلام فقد بيَّنه: **السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**؛ ولهذا لما علَّمهم الصلاة، فقال: «**أما السلام فقد علمتم**» وهو أن يقول الإنسان: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، أو السَّلَامُ عَلَى النبي محمد وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، المقصود: أنه علَّمنا كيف نصلي وكيف نسلم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله وأصحابه.

❁

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨](١).

هذه الآية الكريمة فيها الدلالة على تحريم إيذاء المسلمين وظلمهم والعدوان عليهم، ولا سيما الضعفاء والمساكين، فإن الواجب احترامهم وإعطاؤهم حقوقهم، وعدم الاستهزاء بهم أو السخرية بهم أو احتقارهم أو إيذائهم؛ بل يجب على كل مسلم أن يحترم أخاه فقيرًا أم غنيًّا، وألَّا يظلمه، وألَّا يتعدى عليه لا بقول ولا بفعل، قال النبي ﷺ: «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»، وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. فالمسلم أخو المسلم يجب احترامه وكف الأذى عنه، ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ هذا وعيد عظيم والإيذاء يكون بالقول، ويكون بالفعل، يكون بهما جميعًا، فالواجب الحذر من ذلك.

ويقول ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٢/١٠٣)، باب التحذير من إيذاء الصالحين.

٩، ١٠]، ويقول جلَّ في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

فالمسلم من صفته الرفق مع إخوانه والرحمة والعطف ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]. فالمؤمن ينقاد لشريعة الله ويستقيم على طاعة الله ورسوله، ومن ذلك كفُّه عن إيذاء المؤمنين، واحترامه للمؤمنين، وإعطاؤهم حقوقهم، وعدم انتقاصهم من حقوقهم، وعدم ظلمهم، وإذا كان المظلوم فقيرًا وضعيفًا كان الإثم أكبر؛ لأنه لا يستطيع أن ينتصر لنفسه، وأن يأخذ حقه، والله يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾، ويقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١] ويقول النبي ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»(١)، ويقول ﷺ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»(٢).

ولما اتخذ الصديق مع الضعفاء من المهاجرين بعض الشيء، قال له النبي ﷺ: «**لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**». فالواجب احترام المسلمين، وكفّ الأذى عنهم، ولا سيما فقراءهم، فهم أولى بالعطف والإحسان والمواساة، لا بالاحتقار والظلم.

*

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حجة الوداع برقم (٤٤٠٢ ـ ٤٤٠٣)، ومسلم في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد برقم (١٦٩).

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨](١).

هذه الآية الكريمة تدل على تحريم السب لأخيك المسلم والدعاء عليه إلا بحق، الواجب على المسلم مع أخيه المحبة، والتواصي بالحق، والتعاون على البر والتقوى، وحفظ اللسان عما لا ينبغي، حفظ الجوارح عما لا ينبغي، المسلم أخو المسلم، الواجب عليه أن يحفظ لسانه من الأذى ويده أيضًا وغيرها من أذى أخيه: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(٢)، ويقول ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»(٣)؛ فالواجب على المسلمين فيما بينهم التراحم والتعاطف، والحذر من الإيذاء؛ يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]؛ يعني: بغير جريمة ظلمًا وعدوانًا، فهذا الذي فعل الأذى من قول أو فعل قد احتمل بهتانًا عظيمًا؛ فالواجب عليك يا عبد الله مع أخيك حفظ اللسان وحفظ الجوارح عن الأذى، ويقول ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» سباب؛ يعني: مسابته، شتمه: الله يفعل بك، أخزاك الله، لعنك الله، قاتلك الله، أهلكك الله، وما أشبه ذلك، كل هذا من الفسوق، من العصيان الظاهر، وقتاله كفر؛ يعني: من الكفر المعروف في الشريعة،

---

(١) انظر شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٣٠٢)، كتاب الأمور المنهي عنها، باب تحريم سب المسلم بغير الحق.

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره برقم (٤٨١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٥).

(٣) سبق تخريجه في (٢/ ٤٦).

كفر النعمة الكفر الأصغر؛ يعني: بدل ما يحبه في الله ويثني عليه، يقاتله، فهذا من خصال الجاهلية ومن أعمال الجاهلية، ويُسمى كفرًا كما قال ﷺ: **«لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»**، مثل قوله ﷺ: **«اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»**[١]، وقوله ﷺ: **«لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فمن رغب عن أبيه فقد كفر»**[٢].

ويقول ﷺ من حديث أبي ذر وغيره: **«لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ»**[٣]. إذا قال: يا عدو الله، يا فاسق، أو يا خبيث، أو يا ملعون، أو يا زنديق وليس كذلك رجع الكلام عليه صار هو أولى به؛ فالواجب الحذر من شر اللسان وورطاته: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] حديث معاذ رضي الله عنه لما سأل عن أعمال الجنة قال في آخره: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: **«كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»** فَقُلْتُ: (يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟) فَقَالَ ﷺ: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»**[٤]، في الحديث

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة برقم (٦٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب من ادَّعى إلى غير أبيه برقم (٦٧٦٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم برقم (٦٢).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي ذر رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن برقم (٦٠٤٥).

(٤) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة برقم (٣٩٧٣)، والإمام أحمد (٥/ ٢٣١ و٢٣٧).

الصحيح يقول ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ**»(١). في اللفظ الآخر: «**يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**»(١)، فورطات اللسان وأخطاره كثيرة.

جاء في الحديث عن رجل أتي النبي ﷺ يشرب الخمر فأمر بتأديبه، منهم الضارب بيده، والضارب بثوبه، منهم الضارب بنعله، فقال رجل: أخزاك الله، قال: «**لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ**»(٢)، هذا يفيد أنه لا يُدعَى على العاصي أخزاك الله، ولعنك الله، لا، يقال: هداك الله، أصلحك الله، أعاذك الله من شر نفسك، اتق الله يا عبد الله، يُخاطَب بما ينفعه حتى يكون ذلك من أسباب الرجوع إلى الحق من أسباب هدايته.

في الحديث الآخر يقول ﷺ: «**المُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى البَادِئِ مِنْهُمَا مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ**»(٣). إذا سب إنسان إنسانًا فالإثم على الأول إلا إذا اعتدى المسبوب المظلوم، صار عليه إثم الاعتداء، أما القصاص فلا بأس، فإذا قال له: أخزاك الله، أو قاتلك الله قال له مثله، الإثم على الأول، أو لعنك الله قال مثلها، الإثم على الأول قصاص، فإن زاد الثاني فعليه إثم الزيادة، الأول قال: أخزاك الله، فقال الثاني: بل أنت أخزاك الله ولعنك، عليه إثم هذه الزيادة، أما إذا قال مثل ما قال سواء، هذا قصاص لا حرج على الثاني، الإثم على الأول، تقدم قوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، «**لَيْسَ المُؤْمِنُ**

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان برقم (٦٤٧٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها برقم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال برقم (٦٧٧٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن السباب برقم (٢٥٨٧).

بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ»[١]. المؤمن طيب اللسان، طيب الأعمال، حافظ لسانه، حافظ للجوارح، هكذا المؤمن، إيمانه يمنع من إطلاق اللسان ومن التعدي.

ويقول ﷺ: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا، يُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**»[٢]، احتج به العلماء على أن السيد لا يُقام عليه حدٌّ إذا قذف مملوكًا، وأنه يُقام عليه الحد يوم القيامة إن كان كاذبًا؛ لقوله ﷺ: «**يقام عليه الحد يوم القيامة**»؛ يعني: يُفضَح على رؤوس الأشهاد، نسأل الله العافية، فينبغي بل الواجب الحذر من ظلم الأرقاء والتعدي عليهم، وأن حقهم لا يضيع، إذا فات في الدنيا لم يفت في الآخرة؛ ولهذا قال في الحديث الصحيح ﷺ في المماليك: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ**»؛ يعني: خدامكم «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[٣]؛ فالمسلم يكون طيب الخلق مع خادمه سواء كان مملوكًا أو غير مملوك، يكون طيب الخلق، طيب الكلام لا يتكبر ولا يضرب.

*

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها برقم (٢٥٩٨).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب قذف العبيد برقم (٦٨٥٨)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنا برقم (١٦٦٠).

(٣) متفق عليه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك برقم (٣٠)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه برقم (١٦٦١).

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب: ٦٩]**[١].

حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا روح بن عبادة، حدّثنا عوفٌ، عن الحسن ومحمّدٍ وخلاسٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمؤلّف اختصره هنا، وأذاهم معروف، أذى الّذين آذوا موسى عليه السلام، لمّا عرفوا أنّه حييّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ اتّهموه أنّه آدر وبه علّةٌ؛ فاغتسل ذات يومٍ فجعل ثوبه على حجرٍ، فطار الحجر بثوبه؛ فجعل يتبعه ويقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر؛ حتّى وقف، فرآه بنو إسرائيل في غايةٍ من الحسن والسّلامة والبراءة، وأنّه بريءٌ ممّا رموه به.

فجعل يضرب الحجر بعصاه قال: فإنّه لندبٌ في الحجر، ثلاثٌ أو أربعٌ، من شدّة غضبه عليه لما طار بثوبه.

وهذه من آيات الله سبحانه وتعالى، وممّا صنعه لنبيّه ورسوله وكليمه موسى عليه السلام؛ حتّى يعلم من رماه وعابه براءته من ذلك، وكان هذا من أذاهم.

*

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ برقم (٤٧٩٩)، ومسلم في كتاب الحيض، باب جواز الاغتسال عريانًا في الخلوة برقم (٣٣٩).

☐ **تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠]**[1].

فيقول الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

كثيرًا ما يأمر عباده المؤمنين ﷻ بتقواه؛ لأنها جماع الخير، ولأنها تشمل أداء فرائض الله، وترك محارم الله، والوقوف عند حدود الله، فمن اتقى الله تمت له السعادة وفاز بالنعيم المقيم والخير الكثير والعاقبة الحميدة، ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: الزموها واستقيموا عليها؛ لأن المؤمن من شأنه أنه متقٍ لله، والمعنى: الأمر بلزوم التقوى والاستقامة عليها والصبر عليها حتى يموت عليها، ثم قال: ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾؛ يعني: احفظوا الألسنة عن الخطأ والزلل حتى لا تقول إلا قولًا سديدًا. والقول السديد: هو الصواب، وهو من التقوى، من شعب التقوى، حفظ اللسان وصيانته عما لا ينبغي، ولهذا خصَّه الله بالذكر؛ لعظم خطره، فقال: ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾، وقال في آية أخرى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

فاللسان خطره كبير، فالواجب على كل مؤمن أن يحفظه، وأن يصونه إلا مما ينفعه، ومما ينفعه القول السديد، وهو القول الصواب من ذكر الله وتحميده وتسبيحه واستغفاره، والدعوة إليه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير هذا من الحقوق والأمور الشرعية التي يُشرع للمؤمن أن يتكلم بها، وبذلك يفوز بالخير العظيم، ويسلم من شر كثير.

---

(١) حديث المساء (ص١٤٠).

فإن لم يتكلم بالخير، فليسكت؛ ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(١)]؛ لأنه إذا صمت سلم، فإن تكلم فله أو عليه، فعليه أن يحذر أن يكون كلامه عليه لا له.

ثم بيَّن ﷻ أن من جزاء ذلك ومن ثواب ذلك أن الله ﷻ يصلح للعبد العمل إذا اتقاه وحفظ لسانه أصلح عمله وغفر ذنبه، وهذه نعمة عظيمة وفائدة كبيرة لمن اتقى ربه وحفظ لسانه أن الله يصلح له عمله ويغفر له ذنبه.

ثم قال ﷻ: ﴿...وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ وهذه هي التقوى هي طاعة الله ورسوله في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والمشهد والمغيب، وفي جميع الأحوال، ومن التقوى حفظ اللسان والجوارح عن محارم الله، واستعمالها في طاعة الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّى وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢][(٢)].

الأمانة هي حق الله على العباد وما شرعه لهم من توحيده والإخلاص له، وسائر ما أوجب عليهم من صلاة وغيرها، وترك ما

(١) سبق تخريجه في (١١/ ٦).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٤١).

حرَّم الله عليهم، وهكذا حقوق العباد من حق الوالدين، وحق الرحم وغير ذلك، فالأمانة ما أمر الله به، وما أوجبه الله على عباده، يجب أن يؤدوا هذه الأمانة على الوجه المشروع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، فالمؤمن إذا أحرم هذا الإحرام ـ الإحرام العام ـ ينبغي له أن يجتهد في أداء ما فرض الله عليه، وإذا دخل في الصلاة يؤدي ما فرض الله عليه، وإذا دخل في الصوم يؤدي ما أوجب الله عليه، وفي الزكاة يؤدي ما فرض الله عليه، وهكذا كلها أمانات، فالحج أمانة، والصوم أمانة، والزكاة أمانة، والصلاة أمانة، وبر الوالدين أمانة، وترك المحارم أمانة، فالواجب أداؤها بطيب نفس وإخلاص وطلب لما عند الله، فإذا دخل في الصلاة دخلها بانشراح صدر، ورغبة فيما عند الله حتى يؤديها كاملة، وهكذا يُخرِج الزكاة عن طيب نفس يرجو ما عند الله، وهكذا يصوم رمضان صيامًا شرعيًّا بعيدًا عما حرَّم الله، وهكذا إذا حج يصون حجه عما حرَّم الله عليه، وهكذا بقية الأمور.

فإن هذه الأمانة لا يساويها شيء، بل هي الأمانة العظمى، وهي دين الله ﷻ؛ ولهذا عرضها الله على السموات والأرض والجبال: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾؛ لعظم شأنها. فالواجب على المكلَّف من بني آدم أن يعتني بها، وأن يؤديها كاملة، على وجه الإخلاص لله في فعل الواجبات وفي ترك المحارم، يرجو ثواب الله، ويخشى عقاب الله سبحانه.

❑ ❑ ❑

تفسير آيات من سورة سبأ(١)

يقال: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [٥]: مُسَابِقِينَ، ﴿بِمُعْجِزِينَ ۝١٣٤﴾ [الأنعام: ١٣٤]: بِفَائِتِينَ، مُعَاجِزِيَّ: مسابقيَّ، ﴿سَبَقُوٓاْ﴾ [الأنفال: ٥٩]: فَاتُوا، ﴿لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩﴾ [الأنفال: ٥٩]: لَا يَفُوتُونَ، ﴿يَسْبِقُونَاۚ﴾ [العنكبوت: ٤]: يُعْجِزُونَا، قَوْلُهُ: ﴿بِمُعْجِزِينَ ۝١٣٤﴾ [الأنعام: ١٣٤]: بِفَائِتِينَ، وَمَعْنَى ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [٣٨]: مُغَالِبِينَ، يُرِيدُ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يُظْهِرَ عَجْزَ صَاحِبِهِ، ﴿مِعْشَارَ﴾ [٤٥]: عُشْرٌ، يقال: ﴿ٱلْأُكُلِۚ﴾ [الرعد: ٤]: الثمرة، ﴿بَٰعِدْ﴾ [١٩]: وَبَعِّدْ وَاحِدٌ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ [٣]: لَا يَغِيبُ، ﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [١٦]: السُّدُّ: مَاءٌ أَحْمَرُ، أَرْسَلَهُ اللهُ فِي السُّدِّ فَشَقَّهُ، وَهَدَمَهُ، وَحَفَرَ الْوَادِيَ فَارْتَفَعَتَا عَنِ الْجَنْبَتَيْنِ، وَغَابَ عَنْهُمَا الْمَاءُ فَيَبِسَتَا، وَلَمْ يَكُنِ الْمَاءُ الأَحْمَرُ مِنَ السُّدِّ، وَلَكِنْ كَانَ عَذَابًا أَرْسَلَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ شَاءَ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ شُرَحْبِيلٍ: الْعَرِمُ: الْمُسَنَّاةُ بِلَحْنِ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: الْعَرِمُ: الْوَادِي، السَّابِغَاتُ: الدُّرُوعُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (يُجَازَى) [١٧]: يُعَاقَبُ، ﴿أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ [٤٦]: بِطَاعَةِ اللهِ، ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [٤٦]: وَاحِدٌ وَاثْنَيْنِ، ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ [٥٢]: الرَّدُّ مِنَ الآخِرَةِ إِلَى الدُّنْيَا، ﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [٥٤]: مِنْ مَالٍ، أَوْ وَلَدٍ، أَوْ زَهْرَةٍ، ﴿بِأَشْيَاعِهِم﴾ [٥٤]: بِأَمْثَالِهِمْ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ [١٣]: كَالْجَوْبَةِ مِنَ الأَرْضِ، الْخَمْطُ: الأَرَاكُ، وَالأَثَلُ: الطَّرْفَاءُ، ﴿ٱلْعَرِمِ﴾ [١٦]: الشَّدِيدُ.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(من الشّيخ): قوله: **(السّدّ: ماءٌ أحمر)** كذا عندك؟ ضبطه؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٣٦)]: «قوله: سَيْلَ ٱلْعَرِمِ السّدّ: كذا للأكثر بضمّ المهملة وتشديد الدّال، ولأبي ذرٍّ عن الحمويّ: الشّديد بمعجمةٍ وزن عظيم». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: العرم: الشّديد، هو أثره، ما هو بسيل العرم، السّدّ هو، يمكن السّدّ اسمٌ، والسّدّ مصدرٌ، سدّ يسدّ سدًّا، مصدرٌ سدّ الوادي سدًّا، يمكن أن يقال: إنّ السّدّ إذا ضبطه بالضّمّ يعني الاسم الموجود، وأمّا المصدر فهو بالفتح.

[قال في «القاموس» (٢٨٧)]: «والسّدّ: الجبل، والحاجز، ويضمّ، أو بالضّمّ: ما كان مخلوقًا لله تعالى، وبالفتح: مِن فِعلنا. وبالضّمّ: السّحاب الأسود، ج: سدودٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا يبيّن أنّ الفتح هو المقدّم، والضّمّ لغةٌ ـ أو بالضّمّ ـ هذا قولٌ ضعيف، ما جاء بعد (أو) فهو مرجوحٌ.

ما كان سدًّا خلقيًّا على قوله فهو بالضّمّ، وما كان من فعل النّاس فهو بالفتح، والقول الأوّل مقدّمٌ عند صاحب «القاموس» بالفتح لما يسدّ به الوادي ويضمّ ويقال: سد[1].

---

(١) وقال سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ في القراءةِ الثَّانِيَة: (من الشيخ): كذا ـ السُّد ـ شكل بالضَّمِّ؟

(من القارئ): نعم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال المحشِّي عليه؟

[قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الفَتْحِ» (٨/ ٥٣٦)]: «قَوْلُهُ: سَيْلَ الْعَرِمِ السُّدِّ: كَذَا لِلْأَكْثَرِ بِضَمِّ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ، وَلِأَبِي ذَرٍّ عَنِ الْحَمَوِيِّ: الشَّدِيدُ بِمُعْجَمَةٍ وَزْنَ عَظِيمٍ». [انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والعينيٍّ؟

(من الطالب): نفسُه، أحسن الله إليك.

• **س: لكن في الشّرح قال: كذا للأكثر، يشير أنّ قول الأكثر بالضّمّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الرّواية يعني، في الرّواية.

• **س: يقول: يا شيخ سد بالضّمّ: سحابٌ أرسله الله، وهنا أرسل الله السدّ فشقّه. ما يدلّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا غيره، هذا السّيل سيلٌ أحمر، سيلٌ أحمر شقّ السّدّ. الله أكبر.

قوله: (التناوش الرد من الآخرة إلى الدّنيا):

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال الشّارح عليه؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٣٧)]: «قوله: (﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾: **الرَّدُّ مِنَ الْآخِرَةِ إِلَى الدُّنْيَا**): وصله الفريابيّ من طريق مجاهد بلفظ: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾. قال: ردٌّ من مكانٍ بعيدٍ من الآخرة إلى الدّنيا، وعند الحاكم من طريق التّميمي عن ابن عبّاسٍ في

= **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بالضَّمِّ.

[قال الإمام العيني في عمدة القارئ (١٩/ ١٢٩)]: «(والسد) بِضَم السِّين وَتَشْديد الدَّال، كَذَا هُوَ فِي رِوَايَة الْأَكْثَرين، وَفِي رِوَايَة أبي ذَر عَن الْحَمَوِيّ الشَّديد، بالشين الْمُعْجَمَة على وزن عَظِيم». [انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاموس»: موجودٌ؟ راجع السَّدّ باب الدَّال فَصْلُ السِّين.

(من الطالب): في آخر هذا أحسن الله إليك ذكر (العرم: الشديد) بعد أسطر يأتي: العَرِمُ: الشَّدِيدُ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماشي.

قال في «القَامُوسِ» ص(٢٨٧): «والسَّدُّ: الجَبَلُ، «والحاجِزُ»، ويُضَمُّ، أو بالضم: ما كان مَخْلوقًا للهِ تعالى، وبالفتح: من فِعْلِنا، وبالضم: السَّحابُ الأَسْوَدُ، ج: سُدودٌ، والوادِي فيه حِجارَةٌ وصُخُورٌ يَبْقَى الماءُ فيه زَمانًا، ج: سِدَدَةٌ، كقِرَدَةٍ، والظِّلُّ، وماءُ سَماءٍ في جُبَيْلٍ لِغَطَفانَ، وحِصْنٌ باليَمَنِ، والوادي.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المقصود في اللغة قدَّم الفتح سَدٌّ والرواية فيها الضم».

قوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ قال: يسألون الرّدّ وليس بحين ردٍّ». [انتهى كلامه].

* *

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١][1].

هذا توجيه من الله سبحانه لداود ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يعمل السابغات وهي الدروع التي تُلبس في الحرب، وأن يُقدِّر في السرد؛ يعني: حلق الدرع تكون واسعًا تكون الحلقة بقدر ما يدخل فيها حتى لا يسقط الدرع، فهو تعليم من الله ﷻ لداود أن يحسن صناعة السابغات التي هي الدروع التي ينتفع بها الناس، حتى يستفيد منها الناس، وينتفع بها في الجهاد، ثم أمره بالعمل الصالح، والعمل الصالح يشمل جميع طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله. فالمؤمن مأمور بالعمل الصالح، وهو ترك معصية الله وقيام بأمر الله وشرعه ﷻ، هذا هو المشروع للجميع في عهد داود وفي عهد الأنبياء قبله، وفي عهد نبينا محمد ﷺ، وبعده.

فالمشروع للأمة العمل الصالح، ولهذا قال: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فالله يعلم أحوال عباده، ويبصر أحوالهم وأعمالهم، لا تخفى عليه خافية ﷻ، والمشرع لجميع أتباع الرسل أن يعملوا الصالحات، ولأتباع محمد ﷺ أن يجتهدوا في العمل الصالح قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨]؛ فالمؤمن مأمور بالعمل الصالح، وهو طاعة الله ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسله، فالصانع مأمور بالعناية بالصنعة، وإتقانها وعدم الخيانة فيها سواء كان يصنع الدروع، أو السيوف، أو البنادق، أو المدافع، أو غير ذلك،

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٤٤).

كل صانع مأمور بالعناية بإتقان الصنعة وعدم الخيانة والغش.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣][(١)].

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا عمرٌو قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إنّ نبيّ الله ﷺ قال: «**إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ، أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ**»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يبتلي الله عباده بهؤلاء المُسْتَرِقين للسّمع، ربّما سمع كلمةً ممّا يتكلّم الله به يقرّها في أذن وليّه من الإنس من الكهنة؛ فيفتن به النّاس؛ يقولون: أليس قد قال لنا: كذا وكذا وصدق من تلك الكلمة الّتي سمعت من السّماء بين الملائكة وسمعها المسترق.

والمقصود من هذا أنّ الكهنة، والمنجّمين، والرّمّالين وأشباههم

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ...﴾ إلخ برقم (٤٨٠٠).

كلّهم يجب تكذيبهم، ولا يصدّقون، ولو صدقوا في بعض المرّات فإنّ صدقهم في بعض المرّات قد يكون مصادفةً من غير قصدٍ، ومن غير علمٍ، وقد يكون من تلك الكلمة الّتي سمعت من السّماء واسترقها المسترقون، فهم كذبةٌ فجرةٌ؛ لا يصدّقون ولا يسألون، ولو صدقوا في شيءٍ من الكلام.

ولهذا نهى النّبيّ ﷺ عن تصديقهم وقال: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد**»(١)، وقال: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاة أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(٢).

فالواجب الحذر من هؤلاء، وعدم التّستّر عليهم، وإبرازهم للنّاس، وفضيحتهم؛ حتّى يسلم النّاس من شرّهم؛ يجب على من عرفهم أن يرفع عنهم لولاة الأمور؛ حتّى لا يضرّوا النّاس بكذبهم، ودجلهم، وشرورهم العظيمة، نسأل الله العافية.

قوله: (**وَمُسْتَرِقُ السَّمْع هَكَذَا بَعْضه فَوْقَ بَعْض ـ وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**): يعني أن الجنّ هكذا بعضهم فوق بعضٍ من غير ملاصقةٍ في الهواء ـ بإذن الله ﷻ ـ ويبلّغ بعضهم بعضًا، هكذا ما يتلقّونه ممّا يسترقون من السّماء.

قوله: (**رُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَاب قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ**): ابتلاءً وامتحانًا.

- **س: أحسن الله إليك: كأنّ عدم الملاصقة؛ لئلّا يؤذي بعضهم بعضًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّه، والله أعلم؛ لأنّهم أجسامٌ؛ يعني: ما يحتاج بعضهم أن يضع رجله على رأس الآخر أو كتف الآخر، الله أعطاهم قوةً، يسبحون بها في الهواء، والجنّ أقسامٌ، أقول: الجنّ أقسامٌ، أنواعٌ، سبحان الّذي خلقهم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض برقم (٦٣٩)، والإمام أحمد (٢/ ٤٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان برقم (٢٢٣٠).

• س: عفا الله عنك، الشّهاب من يضرب من ما دام هذا يلقي وهذا يلقي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قد يصيب الشّهاب بعض الجنّ قبل أن يلقي الكلمة؛ فلا تصل إليه، وقد يلقيها إلى صاحبه ويصاب بعد ما ألقاها هو، ولا يصاب الآخر.

• س: الجنّ أقسامٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أنواعٌ وأصنافٌ نعم.

• س: ما زالوا يسترقون السّمع؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما زالوا.

• س: أحسن الله عملك، بعض السّحار والكهّان يخبر بما في نفس الإنسان المقبل عليه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا بسبب شياطين الإنس، كلّ إنسانٍ معه شيطانٌ، كلّ إنسانٍ معه شيطانٌ، ويخبر بعضهم بعضًا. الله المستعان.

• س: عفا الله عنك يا شيخ، لهم أعمارٌ كأعمار بني آدم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، لهم أعمارٌ بلا شكٍّ، لكن ما أعرف أسنانهم.

• س: من أجاز الذّهاب للسّحرة للضّرورة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]؛ يعني: يحتجّون بالآية، بعموم الآية؛ وهذا لا حجّة فيه؛ لأنّ التّفصيل ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩] ليس هذا ضرورةً، العلاج ليس بضرورةٍ، الضّرورة مثل مسألة الإكراه والميتة وأشباهه، الشّيء الّذي يخشى فيها الموت.

أما العلاج فقد ينفعه، وقد لا ينفعه، كلّ مريضٍ قد يشفى وقد لا يشفى، ولهذا عند أهل العلم العلاج مستحبٌّ، ولو أن كلّ مريضٍ يشفى ما مات أحدٌ، كان عاش النّاس كلّهم، عاش الّذين في قرن آدم عليه السلام إلى قرننا هذا!.

لكن الموت مكتوبٌ، لا بدّ من الموت، هذا مريضٌ يشفى، ثمّ يتأجّل إلى وقتٍ آخر، وهذا مريضٌ يموت، ولا تنفع فيه الأدوية؛ لأنّه تمّت حسبته، وتمّ أجله، فليس كلّ مريضٍ يشفى بالدّواء، من تمّ أجله ما نفعه الدّواء، الدّواء مشروعٌ، يفعل؛ فإن تمّت الحسبة ما نفع الدّواء ومات الإنسان.

• **س: حتّى لو كان السّحر قد يمنعه من الصّلاة، والعلاج قد يجعله يعود للصّلاة؛ يعني: هناك بعض النّاس مسحورون لا يستطيعون أن يصلّوا؛ فإذا ذهبوا للعلاج يأثمون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما يجوز الذّهاب إلى السّحرة ولا العرّافين ولا الكهّان بالكلّيّة، الرّسول ﷺ عمّم أم قال: إلّا للضرورة؟ عمّم، نهى عن إتيانهم وسؤالهم، وأخبر أنّه كفرٌ وضلالٌ، وأنّ صاحبه لا تقبل له صلاةٌ أربعين ليلةً، ولم يقل: إلّا للضّرورة، ليس بضرورةٍ هذا، العلاج ليس بضرورةٍ، والإتيان للكهنة ليس بضرورةٍ، هذا من باب طلب العافية فقط.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩][1].

هذه الآية الكريمة فيها الحث على الإنفاق والإحسان والجود

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٣٣٣).

والكرم في وجوه الخير، في مشاريع الخير، والإحسان إلى الفقراء والمحاويج، وصلة الرحم، الله ﷻ حثَّ عباده على الإنفاق والإحسان؛ لأن كل زمان **هو كامل قابل** لا يخلو من محتاج من فقير أو مشروع خيري وفقير محتاج ونحو ذلك.

الله سبحانه شرع لعباده الإنفاق والإحسان، وشرع لهم سد حاجات المحاويج وإعانتهم وإقامة المشاريع الخيرية التي تنفع المسلمين؛ كالمدارس ودور العلم والرُّبط التي تنفع المحاويج، وكتعمير المساجد ونحوها.

يقول الله ﷻ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال ﷿: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾، قال ﷿: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

فالعبد على خير عظيم لإنفاقه وإحسانه والتماسه مرضاة الله وفضله ﷻ، فمشاريع الخير كثيرة من أهمها مواساة الفقير: من الرحم، ومن أهمها تعمير المساجد التي يقصدها المسلمون لأداء فريضة الله تعمير المدارس والمعاهد، تعمير الربط التي يأوي الفقراء والمحاويج إليها.

يقول النبي ﷺ في **الحديث الصحيح**: «**لا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ**» يعني: على الإنفاق فيه، في اللفظ الآخر: «**ورجل آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(١) يعني: يقضي بين الناس بالحكمة والدِّين، أو يقضي بها بين الناس

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة برقم (٧٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره، فعمل بها وعلَّمها برقم (٨١٦).

يعلِّمهم ويوجِّههم، هذا من نعم الله العظيمة على العبد، فيوفق في إنفاق المال وتعليم العلم، فيجمع بين الخيرين: مواساة الفقير، والتعليم والتوجيه، فيحصل له بذلك الأجر العظيم، والخلف من الله ﷻ مع فضل التعليم وما فيه من الخير العظيم.

في الحديث: يقول ﷺ: «**أَيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**» **قالوا: يَا رسول اللهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ**: «**فإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**»(١). مالكُ في الحقيقة ما قدمته لله وأنفقته هذا ينفعك يوم القيامة، هذا مالك، أما ما أَخَّرته بعدك فهو للورثة ليس لك؛ فلهذا ينبغي أن تقدِّم ما ينفعك، وأن تحسِن وأن تكرم بهذا الخير، فإن ساق الله ﷻ لك الخير فلا تبخل، البخل عاقبته وخيمة، لكن يصرفه على حسب حاله، فاتقوا الله ما استطعتم، خير الصدقة ما كان على ظهر غنًى يبدأ بنفسه، ومن يعول وما زاد يتصدق منه ويحسن على وجوه الخير.

وهكذا قوله ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» حثٌّ للناس على الإنفاق والإحسان ولو بالقليل، ليس بشرط أن يكون كثيرًا «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» شق التمرة ينفع المضطر المحتاج، تقدم في حديث عائشة ﵂؛ أنها جاءتها سائلة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد في بيتها إلا ثلاث تمرات، في عهد النبي ﷺ فأعطتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة من بنتيها تمرة، ورفعت التمرة الثالثة لتأكلها، فنظرت إليها ابنتاها واستطعمتاها فأعطتهما الثالثة شقتها بينهما ولم تأكل شيئًا، قالت عائشة: فأعجبني أمرها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته، فقال: «**إن الله قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بها الجَنَّةَ أو أعتقها بها من النار**»(٢)، وهذا الإحسان وهذا العطف لهذه البنتين الصغيرتين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له برقم (٦٤٤٢).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عائشة ﵂ في كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات برقم (٢٦٣٠).

المقصود: أن الإحسان والرحمة والمواساة فيه خير عظيم، والله يقول: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»[١]، وفي الإنفاق رحمة وإحسان وجود ولطف وعطف، وصاحبها على خير من الأجر العظيم والخلف الجزيل من الرب ﷻ.

وفَّق الله الجميع.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ: ٤٦][٢].

هذه الآية الكريمة وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث كلها تتعلق بالحثِّ والترغيب في التفكير في آيات الله وعظمة مخلوقاته، ودلالتها على أنه رب الجميع، وإلٰه الجميع، وأنه مستحق أن يُعبد، ويُطاع أمره، وينتهى عن نهيه، ويوقف عند حدوده، فقد فصَّل آيات، ووعظ العباد وذكَّرهم؛ حتى يستقيموا، وحتى يعدوا العُدة للقائه، وحتى يبتعدوا عن مناهيه، وحتى يقفوا عند حدوده، وحتى يعظِّموه حق تعظيمه ﷻ، ولهذا يقول ﷻ: قل يا محمد، قل يا رسول الله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾.

الله أمر نبيه أن يعظهم بواحدة، وهي التفكر والنظر والتبصر وعدم الغفلة، يقوم الرجل وحده أو مع أخيه يفكران وينظران ويحاسبان

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم (٥٩٩٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك برقم (٢٣١٨).

(٢) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/٢٠٨).

أنفسهما؛ لماذا خلق هذا الكون؟ لماذا خلق الثقلان؟ لماذا بُعث الرسل؟ لماذا نزلت الكتب؟ كلها لتعبد ربك وتطيعه ﷻ، لم تنزل الكتب عبثًا، ولم تُرسَل الرسل عبثًا، ولم تخلق الخلق عبثًا، بل كلها لأمر عظيم كلها لتعرف ربك وتعبده، سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ﷻ: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١ ـ ٢]، وقال ﷻ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾؛ يعني: يا محمد ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾؛ يعني: دلائل وبراهين ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] لأُولي العقول الصحيحة.

غالب الناس ما عندهم عقول، كالبهائم، غالب الناس كالبهائم ما يعقلون ولا يفهمون إلا ما يأكلون ويشربون وينكحون، ليس لهم هَمٌّ إلا هَمُّ البهائم كيف يأكل؟ كيف يشرب؟ كيف ينكح؟ وهكذا، قال ﷻ في أكثر الخلق: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] بل أضل من الأنعام، أردى من الأنعام، غالب هؤلاء المخلوقين أردى من الأنعام، لا يفكِّرون ولا ينظرون في معادهم ولا في طاعة ربهم، لا هَمَّ لهم إلا الدنيا ومعاشها، محاسنها وزخرفها ومأكلها ومشربها ومنكحها، ونحو ذلك، ليس لهم نظر

في الآخرة، ولا اهتمام بالآخرة، فاحذر أن تكون من هؤلاء الذين جعلهم الله أضل من الأنعام، أردى من الأنعام، والأنعام الإبل والبقر والغنم قد تهتدي إلى مصالحها، تذهب للمراعي تجتنب ما يضرها، تنفع الناس، أما هؤلاء الذين هم أروى من الأنعام فلا ينفعون الناس، بل يضرون الناس في دينهم، وإن نفعوهم في صنعة ونحوها، لكن يضرونهم في الدين، يدعونهم إلى النار، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾؛ يعني: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] غفلوا عن الله، وعن الدار الآخرة، وعما جاءت به الرسل، فلا همَّ لهم إلا دنياهم، ومعاشهم وأكلهم وشربهم فقط، ولهذا صاروا أضل من الأنعام، أعوذ بالله من ذلك.

ومدح الله عباده المتقين، أصحاب العقول السليمة، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾؛ يعني: لبراهين ودلائل، ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الألباب هي العقول الصحيحة المنتبهة، ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] يتفكرون في مخلوقات الله، سماء وأرض، وجبال، وبحار، وأنهار ومخلوقات متنوعة، من بني آدم وغير بني آدم، لم تُخلَق عبثًا ولا سدًى ولا باطلًا، بل خُلِقت لأمر عظيم، كما قال ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]؛ يعني: مهملًا لا يؤمر ولا ينهى، وقال ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]؛ يعني: بئس هذه الحُسبة وهذا الظن، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ ما خُلِقوا باطلًا، بل خُلِقوا لأمر عظيم؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]؛ يعني: ظنهم أن هذه الأشياء لا معنى لها، ولا حقيقة لها، ولا حكمة لها، نسأل الله

العافية فضلُّوا، وهلكوا وأهلكوا غيرهم، ويقول ﷻ منبهًا عباده: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠]؛ يعني: ألا يفكرون في هذه الإبل العظيمة، كيف خلقها ربها ﷻ في خلقة عظيمة، تحمل الأثقال، وتنفع الناس في تنقلاتهم من مكان، إلى مكان، وكانت هي الحمولة قبل وجود هذه السيارات وهذه الطائرات، مضى على الناس العالم الكثير وآلاف السنين هي التي تحملهم من مكان إلى مكان، ومن إقليم إلى إقليم، ومن بلاد إلى بلاد، ويشربون من ألبانها، وينتفعون من لحومها وأوبارها وجلودها، وهكذا البقر، وهكذا الغنم، وهكذا الصيود التي أباحها سبحانه لماذا خُلِقت؟ خُلقت لكم ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، ثم هذه الجبال المنصوبة القائمة ثبَّت الله بها الأرض، هذه الجبال وما فيها من العبر من الغيران التي يستظل بها الناس عند الحاجة، والمياه والنبات والمعادن إلى غير ذلك مما في الجبال من العبر، وكذلك هذه السماء المرفوعة فوقنا، وما زُينت به من الأنوار، ومن الأنواء ومن الشمس ومن القمر، وهذه الأرض المسطحة المبسوطة للعباد، وعليها يسيرون، وعليها ينامون، وعليها يحرثون، وعليها يسافرون، وعليها يتقلبون، وهي هادئة ساكنة، كل هذا من رحمة الله ﷻ كلها من آياته سبحانه.

ولهذا قال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] لقوم يعقلون، لقوم يذكرون، فالواجب التعقل والتذكر، والتفكر في هذه المخلوقات، وهذه الآيات والعجائب، ثم التفكر في نفسك أنت، يقول سبحانه: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، هذه النفس وما أعطاك الله من العقل، تُميِّز به الخير والشر، والضار والنافع، وهذا السمع تسمع به الأصوات، وهذا البصر ترى به المبصرات، وهذه الأيدي لحاجاتك، وهذه الأرجل لحاجاتك، تمشي على رجلك، وتأخذ

بيدك، وتنطق بلسانك، وتأكل بفمك، وتذوق الطعام بمذاقك، وتشم الروائح بأنفك، هذه الآيات والعبر، ثم خلق لك من فوق مدخل الطعام، ومن أسفل مخرج الطعام، إلى غير ذلك، هيَّأ لك أزواجًا من نفسك، تحصل بها اللذة، ويحصل بها المتاع والسكن والذرية، آيات وعبر للعباد، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، فالواجب على العاقل أن يتنبه، وأن يتذكر، وأن يُعدَّ العُدة للقاء ربه ﷻ، يروى عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأماني**»(١).

الكيِّس الحازم العاقل الفطن الذي يعمل لآخرته، ويعد العُدة للقاءِ ربه، هذا الحازم، والعاجز المسكين الهالك الذي يتبع نفسه هواها، يعطي نفسه الهوى، ويتمنى على الله الأماني، معطِّل ومُضيع لأمر الله، هذا العاجز الهالك الذي لم ينتبه لنفسه، ولم يُعدَّ للقاءِ ربه، ولهذا قال: «**والعاجز من أتبع نفسه هواها**»؛ يعني: أعطاها هواها، إن أراد الزنى أعطاها الزنى، الخمر الخمر، السرقة سرق، الغش غش، وهكذا يعطيها هواها، إن كسلت عن الصلاة ترك الصلاة، وهكذا الزكاة، وهكذا الصيام، وهكذا البر بالوالدين، وهكذا، وهكذا يعطيها هواها فيهلك مع الهالكين، نعوذ بالله، فالكيس والحازم والمؤمن هو الذي يأخذ بالحزم، ويأخذ بالقوة، ويؤدي الحقوق، ويردع نفسه عن هواها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِىَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: ٢٦].

فالحازم القوي والرجل هو الذي يتبع الحق، ويقول بالحق، ويلزم

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٢٤٥٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (٤٢٦٠).

الحق، ويستقيم على الحق، وإن خالف هواه، ويؤدي حق الله عليه وإن خالف هواه، ويبتعد عما حرَّم الله عليه وإن تاقت له نفسه، وإن مال إليه، يحذر ويبتعد ويقف عند الحدود، هذا هو الحازم، هذا هو الموفَّق، وهذا هو الكيِّس الذي يحمد العاقبة في الدنيا والآخرة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦][1].

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا محمّد بن خازم، حدّثنا الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: صعد النّبيّ ﷺ الصّفا ذات يوم فقال: «**يَا صَبَاحَاهْ**» فاجتمعت إليه قريشٌ، قالوا: ما لك؟ قال: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ، أَوْ يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟**» قالوا: بلى، قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»، فقال أبو لهبٍ: تبًّا لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١][2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وفي هذا أنّه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ أنذرهم سرًّا وجهرًا، ومن ذلك صعوده على الصّفا، وقوله: (يا صباحاه)، كما يفعل المغيث المنذر من وقوع العدوّ، وقرب العدوّ، فلمّا حضروا قال لهم: أرأيتم لو أخبرت أنّ عدوًّا بكذا، بقربٍ يصبّحكم ويمسّيكم هل أنتم مصدّقيّ؟ قالوا: نعم،

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب التفسير، باب ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ برقم (٤٨٠١).

ما جرّبنا عليك كذبًا، قال: «**إنّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيْد**»؛ يعني: أمام عذابٍ شديدٍ ينزل بكم إن لم تستجيبوا.

المعنى: بادروا إلى الطّاعة، والاستقامة، وقبول الحقّ قبل أن يحلّ بكم عذابٌ شديدٌ، ومن ذلك ما حلّ بهم من الجدب والقحط والشّدّة، ثمّ ما أصابهم يوم بدرٍ، ثمّ ما أصابهم يوم الأحزاب، أنذرهم الله حتّى يسّر الله لهم الفتح، ودخلوا في دين الله، ورحمهم الله.

فالرّسل ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ عليهم البلاغ، والإنذار، والصّبر، وإن استنكر النّاس عملهم، ولهذا قال عمّه أبو لهبٍ: تبًّا لك، ما جمعتنا إلّا لهذا، استنكروا هذا، كيف يقوم على الصّفا ويفعل هذا، لجهلهم وقلّة بصيرتهم، وعدم علمهم بفداحة ما هم عليه من الباطل والكفر، ما عندهم بصيرةٌ؛ فاستنكروا هذا العمل.

ولكنّه عند من عقل عن الله هو العمل العظيم، هو طريق الرّشاد وطريق الخير، نبيٌّ بين أيديهم، يعرفون صدقه، يعرفون أمانته، يعرفون نصحه لهم، يقوم على الصّفا حتّى يبلّغ إبلاغًا عظيمًا؛ لا شكّ أنّ هذا من أعظم النّصح؛ لئلّا تحلّ بهم الكوارث، وتصيبهم القوارع لو عقلوا، ولهذا قال ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ليحذروا نقمة الله، والله المستعان.

قوله: (**فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَك، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟**): هذا من المصائب العظيمة، إذا كان من أهل البيت ومن الأقارب من يكذّب الدّاعي إلى الله، وينكر عليه، ويؤلّب عليه، هذا من البلاء العظيم. نسأل الله العافية، وكان أبو لهبٍ هكذا. نعوذ بالله. قبّحه الله.

● **س: قولهم:** ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] **كانوا يظنّون أنّهم على الحقّ، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ

﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] يرون أنّ وجود آلهةٍ متعدّدةٍ أمرٌ مناسبٌ؛ لجهلهم، وفساد عقولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾؛ تعجّبوا من قوله لهم: «**قولوا: لا إله إلَّا الله تفْلِحُوا**». كَمَا قال في الآية الأخـــرى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، نسأل الله العافية.

• س: نزلت السّورة ﴿تَبَّتْ﴾ في السّاعة؛ يعني: في الموقف الّذي فيه النّبيّ ﷺ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نزلت بعد الحادث، كونها في الحال أو بعدها بيومٍ أو يومين، الله أعلم. بعد ما قال: تبًّا لك سائر اليوم، بعد الخطبة والموعظة.

• س: هل فيه دلالةٌ ـ أحسن الله إليك ـ إلى أنّ الخطيب أو الواعظ يرقى شيئًا مرتفعًا حتّى يسمع النّاس؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، هذا مثل ما شرع الله الخطبة يوم الجمعة على المنبر، ومثل ما خطبهم يوم عرفاتٍ على ناقته حتّى يسمع النّاس حتّى يبلّغ النّاس، كلما كان مرتفعًا يكون أبلغ للنّاس، وجعل الله الأذان من المنارة من المرتفع؛ حتّى يبلّغ النّاس.



تفسير آيات من سورة فاطر[1]

قال مجاهدٌ: القطمير: لفافة النّواة، ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ [فاطر: ١٨]: مُثَقَّلَةٌ، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾ [٢١]: بِاللَّيْلِ، وَالسَّمُومُ بِالنَّهَارِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾: بالنهار مَعَ الشَّمْسِ، ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧﴾ [٢٧]: أَشَدُّ سَوَادًا: الْغِرْبِيبُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سورة الملائكة يعني سورة فاطرٍ؛ لقوله في أوّلها: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ﴾ [فاطر: ١].

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ **[فاطر: ٤، ٥]**[2].

الربُّ ﷻ يسلِّي نبيه ﷺ ويصبِّره حتى لا يجزع من تكذيب قومه له، فقد كذبت أقوام كثيرة لرسلها ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فيقول له: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ﴾؛ يعني: لك فيهم أسوة فلا تجزع، وعليك بالصبر؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٤٥).

مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، فالله يأمر نبيّه بالصبر والتأسِّي برسل عظام، فقد كذبوا وأوذوا فصبروا، وهو كذلك عليه أن يصبر كما صبروا، وأن يتحمل كما تحملوا، وله عند الله الأجر العظيم والخير الكثير، وهو سبحانه الذي يهدي من يشاء، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] فلا بد من التحمّل والصبر، والله ﷻ هو الحكيم العليم فيما يأمر به، وفيما ينهى عنه، وفي توفيق هذا للإسلام والطاعة، وفي إضلال الآخر حتى لا يسلم ولا يقبل الحق، هو الحكيم العليم ﷻ.

فعلى العبد أن يسأل الله التوفيق، وأن يستعين به على الخير، وأن يحذر الشر وأسبابه، وأن يصبر كما صبر غيره، وهكذا الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، عليهم أن يصبروا، وعلى نبيِّنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يصبر كما صبر من قبله.

وأما **الآية الأخرى** ففيها التحذير من الاغترار بالدنيا، والاغترار بالشيطان وهو الغَرور؛ يعني: يجب على المؤمن أن يحذر من الدنيا وشهواتها الفاتنة، ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، وعده لكم بالحساب والجزاء وبالجنة والنار وقيام الساعة كله حق، لا بد من قيام القيامة، ولا بد من الجزاء على الأعمال، ولا بد من الجنة لأهل الإيمان والتقوى، والنار لأهل الكفر والنفاق، كله حق، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾؛ يعني: بزينتها وأموالها وشهواتها ومآكلها ومشاربها وغير ذلك مما فيها فهي دار الزوال، دار الفناء، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿...وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فلا يليق بالعاقل المؤمن أن يغتر بها وبزينتها وأهلها وما أُعطوا من الدنيا، بل يحذر ويستعد للآخرة،

ويستعين بنعم الله على طاعة الله، ولا يغتر بالشيطان، فهو يزين للناس الباطل ويغرهم، ويدعوهم للركون إلى الدنيا والتكذيب بالآخرة، فيزيِّن لهم هذه العاجلة، وربما يزيِّن لهم الإصرار على المعاصي، ويقول لهم: التوبة بعد ذلك إذا لم يجد حيلة بتكذيبهم وإنكارهم للآخرة زيَّن لهم ليتساهلوا بالمعاصي، وقال في إمكانكم التوبة بعد ذلك والله غفور رحيم ونحو هذا مما يغرُّهم به.

فالواجب الحذر من طاعة غَرور الشيطان، والحذر من المعاصي كلها، والبدار بالتوبة عند وجود المعصية، ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾؛ يعني: عاملوه معاملة الأعداء فهو عدو مبين، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾ - يعني: أتباعه - ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، هذه مهمته، وهذه دعوته، وهذا سبيله: الدعوة إلى النار، فالواجب على العاقل أن يحذر هذا العدو المبين، وأن لا يطيعه فيما يدعو إليه من الباطل، وأن يحذر وساوسه وما يزينه من المعاصي لعله ينجو.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨](١).

هذه الآية عظيمة، وهي تدل على أن العلماء هم العلماء بالله والعلماء بدينه وبكتابه العظيم وسُنَّة رسوله الكريم، هؤلاء هم العلماء وهم أكمل الناس خشية لله وأكملهم تقوى لله وطاعة له سبحانه، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

فمعنى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى﴾؛ أي: الخشية الكاملة من عباده: العلماء

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٦٨).

وهم الذين عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وعظيم حقه ﷻ وتبصَّروا في شريعته، وآمنوا بما عنده من النعيم لمن اتقاه وما عنده من العذاب لمن عصاه وخالف أمره، فهم لكمال علمهم بالله وكمال معرفتهم بالحق كانوا أشد الناس خشية لله وأكثر الناس خوفًا من الله وتعظيمًا له ﷻ، وليس معنى الآية أنه لا يخشى الله إلا العلماء، فإن كل مسلم ومسلمة وكل مؤمن ومؤمنة يخشى الله ﷻ ويخافه سبحانه، لكن الخوف متفاوت ليسوا على حد سواء، فكلما كان المؤمن أعلم بالله وأفقه في دينه كان خوفه من الله أكثر وخشيته أكمل، وهكذا المؤمنة كلما كانت أعلم بالله وأعلم بصفاته وعظيم حقه كان خوفها من الله أعظم، وكانت خشيتها لله أكمل من غيرها، وكلما قلَّ العلم وقلَّت البصيرة قلَّ الخوف من الله، وقلَّت الخشية له سبحانه، فالناس متفاوتون في هذا حتى العلماء متفاوتون، فكلما كان العالم أعلم بالله، وكلما كان العالم أقوم بحقه وبدينه وأعلم بأسمائه وصفاته كانت خشيته لله أكمل ممن دونه في هذه الصفات، وكلما نقص العلم نقصت الخشية لله، ولكن جميع المؤمنين والمؤمنات كلهم يخشون الله ﷻ على حسب علمهم ودرجاتهم في الإيمان.

ولهذا يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] فهم مأجورون على خشيتهم لله وإن كانوا غير علماء وكانوا من العامة، لكن كمال الخشية يكون للعلماء لكمال بصيرتهم وكمال علمهم بالله، فتكون خشيتهم لله أعظم، وبهذا يتضح معنى الآية ويزول ما يتوهم بعض الناس من الإشكال في معناها.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧][١].

فهذه الآية الكريمة فيها الحثُّ على الجد والاستكثار من العمل الصالح، ولا سيما في آخر المدة وعند قرب الأجل، فإنه ينبغي للمؤمن أن يزداد حرصه، وأن تكثر مسابقته إلى الخيرات عند تقدم السن وقرب الأجل، يقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]؛ المعنى: قد أعذرنا إليكم وأمهلناكم وجاءكم نذيرنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولكنكم لم ترعووا، ولم تستفيدوا من هذه المهلة؛ ولهذا قال: ﴿فَذُوقُواْ﴾؛ يعني: العذاب بسبب تفريطكم وإضاعتكم ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾؛ يعني: مدة طويلة يتذكر فيها من تذكر، وجاء في الحديث تفسيرها، ستون عامًا قال بعض أهل العلم: معناها أربعون عامًا، وقال بعضهم ثمانية عشر عامًا؛ يعني: بعد البلوغ بمدة يسيرة، والصحيح كما جاء في الحديث يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَعْذَرَ الله إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً**»[٢]؛ يعني: بلغ منه العذر؛ يعني: أمهله المدة الكافية، لو كان عنده تذكر وعنده عناية...

في الحديث: أن الله لا يهلك قومًا حتى يعذروا من أنفسهم؛ يعني: حتى يعترفوا بأنهم ظالمون، حتى يقروا على أنفسهم أنهم مستحقون للهلاك، بسبب ما قدموا من أعمال السوء، كما قال ﷻ: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين ج١ (ص٢٥٥).
(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر برقم (٦٤١٩).

وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝١٣ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١١ ـ ١٥]؛ يعني: اعترفوا بذنوبهم وسيئاتهم، وعرفوا أنهم مستحقون للعقوبة، قال تعالى عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠ ـ ١١]؛ يعني: بُعدًا لهم، نعوذ بالله من ذلك، هكذا قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾؛ يعني: أيها الناس ﴿نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، قال أهل العلم: إنه النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وقال بعضهم: معناه جاءكم الشيب فإن الشيب نذير للموت، ومن شاب بعضه فقد مات، من شاب في الإسلام فقد مات بعضه، في الشيب نوع من الموت، موت للشعر، فالحاصل أن الشيب نذير، ولكن أعظم منه هو ما جاء به النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الهدى والبيان والوعظ والتذكير، فقد ذكر سبحانه وبيَّن ﷻ وأرسل الرسل مبشرين منذرين، وكلما دخلت أمةٌ النار يقال لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ [الملك: ٨ ـ ٩] يعترفون بما هم عليه، وبما فعلوا من الباطل، نعوذ بالله من ذلك.

وكان عمر ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ يجالس القُراء وهم علماء، ويتخذهم أصحاب الشورى عنده في مسائل المسلمين، وكانوا أصحاب مجلسه كهولًا أو شُبانًا أو شيوخًا، وكان ابن عباس من الشباب الفقيه العالم فدعاه معهم، واستنكر بعضهم ذلك وقالوا: إن لنا أولادًا مثله فكيف يدعوه دونهم، وكان ابن عباس قد امتاز في العلم والفضل والفقه في الدين قد دعا له النبي ﷺ أن يفقهه الله في الدين، فأجاب الله دعوته، فأراد عمر أن يُشارك في هذه المشورة، وسأله والناس يسمعون من المهاجرين والأنصار والكبار الحاضرين، ما تقول يا ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣] سألهم

أولًا، سأل الصحابة الحاضرين ما تقولون؟ قالوا: أمرنا إذا جاء الفتح وجاء النصر أن نسبح ربنا، وأن نستغفره؛ يعني: شكرًا لله ﷻ، وهذا كلام حق ولم ينتبهوا لِما أراده عمر؛ لأن الآية مع ذلك تنعى النبي ﷺ وتذكره بأجله، وأنه قد قرُب، قال لابن عباس: ما تقول؟ قال: أقول: إنها علامة أجل للنبي ﷺ؛ يعني: مع الأمر بالتسبيح والاستغفار في آخر الحياة، فهي تذكير بأن قد دنا أجله، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم، والمعنى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾؛ يعني: يا محمد ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ فذلك علامة قُرب أجلك؛ لأن المهمة قد انتهت، قد حصلت، التي بُعث بها قد حصلت، وهي إنذار الناس وإبلاغ الناس، وقد فتح الله عليه مكة، قد دخل الناس في دين الله أفواجًا، قد حصل المقصود، فقيل بعد هذا: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾؛ يعني: اختم حياتك بالتسبيح والتهليل والاستغفار، فإذا كان النبي ﷺ يؤمر بذلك، فالمسلمون كذلك مأمورون من باب أولى؛ لأن الخطر عليهم أعظم، وهو مغفور له ومشهود له بالجنة، ويؤمر بالتسبيح والاستغفار في آخر الحياة، فالمسلمون الآخرون الذين لا يدرون ماذا يكون لهم، وماذا يختم لهم به، وليس مقطوعًا لهم بالجنة إلا إذا ماتوا على الإيمان، هم في حاجة شديدة إلى أن يسبحوا الله وأن يستغفروه وأن يستكثروا من العمل الصالح في آخر حياتهم، لعلهم يختم لهم بذلك، فإن الاستكثار من العمل الصالح والتوبة والاستغفار في آخر الحياة من أسباب الخاتمة الحسنة.



تفسير آيات من سورة يس(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ [١٤]: شَدَّدْنَا، ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [٣٠]: وكان حسرةً عليهم استهزاؤهم بالرّسل، ﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [٤٠]: لا يستر ضوء أحدهما ضوء الآخر، ولا ينبغي لهما ذلك، ﴿سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [٤٠]: يَتَطَالَبَانِ حَثِيثَيْنِ، ﴿نَسْلَخُ﴾ [٣٧]: نخرج أحدهما من الآخر، ويجري كلّ واحدٍ منهما، ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [٤٢]: مِنَ الأَنْعَامِ، (فَكِهُونَ) [٥٥]: مُعْجَبُونَ، ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [٧٥]: عند الحساب، ويذكر عن عكرمة ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ [٤١]: الموقر، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿طَٰٓئِرُكُم﴾ [١٩]: مَصَائِبُكُمْ، ﴿يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [٥١]: يَخْرُجُونَ، ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ [٥٢]: مَخْرَجِنَا، ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ [١٢]: حَفِظْنَاهُ، مَكَانَتُكُمْ، وَمَكَانُكُمْ وَاحِدٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

(**من الشيخ**): قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ من الأنعام؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٥٤١)]: «قوله: (﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ مِنَ الْأَنْعَامِ)، وصله الفريابيّ أيضًا من طريق مجاهد، وعن ابن عبّاسٍ قال: المراد بالمثل هنا السّفن. ورجّح؛ لقوله بعد: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ إذ الغرق لا يكون في الأنعام». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١، ٤٢] ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾؛ يعني: خلقنا لكم من مثله، السّفن.

• س: أحسن الله عملك: يعني: (مثله) الإنتاج من الأنعام أو المشابهة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني في المعنى من حيث: إنّ هذه تحمله وهذه تحمله، تحمل أثقاله، وتحمل أثقاله، توصله إلى بلادٍ، وهذه توصلهم إلى بلادٍ، هذه برّيةٌ وهذه بحريةٌ.

هذا إذا فُسّرت بالأنعام، أمّا إذا فسّرت بالسّفن الّتي خلقها للنّاس في البحار، فالمعنى واضحٌ.

• س: يكون مقابل الأنعام يعني من مثله من الأنعام؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

مثله في المعنى يعني من حيث الحمل؛ يعني: حمل الأثقال والنّقل من بلادٍ إلى بلادٍ، ومن إقليمٍ إلى إقليمٍ.

وإذا فسّرت بالسّفن الّتي عند النّاس، فهي من جنس السّفينة الّتي لنوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، خلق الله لهم سفنًا علّمهم إيّاها، صنعوها بعد ذلك كما صنع نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ السّفينة. الله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: راجع كلام الشّارح على ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾؟ أعد كلامه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٥٤١)]: «قوله: (﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ مِنَ الْأَنْعَامِ)، وصله الفريابيّ أيضًا من طريق مجاهد، وعن ابن عبّاسٍ قال: المراد بالمثل هنا السّفن. ورجّح؛ لقوله بعد: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ إذ الغرق لا يكون في الأنعام». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، لعلّ الواو زائدةٌ.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [يس: ١ ـ ٣][١].

هذا من جنس الحروف المقطعة التي ابتدأ الله بها سبحانه جملة من السور مثل: ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓرۚ﴾، ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿عٓسٓقٓ﴾، هذه حروف مقطعة الصواب فيها عند أهل العلم أنها لا يعرف معناها بالتعيين ولله الحكمة البالغة ﷻ، وقال بعضهم: إن الله جعلها مفتاحًا للسور كما جعل «الحمد لله» مفتاحًا للفاتحة ومفتاحًا لسورة سبأ ولسورة فاطر، وجعل ﷻ «سبحان» مفتاحًا لسورة بني إسرائيل، وهو سبحانه الحكيم العليم ﷻ.

أما قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ فهو قَسَمٌ من الله حلف بالقرآن ـ كما في سورة: ﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] يقسم سبحانه أن محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ من المرسلين: ﴿...وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، يقسم ويحلف ﷻ أن نبيَّه محمدًا من المرسلين، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وقال سبحانه في صفات محمد: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ٢٩] فهو رسول الله كما أخبر الله في كتابه وأقسم عليه ﷻ.

وهو رسول الله بإجماع المسلمين، بإجماع أهل العلم والإيمان من أهل السُّنَّة والجماعة، هو رسول الله حقًّا، من كذَّب بذلك فهو كافر، ومن قال: إنه رسول للعرب دون العجم فهو كافر فهو رسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، فهو رسول الله من العرب والعجم والذكور والإناث والحكام والمحكومين والملوك والرؤساء

---
(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٦١).

والجن والإنس، هو رسول الله إلى الجميع ـ عليه الصلاة والسلام ـ، من أجاب دعوته واتبع شريعته فاز بالسعادة والجنة والكرامة، ومن حاد عن سبيله واتبع غير هداه باء بالخيبة والندامة، وصار من أهل النار يوم القيامة نسأل الله العافية.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ [يس: ٣٨][1].

حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا الأعمش، عن إبراهيم التّيميّ، عن أبيه، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: كنت مع النّبيّ ﷺ في المسجد عند غروب الشّمس فقال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾»[2].

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا وكيعٌ، حدّثنا الأعمش، عن إبراهيم التّيميّ، عن أبيه، عن أبي ذرٍّ قال: سألت النّبيّ ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ قال: «**مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا من آيات الله جل جلاله، كون هذه الشّمس تطلع من الشّرق وتغيب من الغرب مستمرّةٌ كالقمر؛ لمصلحة العباد ونفعهم، هذه من

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ برقم (٤٨٠٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم (١٥٩).

آيات الله العظيمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ [يونس: ٥].

فالله ﷻ رحم عباده وأنعم عليهم بنعم كثيرةٍ منها هذه الشّمس، وهذا القمر، وهي تجري لمستقرٍّ لها، تطلّع من المشرق وتغرب في المغرب حتّى يقال لها: ارجعي من حيث جئت[1]؛ فترجع وتطلع من المغرب في آخر الزّمان؛ للدّلالة على قرب السّاعة، وعلى أنّه لا ينفع نفسًا إيمانها بعد ذلك لم تكن آمنت من قبل.

ومستقرّها تحت العرش؛ فإذا توسطت سجدت تحت العرش سجودًا يليق بها، لا يعلم كيفيّته إلّا هو ﷻ، سجودٌ يليق بالشّمس الّتي خلقها بارئها وجعلها رحمةً للعباد ونقمةً على آخرين.

وهكذا القمر آيةٌ من آياته، هكذا النّجوم كلّها، كلّها من آياته ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]، ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

فهذه الآيات السّماويّة فيها العظة والذّكرى لمن يعقل، شمسٌ تضيء العالم، وفيها من الحرارة ما فيها، وفيها المنافع العظيمة، قمرٌ يضيء الدّنيا في اللّيل ينفع الله به العباد، وينفع به السّراة في الأسفار، نجومٌ مضيئةٌ يهتدى بها، كلّها من آياته العظيمة، كما أنّ من آياته هذه الجبال المشاهدة، هذه الأرض المبسوطة، هذه الأشجار، هذه الزّروع، هذه الحيوانات المتنوّعة، وأنت نفسك من الآيات: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]؛ يعني: آياتٌ، سمعك آيةٌ، بصرك آيةٌ، أذنك، أنفك، أسنانك، شفتك، يدك، رجلك، قلبك، أمعاؤك، كلّها آياتٌ خلقها ﷻ، ونفعك بها، وإذا أراد سلبك

(١) كذا في الأصل: من حيث شئت.

شيئًا منها لعبرةٍ وعظةٍ، بينما كنت بصيرًا صرت أعمى، بينما كنت تسمع صرت أصمّ، بينما كنت تتكلّم صرت أبكم، وهكذا.

ينوّع الآيات؛ لعلّ العبد يعقل فينتبه؛ فينيب إلى الله، ويستقيم على أمره، ويقف عند حدوده، ويعرف حكمة ربّه وعظم قدرته وكماله، وأنّه سبحانه على كلّ شيءٍ قديرٌ، بكلّ شيءٍ عليمٌ، وهو الّذي يتصرّف في عباده وخلقه كيف يشاء ﷻ. ولا حول ولا قوّة إلّا بالله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]. الله المستعان.

قوله: «**مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ**»: ولا ينافي سيرها في فلكها ذاهبةً وراجعةً مع كونها تسجد تحت العرش، فكلّ هذا ممكنٌ كما بيّنه النّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، فهي تسجد تحت العرش سجودًا يليق بها، يتضمّن خضوعها لربّها، وهي مع هذا سائرة، مثل ما قال: ﴿ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

• **س: يعني في سجودٍ دائمٍ أو في وقتٍ دون وقتٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ظاهره دائمًا.

• **س: يعني هي سائرةٌ وساجدةٌ في آنٍ واحدٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم، لها مستقرٌّ، تسجد فيه؛ يعني: سجودًا خاصًّا في سيرها.

والمعنى والله أعلم: عند محاذاتها العرش وتوسّطها في محاذاة العرش تسجد، توسّط العرش يعني، ولهذا قال: تحت العرش.

ومعلومٌ عظمة العرش واتّساعه، وأنّه سقف العالم. الله أكبر.

• **س: من قال: إن الشّمس لا تجري إنّما هي ثابتة والكواكب تدور حولها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا يعتبر مكذّبًا لله، يكون كافرًا؛ يبيّن له، نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك: يدرّس في بعض المناهج الجغرافيا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يدرّس الشّرك بعد، أقول: يدرّس في بعض المناهج عبادة البدوي وغيرها، ما يستغرب، يستغرب الحقّ، أما الباطل ما يستغرب؟!

• **س: من يقول إن الأرض تدور؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هي كرويّةٌ، كرويّةٌ لكن لا تدور، وإلّا هي كرويّةٌ، ولهذا تطلع الشّمس من هنا، وتنزل من ها هنا تعمّ، إذا طلعت كلّما ارتفعت اتّسعت من جهة الغرب، وكلّما نزلت من جهة الغرب قلّصت عن الشّرق؛ لأنّها كرويّةٌ، ولكنّ الله أثبتها، قال سبحانه: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] يعني لئلّا تميد بكم، لئلّا تضطرب بكم، جعلها راسيةً ثابتة منفعةً للعباد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٣٨ ـ ٤٠][(١)].

هذه الآيات الكريمة فسَّر أولها النبي ﷺ وهي قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ ذكر النبي ﷺ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا أبا ذر أتدري ما مستقرها؟ قال أبو ذر: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ فَتَخِرُّ**

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٦٣).

سَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»[1].

تسجد تحت العرش لربها ﷻ ذاهبة وآيبة بأمره سبحانه وتعالى، سجودٌ الله أعلم بكيفيته سبحانه وتعالى، فهذه المخلوقات كلها تسجد لله وتسبح لله جل وعلا تسبيحًا وسجودًا يعلمه سبحانه وإن كنا لا نعلمه ولا نفقهه، كما قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ الآية [الحج: ١٨]، فهذا السجود يليق بها ويعلمه مولاها ويعلم كيفيته سبحانه وتعالى، فهي تجري كما أمرها الله، تطلع من المشرق وتغيب من المغرب حتى ينتهي هذا العالم، فإذا انتهى هذا العالم كُوِّرت كما قال سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، فتكوَّر ويذهب نورها، وتُطرَح هي والقمر في جهنم؛ لأنه ذهبت الحاجة إليهما بزوال هذه الدنيا.

والمقصود: أنها تجري لمستقر لها ذاهبة وآيبة، ومستقرها سجودها تحت العرش في سيرها طالعة وغاربة، ذلك تقدير العزيز العليم، هو الذي قدَّر هذا سبحانه، هو العزيز المنيع الجناب الغالب لكل شيء العليم بأحوال خلقه سبحانه وتعالى:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] برقم (٤٨٠٢)، وأخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الإِيمَانُ برقم (١٥٩) واللفظ له.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ الله جعل القمر له منازل، كما أن الشمس لها منازل، في كل ليلة له منزلة، وهي ثمانية وعشرون منزلة، ويقال لها: ثمانية وعشرون نوءًا؛ يعني: نجمًا، ينزلها كل ليلة، والليلة التاسعة والعشرين ليلة الاستسرار، وليلة الثلاثين كذلك إذا لم يهل، فقد يهل في الليلة الثلاثين، ويكون الشهر ناقصًا، وقد يستكمل الشهر فلا يهل إلا في الليلة الحادية والثلاثين، وإذا كان في آخر الشهر ضعف نوره،، وصار في آخر الشهر.

﴿... كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾، والعرجون هو العذق الذي يكون فيه عجوة التمر، ينحني ويكون ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾؛ يعني: منحنيًا ضعيفًا نوره ويذهب نوره كليًّا في آخر الشهر حتى لا يبقى له نور، وإنما يبقى صورة خلقته، هذه من آيات الله ﷻ.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾، لما ذكر أن القمر مقدَّرة منازله، وهكذا الشمس تجري لمستقر لها، ذكر أن الليل والنهار جاريان كما أمر الله والشمس والقمر جاريان كما أمر الله ﷻ. فالشمس لا تدرك القمر، والقمر كذلك، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾؛ يعني: كل من هذه المخلوقات لها مقدار بإذن الله ﷻ لا تتجاوزه أبدًا، بل هي في سيرها تسير سيرًا متقنًا، وهكذا القمر، وهكذا الليل والنهار، فالشمس لا تخرج في سلطان القمر، ولا تذهب بنور القمر، والقمر كذلك لا يذهب بنورها، ولا يطلع بسلطانها، كلٌّ له وقت، وكل له سلطان، فالشمس سلطانها في النهار، والقمر سلطانه في الليل، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾؛ يعني: تحيط به، وتقضي عليه، وتذهب بنوره، ليس لها سلطان في هذا، سلطانها في النهار، والقمر كذلك لا يذهب بنورها، فهو له سلطان، ولها سلطان، كل في فلك يسبح، كلٌّ في فلكه الذي قدَّره الله له ﷻ، وهكذا الليل والنهار هذا في وقته يأتي بظلامه، والنهار في وقته يأتي بضيائه لا يسبق هَذا هذا، ولا هَذا هذا، كلٌّ منهما له شيءٌ مقدر لا يزيد

عليه ولا ينقص عنه إلا بإذن الله، فتارة يزيد الليل وينقص النهار، وتارة بالعكس يتقاربان في مدة أربعٍ وعشرين ساعة، هذا ينقص تارة، ويزيد الآخر تارة، ثم يأتي العكس فينقص هذا ويزيد هذا؛ ولهذا يقول جل وعلا: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ۝٧٤ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ۝٧٥ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۝٧٦﴾ [يس: ٧٤ ـ ٧٦][(١)].

○ الآية واضحة في بيان حال المشركين، الذين بُعث فيهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، من قريش وغيرهم، وأنهم اتخذوا من دون الله آلهة من الأصنام، والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء وغيرهم، فإن آلهة المشركين أنواع كثيرة، وهم فعلوا هذا لعلهم ينصرون، يرجون نصرهم يرجون شفاعتهم، كما قال جل وعلا عنهم في آية أخرى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]؛ يعني: شفعاءنا في نصرهم لنا وإعانتهم لنا على أعدائنا وشفاء مرضانا وفي غير ذلك، وقال في الآية الأخرى، في سورة الزمر: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فهم عبدوهم؛ لينصروهم، ويقربوهم، ويشفعوا لهم، ثم بيَّن سبحانه أنهم لا يستطيعون نصرهم، هذه الآلهة ما تستطيع نصرهم، ولا نصر نفسها أيضًا، كما قال جل وعلا في سورة الأعراف: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٦٩).

﴿يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢]، فهم لا يستطيعون نصر عابديهم، ولا نصر أنفسهم، بل النصر من عند الله ﷻ، ولينصرن من يشاء ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] وهم لهم جند محضرون، يوم القيامة ضدهم محضرون معهم، يوم القيامة في النار كلهم يعذبون جميعًا، وهذا في الآلهة المعبودة من دون الله، برضاها كفرعون والنمرود، والأصنام وأشباههم، هم معهم في النار، أمَّا الملائكة والأنبياء فهم براء منهم، لا يرضون بعبادتهم إيَّاهم، كما قال ﷻ عن الملائكة: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

فالمقصود: أن هؤلاء الأصنام، الذين هم معهم يوم القيامة في النار، هم الذين عبدوهم من دون الله، من جمادات كالأصنام والأشجار أو آلهة من الجن، أو من الإنس، رضوا بذلك معهم في النار، أمَّا من لم يرضَ بذلك كالأنبياء والملائكة والصالحين، فهم ليسوا معهم، بل الله قد أجارهم منهم، وحماهم منهم، وهم براء منهم، بل العابدون هم الذين في النار، الذين عبدوا غير الله، وأشركوا بالله، وأما المعبودون الذين لم يرضوا بذلك؛ كالملائكة والرسل والأنبياء والصالحين، فإنهم لا يرضون أن يعبدوا من دون الله، بل يتبرؤون من ذلك.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: ٧٨ ـ ٨٠](١).

الذي خلق الخلق من الطين، وخلق آدم من الطين، وخلق ذريته

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٧١).

من ماء مهين ـ سبحانه ـ هو الذي يحيي العظام، وهي رميم يوم القيامة، يعيدها كما بدأها، وتخرج من قبورها بعدما يتم خلقها بإذنه ﷻ، فيرجع كل شيء حتى ابن آدم مما ذهب منه، ويفنى منه كل شيء إلا عجب الذنب، ثم يعيده الله كما كان ﷻ، ويبعثه ليجازيه بأعماله يوم القيامة، فالذي أحياها أول مرة من الطين، ومن ماء مهين هو الذي يعيدها يوم القيامة بعدما صارت رميمًا، وترابًا، وهو الذي جعل من الشجر الأخضر نارًا أيضًا؛ وبقدرته ﷻ جعل من الشجر الأخضر نارًا، ومن الحجر نارًا ومن الكبريت نارًا هذا هو خلقه ﷻ، يقول أئمة اللغة: «في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار»؛ يعني: المرخ والعفار ناره أكثر، إذا حك بعضه في بعض، ثم هو الحطب توقد به النيران، ويستوقد به الناس وهو من الشجر الأخضر، ثم ييبس ويستعمل توقد منه نار أيضًا، جميع أنواع الشجر يستخدمه الناس قبل مجيء الكهرباء يعتمدون على الحطب، فالمقصود: أن الشجر إذا يبس يُستوقد به النار ويستعمل، ينتفع به، وبعض الشجر الأخضر كذلك يُستوقد منه النار.



تفسير آيات من سورة الصَّافات(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٣]: من كل مكانٍ، ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا﴾ [٨، ٩]: يُرْمَوْنَ، ﴿وَاصِبٌ﴾ [٩]: دَائِمٌ، ﴿لَّازِبٍ﴾ [١١]: لَازِمٌ، ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ۝٢٨﴾ [٢٨]: يعني: الحقّ، الكفّار تقوله للشّيطان، ﴿غَوْلٌ﴾ [٤٧]: وَجَعُ بَطْنٍ، ﴿يُنزَفُونَ﴾ [٤٧]: لَا تَذْهَبُ عُقُولُهُمْ، ﴿قَرِينٌ﴾ [٥١]: شَيْطَانٌ، ﴿يُهْرَعُونَ ۝٧٠﴾ [٧٠]: كَهَيْئَةِ الْهَرْوَلَةِ، ﴿يَزِفُّونَ﴾ [٩٤]: النَّسَلَانُ فِي الْمَشْيِ، ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [١٥٨]: قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَأُمَّهَاتُهُمْ بَنَاتُ سَرَوَاتِ الْجِنِّ، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨﴾ [١٥٨]: سَيُحْضَرُون لِلْحِسَابِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥﴾ [١٦٥]: الْمَلَائِكَةُ، ﴿صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [٢٣]: وَوَسَطِ الْجَحِيمِ، ﴿لَشَوْبًا﴾ [٦٧]: يُخْلَطُ طَعَامُهُمْ، وَيُسَاطُ بِالْحَمِيمِ، ﴿مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]: مَطْرُودًا، ﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [٤٩]: اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨﴾ [٧٨، ١٠٨، ١٢٩]: يُذْكَرُ بِخَيْرٍ، ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [١٤]: يَسْخَرُونَ، ﴿بَعْلًا﴾ [١٢٥]: رَبًّا، ﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ [ص: ١٠]: السماء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(من قارئ «العمدة»): أحسن الله إليك، عندنا ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ يعني: الجنّ الكفّار تقوله للشياطين.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(من القارئ): ذكر الشّارح أنّها روايةٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ماذا يقول؟

(القارئ): قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٥٤٢)]: «قوله: ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾؛ يعني: الحقّ الكفّار تقوله للشّياطين: ووقع في رواية الكشميهنيّ: يعني الجنّ بجيمٍ ثمّ نونٍ، ونسبه عياضٌ للأكثر، وقد وصله الفريابيّ عن مجاهدٍ بلفظ: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ قال: الكفّار تقوله للشّياطين. ولم يذكر الزّيادة؛ فدلّ على أنّه شرحٌ من المصنّف.

ولكلٍّ من الرّوايتين وجهٌ: فمن قال: يعني الجنّ؛ أراد بيان المقول له وهم الشّياطين، ومن قال: الحقّ ـ بالمهملة والقاف ـ أراد تفسير لفظ اليمين؛ أي: كنتم تأتوننا من جهة الحقّ فتلبّسوه علينا. ويؤيّده تفسير قتادة قال: يقول الإنس للجنّ: كنتم تأتوننا عن اليمين؛ أي: من طريق الجنّة تصدّوننا عنها». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الله أكبر، وهو الواقع، والله المستعان، يخاصمونهم ولكن لا ينفعهم ذلك. نسأل الله العافية.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الصافات: ١٣٩][(١)].

حدّثنا قتيبة بن سعيدٍ، حدّثنا جريرٌ، عن الأعمش، عن أبي وائلٍ، عن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِنِ ابْنِ مَتَّى».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: كذا عندك يكون؟ في نسخة العينيّ؟

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(من القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المشهور في الرّواية (أن يقول) لكن المعنى متقاربٌ[(١)].

*

حدّثني إبراهيم بن المنذر، حدّثنا محمّد بن فليحٍ، قال: حدّثني أبي عن هلال بن عليٍّ من بني عامر بن لؤيٍّ، عن عطاء بن يسارٍ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال الشّارح عليه، تكلّم على الحديثين، على الرّوايتين؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٤٣)]: «قوله: باب قوله: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩﴾: ذكر فيه حديث ابن مسعودٍ: «لا ينبغي لأحدٍ أن يكون خيرًا من يونس بن متّى»، وحديث أبي هريرة: (**مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ**). وقد تقدّم شرحه في أحاديث الأنبياء، ولله الحمد». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا أنّه لا ينبغي لعبدٍ أن يظنّ أنّ ما جرى له من هذه القصّة فيه تنزيلٌ من قدره، وتهاونٌ بشأنه؛ حتّى يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متّى؛ بل ينبغي أن يعرف له فضله، وهو نبيٌّ من الأنبياء ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ فكونه ساهم فكان من المدحضين، وجرى عليه ما جرى؛ لا يقتضي أن يزعم أحدٌ أنّه خيرٌ منه، وأنّه أفضل منه؛ بل ينبغي

(١) قال سَماحَتُه رَحِمَهُ اللَّهُ في القراءَةِ الثّانِيَة: المعروفُ في الرِّوَايَةِ: «لا ينبغِي أن يقولَ: إنَّهُ خَيرٌ مِن يُونُسَ بن متَّى».
(من الطالب): سيأتي بَعْده.

لكلّ أحدٍ أن يعرف قدر الأنبياء، وفضل الأنبياء، وأنّ ما جرى عليه وعلى غيره من الامتحان والابتلاء؛ فهو يزيد في قدره وثوابه، والله اجتباه بعد ذلك واصطفاه.

فلا ينبغي للعبد أن يقول ما يوهم نقصًا أو تهاونًا بشأن يونس ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

وفيه أيضًا تواضعٌ منه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وبيان أنّه وإن كان خير الأنبياء وأفضل الأنبياء، وسيّد الأنبياء، فلا يليق أن يقول هو ولا غيره هذا الكلام، بل يتواضع لله، ويعرف للأنبياء فضلهم وقدرهم ومنزلتهم، وغيرهم من باب أولى، غيرهم من باب أولى في هذا الباب.

معلومٌ أنّ محمّدًا ﷺ، ونوحًا، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أولي العزم ـ أنّهم أفضل من يونس بن متّى، لكن لعلّ المراد يعني لا ينبغي أن يقول ذلك على سبيل التّنقّص ليونس ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ لأنّه جرى له ما جرى ممّا ذكره الله في كتابه عنه؛ فلا ينبغي لعبدٍ أن يقول ذلك على سبيل التّنقّص ليونس عليه السلام، فهو نبيّ الله، وقد اجتباه ربّه.

فالمقصود: أنّ هذا ـ والله أعلم ـ هو على سبيل التّنقّص، وأمّا على سبيل إنزال النّاس منازلهم فمحمّد خيرٌ من يونس بن متّى، وكذا بقيّة أولي العزم هم أفضل منه.

● **س: قوله: «ما ينبغي أن يكون»، مع أنّ النّبيّ ﷺ كان خيرًا منه؟**

○ **الجواب**: هذه الرّواية لعلّها بالمعنى، المعروف في الرّواية «أن يقول»، وفي اللّفظ الآخر: «من قاله فقد كذب»؛ لأنّه زكّى نفسه وتنقّص غيره فيكون كاذبًا في هذا المعنى.

أمَّا **(أن يَكُونَ)** فليس بظاهر، والله أعلم أنّ الرّواية بالمعنى من غير تأمّلٍ من الّذي رواها.

• س: أحسن الله إليك، شارح الطّحاوية ما كأنّه يومئ إلى أنّ الرّسول ﷺ مستثنى من هذا، وتكون على عموم النّاس؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحديث عامٌّ «لأحدٍ»، وهذا من باب التّواضع منه ﷺ. مثل: **«لا تفاضلوا بيني وبين الأنبياء»**.

• س: لكن ـ أحسن الله إليك ـ: «أن يكون»، كلمة «أن يكون»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه رواية «أن يكون» هي محلّ النّظر. أحاديث الأنبياء موجود «فتح الباري» هنا؟

(من الطّالب): موجود، أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

راجع البحث هناك، على: «لا ينبغي أن يقول أنا خير من يونس بن متّى»؛ لعله تكلّم عليها الشّارح[1].

---

(١) وردَ هنا هذَا السُّؤالُ وهو بحثٌ لم يكنْ في هذا الدَّرسِ:
(من الطالب): «أبو هلال الرَّاسبي الذي مرَّ في التَّفسير ذكر في «التقريب» أن من شيوخه قتادة.
[قال الحافظُ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تهذيب التهذيب» (٩/ ١٩٥)]:
٣٠٣ ـ «خت ٤ ـ محمد» بن سليم أبو هلالٍ الراسبي البصريُّ، مولى بني سامة بن لؤي، نزل في بني راسبٍ فنُسِبَ إليهِم، قيل: كان مكفوفًا، روى عن: الحسنِ، وابن سيرين، وحميد بن هلالٍ، وسوادة بن حنظلةَ، وابنه عبد الله بن سوادة، وابن أبي مليكةَ، وقتادة، ومطرٌ الوراق، وعقبة بن أبي بيت، وغيلان بن جرير، وداود بن أبي هند، وأبي الزبير، وعدة.
روى عنه: ابن مهدي، ووكيع بن المبارك، وزيد بن الحباب، ومحمد بن الحسن الأسدي، والحسن الأشيب، ومؤمل بن إسماعيل، وأبو عمر الحوضي، وأبو النُّعمَان عارم، وموسى بن إسماعيل، ومسلم بن إبراهيم، وشيبان بن فروخ، وطالوت بن عباد، وكامل بن طلحة الجحدري، وغيرهم. =

= قال عمرو بن علي: كان يحيى لا يحدِّث عنه، وكان عبد الرحمٰن يحدث عنه، وسمعت يزيد بن زريع يقول: عدلتُ عن أبي بكر الهذلي، وأبي هلال الراسبي عمدًا.

وقال عثمان الدارميّ: قلتُ لابن معين: حماد بن سلمة أحبُّ إليك في قتادة أو أبو هلالٍ؟ فقال: حماد أحبُّ إليَّ، وأبو هلالٍ صدوقٌ. وقال مرة: ليس به بأسٌ، وليس بصاحب كتاب.

وقال ابن أبي حاتمٍ: أدخله البخاريُّ في الضُّعفاءِ، وسمعت أبي يقول: يحول منه.

وقال الآجري: منه عن أبي داود، وأبو هلال ثقةٌ ولم يكن له كتابٌ، وهو فوقَ عمران القَطَّان.

وقال النسائيُّ: ليس بالقويِّ. قال البخاريُّ: قال محمدُ بن محبوبٍ: مات في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة.

قلت: وقال ابن سعدٍ: فيه ضعفٌ، أن موسى بن إسماعيل قال: كان أعمى، وكان لا يحدث حتى ينسب من عنده. وقالوا: تُوفِّي في خلافة المهديِّ سنة تسعٍ وستين.

وقال أحمد بن حنبل: يحتمل في حديثه إلَّا أنه يخالف في قتادة، وهو مضطرب الحديث.

وقال الساجيُّ: روي عنه حديثٌ منكرٌ.

وقال البزار: احتملَ الناس حديثه، وهو غير حافظٍ.

وقال ابن عديٍّ ـ بعد أن ذكر له أحاديث كلَّها أو عامَّتها غير محفوظةٍ: وله غير ما ذكرتُ، وفي بعضِ رواياتِه ما لا يوافقُه عليه الثِّقَاتُ، وهو ممن يُكتَبُ حَديثُه». [انتهى كلامه].

(قال رَحِمَهُ اللَّهُ): المقْصودُ: مَا دامَ كَذَا فهو ضعيفٌ، الرِّوايةُ السَّابِقَةُ هذِهِ روايةٌ ضَعيفةٌ، لَعلَّهَا من أوهَامِه، فإنَّ سَعِيد عِنْدَه من الفِقْهِ والعِلْم مَا يرفَعُه عن أن يقولَ: إنَّ إعَادةَ الوضُوءِ وتجديدَ الوضوءِ اعتداءٌ، يكونُ هذَا من أوهَامِ أبي هلالٍ أو ممَّن رَوى عَنهُ قَتَادةُ ودلَّسه.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٨٢][١].

قول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ القرآن كله هدى، وكله توجيه إلى الخير، كله بشارة ونذارة وترغيب وترهيب، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، ويقول سبحانه: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فجدير بأهل الإيمان، وجدير بأهل الإسلام، وجدير بكل مؤمن ومؤمنة أن يعنى بالقرآن، وأن يكثر من تلاوته بالتدبُّر والتعقُّل؛ حتى يعرف أحكام الله، وحتى يعرف صفات أهل الجنة، وصفات أهل النار، وحتى يعلم أعمال هؤلاء، وأعمال هؤلاء، فيأخذ بأعمال أهل الجنة، ويتخلَّق بأخلاقهم، ويحذر أعمال أهل النار، ويحذر صفاتهم، يقول تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

لهذا فنصيحتي لكل مسلم ولكل مسلمة: العناية بالقرآن مع أحاديث

---

(١) من مسائل الشيخ السدحان (مجموع تفسير آيات من القرآن جمع يزيد الدرعان ص٢٠٩).

الرسول ﷺ جملة، جملة والقرآن فيه الهدى والنور، والسُّنَّة فيها الهدى والنور، والله جعل كتابه صراطًا مستقيمًا، وجعله نورًا وهداية، وجعله نذارة وبشارة، وجعله فلاحًا للناس، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فعليك يا عبد الله بالتدبُّر والتعقُّل لهذا الكتاب، وأكثر من تلاوته عن ظهر قلب، أو من المصحف؛ لقصد وجه الله، ولقصد طلب الآخرة؛ لتعرف أحكام الله، ولتعرف أسباب النجاة، ولتعرف أسباب الهلاك؛ حتى تأخذ بأسباب النجاة، وتبتعد عن أسباب الهلاك، ومن هذا قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾.

سبق وعده لهم كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢]، وقال ﷻ: ﴿...وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، وقال ﷻ: ﴿...وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وعلى رأس المؤمنين الرسل، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وفي هذه الآية من سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾؛ يعني: وعدنا ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾؛ يعني: النصر الأعظم ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾: جند الله هم المؤمنون، جند الله هم أهل الإيمان، والتقوى وهم أتباع الرسل ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

فعليك يا عبد الله التخلُّق بأخلاق المؤمنين، والاتصاف بأوصاف أتباع الرسل؛ حتى تكون من هؤلاء الموعودين بالنجاة في الدنيا والآخرة ﴿...وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾﴾؛ يعني: عن الكفار ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ

﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ بئس الصباح! نعوذ بالله إذا نزل بهم العذاب.

فالواجب على المؤمن أن يحذر عذاب الله، وألا يستعجل، بل يحذر ويبتعد، ويأخذ بأسباب النجاة، ويحذر أسباب الهلاك، فهذا هو طريق النجاة، وهذا هو سبيل المؤمنين، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المؤمنين، ونعوذ بالله من الظالمين والمغضوب عليهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.



تفسير آيات من سورة صٓ [1]

حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا غندرٌ، حدّثنا شعبة، عن العوّام، قال: سألت مجاهدًا عن السّجدة في (ص) قال: سئل ابن عبّاسٍ فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وكان ابن عبّاسٍ يسجد فيها[٢].

حدّثني محمّد بن عبد الله، حدّثنا محمّد بن عبيدٍ الطّنافسيّ، عن العوّام، قال: سألت مجاهدًا عن سجدة (ص) فقال: سألت ابن عبّاسٍ من أين سجدت؟ فقال: «أَوَمَا تَقْرَأُ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فكان داود ممّن أُمِر نبيّكم ﷺ أن يقتدي به، فسجدها داود، فسجدها رسول الله ﷺ»[٣].

﴿عُجَابٌ ۝٥﴾ [٥]: عجيبٌ، القطّ: الصّحيفة، وهو هاهنا صحيفة الحسنات، وقال مجاهدٌ: ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ [٢]: مُعَازِّينَ، ﴿ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ [٧]: ملّة قريشٍ، الاختلاق: الكذب، ﴿ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾ [١٠]: طرق السّماء في أبوابها، ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾ [١١]: يعني: قريشًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣﴾ [١٣]: القرون الماضية، ﴿فَوَاقٍ ۝١٥﴾ [١٥]: رُجُوعٍ،

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة ص برقم (٤٨٠٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة ص برقم (٤٨٠٧).

﴿قِطَّنَا﴾ [١٦]: عَذابَنا، ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [٦٣]: أَحَطْنَا بِهِمْ، ﴿أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [٥٢]: أَمْثَالٌ، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿ٱلْأَيْدِ﴾ [١٧]: القوّة في العبادة، ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ [٦٣]: البصر في أمر الله، ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ [٣٢]: من ذكرٍ، (طَفِقَ مَسْحًا) [٣٣]: يمسح أعراف الخيل، وعراقيبها، ﴿ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [٣٨]: الْوَثَاقِ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصّواب أنّها سجدةٌ ثابتةٌ يسجد فيها في الصّلاة وخارجها كما روى البخاريّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنّ النّبيّ سجد فيها ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، ورواه غيره أيضًا.

فهي من جملة السّجدات المنصوصة في التّلاوة، بعض الفقهاء يراها تُسجد خارج الصّلاة دون الصّلاة، وليس هذا بشيءٍ، بل الصّواب أنّها تُسجد في الصّلاة وخارجها، وإن كانت سجدة شكرٍ وتوبةٍ من داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فنحن نسجدها اتّباعًا لنبيّنا ﷺ، وقد سجدها في التّلاوة؛ فنسجدها كما نسجد في السّجدات الأخرى في الصّلاة وخارجها.

● **س: أحسن الله إليك، وإن كان على غير طهارةٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، الصّواب ولو على غير طهارةٍ، الجمهور يقولون: لا بدّ من طهارةٍ كالصّلاة، ولكن الصّحيح لا تلزم الطّهارة؛ فإذا صادف أنّه يقرأ، وأنّه على غير طهارةٍ سجد؛ ثبت هذا عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجاء معناه عن بعض التّابعين كالشّعبيّ. المقصود أن هذا هو الأرجح.

● **س: أحسن الله إليك، قراءة السّجود على الأيسر الّذي جاء عن الشّمال؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، يعمّ الجميع، الأفضل للمستمعين أن يسجدوا مطلقًا، سواءٌ كانوا يمينًا أو شمالًا أو خلفًا؛ الأمر في السّجدة واسعٌ، لكن إذا سجدوها

كالصّلاة يكون إمامًا ومأمومين، يكون أفضل كهيئة الصّلاة، يروى عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنّه قال لبعض القرّاء لمّا مرّ بالسّجدة قال: اسجد فإنّك إمامنا؛ يعني: القارئ هو الإمام، يسجد والنّاس المستمعون كالمأمومين.

• س: **الواحد الّذي جاء على الشّمال، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

إذا كان على اليمين يكون أفضل، كالصّلاة تشبيهًا لها بالصّلاة، إذا تيسّر أنّ اليمين فارغٌ ينتقل على اليمين أفضل، وإن كان اليمين مشغولًا ـ جدارًا أو كذا ـ أو ما تيسّر، فالأمر واسعٌ، والسّنّة القبلة تشبيهًا لها بالصّلاة.

• س: **على قول ابن مسعودٍ** رضي الله عنه: **«إنك إمامنا» ما يرفعون إلّا لمّا يرفع أيضًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: بلى، إذا رفع الإمام يرفعون.

• س: **يكبّر يعني إذا رفع يعلمهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: أو يقرأ، ما ورد تكبيرٌ، إذا رفع وقرأ يكفي.

• س: **أحسن الله إليك، «العقيدة الطّحاويّة» الّذي أورد الطّحاويّة هو الّذي شرحها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، متأخرٌ، شارح الطّحاويّة متأخرٌ، في المائة الثّامنة، ابن أبي العزّ الشّارح الّذي تسمع كلامه متأخرٌ، الطّحاويّ ما شرح عقيدته.

قوله: (**المِلَّةُ الآخِرَة ملةُ قريشٍ**): الملّة الآخرة يعني ملّة قريش؛ يعني: الوثنيّة، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ [ص: ٧]؛ يعني: الملّة الّتي درج عليها الآباء والأسلاف، نسأل الله العافية.

ماذا قال على الملّة الآخرة الشّارح، الملّة الآخرة؟ يعني بمعنى الأخرى؛ يعني: الملّة الأخرى الوثنيّة يعني، الملّة الآخرة ضدّ الأولى؛ يعني: الملّة الأخرى الّتي سلكها الآباء والأجداد وهي عبادة الأوثان.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٤٥)]: «قوله: (**الملّة الآخرة ملّة قريشٍ**)، الاختلاق: الكذب: وصله الفريابيّ أيضًا عن مجاهدٍ في قوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ قال: ملّة قريشٍ. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾﴾ كذبٌ.

وأخرج الطّبريّ من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ في قوله: ﴿الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ قال: النّصرانيّة. وعن السّدّيّ نحوه.

وكذا قال عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن الكلبيّ قال: وقال قتادة: دينهم الّذي هم عليه». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني معنى الملّة الآخرة يعني الأخرى، بمعنى الأخرى، نسأل الله العافية.

● **س: الأعراف يعني تذبح؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، هذا قولٌ ثانٍ، الأعراف الشّعرات الّتي فوق الرّقبة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال على (**يمسح أعراف الخيل**)؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٤٦)]: «قوله: ﴿حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾... إلى آخره: سقط هذا لأبي ذرٍّ، وقد تقدّم في ترجمة سليمان بن داود من أحاديث الأنبياء». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: العينيّ قال شيئًا؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ١٣٩)]: «أشار به إلى قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، وفسر قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ بقوله: (**يَمْسَحُ أعرافَ الخَيلِ**)، والأعراف جمع عرفٍ بالضّمّ، وعرف الفرس شعر عنقه، وكذلك المعرفة.

وطفق من أفعال المقاربة، وقد ذكر غير مرّةٍ قال الثّعلبيّ: وطفق؛

أي: أقبل يمسح سوقها وأعناقها بالسّيف وينحرها تقربًا إلى الله تعالى، وهذا وما بعده ليسا في رواية أبي ذرٍّ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قولان معروفان ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، قولان لأهل العلم: أحدهما: أنّه غار لله، وأنّه ذبحها تقربًا إلى الله لما شغلته؛ حتّى توارت بالحجاب الشّمس، وأنّ ضرب السّوق كان جائزًا في شريعة سليمان شريعة التّوراة.

والقول الثّاني: أنّه يمسح أعرافها وسوقها للتّعجّب، أو لاستنكار كونها شغلته عن عبادة ربّه وطاعة ربّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ يعني: مسح إنسانٍ مستنكرٍ لهذا الأمر؛ كأنّه يقول: لماذا شغلت بهذا وأشباهه؟! لماذا صدّني هذا عن ما هو أوجب؟!

ولكن القول الأوّل أظهر في المعنى؛ لأنّ الغاضب ليس محلّ مسح الأعراف، الغاضب لله محلّ انتقامٍ، الغاضب يقتضي انتقامًا منها، والانتقام منها بذبحها والتّقرّب بها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لمّا شغلته، مثل ما أنّ الإنسان إذا شغل بمالٍ تصدّق به، ومثل ما جرى لبعض الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لمّا تعجّب من ماله تصدّق به، من بستانه، وكما جرى لأبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المقصود: أنّ قول من قال: إنّه ذبحها أظهر في المعنى ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]؛ يعني: يذبحها تقربًا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وغضبًا له سبحانه، ونوعًا من التّوبة الّتي تقتضي أن يكون مبعدًا لما شغله عن ذكر الله وطاعته.

ثمّ يؤيّد هذا مسح السّوق ليس بواضحٍ، مسح الأعراف من سجيّة النّاس، يضعون أيديهم على أعراف الخيل ويمسحونها، لكن مسح السّوق ما هو يعني بشيءٍ واضحٍ في شأن بالخيل، وتأمّل محاسنها، ليس مسح السّوق من هذا الباب.

• **س: أليس بتعذيبٍ للحيوان؟ أليس بتعذيبٍ لهذه الخيل يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد يكون لما حصل به عليه من الشّرّ، فعل هذا غيرةً لله وغضبًا لله وكان هذا جائزًا في شريعتهم، ما هو ببعيدٍ، لما ذبحها وضرب سوقها قد يكون قطع السّوق بعد الذّبح، وقد يكون جائزًا له أن يعقرها؛ غضبًا لله، ثمّ بعد ما يكمل ذبحها يوزّعها في شريعتهم ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، وإن حرم هذا في شريعة محمّد ﷺ؛ فإنّ الواجب في الشّريعة أن تذبح ذبحًا لا، الخيل والبقر والإبل كلّها تذبح ولا يمثّل بها، لكن شريعة التّوراة لها شأنٌ آخر.

• **س: المسح ما هو؟ غريبٌ أنّه يطلق على الذّبح؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

محتملٌ، التّعبير بالمسح يعني تجوزًا في العبارة، لمّا أوقع عليها السّيف قاطعًا أشبه المسح.

• **س: أكل الخيل جائزٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جائزٌ نعم، الرّسول ﷺ نهى عن الحمر وأذن في الخيل، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، تقول أسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: نحرنا على عهد رسول الله فرسًا ونحن بالمدينة؛ فأكلناها ونحن بالمدينة، وثبت في الصّحيح عن جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «نهى النّبيّ ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخّص في لحوم الخيل»(١)، هذا الّذي عليه جمهور أهل العلم.

*

---

(١) متفق عليه، من حديث جابر بن عبد الله، أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد برقم (٥٥٢٠)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحم الحمر الأنسية برقم (٣٦) (١٩٤١).

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: ٢١ ـ ٢٤][١].

الآية واضحة، فإنه أتاه ملكان، وتسوَّرا عليه المحراب، وأخبراه أنهما خصمان، وقد بيَّن الله القصة في الآية واضحة ﷻ، وبيَّن داود ما رآه في موضوعهما، فليس في الآية إشكال، أما ما يحكيه القُصَّاص، وبعض المفسِّرين من الحكايات في ذلك فلا ينبغي أن يُعتمد عليها، بل ينبغي أن يأخذ بظاهر بالقرآن ويكفي، والله أعلم بما وراء ذلك. أما الحكايات التي فيها أن داود فعل كذا أو فعل كذا، فهذا لا يُعتمَد عليه، نسأل الله السلامة.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٥][٢].

حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، حدّثنا روحٌ ومحمّد بن جعفرٍ، عن شعبة، عن محمّد بن زيادٍ، عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٧٣).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾، قال روحٌ: «فَرَدَّهُ خَاسِئًا»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يدلّ على أنّ الشّياطين قد تتمثّل أفضل الخلق للإيذاء، فإذا كان الرّسول ﷺ ـ وهو أفضل الخلق ـ تفلّت عليه عدو الله هذا، شيطان من الشّياطين حتّى قبض عليه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ وذعته حتّى سال لعابه على يديه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وهمّ أن يربطه في ساريةٍ؛ حتّى يلعب به غلمان المدينة، ثمّ ذكر قول سليمان ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾، وكان مما أعطاه الله أنّه كأنّه يصفّد الجنّ يربطهم ويوثقهم، ويؤدّبهم فترك هذا؛ لأنّ ربطه في السّارية يشبه ما أعطاه الله سليمان.

المقصود: أنّ الله ﷻ أطلع نبيّه على هذا العفريت، ومكّنه منه حتّى ذَعَتَه، وفي اللّفظ الآخر: «أنّه أتى بشعلةٍ من النّار، يريد أن يحرقه بها ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ فأمسكه النّبيّ ﷺ حتّى سال لعابه على يديه وخنقه». اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

قوله: (**فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ**: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾): الله أكبر. فإنّ الله أعطى سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طلبته، ومن ملكه أنّ الله سخّر له الجنّ، وملّك له من الجنّ يتصرّف فيهم، فلمّا ذكر قول سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ أطلق ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ يعني: بأمر ربّه، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ برقم (٤٨٠٨)، ومسلم في كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة برقم (٥٤١).

• **س: أحسن الله إليك، زكاة الخيل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما فيها زكاةٌ إلّا زكاة التّجارة.

(السّائل): وكيفيّة ذبحها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: مثل البقر تذبح مثل البقرة تضجع.

• **س: يا شيخ، قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: ٣٤]، **المناسبة معناها يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أعلم، راجع كتب التّفسير.

• **س: هل هذا ـ أحسن الله إليك ـ ورد في الحديث الّذي ورد أنّه رأى الجنّة، حتّى إنّه كان يريد أن يقطف قطفًا من العنب في هذا، في الصّلاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه صلاة الكسوف.

(من السّائل): غير هذا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: غير هذا.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦](١).

هذه الآية الكريمة تدل على النهي عن التكلف، وأن لا ينبغي للمؤمن أن يتكلّف، أن يتعاطى ما فيه كلفة ومشقة من دون حاجة إلى ذلك سواء كان قولًا أو فعلًا؛ بل ينبغي له أن يعوِّد نفسه السماح وعدم التكلّف في القول والعمل، طعامه وشرابه وأقواله، وأحاديثه مع إخوانه

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب الصالحين (٤/ ٤٠٦).

لا يكون فيها تكلف، بل يكون فيها السماح والتيسير في كل شيء، ومن ذلك التكلُّف في كونه يتكلم بما لا يعلم، يفتي بما لا يعلم، أو يمدح ما لا يعلم، أو يذم ما لا يعلم كل هذا من التكلُّف؛ بل يكون كلامه على بصيرة، مدحه على بصيرة، ذمه على بصيرة، وإلا فليحذر وليتوقف؛ يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] ﴿قُلْ﴾؛ يعني: قل يا محمد للناس: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ يعني: على تبليغ الحق والدعوة إليه وتعليمكم وإرشادكم؛ يعني: ما أطلب من ورائكم شيئًا، هو يعلمهم ويرشدهم من دون حاجة إليهم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من يتكلف ما لم يُؤمر به، وما لم يُشرع له يقول عمر رضي الله عنه: **(نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ)**، وابن مسعود رضي الله عنه يقول: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ)** وإلا لا يتكلف؛ يعني: لا يقول بغير علم، يفتي بغير علم، يمدح بغير علم، يذم بغير علم؛ ولكن يتأمل وينظر حتى لا يتكلم إلا عن بصيرة، وحتى لا يقول إلا عن بصيرة، وحتى لا يقع في التكلف والتشدد من دون علم ولا بصيرة.

* *

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦][(١)].

حدّثنا قتيبة، حدّثنا جريرٌ، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ قال: دخلنا على عبد الله بن مسعودٍ قال: «يا أيّها النّاس، من علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإنّ من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، قال الله ﷻ لنبيّه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، وسأحدّثكم عن الدّخان، إنّ رسول الله ﷺ دعا قريشًا إلى الإسلام، فأبطؤوا عليه، فقال: «اللّهمّ أعنّي عليهم بسبعٍ كسبع

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

يوسف»[١] فأخذتهم سنةٌ، فحصّت كلّ شيءٍ، حتّى أكلوا الميتة والجلود، حتّى جعل الرّجل يرى بينه وبين السّماء دخانًا من الجوع، قال الله ﷻ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠، ١١]، قَالَ فَدَعَوْا: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٢ ـ ١٥]، أفيكشف العذاب يوم القيامة، قال: فكشف، ثمّ عادوا في كفرهم، فأخذهم الله يوم بدرٍ، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾» [الدخان: ١٦][٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو الحقّ، هذا هو الواجب على كلّ مسلم؛ أن يتقي الله، وأن يحذر القول على الله بغير علم، وليس عليه نقصٌ أن يقول: الله أعلم، أو لا أدري، النّقص عليه والمصيبة الكبيرة هي القول بغير علمٍ، هذا هو المصيبة الكبيرة.

أمّا إذا قال: لا أدري؛ فهذا يدلّ على إيمانٍ، وعلى قوّةٍ، وعلى حذرٍ، لا أدري، أو الله أعلم هذا هو الواجب على كلّ مسلم، على العلماء وغير العلماء، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ هو محمّد ﷺ، ليس بمتكلّفٍ، ومن التّكلّف أن تدّعي أنّك تعلم وأنت لا تعلم، هذا التّكلّف المقيت.

قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾: هذا هو الواجب على كلّ مسلم ولا سيّما أهل العلم، الواجب عليهم ألا يتكلّفوا إن كان عندهم علمٌ

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الروم برقم (٤٧٧٤)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان برقم (٢٧٩٨).

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ برقم (٤٨٠٩)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب الدخان برقم (٢٧٩٨).

واضحٌ تكلّموا، وإلّا فليمسكوا ولا يستحي الإنسان أن يقول: لا أدري، أو الله أعلم.

فالأمور شيئان: معلومٌ ومجهولٌ: فالمعلوم تخبر ما عندك، والمجهول تقول: لا أدري؛ نصف العلم.

وقد وقع في النّاس اليوم وقبل اليوم من دهورٍ كثيرةٍ تجرؤٌ على الفتوى، والقول على الله بغير علمٍ، وهذا من قلّة الإيمان وضعف الإيمان، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله. نسأل الله العافية.

كلّ واحدٍ يحبّ أن يقول، ويحبّ أن يفتي ولا يدري. اللهمّ سلّم سلّم.

قوله: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾: لا شكّ أن البطشة الكبرى يوم بدرٍ، بطشة كبرى، أخذ الله فيها صناديدهم ورؤساءهم، ومن شرّهم أبو جهلٍ، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، لا شكّ أن هذا من نصر الله وتأييده وبطشه بهم؛ لما استكبروا وعاندوا.

هذا دخانٌ وقع لهم في مكّة؛ بسبب الجدب الشّديد والقحط العظيم، أما الدّخان الّذي يأتي في آخر الزّمان فهذا ما جاء بعد.

قوله: (**سأحدثكم عن الدّخان... إنا منتقمون**): وهذا مثل ما قال عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه: هذا الدّخان العارض لقريشٍ؛ بسبب كفرهم وضلالهم وعنادهم، هذا دخانٌ عارضٌ، وله أسبابٌ عارضةٌ في مكّة وما حولها ممّن دان بدين قريشٍ، وسار على نهجهم، لكن الدّخان الآخر موجودٌ، وهو يكون في آخر الزّمان أيضًا.

هذا خفي على ابن مسعودٍ رضي الله عنه، ولم يكن له علمٌ به، وكلّ عالمٍ يفوته أشياء ولو كان من الصّحابة، كلّ عالمٍ يفوته أشياء ويذكر أشياء.

فالدّخان في آخر الزّمان يأتي ويُكشف أيضًا، يأتي ويكشف؛ فإنّ علامات السّاعة الآتية تأتي وتُكشف.

فالدّخان الّذي يأتي يوم القيامة في آخر الزّمان يصيب النّاس، وهو دخانٌ عظيمٌ، يصيب الكفرة منه شدّةٌ عظيمةٌ، ويصيب أهل الإيمان منه كالزّكام، ثمّ يُكشف كما أخبر بهذا حذيفة بن أسيدٍ الغفاريّ رضي الله عنه وغيره ممّن أخبروا بأشراط السّاعة: فإن منها الدّخان، ومنها هدم الكعبة، ومنها خروج يأجوج ومأجوج، ومنها مجيء الدّجال، وكلّها تكشف: الدّجال يقتل ويذهب، ويأجوج ومأجوج ينزل الله بهم عذابًا فينتهون، والدّخان كذلك ينتهي ويكشف، وهدم الكعبة تهدم الكعبة، ويصلّي النّاس بعدها إلى القبلة، ولهم دينٌ، ولهم إيمانٌ حتّى يرسل الله الرّيح الطّيبة الّتي تقبض أرواح المؤمنين في آخر الزّمان، ويموتون، ثمّ تقوم السّاعة على الأشرار بعد ذلك.

● **س: شيخ، صحيحٌ يعني يوم القيامة أو في الدّنيا الدّخان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: في الدّنيا قبل يوم القيامة، من أشراط السّاعة قبل أن تقوم.

● **س: يعني قد أتى أو سيأتي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

سيأتي الدّخان الّذي ذكره ابن مسعودٍ رضي الله عنه، مضى هذا في عهد قريشٍ بسبب الجوع الّذي أصابهم.

● **س: يعني ليس المقصود في الآية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، المقصود في الآية الّذي أصاب قريشًا، أمّا الدّخان الّذي جاء في أشراط السّاعة فيأتي، جاء في الأحاديث.

● **س: من قال: إنّ ملّة موسى عليه السلام يهوديةٌ، وملّة عيسى نصرانيّةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يسمّى أتباع موسى عليه السلام يهود، ويسمّى أتباع عيسى عليه السلام نصارى.

(من السّائل): ملّة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ملّتهم اليهوديّة، وملّة النّصارى النّصرانيّة.

(من السّائل): المقصود بها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

دينهم، يسمّى دينهم من اليهوديّة والنّصرانيّة، وأتباع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الحقّ، وإن سمّوا يهود، ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]: تبنا إليك، والنّصارى كذلك، من آمن بعيسى وآمن بمحمّد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ؛ فهو مسلمٌ، وإن سمّي نصرانيًّا وسمّي يهوديًّا.

وإنّما كفروا لما كذّبوا عيسى وقالوا: إنّه ولد بغيٍّ، كفروا بهذا، من قال ذلك من اليهود، وهكذا لما أدركوا النّبيّ ﷺ وكفروا به صاروا كفارًا، لا لأنّهم يهود، ولا لأنّهم نصارى، بل لأنّهم كذّبوا محمّدًا ﷺ، ولم ينقادوا لشرعه، وكفر اليهود بتكذيبهم عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهكذا كلّ قومٍ يكذّبون نبيًّا؛ يكفرون.

● **س: عفا الله عنك، فهذه الآية على كلام ابن مسعودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **ما تدلّ على أن الدّخان الّذي يكون يوم القيامة، وإنما يدلّ عليه الحديث؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، الدّخان يوم القيامة جاءت به الأحاديث، أمّا هذا في الدّخان الّذي أصابهم في مكّة، جدب وقحط؛ ولهذا قال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾.



تفسير آيات من سورة الزمر(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ﴾ [٢٤]: يُجرّ على وجهه في النّار، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]، ﴿ذِى عِوَجٍ﴾ [٢٨]: لَبْسٍ، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [٢٩]: صالحًا، مثلٌ لآلهتهم الباطل، والإله الحقّ، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [٣٦]: بالأوثان، خوّلنا: أعطينا، ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [٣٣]: الْقُرْآنُ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [٣٣]: المؤمن يجيء يوم القيامة يقول: هذا الّذي أعطيتني عملت بما فيه، ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ [٢٩]: الرجل الشّكس العسر لا يرضى بالإنصاف، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ [٢٩]: ويقال: (سَالِمًا): صَالِحًا، ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ [٤٥]: نَفَرَتْ، ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [٦١]: مِنَ الْفَوْزِ، ﴿حَآفِّينَ﴾ [٧٥]: أَطَافُوا بِهِ، مُطِيفِينَ بِحِفَافَيْهِ: بِجَوَانِبِهِ، ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ [٢٣]: لَيْسَ مِنَ الِاشْتِبَاهِ، وَلَكِنْ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي التَّصْدِيقِ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الزّمر أم الزمر؟

(من القارئ): في الآيات زمرا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: جمع زمرة، زمرة زمر. مثل حفرة حُفَر.

(من القارئ): مشكلها بالضّمّ هنا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، غلطٌ غلطٌ، الكفّار يدعون إلى النّار زمرًا والمسلمون يدعون

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

إلى الجنّة زُمَرًا؛ يعني: زمرةً بعد زمرةٍ، جماعةً بعد جماعةٍ، الله أكبر.

(**من القارئ**): الآيات بالفتح زمرا.

قوله: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ...﴾ إلخ: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، هذا العذاب العظيم، ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، نسأل الله العافية، يسحبون على وجوههم. نسأل الله العافية. لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قوله: (**وَلَكِن يُشْبِهُ بَعْضه بَعْضًا فِي التَّصْدِيقِ**): كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]؛ يعني: يشبه بعضه بعضًا في الدّلالة، يصدّق بعضه بعضًا، ويؤيّد بعضه بعضًا، قصّة نوحٍ في كذا، قصّة نوحٍ في كذا، قصّة نوحٍ في كذا، قصّة هودٍ، قصّة سليمان قصّة داود، كلّه يصدّق بعضه بعضًا.

وهكذا ما ذكره الله عن أهل الجنّة وأهل النّار، وفي الأحكام كلّها يصدّق بعضها بعضًا، ويشبه بعضها بعضًا، بخلاف قوله ﷻ: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] هذا معناه: الاشتباه؛ يعني: شيئًا محكمًا واضحًا، وشيئًا مشتبهًا.

فالاشتباه في أول سورة آل عمران من التّشابه، أو عدم ظهور المعنى، وأمّا في سورة الزّمر ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] من المشابهة؛ يعني: يشبه بعضه بعضًا، تقول: فلانٌ شبه فلانٍ، وهذا الكلام شبه الكلام الفلانيّ يعني: يصدّقه ويوافقه.

قَولُه: (**مُتشَابِهًا لَيْسَ من الاشْتِبَاه...**): **يَعْنِي** ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ **يَعْنِي يشبه بَعْضُه بَعْضًا فِي تصدِيقِ بَعْضِهِ لبَعْضٍ**.

التّشابه له معنيان:

أحدهما: أنّه يشبه بعضه بعضًا، ويصدّق بعضه بعضًا، ويفسّر بعضه بعضًا. وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣].

والنّوع الثّاني: التّشابه بمعنى الاشتباه، وعدم الوضوح في المعنى، وهذا المذكور في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]؛ يعني: ما خفي عليهم بعضه.

والحكم في ذلك أنّ «ما تشابه» من الاشتباه؛ وجب أن يفسّر بالمحكم، وأمّا المتشابه بمعنى المتوافق الّذي يشهد بعضه لبعضٍ؛ فهذا من رحمة الله لعباده أنّه جعل الكتاب يصدّق بعضه بعضًا؛ فما أشكل في موضعٍ وجدته واضحًا في موضعٍ آخر، وما أجمل في موضعٍ وجدته مبيّنًا موضّحًا في موضعٍ آخر، ومبسوطًا في موضعٍ آخر من قصصٍ وأخبارٍ وغير ذلك.

● **س: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هو أبو بكرٍ رضي الله عنه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

عامٌّ. المؤمنون كلّهم مصدّقون، صدّقوا القرآن، وصدّقه أبو بكرٍ رضي الله عنه، وصدّقه عمر رضي الله عنه، لكن هذا قول بعض السّلف، كثيرٌ من السّلف يذكرون بعض المعنى.

ويقال: الّذي جاء بالحقّ محمّد ﷺ، وصدّق به المؤمنون، كلّه حقٌّ.

● **س: ما يكون سبب النّزول يعني في أبي بكرٍ رضي الله عنه واللّفظ عامٌّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

محتملٌ؛ لأنّه قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ عمّم؛ جعله جماعةً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

● **س: الآية أحسن الله إليك، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: زمرًا، زمرًا؛ يعني: جماعات بعد جماعاتٍ يدخلون الجنّة.

(من السّائل): وفي الحديث: «مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّة مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْم وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ»[١]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما يمنع كونهم زمرًا، زمرًا ويزدحمون، من كثرتهم يزدحمون، تجيء زمرةٌ مع زمرةٍ، تتّصل هذه بهذه، يزدحمون من كثرتهم، الله أكبر.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣][٢].

هم اتخذوهم وعبدوهم من دون الله؛ ليقربوهم إلى الله زلفى، فقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾؛ يعني: يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، وقبلها يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾، ثم قال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾؛ يعني: العبادة الخالصة له وحده جَلَّ وَعَلَا، ليس له شريك في ذلك، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] وقال ـ سبحانه ـ: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤] ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾؛ يعني: يقولون هؤلاء المتخذون يقولون: ما نعبدهم ـ يعني: هؤلاء الآلهة من الأصنام، والأشجار، والأحجار، والملائكة،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عتبة بن غزوان في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٧).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٧٤).

والأنبياء، وغيرهم - ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾؛ أي: ما نعبدهم؛ لأنهم يخلقون، أو يرزقون، أو ينفعون، أو يضرون، لا، لأنهم يعرفون أن الله هو النافع الضار، يعني المشركون الأولون من قريش وغيرهم، يعرفون أن الله هو النافع الضار، وهو الخلاق الرزاق، وهو المدبّر، والمحيي، والمميت يعرفون هذا. كما قال ﷻ آمرًا نبيَّه أن يسألهم، قال سبحانه لنبيِّه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]؛ قال تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾؛ يعني يقوله المشركون قال تعالى: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾؛ يعني: قل لهم يا محمد أفلا تتقون الإشراك بالله، وأولها يقول سبحانه: قل يا محمد للناس، قريش وغيرهم: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ يعني: من هو الذي يرزقكم من السماء والأرض؛ يعني: من هو الذي يزرقهم السماء والأرض، يرزقهم من السماء بالمطر وغيره، ومن الأرض بالنبات، الذي ينبته الله من الثمار والحيوانات التي في الأرض والمعادن وغير ذلك.

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾، هو يملك سمع الناس وأبصارهم، ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ﴾ [يونس: ٣١]؛ يعني: في العالم كله، قال الله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾؛ يعني: هؤلاء المشركين يقولون: الله، هو المدبّر للأمور والخلاق والرزاق، وهو النافع الضار، وهو الذي يحيي ويميت ﷻ، فُسّر إخراج الحي من الميت إخراج المسلم من الكافر، والميت من الحي الكافر من المسلم، وفُسِّر بإخراج البيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة، والنبات من الأرض الميتة كل هذا إخراج نوع من إخراج الحي من الميت، والميت من الحي.

فالمقصود: أن المشركين من عبدة الأوثان يعرفون الله سبحانه هو

النافع والضار وهو مدبِّر الأمور، وهو الخلاق الرزاق، ولكنهم يعبدون الآلهة؛ ليشفعوا لهم، وليقربوهم إلى الله زلفى، لا؛ لأنهم ينفعون أو يضرون بخلاف الكفار المشركين المتأخرين فهؤلاء قد وقعوا في الشرك الأكبر من جهة الربوبية، بعض المشركين المتأخرين شركهم أكبر من أولئك المشركين؛ لأنهم أشركوا مع الله في الربوبية، وظنوا أن بعض آلهتهم يدبِّرون الأمور، ويتصرَّفون في الأمور، وينفعون أو يضرون، وأن الله جعل لهم هذا، وهذا باطل، هذا كفر في الربوبية، شرك في الربوبية أعظم وأقبح من شرك قريش وأشباههم.

قال الله تعالى: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾، فسمَّاهم كذبة في قولهم: إنهم يقربونهم زلفى، كفارًا؛ لأنهم عبدوهم مع الله، ودعوهم، واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، وتقرَّبوا لهم، فصاروا بهذا كفارًا؛ ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾؛ يعني: لا يوفِّقه لقول الحق ولا الهداية للبلاغ، قد بلغهم سبحانه بالرسل والكتب، لكن لا يهديهم، لا يوفِّقهم بسبب إعراضهم عن الحق، واستكبارهم على الحق، وعنادهم للرسل، نسأل الله العافية والسلامة.

* *

☐ تفسير قول الله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦][١].

المراد كما قال أهل العلم: أنه يطوِّرهم سبحانه خلقًا بعد خلق،

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٧٨).

أطوار كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]. فهم ينقلون من طور إلى طور، من طور النطفة في الأربعين الأولى، إلى طور العلقة في الأربعين الثانية، إلى طور المضغة في الأربعين الثالثة، إلى حيوان يتحرك في بطن أمه وينمو، ثم بعد ذلك تلده إنسانًا تامًّا ثم ينمو وهكذا، فالحاصل: أنهم أطوار في الرحم، من نطفةٍ إلى علقةٍ إلى مضغةٍ، ثم بعد المضغة تخليق، سمع، وبصر، وأيدي، وأرجل، إلى غير ذلك حتى يتم خلقه، ثم تلده بإذن الله، والظلمات الثلاث بيَّنها أهل العلم، ظلمة البطن هذه واحدة، وظلمة الرحم موطن الجنين وهي الثانية، ظلمة المشيمة وهي الثالثة، يكون فيه الطفل يُسمى المشيمة، هذه ثلاث ظلمات، هو في كيس، ثم في الرحم، ثم في البطن، ثلاثة أشياء، ظلمة بعد ظلمة.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩][(١)].

هذه الآية الكريمة فيها الدلالة على تقدير أهل العلم، والقرآن، ورفع منازلهم وإعطائهم حقوقهم اللائقة بهم، إلى غير ذلك مما جاءت به الشريعة، فإن الناس بالله، ثم بعلمائها وقرائها ودعاة الإصلاح والتوجيه فيها.

يقول الله ﷻ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المعنى: لا يستوون؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزُّمَر: ٩] فلا يستوي من أعطاه الله العلم النافع مع من جهل أمر الله، فالواجب أن يُعرف لأهل

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٢/٥٧).

العلم حقهم بما شرع الله ﷻ في تقديرهم واحترامهم وأخذ العلم عنهم وسؤالهم عما أشكل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وعدم التكبُّر عن طلب العلم وسؤال أهله والأخذ عنهم، فإن الناس في حاجة شديدة إلى العلم ولا سبيل إلى ذلك إلا بسؤال أهل العلم والتلمذة عليهم، وعرض ما يشكل عليهم، حتى يحصل للجميع التعاون على البر والتقوى.

وجاء حديث أبي مسعود، وهو عقبة بن عمرو الأنصاري البدري، وهذا ليس عقبة بن عامر الجهني، هذا من الأنصار، وهو أبو مسعود البدري، واسمه عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، يقول: «**يَؤُمُّ القومَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**» عند الاجتماع يؤمهم أقرَؤُهُمْ لكتاب الله، «**فَإِنْ كَانُوا فِي القِراءةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ**» أي: سُنَّة الرسول ﷺ، «**فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً**» المهاجر الأول مقدم على المهاجر المتأخر إذا استويا في العلم بالكتاب والسُّنَّة «**فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا**»(١) فعند الاستواء يقدم الأكبر؛ ولهذا في حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: «قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَلَبِثْنَا عِنْدَهُ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَةً»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ رَحِيمًا، فَقَالَ: «**لَوْ رَجَعْتُمْ إِلَى بِلَادِكُمْ فَعَلَّمْتُمُوهُمْ، مُرُوهُمْ فَلْيُصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مسعود رضي الله عنه في كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة؟ برقم (٦٧٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من قال: ليؤذن في السفر مؤذن واحد برقم (٦٢٨)، ومسلم في كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة؟ برقم (٦٧٤).

لما كانوا متقاربين في العلم والفضل، قال: فليؤمكم أكبركم، ولهذا يقول ﷺ: «**وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في سُلْطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه**» أي: لا يُتقدم على إمام المسجد الراتب وعلى إمام المحل إلا بإذنه، فهو أولى بمسجده وأولى بمحله الذي هو فيه إذا اجتمعوا عنده في حالة لا يكون فيها تقدمه للمسجد إما لعدم وجود المسجد أو لبعده عنهم، فحينئذٍ يقدم صاحب المحل حيث جازت الصلاة في المحل فيقدم صاحبه، وإن كان المحل المسجد فيقدم إمامه الراتب إلا بإذنه.

وهكذا في مجالس القوم لا يتقدم أحد على تكرمة صاحب المجلس إلا بإذنه، فإن كان له مكان خاص أو كرسي خاص فلا يجلس عليه إلا بإذنه في محله؛ ولهذا قال: «**وَلَا يَقْعُدْ في بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**» يعني: في محل خاص محل جلوسه إلا بإذنه، فهذا كله من آداب الشريعة ومن تنزيل الناس منازلهم، قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**»(١)، هذا من إنزال الناس منازلهم.

وهكذا حديث أبي مسعود أيضًا؛ أنه كان ﷺ إذا أَمَّهم في الصلاة «**يَمْسَحُ مَنَاكِبَهم**» يعني: يسوِّيها وَيَقُولُ: «**لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**»(٢)

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم برقم (٤٨٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف برقم (٦٦٤)، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء ليلني منكم أولو الأحلام والنهي رقم برقم (٢٢٨)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلوات والسنة بها، باب من يُستحب أن يلي الإمام برقم (٩٧٦)، والنسائي في كتاب الإمامة، باب من يلي الإمام ثم الذي يليه برقم (٨٠٧)، والإمام أحمد (٤/ ٢٨٥).

يحثُّهم على الاستقامة في الصف والتراصِّ، وعدم تقدم بعضهم على بعض، ويبيِّن لهم أن الاختلاف من أسباب اختلاف القلوب «**لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**»، وإذا كان هذا في الصف وعدم التساوي، فكيف بالاختلاف في الآراء والمقاصد والأهداف، فإن هذا من أعظم الأسباب في الفُرقة والاختلاف.

فالواجب على الأمة التعاون على البر والتقوى وتحرِّي الحق وطلب الحق والحرص على الأخذ به من الجميع، ثم قال ﷺ: «**لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ**».

وهكذا في حديث ابن مسعود أيضًا ﵁، وهذا كله يدل على أنه ينبغي على أهل العلم والإيمان وكبار الناس أن يتقدموا في الصف الأول حتى يكونوا أُسوة لغيرهم، وأن يلوا الإمام، كما حثَّ النبي ﷺ أصحابه المعروفين أن يتقدموا، وأن يكونوا قدوة لغيرهم في التقدم والمسارعة إلى الصف الأول، وأن يكونوا خلف الإمام؛ ليعقلوا عنه ويفهموا عنه ويبلغوا عنه وينوبوا عنه إذا تخلَّف أحدهم؛ ولهذا قال: «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَى**» وهم: أهل العقول والبصائر والفهم والفقه في الدين، و«**وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ**». ما يكون فيه من اللغط والصياح والقيل والقال والكلام السيئ، فينبغي لأهل العلم أن يتجنبوا ذلك، ويكون وجودهم في الأسواق وجود إصلاح ودعوة إلى الله والتوجيه إلى الخير، ولا يكون مشاركة لأهل الصياح والكلام السيئ في الأسواق، فهيشاتها ما يكون فيها من اللغط والكلام السيئ والكذب والأيمان الفاجرة، وما أشبه ذلك مما يكون بين الناس في الأسواق.

❋

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨][1].

في هذه الآيات الكريمات الدلالة على استحباب التبشير والتهنئة بالخير، وكان النبي ﷺ يبشِّر أصحابه بما يسرُّهم ويبشِّرهم برمضان إذا قرب، هذا شهر رمضان شهر مبارك والله ﷻ ذكر في كتابه آيات كثيرات فيها البشارة، كما في قوله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]، ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ في آيات كثيرات فيها التبشير ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، إلى غير هذا.

المقصود: أنه سبحانه ذكر في آيات كثيرات التبشرة لعباده بما يسرُّهم، وبما فيه سعادتهم وصلاحهم، وهكذا المسلمون يبشِّر بعضهم بعضًا بما يسرهم، وبما يطيب لهم، وبما ينفعهم من ولد ومال وفتح للمسلمين، ونصر لهم على عدوهم، وغير هذا مما يسر المسلم.

ومن هذا قصة خديجة، قال لها النبي ﷺ: «**هذا جبريل يبشِّرك عن الله ببَيْتٍ في الجَنَّةِ مِنْ قَصَب**»؛ يعني: من اللؤلؤ، «**لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ**» وبشَّرها بهذا القصر أعدَّه الله لها في الجنة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ ليس فيه ما يؤذي ويكره من الكلام السيئ والكلام الفارغ، ليس فِيهِ صَخَبٌ وَلَا نَصَبٌ، ليس فيه ما يؤذي من كلام سيئ، ولا من عمل متعب، بل فيه الخير، وفيه الأنهار الجارية والنعيم المقيم.

وهكذا قصة أبي موسى مع النبي ﷺ في بِئْر أريس، لما توجَّه إليه النبي ﷺ وهي بئر لأحد الأنصار، ودخل في الحائط، وقضى حاجته

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٤٣).

وتوضأ وجلس على شفير البئر، وجاء أبو موسى ولزم الباب أخبره النبي أن يحيط بالباب، فاستأذن الصدِّيق رضي الله عنه، فقال له أبو موسى: **(عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ، فقلتُ: يَا رسولَ الله، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَستَأْذِنُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»)**، ثم جاء عمر فدفع الباب فقال له أبو موسى: **(عَلَى رِسْلِكَ)** حتى استأذن فقال له النبي: **«ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»**، ثم جاء عثمان كذلك، وقال عَلَى رِسْلِكَ حتى استأذن فقال له النبي: **«ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ»**، فبشَّره أبو موسى بما قاله النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وقال عثمان: لما بشَّره بذلك: **(الحمد لله، والله المُسْتَعانُ)**؛ يعني: الحمد لله على ما بشَّرني الوعد بالجنة. وأما البلوى فقال: الله المستعان، قد أُصيب بالبلوى، سلَّط عليه جماعة في آخر حياته وقاموا عليه وتألَّبوا عليه حتى قُتل رضي الله عنه، وهذا القتل الذي ظُلم به عثمان وتعدَّى عليه طائفة شُبِّه عليها، ولُبس عليها، ووقعت هذه الجريمة النكراء، له فيه خير عظيم وشهادة وأجر عظيم؛ لأنه مظلوم، والخلاصة من ذلك أنه لا بأس بأن يبشّر المسلم، بل يستحب أن يبشّر المسلم بما يسرُّه وبما ينفعه من أمور دينه ودنياه؛ لأن المسلم أخو المسلم يسرّه ما يسرّه، ويسوؤه ما يسوؤه، فتبشير المسلم بما ينفعه فيه شيء من الإيناس وتآلف القلوب والتقارب بين المسلمين، فهو مشروع لما فيه من الخير.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣][(١)].

هذه الآية الكريمة تتعلق بشأن الرجاء، والعبد مأمور بأن يرجو الله

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٢/ ١٣٦).

ويخافه سبحانه وتعالى دائمًا دائمًا، وأن يسير إلى الله بين الرجاء والخوف، فلا يقنط ولا يأمن، ولكنه يخاف عقاب الله وغضبه ويرجو رحمته وإحسانه وفضله سبحانه وتعالى؛ ولهذا ندب عباده وحثَّهم على خوفه وعلى خشيته، وحثَّهم على رجائه وحسن الظن به سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: بالكفر والمعاصي ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] يعني: للتائبين، أجمع العلماء أن هذه الآية في التائبين، وأنه سبحانه يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب إليه وأناب من الشرك وما دونه، فينبغي للمؤمن أن يحسن ظنه بالله ويبادر بالتوبة ويحاسب نفسه، والله يتوب على من تاب جل وعلا، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ويقول جل وعلا: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨] فمن مات على الشرك بالله وأعرض عن دينه فهذا له العذاب والخلود فيه، نسأل الله العافية.

أما من مات على المعاصي فهو على خطر وتحت مشيئة الله، إذا كان مات على التوحيد والإخلاص لله وعدم الإشراك فهو يُرجى له الخير، ويُرجى له النجاة، لكنه على خطر من دخول النار لأعماله السيئة التي دون الشرك، فالواجب على المؤمن أن يحذر من شر نفسه وسيئاته، وألَّا يعتمد على مجرد الرجاء فيهلك، ولكن يكون عنده رجاء وخوف، وعنده حذر حتى يدع المحارم، ويستقيم على الطاعات، ويقف عند الحدود يرجو ثواب الله ويخشى عقابه سبحانه وتعالى.

وجاء في حديث عبادة وما جاء في معناه: الدلالة على أن من مات على التوحيد والإخلاص لله فهو موعود بالجنة؛ لهذا يقول صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ شَهِدَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ،**

وَأَنَّ عِيسى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»، وفي اللفظ الآخر: «**مَنْ شَهِدَ أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ النَّارَ**»، وفي اللفظ الآخر: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَإِذَا قَالُوها عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**».

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(١).

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة كلها دالة على أن من مات على التوحيد والإيمان فهو على طريق النجاة، لكن إن كانت له ذنوب أو سيئات لم يتب منها فهو على خطر، وهو تحت المشيئة، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فما دون الشرك تحت مشيئة الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه.

وكثرت الأحاديث وتواترت عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن جملة من أهل المعاصي يدخلون النار، ويُعذَّبون فيها بأسباب معاصيهم التي ماتوا عليها ولم يتوبوا منها، ثم يشفع فيهم النبي ﷺ، ويشفع فيهم الشفعاء من المؤمنين والملائكة والأفراط، فيخرجون منها وقد امتحشوا واحترقوا، فيُلقَون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، وهم أقسام وطبقات في عذابهم في النار على قدر معاصيهم، منهم من يقيم بها طويلًا، ومنهم من يقيم بها لمدة قصيرة على حسب ما مات عليه من المعاصي إذا لم يعفُ الله عنه ولم يتب منها قبل أن يموت، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بأحاديث الرجاء وأحاديث التوحيد

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٤٧).

فيقع في المعاصي، ويسرف على نفسه، بل ذلك خطر عظيم، فإن التوحيد إنما تكون به النجاة لمن استقام عليه، وأدّى حقه بترك المعاصي والمخالفات، أما من لم يؤدِّ حق التوحيد، ومات على المعاصي فهو على خطر وعلى شفا جرف، وتحت مشيئة الله ﷻ، وإنما يُضمن للعبد المسلم دخول الجنة والنجاة من النار إذا استقام على حق التوحيد، فوحَّد الله وأدَّى حقه من ترك المعاصي وأداء الفرائض، هذا إذا مات على ذلك سليمًا من الذنوب أدخله الله الجنة من أول وهلة، ولا ينبغي للعاقل أن يتساهل في معاصي الله، وليحذر غاية الحذر.

وهكذا حديث أبي ذر عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ أن الله ﷻ يقول: «**مَنْ جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أزيد، وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ**»(١). فهو سبحانه بين الفضل والعدل ﷻ، فقد يزيدهم حسنات على حسناتهم، ويضاعف لهم، وهكذا قد يعفو عن السيئات، وإن لم يعفُ فالسيئة بواحدة فضلًا منه وإحسانًا.

«**وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»، وهذا يدل على سبقه في الخيرات سبحانه وتعالى، وأنه أسرع إلى عبده لما ينفعه إذا تقرَّب إليه عبده بالطاعات واستقام على الخيرات، والله أسرع إليه بالخير سبحانه وتعالى، وهذه صفات تليق بالله لا يعرف كيفيتها إلا هو سبحانه، تُمرُّ كما جاءت على الوجه اللائق بالله، لكن مضمونها ومقتضاها أنه سبحانه أسرع بالخير والرحمة والإحسان إلى عبده إذا بادر إليه بالطاعة، وسارع إليه بالطاعة، وفيه يقول: إن الله، يقول: «**وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**». فالعبد إذا أتى الله بالخطايا، لكنه أتاه

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى برقم (٢٦٨٧).

بالتوحيد والإخلاص فهو موعود بالمغفرة، وهذا الوعد لا يُخلَف، لكن تارة يكون من أول وهلة، وتارة يُعذَّب على قدر المعاصي التي مات عليها ولم يتب منها، ثم يُنقَل من النار بعد ذلك إلى الجنة بعد التمحيص والتطهير، كما أخبر به النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، والعاقل لا يرضى لنفسه أن يعرضها للنار، بل يحرص على أن يبتعد عن أسباب دخول النار، ويجتهد في أسباب النجاة حسب طاقته، حتى يلقى ربه.

وفي حديث جابر بن عبد الله، يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، لما سئل ما الخصلتان الموجبتان للجنة والنار؟ قال: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بالله شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّار**»(١). فالتوحيد موجب للجنة، والشرك موجب للنار، وبين ذلك معاصٍ وسيئات، صاحبها على خطر، فإن تاب منها ألحق بأهل التوحيد ودخل الجنة، وإن لم يتب منها ألحق بأهل النار إلا إن يعفو الله عنه، وإلا لا بد من تعذيبه على قدر هذه المعاصي؛ ولهذا كما تقدم جاءت الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ من دخول الكثير من أهل المعاصي في النار وبقائهم فيها وتعذيبهم فيها على قدر معاصيهم.

فالواجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة الحذر من أسباب عذاب الله، وأسباب عذاب الله: المعاصي والسيئات، أما الشرك فهو أعظم الذنوب وهو الكفر بالله وصرف العبادة لغيره أو صرف بعض العبادات لغيره ﷻ، وهذا غير قابل للعفو، ومن مات عليه فهو مخلد في النار أبد الآباد، نسأل الله السلامة والعافية، أما ما دون الشرك من المعاصي كالزنى والسرقة والعقوق والربا وقطيعة الرحم والغيبة والنميمة وأشباه ذلك من

---

(١) متفق عليه من حديث أبي ذر ؓ، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب المكثرون هم المقلون برقم (٦٤٤٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب في الصدقة ساقه بعد الحديث رقم (٩٩١).

المعاصي تحت مشيئة الله، صاحبها على خطر من دخول النار، إلا أن يتوب ويبادر قبل أن يموت، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣][(١)].

حدّثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف أنّ ابن جريج أخبرهم قال يعلى: إنّ سعيد بن جبيرٍ أخبره، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: «أنَّ ناسًا من أهل الشّرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمّدًا ﷺ فقالوا: إنّ الّذي تقول وتدعو إليه لحسنٌ، لو تخبرنا أنّ لِما عملنا كفّارةً، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الله أكبر، الحمد لله.

وهذا من رحمة الله، وأنّ العبد مهما فعل من الجرائم إذا تاب إلى الله توبةً صادقةً؛ تاب الله عليه، وعفا عنه.

وقد أجمع العلماء - رحمهم الله - على أنّ هذه الآية في التّائبين ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ﴾؛ يعني: قل يا محمّد للنّاس عن الله أنّه يقول سبحانه: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، فمحمّد يخبّر عن الله جل وعلا أنّه يقول:

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾... إلخ برقم (٤٨١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله برقم (١٢٢).

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ لا تيأسوا من رحمة الله مهما فعلتم من الجرائم؛ فإن الله يتوب على التّائبين.

فقد أسلم جمعٌ غفيرٌ ممّن حارب المسلمين يوم بدرٍ، ويوم أحدٍ، ويوم الأحزاب، وقبِل الله إسلامهم، ودخلوا في دين الله أفواجًا يوم الفتح، وقد أجرموا وأشركوا وقتلوا، فتاب الله عليهم.

فالتّوبة يمحو الله بها ما قبلها، وهذا نصّ ما في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨﴾ هذه الجرائم الثّلاث: الشّرك، والقتل، والزّنا، ثمّ قال بعدها: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [الفرقان: ٧٠] فتاب الله عليهم من الشّرك، والقتل والزّنا.

فهذا كلّه يبيّن لنا أنّ التّوبة تجبّ ما قبلها، من الشّرك وما دونه، من تاب توبةً صحيحةً غفر الله له ما سلف.

• **س: حديث ـ يا شيخ ـ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، نفس الّذي يقول: إنّ القاتل ليس له توبةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قد يغيب عنه العلم، قد يغيب عن الإنسان العالم بعض الشّيء من العلم عندما يفتي، وقول ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما في هذا تقدّم لكم غير مرةٍ أنّه غلطٌ، وأنّ الصّواب أنّ التّوبة مقبولةٌ، وأنّ قول ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما في هذا خطأٌ وغلطٌ، وقد روي عنه أنّه رجع عن ذلك.

• **س: أحسن الله إليك، يقول: استدلّ بعموم هذه الآية على أنّها تغفر جميع الذّنوب، كبيرها وصغيرها، سواءٌ تعلّقت بحقّ الآدميين أم لا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم إذا تاب توبةً صحيحةً قبلت منه، حتّى حقّ الآدميين الله يرضيهم عنه.

• **س: حتّى حقّ الآدميّين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يرضيهم سبحانه عنه، لكن إذا كان في الإسلام يعطى حقّه، التّائب تقبل توبته، ويعطى حقّه، إن كان قصاصًا يقام عليه القصاص، إن كان مالًا يلزم بالمال، إن كان سرقةً يقطع في السّرقة، والتّوبة مقبولةٌ، ويعطى المظلوم حقّه، فإذا عجز عن حقّه وتاب أرضاه الله يوم القيامة، أرضاه الله عنه يوم القيامة بسبب التّوبة الصّادقة.

- **س: أما في حالة الكفر فليس له؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حالة الكفر تمحى كلّها.

- **س: رضي الله عنك، السّاحر له توبةٌ يا شيخ، السّاحر له توبة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيما بينه وبين الله له توبةٌ، الكلّ له توبةٌ، السّاحر وغير السّاحر، أمّا في الدّنيا فما تقبل توبته، وهكذا من قطع الطّريق لا تقبل توبته إذا أمسكه المسلمون قبل أن يتوب، وهكذا الكاهن ونحوه يقام عليه الحدّ؛ لأنّهم يتظاهرون بالإسلام ويؤذون النّاس، لكن فيما بينه وبين الله لا بأس، يقتل السّاحر وتوبته فيما بينه وبين الله صحيحةٌ إن كان صادقًا، كما يقتل المحاربون، وإن قالوا: إنّا تائبون فيما بينهم وبين الله الله يتولّاهم، لكن يقام عليهم الحدّ، إلّا من تاب قبل أن نقدر عليه.

- **س: ومن سبّ الله ورسوله ـ أحسن الله إليك ـ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيه الخلاف، والأقرب ـ والله أعلم ـ أنّه إذا جاء تائبًا نادمًا قبل أن يقدر عليه؛ فالأقرب قبول توبته، أمّا إذا يسبّ ثمّ نمسكه ويقول: أنا تبت. فلا، ينبغي أنّه يقتل حتّى يردع النّاس عن سبّ الله ورسوله، وفيما بينه وبين الله يقبل إن كان صادقًا.

وقال بعض أهل العلم: إنّه إذا تاب يقبل ولو في الحال، مثل ما ذكره الشّيخ تقيّ الدّين في «الصّارم المسلول» ـ «الصّارم المسلول» كتابٌ عظيمٌ ـ في شاتم الرّسول.

• **س: أحسن الله إليك، قصة ابن خطلٍ ما تدلّ على عدم قَبول التّوبة؟ قصة ابن خطلٍ لما قال النّبيّ ﷺ: إنّه متعلّقٌ بأستار الكعبة؛ قال: اقتلوه. ما تدلّ على عدم قبول توبته ولو تاب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا للمصلحة، إذا رأى وليّ الأمر قتله؛ لأنّه كان يسبّ الرّسول ﷺ، وعبد الله بن سعد بن أبي السّرح قبل منه النّبيّ ﷺ توبته، وقبل إسلامه، وكان ممّن أمر بقتله، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

*

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧][1].

حدّثنا آدم، حدّثنا شيبان عن منصورٍ، عن إبراهيم عن عَبيدة، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٧﴾[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(عَبيدة) بالفتح، عبيدة السّلماني عبيدة بن عمرٍو السّلماني من أصحاب عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بفتح العين.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ برقم (٤٨١١)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٦).

(**من الطّالب**): التشكيل هنا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: غلطٌ، شكله بالفتح؟

(**من الطّالب**): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه أغلاطٌ كثيرة.

● **س: من عبيدة بن عبد الله بن مسعودٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عبيدة بن عمرٍو السّلماني، ما له ولدٌ اسمه عبيدة، ابن مسعودٍ، ذاك أبو عبيدة. هذا عبيدة بن عمرٍو السّلماني، أحد التّابعين الكبار المخضرمين، أمّا ذاك (أبو) مكنّى، كنيته.

وهذا النصّ من أعظم النّصوص مع الآية الكريمة في بيان إثبات اليد لله، واليمين، والأصابع وأنّها حقٌّ، فهي صواعق على أهل البدع، ولكنّها عند أهل السّنّة والجماعة من أبرد ما يكون على القلوب، وأحبّها للقلوب؛ لأنّهم يؤمنون بالله وبصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

في هذا إثبات الأصابع، وأنّها موجودةٌ في التّوراة، موجودةٌ عند أهل الكتاب، معروفةٌ، فله سبحانه خمسة أصابع تليق به عَزَّ وَجَلَّ، لا يشابهه فيها خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦٓ﴾، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، «**يَمِينُ اللهِ مَلأَى**»، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي الحديث الصّحيح: «**إِنَّ الْقُلُوب بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»[(١)]، والإصبع فيه تسع لغاتٍ (إصبع، وإصبع، وأصبع، وأصبع) تسع لغاتٍ في الهمزة والباء، ثلاث لغاتٍ، الهمزة فيها ثلاثٌ،

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمٰن برقم (٢١٤٠) وحسنه، وابن ماجه في الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ برقم (٣٨٣٤)، والإمام أحمد (٣/ ١١٢).

مع الباء فيها ثلاث؛ تسعٌ، والعاشر أصبوعٌ؛ يصير عشر لغاتٍ، تنطق بها العرب على عشر لغاتٍ.

وفي هذا إثبات الأصابع لله على الوجه اللّائق بالله، كما في الحديث الآخر: «**الْقُلُوب بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**».

فاليد لله، والإصبع لله، والقدم، والسّمع، والبصر كلّها ثابتةٌ لله، على الوجه اللّائق به، وهكذا بقيّة الصّفات كلّها يجب إثباتها لله حسب ما جاء في النّصوص ـ الكتاب والسّنّة الصّحيحة ـ على الوجه اللّائق بالله، من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، ونثبتها لله ونمرّها كما جاءت، ولا نكيّفها ولا نمثّلها، ونقول كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ولما سئل مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الاستواء قال: الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسّؤال عنه بدعةٌ.

وهكذا قال الأئمّة كسفيان الثّوريّ، والأوزاعيّ، وأحمد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أهل العلم.

هذا إجماع السّلف: أنّه يجب الإيمان بالصّفات، وإثبات معانيها لله، على الوجه اللّائق بالله من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ؛ كما نقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] استوى استواءً يليق بجلاله.

ومعنى الاستواء: الارتفاع والعلوّ، فهو فوق العرش، استواءً يليق بجلاله وعظمته، لا يشبه خلقه في استوائهم.

وهكذا غضبه، ورضاه، وسمعه، وبصره، وضحكه، وغير ذلك كلّه يليق بالله جَلَّ وَعَلَا، لا يشبه خلقه في شيءٍ من صفاته جَلَّ وَعَلَا. أمّا من قال: إنّه في كلّ مكانٍ. هذا قول الجهميّة والمعتزلة، هذا كفرٌ وضلالٌ، نسأل الله العافية.

و(الحَبر والحِبر) تكسر الباء وتفتح، يقال: (حَبر وحِبر) والجمع أحبارٌ، وهم العلماء.

• س: أحسن الله عملك، نقول: أخذًا من هذا الحديث أن الأصابع لله خمسةٌ أو نكفّ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الظّاهر خمسةٌ، ظاهر السّنّة أنّها خمسةٌ.

• س: أحسن الله إليك، قول النّبيّ ﷺ: «كِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ»(١)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مستويتان، في الفضل يعني والشّرف، هي يمينٌ وشمالٌ، ولكن كلتاهما في الشّرف والفضل كلتاهما يمينٌ.

• س: ضحك النّبيّ ﷺ من قوله ماذا يعني؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تصديقًا له، من باب التّصديق.

• س: أحسن الله إليك يا شيخ، قال النوويّ: «الأولى في هذه الأشياء الكفّ عن التّأويل، مع اعتقاد التّنزيه، فإنّ كلّ ما يستلزم النّقص من ظاهرها غير مرادٍ، وقال ابن فورك: يحتمل أن يكون المراد بالإصبع إصبع بعض المخلوقات، وما ورد في بعض طرقه: «أصابع الرّحمٰن» يدلّ على القدرة والملك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الصّواب إثباتها حقيقة، أصابع حقيقةً تليق بالله، لا تشابه أصابع المخلوقين، كما أن الغضب والرّضا والوجه والسّمع والبصر لا يشابه المخلوقين، هذا قول أهل السّنّة والجماعة. الشّارح النوويّ وجماعةٌ معه، والحافظ وغيرهم لهم بعض التّأويلات، يعفو الله عنّا وعنهم.

• س: لفظ الشّمال ثابتةٌ، اليد الشّمال ثابتةٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: رواها مسلمٌ كما في آخر كتاب

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ برقم (٣٣٦٨) وقال: هذا حسن غريب من هذا الوجه.

التّوحيد، رواها مسلمٌ[(١)]، وذكر اليمين يدلّ على الشّمال.

● **س: من قال: إنّها شاذّةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر اليمين يدلّ على الشّمال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ يدلّ على الشّمال، «كلتاهما يمين» في الفضل والشّرف.

(الطالب): تفرّد عمر بن حمزة ـ عفا الله عنك ـ تفرّد عمر بن حمزة العمريّ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولو ولو، عموم الآيات والنّصوص تشهد له، ولهذا ارتضاه مسلمٌ وخرّجه.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧][(٢)].

حدّثنا سعيد بن عفيرٍ، قال: حدّثني اللّيث، قال: حدّثني عبد الرّحمن بن خالد بن مسافرٍ، عن ابن شهابٍ، عن أبي سلمة أنّ أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**»[(٣)].

* * *

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب صفة القيامة برقم (٢٧٨٨) ولفظه يطوي الله عَزَّ وَجَلَّ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟.

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ برقم (٤٨١٢)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٧).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨][1].

تفسير قوله ﷻ: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ من هو المستثنى هنا؟

الله أعلم. وقال بعض أهل العلم: إنهم الملائكة، وقال بعضهم: إنهم الشهداء، والله ﷻ هو أعلم بمراده بذلك.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا فيه التّنبيه على [ما] بعد الموت، والإعداد لهذا اليوم العظيم، يقول ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

«**يَطْوِي اللهُ** ﷻ **السَّمَاوَاتِ يَوْم القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُول: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُول: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»[2]، ويقولُ ﷺ: «**بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»[3]. نفخة الصّعق وهي الفزع، ونفخة

---

(١) مجموع تفسير آيات من القرآن (ص٢١٢).

(٢) أخرجه مسلم في حديث عبد الله بن عمر في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٨).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾... إلخ برقم (٤٨١٤)، ومسلم في كتاب الفتن، باب ما بين النفختين برقم (٢٩٥٥).

البعث والنّشور، قيل لأبي هريرة رضي الله عنه: أربعون يومًا أو شهرًا أو سنةً؟ فلم يجب؛ لأنّه سمع النّبيّ ﷺ هكذا قال: «**أَرْبَعُونَ**».

ويفنى من ابن آدم كلّ شيءٍ، إلّا عجب الذّنب ـ العظم الّذي في المقعدة ـ منه يركّب الخلق.

والمؤمن على خيرٍ عظيمٍ في جميع الأحوال، لكن ينبغي الإعداد والحذر، ينبغي الإعداد والحذَر؛ لعلّك تنجو، لعلك تسلم، والله سبحانه وتعالى لطيفٌ بعباده؛ كما قال جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]؛ يعني: المؤمنين ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢١٢]. فلتكن من المؤمنين، واستقم، واثبت على الحقّ؛ لعلّك تنجو.

أما الصّعقة الّتي ذكر ﷺ أنّه إذا رفع رأسه منها وجد موسى عليه السلام باطشًا بقوائم العرش، فهذه صعقة أخرى غير الصّعقتين، هذه صعقة يوم القيامة والنّاس موجودون في القيامة، صعقة خاصّةٌ؛ يصعق النّاس فيها، وأوّل من يفيق هو ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ فإذا هو بموسى عليه السلام باطشٌ بقائمة العرش، قال: «**فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»(١) الّتي وقعت في الدّنيا.

أمّا الصّعقتان المذكورتان في القرآن فهما:

* صعقة البعث ـ وهي الأخيرة.

* وصعقة الفزع، سينفخ في الصّور النّفخة الأولى ـ نفخة الفزع ـ وهي نفخة الصّعق الّذي يصعقه النّاس حتّى يموتوا، وهذه يمدّها إسرافيل عليه السلام، يمدّها طويلًا؛ حتّى إنّ الرّجل يصغي ليتًا، ويرفع ليتًا؛ يعني: رقبته، يقول هكذا وهكذا؛ يتسمّع.

أول ما تكون الصّعقة صعقة الفزع، وهي نفخة الصّعق الّتي يموت فيها النّاس يمدّها، حتّى إنّ الرّجل في يده اللّقمة فلا يستطيع أن يأكلها؛

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد رضي الله عنه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] برقم (٣٣٩٨).

يسقط، والآخر يلوط حوض إبله فيسقط، والآخر يمدّ السّلعة بينه وبين أخيه للبيع والشّراء؛ فيسقطان؛ يعني: تقوم والنّاس في غفلاتهم، وفي أعمالهم، هذا يبيع ويشتري وهذا يأكل، وهذا يسقي إبله، وهذا يسقي غنمه، وهذا نائمٌ، وهذا يتحدّث، إلى غير ذلك.

ثمّ النّفخة الأخيرة الّتي فيها البعث والنّشور؛ ليجمع الله الأوّلين والآخرين من كلّ مكانٍ، من البحار والبراري، ومن بطون السّباع، ومن كلّ مكانٍ؛ يجمعهم سبحانه ليوم الجمع، ذلك يوم التّغابن، هو يوم الجمع الّذي فيه النّاس فريقان: فريقٌ في الجنّة، وفريقٌ في السّعير، وهو يوم القيامة، هذا المجمع العظيم الّذي يجمع فيه الخلائق من أوّلهم - آدم عليه السلام - إلى آخرهم، ويجمع فيه أيضًا الدّوابّ، ويقتصّ من بعضها لبعضٍ، ثمّ تكون ترابًا، ويبقى الجنّ والإنس هم المكلّفون، فريقٌ في الجنّة، وفريقٌ في السّعير.

فينبغي للمؤمن وينبغي للعاقل أن يكون على باله هذا اليوم العظيم، وألّا يغفل عنه؛ ليعدّ له عدّته، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

• س: أحسن الله إليك، سمّاها هنا نفخة، قال: «بعد النّفخة الآخرة»، سمّاها نفخة، ليست صعقةً، «إنّي أوّل من يرفع رأسه بعد النّفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى»(١)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا قال الشّارح عليها؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٥٥٣)]: «قوله: «**إنّي من أوّل من يرفع رأسه**»: تقدّم شرحه مستوفًى في ترجمة موسى من أحاديث الأنبياء.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ...﴾ برقم (٤٨١٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام برقم (٢٣٧٣).

قوله: «**أم بعد النَّفْخَة**»: نقل ابن التّين عن الدّاوديّ أنّ هذه اللّفظة وهمٌ، واستند إلى أنّ موسى ميّتٌ مقبورٌ؛ فيبعث بعد النّفخة، فكيف يكون مستثنًى؟ وقد تقدّم بيان وجه الرّدّ عليه في هذا بما يغني عن إعادته ولله الحمد». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرّسول ﷺ هو أوّل من يبعث من النّاس، وهذه صعقةٌ أخرى كما ظاهر النّصوص، إذا جمعت تقتضي أنّها صعقةٌ أخرى في الموقف. راجع كلامه الّذي مضى، إن كان موجودًا، مضى في ترجمة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

● **س: قوله: أحسن الله إليك: «بعدَ النَّفْخَة الآخِرَة»، والصواب الآخرة، هذا ما فيه الرد على من قال: إنها ثلاث نفخاتٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

النّفخة هذه خاصة والنّاس في الموقف الّتي فيها: «**فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَة مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ**»(١). هذه نفخة غير النّفختين، هذه والنّاس موجودون.

(**من السّائل**): نفخة أو صعقةٌ، أحسن الله إليك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذكر بعضهم، ذكر أنّه جاء في بعض الرّوايات أنّها عند مجيء الله لفصل القضاء، يصعق النّاس، عند مجيء الله للفصل يصعق النّاس هذه الصّعقة، الّتي فيها أنّه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ أوّل من يفيق، فإذا هو بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ باطشٌ بقائمة العرش.

(**من السّائل**): لكن أحسن الله إليك، الّتي في موقف القيامة ما فيها نفخٌ يعني صعقة، صعقٌ بدون نفخٍ في الصّور؟

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ برقم (٣٣٩٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى برقم (٢٣٧٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لا، لا، ما فيه شيءٌ، يفزع النّاس عند مجيء الله لفصل القضاء.

(من السّائل): هنا أحسن الله إليك، ظاهر الحديث أنّه نفخٌ، النّفخة الآخرة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

على كلّ حالٍ قد يكون بعض الرّواة تصرّف ويهم في بعض الكلمات. راجع كلامه في أحاديث الأنبياء، موجودٌ؟ أحاديث الأنبياء ماذا يقول؟

[قال الإمام العينيّ رحمه الله في «عمدة القاري» (١٩/١٤٦)]: «قوله: «**بعد النَّفْخَة الآخِرَة**»: وهي نفخة الإحياء، والنّفخة الأولى نفخة الإماتة.

قوله: «**فَلَا أَدْرِي أَكَذَلِكَ كَانَ**»؛ أي: أنّه لم يمت عند النّفخة الأولى واكتفى بصعقة الطّور، أم أحيي بعد النّفخة الثّانية قبلي وتعلق بالعرش؟ هكذا فسّره الكرمانيّ.

والتّحقيق في هذا الموضع أن يقال: إنّ حديث أبي هريرة الّذي مضى في الإشخاص أن النّاس يصعقون يوم القيامة؛ فيصعق معهم النّبيّ ﷺ، فيكون النّبيّ أول من يفيق، فإذا أفاق يرى موسى عليه السلام، متعلقًا بالعرش ولا يدري أنّه كان فيمن صعق فأفاق قبله ﷺ أو كان ممّن استثنى الله عز وجل، وهذا الّذي ذكرناه مضمون ذلك الحديث الّذي أخرجه في الإشخاص[1]، وفي أحاديث الأنبياء عليهم السلام». [انتهى كلامه].

• **س: تكون ثلاث نفخاتٍ، الله يبارك فيك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هي نفختان فقط، نفخة البعث، نفخة الموت ونفخة البعث، لكن

---

(١) البخاري (بَاب مَا يُذْكَرُ فِي الْإِشْخَاصِ وَالْخُصُومَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْيَهُودِ)، حديث رقم (٢٤١١).

هذه خاصّةٌ للنّاس يوم القيامة، صعقًا يصعقون، يفزعون عند مجيء الله لفصل القضاء، والنّاس قد بعثوا ووجدوا على وجه الأرض.

• **س: من يقول: إنّ الشّهداء ليسوا ممن استثناهم الله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، الله أعلم، الله ما بيّنهم قال: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧]، الله أعلم.

• **س: أحسن الله إليك، كون موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **آخذًا بقوائم العرش هل يدلّ أنّ أرض القيامة تكون فوق السّماء السّابعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، الظّاهر أنّ العرش يوضع في الأرض لفصل القضاء.

(**من الطّالب**): الفتح، أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: راجع أحاديث الأنبياء في «فتح الباري»؟

(**من الطّالب**): هذا موجود، أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٦/ ٤٤٤)]: «قوله: «**فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ**»: في رواية إبراهيم بن سعدٍ: «**فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُصْعَقُ مَعَهُمْ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ**». لم يبيّن في رواية الزّهريّ من الطّريقين محلّ الإفاقة من أيّ الصّعقتين، ووقع في رواية عبد الله بن الفضل: «**فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ**». وَفِي رواية الكشميهنيّ: «**أَوَّلُ مَنْ يُبْعَثُ**».

والمراد بالصّعق غشيٌ يلحق من سمع صوتًا أو رأى شيئًا يفزع منه، وهذه الرّواية ظاهرةٌ في أنّ الإفاقة بعد النّفخة الثّانية، وأصرح من ذلك

رواية الشّعبيّ عن أبي هريرة في تفسير الزّمر بلفظ: «**إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رأْسَه بَعْدَ النَّفْخَةِ الْأَخِيرَةِ**».

وأمّا ما وقع في حديث أبي سعيد: «**فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ**». كذا وقع بهذا اللّفظ في كتاب الإشخاص، ووقع في غيرها فأكون أوّل من يفيق. وقد استشكل وجزم المزي فيما نقله عنه ابن القيّم في كتاب «الرّوح» أنّ هذا اللّفظ وهمٌ من راويه، وأنّ الصّواب ما وقع في رواية غيره: «**فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ**»، وَأَنَّ كَوْنَهُ ﷺ: «**أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ**». صحيحٌ، لكنّه في حديثٍ آخر ليس فيه قصّة موسى. انتهى». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني أنّها نفخة غير نفخة البعث، أوّل من يبعث، هذه النّفخة الثّانية، وليس في قصّة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ممّن يبعث يوم القيامة من النّاس، والرّسول ﷺ هو أوّل من يبعث، وأمّا الصّعقة الّتي فيها أنّه رأى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخذًا بقائمة العرش، فهذه صعقةٌ آخرةٌ ثالثةٌ في الموقف، بعد ما بعث الناس وقاموا بين يديّ الجبّار.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٦/ ٤٤٤)]: «ويمكن الجمع بأنّ النّفخة الأولى يعقبها الصّعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم، وهو الفزع كما وقع في سورة النّمل: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧] ثمّ يعقب ذلك الفزع للموتى زيادةً فيما هم فيه، وللأحياء موتًا، ثمّ ينفخ الثّانية للبعث فيفيقون أجمعين، فمن كان مقبورًا انشقّت عنه الأرض فخرج من قبره، ومن ليس بمقبورٍ لا يحتاج إلى ذلك.

وقد ثبت أنّ موسى ممّن قبر في الحياة الدّنيا؛ ففي «صحيح مسلم» عن أنسٍ أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**». أخرجه عقب حديث أبي هريرة وأبي سعيدٍ المذكورين، ولعلّه أشار بذلك إلى ما قرّرته.

وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع أنّ الموتى لا إحساس لهم. فقيل: المراد: أنّ الّذين يصعقون هم الأحياء، وأمّا الموتى فهم في الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾، أي: إلّا من سبق له الموت قبل ذلك؛ فإنّه لا يصعق. وإلى هذا جنح القرطبيّ.

ولا يعارضه ما ورد في هذا الحديث: أنّ موسى ممّن استثنى الله؛ لأنّ الأنبياء أحياءٌ عند الله وإن كانوا في صورة الأموات بالنّسبة إلى أهل الدّنيا، وقد ثبت ذلك للشّهداء، ولا شكّ أنّ الأنبياء أرفع رتبةً من الشّهداء، وورد التّصريح بأنّ الشّهداء ممّن استثنى الله. أخرجه إسحاق بن راهويه وأبو يعلى من طريق زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة.

وقال عياضٌ: يحتمل أن يكون المراد صعقة فزعٍ بعد البعث حين تنشقّ السّماء والأرض. وتعقّبه القرطبيّ بأنّه صرّح ﷺ بأنّه حين يخرج من قبره يلقى موسى وهو متعلّقٌ بالعرش، وهذا إنّما هو عند نفخة البعث. انتهى.

ويردّه قوله صريحًا كما تقدّم: «**إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ فَأُصْعَقُ مَعَهُمْ**...» إلى آخر ما تقدّم.

قال: ويؤيّده أنّه عبّر بقوله: أفاق؛ لأنّه إنّما يقال: أفاق من الغشي وبعث من الموت، وكذا عبّر عن صعقة الطّور بالإفاقة؛ لأنّها لم تكن موتًا بلا شكٍّ.

وإذا تقرّر ذلك كلّه ظهر صحّة الحمل على أنّها غشيةٌ تحصل للنّاس في الموقف». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: غير النّفختين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا حاصل كلامه وتعقّبه.

قوله: «**فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ**»: لم تختلف الرّوايات في «الصّحيحين» في إطلاق الأوّليّة، ووقع في رواية إبراهيم بن سعدٍ عند

أحمد والنّسائيّ: «**فَأَكُونُ فِي أَوَّلِ مَنْ يُفِيقُ**»، أخرجه أحمد عن أبي كاملٍ، والنّسائيّ من طريق يونس بن محمّد كلاهما عن إبراهيم؛ فعرف أنّ إطلاق الأوّليّة في غيرها محمولٌ عليها، وسببه التّردّد في موسى عليه السلام كما سيأتي، وعلى هذا يحمل سائر ما ورد في هذا الباب كحديث أنسٍ عند مسلمٍ رفعَه: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ**»، وحديث عبد الله بن سلامٍ عند الطّبرانيّ.

قوله: «**فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ**»؛ أي: آخذٌ بشيءٍ من العرش بقوّةٍ. والبطش: الأخذ بقوّةٍ، وفي رواية ابن الفضل: «**فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ**»، وفي حديث أبي سعيدٍ: «**آخِذٌ بِقَائِمَة مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ**»، وكذا في رواية محمّد بن عمرٍو عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

قوله: «**فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ صُعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ**»؛ أي: فلم يكن ممّن صعق؛ أي: فإن كان أفاق قبلي، فهي فضيلةٌ ظاهرةٌ وإن كان ممّن استثنى الله، فلم يصعق فهي فضيلةٌ أيضًا.

ووقع في حديث أبي سعيدٍ: «**فَلَا أَدْرِي كَانَ فِيمَنْ صُعِقَ**»؛ أي: فأفاق قبلي «**أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ الْأُولَى**»؛ أي: الّتي صعقها لمّا سأل الرّؤية.

وبيّن ذلك ابن الفضل في روايته بلفظ: «**أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ**». وَالْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: «**أَوْ كَانَ مِمَّن اسْتَثْنى الله**» أن في رواية ابن الفضل وحديث أبي سعيدٍ بيان السّبب في استثنائه، وهو أنّه حوسب بصعقته يوم الطّور؛ فلم يكلّف بصعقةٍ أخرى. والمراد بقوله: ممّن استثنى الله قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾.

وأغرب الدّاوديّ الشّارح فقال: معنى قوله: «**اسْتَثْنَى اللهُ**»؛ أي: جعله ثانيًا. كذا قال وهو غلطٌ شنيعٌ.

وقد وقع في مرسل الحسن في كتاب «البعث» لابن أبي الدّنيا في هذا الحديث: «**فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ أَنْ لَا تُصِيبَهُ النَّفْخَةُ أَوْ**

بُعِثَ قبلي». وزعم ابن القيّم في كتاب «الرّوح» أنّ هذه الرّواية وهو قوله: «**أَكَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ**» وهمٌ من بعض الرّواة، والمحفوظ أو جوزي بصعقة الطّور. قال: لأنّ الّذين استثنى الله قد ماتوا من صعقة النّفخة لا من الصّعقة الأخرى؛ فظنّ بعض الرّواة أنّ هذه صعقة النّفخة، وأنّ موسى داخلٌ فيمن استثنى الله.

قال: وهذا لا يلتئم على سياق الحديث؛ فإن الإقامة حينئذٍ هي إفاقة البعث، فلا يحسن التّردّد فيها، وأمّا الصّعقة العامّة فإنّها تقع إذا جمعهم الله تعالى لفصل القضاء؛ فيصعق الخلق حينئذٍ جميعًا إلّا من شاء الله، ووقع التّردّد في موسى عليه السلام.

قال: ويدلّ على ذلك قوله: «**وَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ**» وهذا دالٌّ على أنّه ممّن صعق وتردّد في موسى هل صعق فأفاق قبله أم لم يصعق؟

قال: ولو كان المراد الصّعقة الأولى للزم أن يكون النّبيّ ﷺ جزم بأنّه مات، وتردّد في موسى هل مات أم لا؟ والواقع أنّ موسى قد كان مات لما تقدّم من الأدلّة؛ فدلّ على أنّها صعقة فزعٍ لا صعقة موتٍ، والله أعلم». [انتهى كلامه].

*

حدّثني الحسن، حدّثنا إسماعيل بن خليلٍ، أخبرنا عبد الرّحيم عن زكريّاء بن أبي زائدة، عن عامرٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ قال: «**إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الآخِرَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي، أَكَذَلِكَ كَانَ، أَمْ بَعْدَ النَّفْخَةِ؟**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وأنّه يرفع رأسه يعني من القبر، وهو أوّل من ينشقّ عنه القبر يوم

(١) سبق تخريجه في (ص١٦٠).

القيامة ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، ويخرج من الأرض ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وهو أوّل شافعٍ وأوّل مشفَّعٍ، اللّهمّ صلّ على محمّد وسلّم.

والرّواية هذه جاء فيها معنى آخر، وهو أن النّاس يصعقون يوم القيامة غير صعق البعث، صعقةٌ أخرى وهم أحياءٌ عند مجيء الرّبّ لفصل القضاء؛ فيصعقون فيكون أوّل من يفيق هو النّبيّ ﷺ؛ فيجد موسى عليه السلام آخذًا بقائمة العرش.

وهذا هو الأرجح كما قال ابن القيّم رحمه الله وغيره: أنّ المراد هنا صعقة الفزع عند مجيء الرّبّ عز وجل، غير صعقة البعث، صعقة البعث يخرجون من قبورهم، ويقال لها: نفخة، قال فيها النّبيّ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وهو أوّل من يخرج، وهو أوّل من يفيق عند صعقة الفزع الّتي تصيبهم وهم وقوفٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: تكلّم الشّارح على السند؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٥٥٢)]: «قوله: حدّثني الحسن، كذا في جميع الرّوايات غير منسوبٍ؛ فجزم أبو حاتمٍ سهل بن السّريّ الحافظ فيما نقله الكلاباذيّ بأنّه الحسن بن شجاعٍ البلخيّ الحافظ، وهو أصغر من البخاريّ، لكن مات قبله، وهو معدودٌ من الحفّاظ.

ووقع في المصافحة للبرقانيّ أنّ البخاريّ قال في هذا الحديث: حدّثنا الحسين. بضمّ أوّله مصغّرٌ، ونقل عن الحاكم أنّه الحسين بن محمّد القبّانيّ. فالله أعلم.

وإسماعيل بن الخليل شيخه من أوساط شيوخ البخاريّ، وقد نزل البخاريّ في هذا الإسناد درجتين؛ لأنّه يروى عن واحدٍ عن زكريّا بن أبي زائدة، وهنا بينهما ثلاثة أنفسٍ.

قوله: (**أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ**): هو ابن سليمان، وعامرٌ: هو الشّعبيّ.

قوله: (**إِنِّي مِنْ أَوَّلِ مَنْ يَرْفَعُ رأْسَه**): تقدّم شرحه مستوفًى في ترجمة موسى من أحاديث الأنبياء.

قوله: (**أم بعد النفخة**): نقل ابن التّين عن الدّاوديّ أنّ هذه اللّفظة وهمٌ، واستند إلى أنّ موسى ميّتٌ مقبورٌ، فيبعث بعد النّفخة، فكيف يكون مستثنًى؟ وقد تقدّم بيان وجه الرّدّ عليه في هذا بما يغني عن إعادته ولله الحمد». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ وشيخ الإسلام ذكروا أنّ الرّوايتين وقع فيهما شيءٌ من الاختلاف والالتباس على بعض الرّواة، فاشتبهت عليهم صعقة الفزع يوم القيامة بصعقة البعث، ودخل بعضها في بعضٍ، دخلت بعض الكلمات في بعضٍ؛ فصعقة البعث هذه ما فيها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ باطشٌ، لا. هو أوّل من يبعث هو محمّد ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، قبل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيره.

أمّا الّتي فيها أنّه لمّا رفع رأسه وجد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ باطشًا بقائمة العرش هذه في الصّعقة الّتي وقعت وهم في القيامة، وهم موجودون بعد بعثهم ونشورهم، قال: «**فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»[1]، قال: «أفاق» وهنا قال: «يرفع رأسه» وهذه تليق بمسألة الّذين صعقوا وسقطوا، ثمّ رفعوا رؤوسهم، بخلاف البعث؛ فإنّه قال في أوّل من يبعث: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَم يَوْم القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ**».

فهما صعقتان: صعقة البعث، هذه هو أوّل من يبعث فيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصّعقة الثّانية وهم موجودون في القيامة في المحشر عند مجيء الرّبّ لفصل القضاء، يصعق النّاس فيكون محمّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوّل من يفيق؛ فيجد

---

(١) سبق تخريجه (ص١٥٩).

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ باطشًا بقائمة العرش، قال: «**فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أم جُوزِي بصعقَةِ الطُّورِ الَّتِي سَبَقتْ لَهُ فِي الدُّنْيَا**». لعلّه ذكر هذا فيما تقدّم في ترجمة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: العينيّ تكلّم وأم قال: تقدّم؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ١٤٥)]: «قوله: (**بعد النَّفْخَة الآخِرَة**): وهي نفخة الإحياء، والنّفخة الأولى نفخة الإماتة.

قوله: (**فَلَا أَدْرِي أَكَذَلِكَ كَانَ**): أي: أنّه لم يمت عند النّفخة الأولى واكتفى بصعقة الطّور، أم أحيي بعد النّفخة الثّانية قبلي وتعلق بالعرش؟ هكذا فسّره الكرمانيّ.

والتّحقيق في هذا الموضع أن يقال: إنّ حديث أبي هريرة الّذي مضى في الإشخاص أن النّاس يصعقون يوم القيامة، فيصعق معهم النّبيّ ﷺ، فيكون النّبيّ أول من يفيق، فإذا أفاق يرى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، متعلقًا بالعرش ولا يدري أنّه كان فيمن صعق فأفاق قبله ﷺ أو كان ممّن استثنى الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الّذي ذكرناه مضمون ذلك الحديث الّذي أخرجه في الإشخاص، وفي أحاديث الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو الصّواب، أقول: هذا هو الصّواب، أن هذا في صعقة القيامة والنّاس موجودون.

• **س: تسمّى الفزع، عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كأنّ الصّعق أقرب، ما له فزعٌ.

• **س: الشّيخ ناصرٌ وَهَّم الشيخ ابن القيّم وشيخ الإسلام في هذا، وأثبت أنّها مستثنى من نفخة البعث في التّعليق على «شرح الطّحاويّة»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا غلطٌ، ليس بصوابٍ، هو الغالط وهم المصيبون.

• **س: أحسن الله عملك، الاستثناء في الآية الكريمة يفهم من الحديث أنّ آخر من يموت عزرائيل ﷺ، ثمّ تقوم القيامة، وهنا استثنى في الآية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الله أعلم، قيل: الشّهداء، وقيل أشياء أخرى. الله أعلم.

(**من الطّالب**): الحسن[1] ذكر ثلاثًا عندنا في العينيّ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا قال؟

[قال الإمام العينيّ رحمه الله في «عمدة القاري» (١٩/ ١٤٥)]: «والحسن، كذا وقع غير منسوب في جميع الرّوايات، وذكر في كتاب «رجال الصّحيحين»: كان سهل بن السّري الحافظ يقول: إنّه الحسن بن شجاع أبو عليّ الحافظ البلخي، فإن كان هو فإنّه مات يوم الاثنين النّصف من شوّال سنة أربع وأربعين ومائتين، وهو ابن تسعٍ وأربعين.

قلت: فعلى هذا هو أصغر من البخاريّ ومات قبله، وكان سهل بن السّري أيضًا يقول: إنّه الحسن بن محمّد الزّعفراني عندي.

قلت: الحسن بن محمّد بن الصّباح أبو عليّ الزّعفراني، روى عنه البخاريّ في غير موضعٍ، مات يوم الاثنين لثمانٍ بقين من رمضان سنة ستّين ومائتين». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: بعد البخاريّ بأربع سنين، اللّهمّ اغفر له.

[قال الإمام العينيّ رحمه الله]: «ووقع في كتاب البرقاني أن البخاريّ قال، هذا في حديث: حدثنا الحسين. بضم أوله مصغرًا، ونقل عن الحاكم أنّه الحسين بن محمّد القباني». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: انظر الحسن بن شجاع؟

---

(١) أي: الحسن شيخ البخاري الذي ورد في السند.

[قال الحافظ رحمه الله في «التّقريب» (١٢٤٨)]: «الحسن بن شجاع بن رجاء البلخيّ، أبو عليٍّ، أحد الحفّاظ، من الحادية عشرة، مات سنة أربعٍ وأربعين وله تسع وأربعون سنةً ت».

قال ابن بازٍ رحمه الله: يحسن هنا أن يقال: وروى البخاريّ عن الحسن غير منسوبٍ في تفسير سورة الزّمر في آخر سورة الزّمر، وذكر بعضهم أنّه الحسن بن شجاعٍ، من باب الإشارة.

● **س: عفاً الله عنك، الصّعق هو الموت أو إفاقةٌ عند البعث؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الصّعق صعقان: صعق موتٍ، وصعق بعثٍ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، هذا صعق الموت، ثمّ الصّعق الثّاني صعق البعث، وهناك صعق ثالثٌ وهو الغشي ليس بموت.

● **س: والفزع الّذي قبل الموت متّصلٌ به الفزع الّذي في آخر الدّنيا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الظّاهر أنّه فزعٌ مصحوبٌ بالموت متّصلٌ به الموت؛ لأنّ الثّابت المحفوظ صعقتان، أمّا على قول من قال: إنّها ثلاثٌ تجعل الأولى فزعًا ما فيها موتٌ، ثمّ تليها الثّانية، صعقة الموت، ثمّ الثّالثة صعقة البعث.

ولكن الثّلاث ما فيها حديثٌ ثابتٌ، فيها حديث الصّور، وحديث الصّور من طريق إسماعيل بن رافعٍ الأنصاريّ، وهو ضعيفٌ، ولم يذكروا أنّه رواه أحدٌ ثقةٌ، النّفخة الثّالثة هذه.

والذي في القرآن ما فيه إلّا نفختان، آية النّمل نفختان ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، لكن ما فيه صعقتان بعدها، وفي سورة الزّمر صعقتان، فسّرتها سورة الزّمر.

فلم يحفظ إلّا صعقتان، هذا المحفوظ في القرآن وفي السّنّة.

• **س: القول بأنّها ثلاثٌ ما يكون موالاة بينهما، متّصلةٌ، تكون بعد نفخة الفزع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على القول بالثّلاث؛ تكون نفخة الفزع متقدّمةً قبل صعقة الموت.

(السّائل): تكون فاصلةً يعني؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فاصلةٌ نعم، لكن الرّوايات الصّحيحة تدلّ على أنّ نفخة الموت طويلةٌ، فأوّلها فزعٌ وآخرها موتٌ، فينفخ إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصّور، فيمدّها حتّى أوّل من يسمعها يصغي ليتًا ويرفع ليتًا هكذا، اللّيت هكذا لصعقة الموت يكون هكذا وهكذا، ما هذا الصّوت؟ مرةً بعد مرةٍ، ما هذا الصّوت؟ فلا يزال يصغي ليتًا ويرفع ليتًا حتّى يشتدّ الصّوت ويعظم الصّوت؛ فإذا عظم الصّوت مات النّاس، حتّى إنّه يصعق النّاس قال: «والرّجل في يده الفسيلة يريد أن يغرسها؛ فلا يستطيع أن يغرسها، ويصعق النّاس، والرّجل في يده اللّقمة لا يستطيع أن يوصلها إلى فمه، ويصعق النّاس، والرجلان يتبايعان الثّوب لا يستطيعان أن يردّاه، ويصعق النّاس، والرّجل يلوط حوض إبله؛ فلا يستطيع أن يسقيها»؛ يموت قبل ذلك.

• **س: لعل هذا فيه جمع بين هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه نفخةٌ طويلةٌ، نفخة الصّعق الّتي هي الفزع تسمّى فزعًا، وتسمّى صعقًا، هذه نفخةٌ طويلةٌ، أوّلها فزعٌ وآخرها موتٌ.

• **س: حديث الصّور ضعيفٌ، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: حديث الصّور ضعيفٌ نعم؛ لأنّه من جهة إسماعيل بن رافع، انفرد به، وهو عندهم ضعيفٌ لا يحتجّ به.

• **س: الصّعقة الأولى يسمعها الأموات يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أعلم.

● س: **المراد بالفزع الأكبر** ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الظّاهر ـ والله أعلم ـ هو الصّعق؛ لأنّهم قد ماتوا قبل ذلك؛ لأنّ الأخيار كلّهم ماتوا قبل قيام السّاعة، ولا تقوم السّاعة إلا على الأشرار.

وثبت في الأحاديث الصّحيحة أنّ الله يرسل ريحًا طيبةً في آخر الزّمان، بعد وجود أشراط السّاعة المعروفة؛ فتقبض روح كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ؛ فلا يبقى إلّا الأشرار فعليهم تقوم السّاعة. نسأل الله العافية.

فالأقرب ـ والله أعلم ـ أنّ الفزع الأكبر هو نفخة الفزع، نفخة الموت؛ لأنّ النّاس يفزعون فزعًا عظيمًا.

● س: **يعني يموتون قبل ذلك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قبل ذلك نعم.

● س: **الصّعقة الأولى من جبرائيل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو مَلَك الصّور.

*

حدّثنا عمر بن حفصٍ، حدّثنا أبي قال: حدّثنا الأعمش، قال: سمعت أبا صالحٍ قال: سمعت أبا هريرة عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ[(١)].

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النّبإ: ١٨] برقم (٤٩٣٥)، ومسلم في كتاب الفتن، باب ما بين النفختين برقم (٢٩٥٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعنى (**أبيت**): يعني: لا أدري، معنى «أبيت»: يعني: لا أدري، بين نفخة الصّعق ونفخة البعث أربعون بينهما، ثمّ يبعث النّاس ويبلى كلّ شيءٍ من الإنسان إلّا عجب ذنبه، عُظَيم يسمّونه العصعص في آخر الظّهر، هذا منه يركّب الإنسان. الله أكبر.

ماذا قال الشّارح على الأخير هذا؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٥٢)]: «قوله: (**ما بين النفختين**): تقدم في أحاديث الأنبياء الردّ على من زعم أنّها أربع نفخاتٍ، وحديث الباب يؤيّد الصّواب».[انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: الصّواب أنّها نفختان، وهذا يبيّن أنّ ما في حديث الصّور غير ثابتٍ.

- **س: حديث الصّور فيه أنّها أربعٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ثلاثٌ.

- **س: من أخرجه؟ ما أخرجه البخاريّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، لا، أخرجه أظنّ أحمد، وأبو داود، بعض أهل السّنّة وأحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

- **س: أحسن الله إليك، الفزع الأكبر ما هو مقصودٌ به المحشر يوم القيامة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، الأقرب ـ والله أعلم ـ أنّهم لا يحسّون بالفزع الأكبر الّذي يقع عند نفخ الصّور وموت النّاس.

ويحتمل أنّه ما يحصل للنّاس من فزعٍ شديدٍ وخوفٍ؛ يعني: أنواع الفزع الّتي تقع للنّاس هذه تعمّها الآية، فهم لا يصيبهم شيءٌ ممّا يضرّهم، أهل الإيمان والتّقوى، وقد سبقت لهم من الله الحسنى، لا يضرّهم شيءٌ، لا في القيامة، ولا عند الفزع عند النّفخة.

ولهذا قال بعدها: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

• **س: لكن إسرافيل عليه السلام ورد تسميته في حديثٍ صحيحٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: جاء في بعض الرّوايات ما أعرف صحّتها. لكن ما فيه (إيل) فهو عبد الله (إسرافيل وميكائيل وجبرائيل) كلّه عبد الله، جاء عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما وغيره.

• **س: ما فيه حديثٌ: «اللّهمّ ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل...»[(١)]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بلى، لكن معنى جبرائيل عليه السلام جاء في بعض الرّوايات عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: معنى جبرائيل: عبد الله، وهكذا ميكائيل وإسرافيل.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٥٥٢)]: «قوله: (**أربعون**) قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟: لم أقف على اسم السّائل.

قوله: (**أبيت**): بموحّدةٍ؛ أي: امتنعت عن القول بتعيين ذلك؛ لأنّه ليس عندي في ذلك توقيفٌ. ولابن مردويه من طريق أبي بكر بن عيّاشٍ عن الأعمش في هذا الحديث فقال: «أعييت»: من الإعياء وهو التّعب، وكأنّه أشار إلى كثرة من يسأله عن تبيين ذلك فلا يجيبه.

وزعم بعض الشّرّاح أنّه وقع عند مسلمٍ: «أربعين سنةً» ولا وجود لذلك، نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصّلت عن الأعمش في هذا الإسناد: (**أَرْبَعُونَ سَنَةً**). وهو شاذ، ومن وجه ضعيف عن ابن عبّاسٍ قال: «ما بين النّفخة والنّفخة أربعون سنةً»، ذكره في أواخر سورة ص.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الصلاة، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح برقم (٧٧٠).

وكأنّ أبا هريرة لم يسمعها إلّا مجملةً؛ فلهذا قال لمن عيّنها له: (**أبيت**)، وقد أخرج ابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبي هريرة قال: (**بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**) قالوا: أربعون ماذا؟ قال: «هكذا سمعت».

وقال ابن التّين: ويحتمل أيضًا أن يكون علم ذلك لكن سكت ليخبرهم في وقتٍ، أو اشتغل عن الإعلام حينئذٍ. ووقع في «جامع ابن وهبٍ»: «أربعين جمعةً». وسنده منقطعٌ.

قوله: (**وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ**). في رواية مسلمٍ: «**لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا...**» الحديث.

وأفرد هذا القدر من طريق أبي الزّناد عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ: «**كل ابن آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ**». وله من طريق همّام عن أبي هريرة قال: «**إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قالوا: أيّ عظمٍ هو؟ قال: «**عَجْبُ الذَّنَبِ**».

وفي حديث أبي سعيدٍ عند الحاكم وأبي يعلى قيل: يا رسول الله، ما عجب الذّنب؟ قال: «**مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ**». والعجب ـ بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحّدةٌ ـ ويقال له: عجمٌ بالميم أيضًا عوض الباء، وهو عظمٌ لطيفٌ في أصل الصّلب، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذّنب من ذوات الأربع.

وفي حديث أبي سعيدٍ الخدريّ عند ابن أبي الدّنيا، وأبي داود، والحاكم مرفوعًا: «**إِنَّهُ مثل حَبَّة الْخَرْدَل**». قال ابن الجوزيّ: قال ابن عقيلٍ: لله في هذا سرٌّ لا يعلمه إلّا الله؛ لأنّ من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيءٍ يبني عليه.

ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامةً للملائكة على إحياء كلّ إنسانٍ

بجوهره، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلّا بإبقاء عظم كلّ شخصٍ؛ ليعلم أنّه إنّما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان الّتي هي جزءٌ منها، ولولا إبقاء شيءٍ منها لجوّزت الملائكة أنّ الإعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الأجساد.

وقوله في الحديث: (**وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ**): يحتمل أن يريد به يفنى؛ أي: تعدم أجزاؤه بالكلّيّة. ويحتمل: أن يراد به يستحيل فتزول صورته المعهودة؛ فيصير على صفة جسم التّراب، ثمّ يعاد إذا ركّبت إلى ما عهد.

وزعم بعض الشّرّاح أنّ المراد أنّه لا يبلى؛ أي: يطول بقاؤه، لا أنّه لا يفنى أصلًا، والحكمة فيه أنّه قاعدة بدء الإنسان وأسّه الّذي ينبني عليه، فهو أصلب من الجميع كقاعدة الجدار، وإذا كان أصلب كان أدوم بقاءً. وهذا مردودٌ؛ لأنّه خلاف الظّاهر بغير دليلٍ.

وقال العلماء: هذا عامٌّ يخصّ منه الأنبياء؛ لأن الأرض لا تأكل أجسادهم؛ وألحق ابن عبد البرّ بهم الشّهداء، والقرطبيّ: المؤذّن المحتسب.

قال عياض: فتأويل الخبر: وهو كل ابن آدم يأكله التّراب؛ أي: كل ابن آدم ممّا يأكله التّراب، وإن كان التّراب لا يأكل أجسادًا كثيرةً كالأنبياء.

قوله: (**إِلَّا عَجْبُ ذَنَبِهِ**): أخذ بظاهره الجمهور؛ فقالوا: لا يبلى عجب الذّنب ولا يأكله التّراب. وخالف المزنيّ فقال: «إلّا» هنا بمعنى الواو؛ أي: وعجب الذّنب أيضًا يبلى. وقد أثبت هذا المعنى الفرّاء والأخفش فقالوا: ترد إلّا بمعنى الواو.

ويردّ ما انفرد به المزنيّ التّصريح بأنّ الأرض لا تأكله أبدًا؛ كما ذكرته من رواية همّامٍ، وقوله في رواية الأعرج: «منه خلق» يقتضي أنّه أوّل كلّ شيءٍ يخلق من الآدميّ. ولا يعارضه حديث سلمان: «**أَنَّ أَوَّلَ مَا**

خُلِقَ مِنْ آدَمَ رَأْسُهُ»؛ لأنّه يجمع بينهما بأنّ هذا في حقّ آدم وذاك في حقّ بنيه، أو المراد بقول سلمان: نفخ الرّوح في آدم لا خلق جسده». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: العينيّ عندك شيء يخالف هذا؟

○ **الجواب**: (من الطالب) لا ما فيه شيءٌ.

● **س: أحسن الله إليك، ابن عبد البرّ والقرطبي معهم دليلٌ في الاستثناء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أعرف شيئًا ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ما يلزم منه بقاء أجسادهم، أحياءٌ أرواحهم عند ربّهم، ما يلزم من هذا بقاء الأجساد.

● **س: والمؤذّن كذلك؟**

○ **الجواب**: كذلك ما أعرف له أصلًا معتمدًا.

● **س: اجتهادٌ يعني هذا عن اجتهادٍ؟**

○ **الجواب**: لا، يمكن أنّهم وقفوا على شيءٍ ضعيفٍ، أو تأويل ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. قوله: ﴿أَحْيَآءٌ﴾ هذه أرواحهم.

*

□ تفسير (الواو) في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣](١).

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ(٢). وفقه الله لكل خير آمين.

---

(١) مجموع الفتاوى، د. الشويعر (٤٢٨/١).

(٢) رسالة من سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جوابية عندما كان نائبًا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٨هـ.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

يا محب، كتابكم الكريم المؤرخ في ٢/ ١/ ١٣٨٨هـ وصلَ وصلكم الله بهداه، وما تضمنه من الإشارة إلى تضعيف قول من قال: إن الواو في قوله تعالى في سورة الزمر في حق أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]. هي واو الثمانية، كان معلومًا، وأفيد فضيلتكم أنما ذكرتموه هو الصواب، وقد نبَّهت على ذلك حين كلامي على الآية، وذكرت أن العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ضعَّف هذا القول، كما ضعَّفه العلامة ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، ورجَّحا جميعًا أنها واو العطف، ولكن لعل فضيلتكم لم ينتبه لهذا الشيء، والأمر واضح جدًّا، وليس للقول بأنها واو الثمانية وجه، لا من جهة الشرع ولا من جهة اللغة، وأما قول بعض المفسِّرين كصاحب روح المعاني: إنها واو الحال فليس بجيد، والصواب ما تقدم، وهو أنها «واو العطف» والجواب محذوف بعد قوله: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ وتقديره والله أعلم: فرحوا بذلك وسُرُّوا به، وقالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إلخ، وقد بسط العلَّامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الكلام في هذا الأمر، في كتابه «حادي الأرواح» عند كلامه على أبواب الجنة، وإليكم نسخة من الكتاب المذكور للاطلاع عليه.

وإني لأشكر فضيلتكم على تنبيهكم واهتمامكم بالعلم، والأخذ بالراجح في مواطن الخلاف، زادني الله وإياكم وسائر الإخوان من العلم النافع، والعمل الصالح، إنه جواد كريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



تفسير آيات من سورة غافر(١)

قال مجاهد: مجازها مجاز أوائل السّور، ويقال: بل هو اسمٌ؛ لقول شريح بن أبي أوفى العبسيّ:

يذكّرني حاميم والرّمح شاجرٌ فهلّا تلا حاميم قبل التّقدّم

﴿ٱلطَّوْلِ﴾ [٣]: التَّفَضُّلُ، ﴿دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [٦٠]: خَاضِعِينَ، وقال مجاهدٌ: ﴿إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [٤١]: الْإِيمَانُ، ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ [٤٣]: يعني: الْوَثَنَ، ﴿يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ [٧٢]: تُوقَدُ بِهِمُ النَّارُ، ﴿تَمْرَحُونَ ۝٧٥﴾ [٧٥]: تَبْطَرُونَ، وَكَانَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ يُذَكِّرُ النَّارَ، فقال رجلٌ: لِمَ تُقَنِّط النَّاسَ؟ قَالَ: وَأَنَا أَقْدِرُ أَنْ أُقَنِّطَ النَّاسَ؟ وَاللهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، وَيَقُولُ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣﴾ [٤٣]، وَلَكِنَّكُمْ تُحِبُّونَ أَنْ تُبَشَّرُوا بِالْجَنَّةِ عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِكُمْ، وَإِنَّمَا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَمُنْذِرًا بِالنَّارِ مَنْ عَصَاهُ(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: **(وَكَانَ العَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ يُذَكِّرُ النَّار...)** إلخ: قد صدق العلاء، قد صدق في هذا؛ فإنّ الواجب التّبشير والتّحذير، التّبشير والإنذار، ولا

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) كذا في رواية أبي ذر الهروي، وهو الصواب.

يكون الوعظ دائمًا فيما يتعلّق بالرّجاء؛ فإنّ هذا يسبّب أيضًا الأمن، ولا دائمًا فيما يتعلّق بالوعيد؛ فإنّه قد يسبّب اليأس والقنوط من الجاهل، ولكن تارةً وتارةً، تارةً يبشّر، وتارةً ينذر، تارةً يذكر نصوص الرّجاء وتارةً يذكر نصوص الوعيد، حتّى يكون المؤمن على حذرٍ.

والمقصود من هذا: أنّ الواعظ المذكّر والمحذّر من النّار ليس من المقنّطين، وإنّما هو من المنذرين، والمحذّرين، والنّاصحين كما جاءت الرّسل، من وصف الرّسل: مبشّرين، ومنذرين. فهم يبشّرون من أطاع بالجنّة والسّعادة، وينذرون من عصى بالنّار والخيبة والنّدامة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال على العلاء بن زيادٍ؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٥٥)]: «وأبو العلاء هذا هو العلاء بن زياد». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أبو العلاء كذا؟

(**من الطّالب**): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يكنّى أبا العلاء وهو العلاء. في المتن قال: العلاء. كذا عندكم في النّسخ؟

(**من الطّلّاب**): (وكان العلاء).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، لعلّه «والعلاء هذا» راجع «التّقريب». عند الإخوان «والعلاء» بدل «أبو»، «والعلاء هذا هو العلاء بن زيادٍ» هذا المستقيم. العينيّ عندك؟

(**القارئ**): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ١٤٩)]: «العلاء بن زيادٍ، بكسر الزّاي وتخفيف الياء آخر الحروف، العدوي البصريّ التّابعيّ الزّاهد، قليل الحديث، وليس له في البخاريّ ذكر إلّا في هذا الموضع، مات قديمًا سنة أربع وتسعين». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما قال أبو العلاء، كلمة (أبو) زائدةٌ، سبقة قلمٍ من بعض النّساخ أو من الطّابع. راجع «التّقريب».

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٥٢٣٨)]: «العلاء بن زياد بن مطرٍ العدويّ أبو نصرٍ البصريّ، أحد العبّاد، ثقة من الرّابعة، مات سنة أربعٍ وتسعين. خت مد س ق».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أبو نصر هذه زيادةٌ. (أبو) تحذف، يشطب على (أبو) كلمة (أبو) اشطب عليها. (والعلاء هذا).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأبو العلاء هذا هو العلاء بن زيادٍ البصريّ، تابعيٌّ زاهدٌ قليل الحديث، وليس له في البخاريّ ذكرٌ إلّا في هذا الموضع، ومات قديمًا سنة أربع وتسعين.

ثمّ ذكر حديث عروة بن الزّبير: قلت: لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشدّ ما صنعه المشركون. وقد تقدّم شرحه في أوائل السّيرة النّبويّة». [انتهى كلامه].

• **س: استشهاده ـ أحسن الله إليك ـ بالبيت، استشهاد المؤلّف بالبيت: (يذكّرني حاميم والرّمح شاجرٌ...). يعني على أنّها اسمٌ؛ يعني: اسمها «حم»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود يذكّره ما في «حم»، «يذكّرني حاميم» يعني ما في «حم» من الوعظ والتّذكير. لأنّها في وقعة الجمل.

(من السّائل): يعني تسمّى حم؛ يعني: اسمها «حم»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سورة، سورة «حم»، «حم» المؤمن، «حم» فصلت، «حم» كذا،

الدّخان، حروفٌ، حروفٌ مقطعةٌ، يذكّره ما فيها يعني من الوعيد لمن قتل نفسًا بغير الحقّ.

● **س: أحسن الله إليك، ذكر أنّه كان شعار أتباع عليٍّ رضي الله عنه: «حم»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: محتملٌ، الأقرب ـ والله أعلم ـ أنّه تذكيرٌ ما فيها من الوعد والوعيد.

(من الطّالب): شيخ الله يثيبك: في نسخة **الشّرح**: وقال مجاهدٌ: حم مجازها مجاز، أوائل السور.

* *

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا الوليد بن مسلم، حدّثنا الأوزاعيّ، قال: حدّثني يحيى بن أبي كثيرٍ، قال: حدّثني محمّدٌ بن إبراهيم التّيميّ، قال: حدّثني عروة بن الزّبير، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشدّ ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [٢٨]»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، وهذا الخبيث قتل صبرًا يوم بدرٍ، قتل بين يديّ النّبيّ ﷺ صبرًا مع النّضر بن الحارث، وكان من أشدّ النّاس أذًى للنّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ. الله أكبر.

وهذا معروف من خبث عقبة وشدّة عداوته للنّبيّ ﷺ كما تقدّم، ولهذا لما ظفر به يوم بدرٍ في الأسرى أمر بقتله صبرًا؛ لشدّة أذاه وكفره.

وفي هذا صبره ﷺ، وعدم المنازعة والمقاومة، اللّهمّ صلّ عليه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة المؤمن برقم (٤٨١٥).

وسلّم؛ فإنّه لم يذكر أنّه ضربه أو تعدّى عليه بشيءٍ، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، كلّه من باب التّأليف.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨][1].

هذه الآية الكريمة تتعلق ببيان تحريم الظلم وسوء عاقبته، وأن الله ﷻ حرَّمه على نفسه وحرَّمه على عباده، قال تعالى: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨]، قال ﷻ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]» من حميم؛ يعني: من قريب لا قريب ولا شفيع يطاع؛ لظلمهم وعدوانهم على الله وعلى عباده، وأعظم الظلم الشرك بالله ﷻ هو أعظم الظلم، ثم ظلم المعاصي، ثم ظلم الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ،وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]. فهذا فيه الوعيد الشديد، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وقال ﷺ فيما رواه عنه نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول سبحانه: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**»[2].

الواجب على العباد أن يبتعدوا عن الظلم، وأن يتواصوا فيما بينهم بذلك، فلا يظلم أحدٌ أحدًا لا في نفسه، ولا في مالٍ، ولا في عرض، ولا في بشرته، «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[3].

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/ ٤٣٠).
(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).

وقال أيضًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**» شُحَّهم؛ يعني: حرصهم على المال وبخلهم بالمال جرَّهم إلى الظلم والتعدي على الناس وعلى سفك الدماء، واستحلال المحارم، ففي هذا الحذر من جشع النفس وحرصها على المال، فإنه قد يؤدي بصاحبه إلى السرقات والخيانات والظلم في الدماء والأموال والأعراض بسبب حب المال، والحرص على المال بكل طريق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي حجة الوداع خطب الناس ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**»، وبيَّن لهم عن الدجال وأنه سوف يخرج فيهم، وأن الأنبياء أنذروا قومهم ذلك حتى نوح أنذره قومه، والمسيح الدجال يخرج في آخر الزمان وليس زمنه ببعيد، والله أعلم لأننا في آخر الزمان الآن في القرن الخامس عشر، قد غلب على الدنيا الكفر بالله والمخالفة لأمره، وقلَّ فيها المستقيمون على دينه، فالدجال ـ والله أعلم ـ ليس ببعيد خروجه، ويخرج من جهة الشرق من جهة منطقة سوريا وما حولها، ويتبعه أمم كثيرة على دعواه الباطلة، يخرج ويدَّعي أنه نبي ثم يدعي أنه رب العالمين، ومعه خوارق وأشياء تُضلل الناس إلا من رحم الله.

ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**وَاللهِ مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَعْظَمُ مِنَ الدَّجَّالِ**»[(١)].

في لفظ آخر: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»[(٢)]. وشرع الله لنا أن نتعوَّذ من فتنته في آخر كل صلاة، شرع

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢١) من مسند هشام بن عامر الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٦/ ٤٦).

لنا أن نقول: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، أمرنا أن نتعوَّذ بهذه الأربعة في كل صلاة، في آخر الصلاة، وكان يتعوذ منها ـ عليه الصلاة والسلام ـ في آخر كل صلاة، ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويقول ﷺ: **«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنَ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»**[1]، فدلَّ ذلك على أن من صفاته وأماراته أنه أعور عينه اليمنى، خافتة كأنها عنبةٌ طافيةٌ مكتوب بين عينيه كافر كاءٌ وفاءٌ وراء كافر، يقرأُ ذلك كل مؤمن، وفي أحاديث خطبة الوداع في يوم عرفة وفي يوم النحر الدلالة على تحذير الناس من أمور الجاهلية، من ربا الجاهلية، وظُلم الجاهلية، والتعدي على الناس على النساء وعلى الحرمات؛ ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«أَلا إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في بلدكم هذا، في شَهْرِكُمْ هَذَا»**، وقَالَ: **«وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمْ، انْظُروا: لا تَرْجعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»**، وفي اللفظ الآخر: **«إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»**.

والأبشار هي الجلود الدم والمال والجلد لا يُضرب ولا يُخدش، وهكذا العِرض، فالمؤمن يتباعد عما حرَّم الله عليه، ويحرص على كل ما شرع الله لعله ينجو، لعله يسلم، ولكننا في آخر الزمان الذي نحن فيه فإن الجهل عظيم، والخطر كبير، ولا طريق إلى النجاة إلا بالله سبحانه ثم بالتمسك بدينه وتدبر كتابه العظيم، واتباع سُنَّة رسوله الأمين ـ عليه الصلاة والسلام ـ، والتواصي بذلك والتعاون في ذلك، هذا هو طريق النجاة، كما قال ﷻ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حجة الوداع برقم (٤٤٠٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال برقم (١٦٩).

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

هذا الصراط المستقيم دين الله، وهو الإسلام الذي بعث الله نبيه محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو طاعة الله بأوامره وترك نواهيه، قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقال في حق نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]، فالرسول بعثه الله يهدي إلى الصراط المستقيم يهدي إلى طاعة الله ورسوله، وينهى عن طاعة النفس والشيطان والهوى، يأمر باتباع الأوامر وترك النواهي، يأمر بالوقوف عند الحدود التي حدَّها الله ورسوله، هذا هو طريق النجاة، وهذا هو الصراط المستقيم.

وفي حديث عائشة، يقول النبي ﷺ: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سبْعِ أرَضينَ**»(١). في حديث سعيد بن زيد قال: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

في لفظ: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(٢). هذا فيه التحذير من ظلم الأراضي، ظلم العَقارات والأراضي، وأن الظالم يطوق ما ظلمه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، هذا من العذاب الشديد أن يطوق ما ظلمه وأخذه، هذا من نوع العذاب الذي يحمل إياه، نسأل الله العافية.

*

(١) متفق عليه من حديث عائشة ﵂. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين برقم (٣١٩٥)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض برقم (١٦١٢).

(٢) متفق عليه من حديث سعيد بن زيد ﵁، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين برقم (٣١٩٨)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم . . . برقم (١٦١٠).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨][(١)].

هذا وعيد شديد يدل على أن المسرفين والكذابين متوعَّدون بأن لا يهديهم الله، وأن لا يوفقهم، فالواجب الحذر، الواجب التوبة من الإسراف والكذب حتى يهديه الله، من أراد الهداية فليتب إلى الله، وليبادر بالتوبة، وليبادر بالعمل الصالح ويسأل ربه أن يهديه، والله ﷻ الذي أمرنا أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] في كل ركعة من صلاتنا.

فالواجب على من كان عنده إسراف في المعاصي، كان عنده كذب، كان عنده شيء مما يخالف أمر الله يبادر بالتوبة، وأن يحرص على التوبة، وأن يسأل ربه الهداية، يضرع إلى الله يقول: اللَّهُمَّ اهدني سواء السبيل، اللَّهُمَّ اهدني صراطك المستقيم، يسأل الله في صلاته وفي غيرها في السجود، في آخر الصلاة، في كل وقت، لكن مع الحذر من الإصرار على المعاصي؛ فإن الإصرار على المعاصي والكذب من أسباب الحرمان من عدم قبول دعوته، ومن عدم هدايته ـ نسأل الله العافية ـ.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: ٤٤ ـ ٤٥][(٢)].

هذه الآية الكريمة فيها الحثُّ على الرجاء وبيان فضله، وتقدَّمت

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٨٤).

(٢) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/ ١٨١).

آيات وأحاديث في بيان وجوب الرجاء وعدم جواز القنوط واليأس، والأحاديث السابقة في وجوب الرجاء وتحريم القنوط واليأس وفي وجوب الخوف من الله وتحريم الأمن، يجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة أن يكون خائفًا راجيًا فلا يأمن مكر الله، ولا يقنط من رحمته، ولكن يسير بين هذا وهذا بين الرجاء والخوف، يأمن بطاعته ويرجو رحمته ويحذر معصيته ويخاف عقابه، ويستقيم على أمره سبحانه ويقف عند حدوده رجاءً وخوفًا.

وفي الآية الكريمة فضل الرجاء؛ يعني: الفضل من عند الله والمنزلة عند الله مع وجود الخوف من غضبه وعقابه ﷻ. فالمؤمن يرجو ربه، وينبغي له ذلك، لكن مع عدم الأمن وعدم اللُّجوء إلى التساهل في أمر الله أو عدم المبالاة بما ركب من المعاصي ثقة بالرجاء، فلا هذا ولا هذا، بل يجب أن يخاف الله ويخشى غضبه وعقابه، فيستقيم على طاعته ويدع معصيته، ويجب أن يرجوه، ويحسن به الظن، ولا يقنط، ولا ييأس.

وفي الآية الكريمة يقول ﷻ عن العبد الصالح من آل فرعون: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] نصحهم وحثّهم على طاعة موسى وخوَّفهم من عذاب الله، ثم قال بعد ذلك: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. قال هذا محسنًا ظنه بربه راجيًا رحمته، وأنه أدَّى الواجب، وأنه برَّأ ذمته، قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥]، فالله أغرقهم ثم إلى النار مأواهم - نسأل الله العافية -، وهو نصحهم وسَلِم؛ لأنه قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨] إلى آخر ما نصحهم به.

فالحاصل: أن الناصح الآمر الناهي الداعي إلى الله الصادق تبرأ ذمته إذا أدى ما عليه حسب طاقته، وينجيه الله من شر المعتدين الظالمين؛ ولهذا أنجى نوحًا، وأنجى هودًا، وأنجى صالحًا، وأنجى شعيبًا، وأنجى غيرهم من الرسل؛ لأنهم بلَّغوا رسالات الله، وأدوا ما عليهم، فأنجاهم الله من شرِّ أُولئك الأقوام، وأهلك أقوامهم بأنواع العذاب.

وفي الحديث يقول ﷺ: يقول الله ﷻ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنا معه حَيْثُ يَذْكُرنِي**»، وفي اللفظ الآخر: «**وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَأَطْيَب، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[1]، كل هذا يدل على كمال جوده ورحمته، وأنه أسرع إلى الخير وأقرب إلى الخير وأعجل به من عبده، فمتى أقبل العبد عليه مخلصًا صادقًا راغبًا فيما عنده بأداء ما شرع وترك ما حرم، فالله بالخير إليه أسرع وأقرب ﷻ.

وأما ذكر هذه الصفات فهي على الوجه اللائق بالله تمرُّ كما جاءت، كما قال أهل السُّنَّة والجماعة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل، فكونه يتقرب إليه ذراعًا وباعًا ويأتيه هرولة، كل هذه الصفات تليق بالله لا تشابه صفات المخلوقين، وهي تقرُّب ومجيء يليق به لا نعرف كيفيته، ولا يعلم ذلك إلا هو ﷻ. كما أنه لا يُعلم كيف غضبه، كيف استواؤه، كيف سمعه، كيف بصره، لا يعلم هذا إلا هو ﷻ، أهل السُّنَّة والجماعة يقولون: الصفات معلومة يجب الإيمان

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسند أبي هريرة (٢/ ٤٨٠ برقم ١٠٢٢٤)، وأصله في صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله برقم (٢٦٧٥).

بها، أما الكيف فمجهول كيفيتها، كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. هكذا قالت أم سلمة وأبو عبد الرحمٰن - ربيعة الرأي - وأهل السُّنَّة قاطبة، الاستواء[1].

وهكذا الصفات كلها معلومة من اللغة العربية معروفة من السمع والبصر، والغضب غير الرضا، غير الرحمة، والمشيئة غير الفعل، وهكذا يعني صفات معلومة من ناحية اللغة العربية، يجب إثباتها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن على الوجه الذي يليق به، ولا يعلم كيفية صفاته إلا هو سبحانه مع العلم القاطع أن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، [الشورى: ١١].

وفي حديث أبي هريرة الدلالة على أنه سبحانه أسرع بالخير وأسرع بالرحمة وأسرع بالجود من عبده المؤمن المتقرب إليه الساعي إليه المخلص في عمله، فينبغي للمؤمن أن يُحسن ظنه بربه، وأن يجتهد في طاعته، وأن يحرص على أعمال الخير محسنًا ظنه بربه راجيًا رحمته خاشيًا عقابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هكذا يكون المؤمن دائمًا بين الرجاء والخوف وبين حُسن الظن بالله.

وجاء في **حديث جابر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يقول ﷺ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** عَزَّ وَجَلَّ» رواه مسلم[2] الحديث. يجب على المؤمن أن يحسن ظنه بالله، وأن يحذر من القنوط واليأس وسوء الظن، ولا سيما

---

(١) هذا الأثر مروي عن عدد من السلف منهم: الإمام مالك وشيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن والإمام الشافعي وغيرهم من الأئمة، وقد روي عن أم سلمة مرفوعًا وموقوفًا، أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة برقم (٢٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥١)، والذهبي في العلو (ص٢٦٧) انظر: مختصر العلو رقم (١٣٢).

(٢) سبق تخريجه في (٥/ ٢٢٢).

عند الموت وشدة المرض، عند مفارقة الدنيا ينبغي أن يكون حسن الظن بالله راجيًا رحمة ربه تائبًا وَجِلًا مشفقًا يخشى ذنبه، ويخشى ربه، ويرجو رحمته وإحسانه ﷻ.

وهكذا حديث أنس ﵁: «**قَالَ الله تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي**»(١)، ما دام يدعوه ويضرع إليه ويرجو رحمته عن توبة وعن إقلاع لا مجرد كلام، التوبة هي التي تمحو الذنوب، فإذا كان دعا دعوة صادقة مع الرجاء، فإن هذا يكون معه الندم والإقلاع؛ ولهذا قال: غفرت لك «**عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي**». فالدعاء والرجاء مع التوبة الصادقة يمحو الله بها الذنوب، وهكذا قوله: «**لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خطَايا، ثُمَّ لَقِيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغت ذُنُوبُك عَنَانَ السماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي**» يعني: استغفار معه التوبة، معه الندم، أما مجرد الكلام مع الإصرار على الذنوب فلا يكفي؛ ولهذا قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وهكذا قوله: «**لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً**» أي: من يلقى الله فلا يشرك به شيئًا، قد أخلص لله وعَبَده ﷻ عن صدق وإيمان، فإن الله يغفر له ويعفو عن سيئاته، لكن إذا كان توحيده قد أضعفه بالذنوب، قد جرحه بالذنوب والسيئات، فإنه يكون التوحيد والإيمان ضعيفًا، لا يقوى على تخليصه من عذاب الله، إلا أن يعفو الله عنه ﷻ، وإلا هو متوعَّد على معاصيه التي مات عليها، وجرح بها توحيده، وجرح بها إيمانه، وأضعف بها إيمانه، وأضعف بها توحيده فهو متوعَّد عليها ومعرِّض للوعيد على

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك ﵁ في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٥٤٠)، والإمام أحمد (٥/ ١٦٧ و١٧٢).

معاصيه التي مات عليها، إلا أن يعفو الله عنه، كما قال سبحانه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقد ثبت في الأحاديث المتواترة أن كثيرًا من أهل المعاصي لا يُغفر لهم، بل يعذبون ويمحَّصون في النار على قدر ذنوبهم، ويبقون فيها ما شاء الله من ذلك، كلٌّ على قدر ذنبه، ثم يشفع فيهم الشفعاء، ويبقى منهم بقية لا تشملهم شفاعة الشفعاء، ويخرجهم الله برحمته؛ لأنهم ماتوا على التوحيد، ودخلوا النار بالمعاصي أوجبت دخولهم النار، فيخرج الله بقيتهم بفضل رحمته ﷻ، ولا يبقى في النار إلا من كان مِن أهل الكفر بالله الذين ماتوا على غير التوحيد، فهؤلاء هم المخلدون فيها أبد الآباد، نسأل الله العافية، كما قال الله في حقهم سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]. هذه حال الكفرة المشركين الذين ماتوا على غير التوحيد، نسأل الله السلامة.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠][1].

فهذه الآية الكريمة تتعلق بالدعاء، الدعاء من أفضل القُرُبات؛ لأن فيه الافتقار إلى الله، والاعتراف بأنه سبحانه الغني، وبأنه الرزاق، وأنه مجيب الدعاء، وأنه مالك الضر والنفع، ففي ضِمن الدعاء إيمان بالله وشهادة بأنه الغني الحميد بأنه الرحمٰن، بأنه الرحيم، بأنه قادر على كل شيء، بأنه الرؤوف الرحيم، هكذا فضل الدعاء هو ﷻ يُدعى وهو القادر

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٤/ ١٨٧).

على الإجابة، هو الذي بيده كل شيء ﷻ، بيده الضر والنفع، والعطاء والمنع، والخير والشر كله بيده ﷻ، هو المتصرف في عباده كيف يشاء، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] سمَّى الدعاء عبادة، والمستكبر عنها تُوعِّد بجهنم، فمن استكبر عن عبادة الله وطاعته فهو موعود بالنار؛ لكبره عن دعاء ربه واستغنائه عنه ﷻ، ويقول ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] هو الذي يجيب المضطر، ويكشف السوء، هو القادر على كل شيء ﷻ، ويقول سبحانه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويقول سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]؛ فالمؤمن هكذا يضرع إلى الله يسأله، يبتهل إليه، يؤمن بأنه سبحانه الغني الحميد، القادر على كشف ضره وعلى جلب النفع إليه وعلى كف عدوه عنه، بيده كل شيء ﷻ، بيده الأمور لكل شيء، ويقول النبي ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»(١) لما في ضمنه من الإيمان بالله، والإيمان بأنه الغني الحميد القادر على كل شيء، ولهذا سماه العبادة قال: «**هو العبادة**» على صفة الحصر؛ ليبين أنه من أهم العبادات، ومن أعظم الدعوات.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٧٩)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة البقرة برقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الدعاء برقم (٣٨٢٨)، والإمام أحمد (٤/ ٢٦٧ و٢٧١ و٢٧٦).

والحديث صحيح، وفي لفظ آخر فيه ضعف: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»(١)؛ فالمؤمن يجتهد في الدعاء، ويحرص على الدعاء، ولا يمل، وليجتهد في الدعاء، وكان ﷺ يستحب جوامع الدعاء كما قالت عائشة رضي الله عنها: يَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ؛ يعني: يستحب الدعوات الجامعة التي تغني عن دعوات كثيرة مثل: «**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»، هذا من جوامع الدعاء، وكان هذا أكثر دعاء النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، كما قال أنس، مثل قوله ﷺ لعائشة: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»، ومثل سؤاله الجنة والتعوُّذ من النار: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ**»، ولما قال رجل: (يا رسول الله أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، ولكني أَسْأَلُ اللهَ الجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»(٢)؛ فالرسول ﷺ يعتني بجوامع الدعاء التي تجمع الخير كله، فالمؤمن يتحرى جوامع الدعاء فيدعو بها: اللَّهُمَّ إني أسألك رضاك والجنة، وأعوذ بك من سخطك والنار، اللَّهُمَّ أصلح قلبي وعملي، اللَّهُمَّ أنجني من النار، اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني، اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره، هذا من الدعوات الجامعة.

نسأل الله للجميع التوفيق وصلاح النية والعمل.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء برقم (٣٣٧١) قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وضعَّفه سماحة الشيخ رحمه الله.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ في كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة برقم (٧٩٣)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب الجوامع من الدعاء برقم (٣٨٤٧) والإمام أحمد (٣/ ٤٧٤).

تفسير آيات من سورة فصلت(١)

وقال طاوسٌ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا﴾ [١١]: أَعْطِيَا، ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [١١]: أَعْطَيْنَا، وقال المنهال، عن سعيدٍ قال: قال رجلٌ لابن عبّاسٍ: إنّي أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]: ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٤٢]: ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]: فقد كتموا في هذه الآية، وقال: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧﴾ إلى قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٠]: فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ إِلَى: ﴿طَآئِعِينَ﴾ [٩ ـ ١١]: فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الأَرْضِ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٩٦]، ﴿عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ٥٦]، ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨]: فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى، فَقال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [المؤمنون: ١٠١]: فِي النَّفْخَةِ الأُولَى، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨]، فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الآخِرَةِ: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٤٢]، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لأَهْلِ الإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ: لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ،

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

فَخَتَمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللهَ لَا يُكْتَمُ حَدِيثًا، وَعِنْدَهُ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيَةَ [النساء: ٤٢]، وَخَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَا الأَرْضَ، وَدَحْوُهَا: أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَخَلَقَ الْجِبَالَ، وَالْجِمَالَ، وَالآكَامَ، وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [٩]، فَجُعِلَتِ الأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتِ السَّمَوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٦] سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ؛ أَيْ: لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ، فَلَا يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللهِ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: حَدَّثَنِيه يُوسُفُ بْنُ عَدِيٍّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنِ الْمِنْهَالِ بِهَذَا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ [٨]: مَحْسُوبٍ، ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ [١٠]: أَرْزَاقَهَا، ﴿فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [١٢]: مِمَّا أَمَرَ بِهِ، ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ [١٦]: مَشَائِيمَ، ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ [٢٥]، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [٣٠]: عِنْدَ الْمَوْتِ، ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ [٣٩]: بِالنَّبَاتِ، ﴿وَرَبَتْ﴾ [٣٩]: ارْتَفَعَتْ، وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [٤٧]: حِينَ تَطْلُعُ، ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [٥٠]: أَيْ: بِعَمَلِي، أَنَا مَحْقُوقٌ بِهَذَا، ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ [١٠]: قَدَّرَهَا سَوَاءً، ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [١٧]: دَلَلْنَاهُمْ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]، وَالْهُدَى الَّذِي هُوَ الإِرْشَادُ بِمَنْزِلَةِ أَسْعَدْنَاهُ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿يُوزَعُونَ ۝١٩﴾ [١٩]: يُكَفُّونَ، ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [٤٧]: قِشْرُ الْكُفُرَّى، هِيَ الْكُمُّ، ﴿وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [٣٤]: الْقَرِيبُ، ﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾ [٤٨]: حَاصَ عنه: حَادَ عنه، ﴿مِرْيَةٍ﴾ [٥٤]، وَمُرْيَةٍ وَاحِدٌ؛ أَي: امْتِرَاءٌ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [٤٠]: الْوَعِيدُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [٣٤]: الصَّبْرُ عِنْدَ

الْغَضَبِ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الإِسَاءَةِ، فَإِذَا فَعَلُوهُ عَصَمَهُمُ اللهُ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٣٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أن يوم القيامة يومٌ طويلٌ، والنّاس فيه تتغيّر أحوالهم في وقتٍ يقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون، وفي وقتٍ لا أنساب بينهم ولا يتساءلون؛ لشدّة الخطب، وفي وقتٍ يقرّون ويعترفون بظلمهم وكفرهم، وفي وقتٍ آخر يقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾. وفي وقتٍ آخر لا يكتمون الله حديثًا: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾.

فيوم القيامة يومٌ عظيم الأهوال، طويل المدّة؛ فلهذا النّاس فيه على أقسامٍ وعلى أحوالٍ.

قوله: (**فَلَا يَخْتَلِفْ عَلَيْك الْقُرْآن، فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللهِ**): وهذا واضحٌ، فإنّ أحوال القيام متنوعةٌ، فلهم فيها أحوالٌ بحسب ما يقع يوم القيامة من الأهوال والشّدائد، فتارةً لا يتساءلون، وتارةً يقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون، وتارةً لا يكتمون الله حديثًا، وتارةً يكتمون الله حديثًا؛ فيفضحهم وتتكلّم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يفعلون.

فلا ينبغي للعاقل أن يلتبس عليه هذا الأمر؛ فإنّ أمر القيامة أمرٌ عظيمٌ شديد الأهوال.

ولهذا أوضح ابن عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ما يزيل الإشكال، وهكذا ما يتعلّق بالأرض والسّماء، بيّن أن الأرض هي الأصل، ثمّ السّماء هي السّقف بعد ذلك، أمّا دحوها فهذا كان بعد ذلك، فأصلها أولًا، ثمّ السّماء، ثمّ دحو الأرض: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]؛ يعني: بعد خلق الأرض، وبعد خلق السّماء دحا الأرض ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣١، ٣٢]. رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: **دَلَلْنَاهُم عَلَى الخَيْر والشَّرِّ**)؛ يعني في قوله:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]؛ يعني: دللناهم وأرشدناهم، ولكنّهم لم يقبلوا الحقّ؛ لأنّ الهداية هدايتان: هداية البلاغ والبيان، هذه حصلت لأعداء الله من الرّسل؛ بيّنوا لهم وقامت عليهم الحجّة؛ فأخذوا كـ«ثمود، وعادٍ» وغيرهم.

والهداية الثّانية: هداية توفيقٍ وقذف النّور في القلب، وهذه الّتي حرمها أولئك الضّالون، وهي المرادة في قوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ومن الأولى قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾؛ يعني: دللناه وأرشدناه الطّريقين: طريق الخير، وطريق الشّرّ.

ومن الأولى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ يعني: ترشد وتدلّ.

● **س: الإرشاد ـ أحسن الله إليك ـ: والهدي الّذي هو الإرشاد بمنزلة أسعدناه من ذلك قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾؛ هذا مستقيمٌ، أليس هو الهداية الّتي بمعنى التّوفيق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مع التّوفيق، أرشدناه: يعني مع التّوفيق.

(من الطّالب): عندنا بدل الهدي، الهدى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والهدى هو الإرشاد.

(من السّائل) والهدى الّذي هو الإرشاد بمنزلة أسعدناه؛ لكن صاروا على الإسعاد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني إرشادٌ معه توفيقٌ ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾؛ يعني: إرشادٌ معه

توفيقٌ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾؛ يعني: أرشدهم ووفقهم وأسعدهم حتّى قبلوا الحقّ.

قوله: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ...﴾ إلخ: إلخ: وهكذا المؤمن، هكذا المؤمن يدفع بالّتي هي أحسن؛ حتّى ينتشر الحقّ ويظهر الحقّ، ويقبل النّاس على الهدى؛ فإنّ النّاس إذا بيّن لهم الحقّ بالأدلّة والرّفق والحكمة؛ كان أقرب إلى قبولهم الحقّ، وإلى انتفاعهم؛ ولهذا قال ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿...ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾؛ يعني: قريبًا، الله أكبر.

• س: قوله: «إِنَّهُم لَا يَتَسَاءَلُونَ فِي النَّفْخَةِ الأُولَى»؛ يعني: بعد النّفخة الثّانية يتساءلون؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عند شدّة الهول يعني، الكلّ مشغولٌ، ولكن بعد القيامة للنّاس من قبورهم، وبعد وجودهم في المحشر يتساءلون عمّا هناك.

• س: شيخ عفا الله عنك، من المعلوم أن الله قادرٌ على أن يخلقها في لحظةٍ واحدةٍ. ما الحكمة في خلقها في ستّة أيّامٍ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله أعلم، بعض أهل العلم قالوا: إنّ هذا ليعلّم النّاس ويوجّههم إلى عدم العجلة في الأمور، والتريّث في الأمور، وأنّ الإنسان كونه قادرًا على الشّيء ما يوجب ذلك أن يعجل في بعض الأمور؛ فإنّ التريّث والتّأمّل والنّظر قد يعطيه فوائد وعلومًا كثيرةً، وإيقاعًا للشّيء على أكمل وجهٍ، فربّنا قادرٌ على كلّ شيءٍ، ومع هذا خلقها في ستّة أيّامٍ؛ ليعلّم عباده عدم العجلة في الأمور، وعدم المسارعة في أمورٍ قد لا يحمد عقباها؛ فهذا من باب التّعليم، ومن باب التّوجيه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

• **س: علماء الجيولوجيا يفصّلون يقولون مثلًا: الأشياء خلقت مسبقًا، ثمّ الإنسان آخر الأشياء خلقت...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الإنسان بعد ذلك، خلق الله السّماوات والأرض قبل الإنسان، الإنسان ما خلق إلّا بعد ذلك.

• **س: لا؛ يعني: يقولون: الكائنات كذا خلقت قبل ملايين السّنين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما على كلامهم عبرةٌ، هم ما عليه عبرةٌ، ولا يعلمون الغيب، هم مساكين، إنّما يتحدّثون هم عن ظنونهم وحدسهم، والعمدة على كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

• **س: أحسن الله إليك، خلق الأرض قبل السّماء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم ودحوها بعد السّماء.

قوله: **(محسوبٌ)**:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا عندك «محسوبٌ»؟

(من القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المعروف غير مقطوعٍ يعني غير مجذوذٍ، ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٥٩)]: «قوله: **(وقال مجاهد:** ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾**: مَحْسُوبٍ)**: سقط هذا من رواية النّسفيّ، وقد وصله الفريابيّ من طريق مجاهدٍ به، وروى الطّبريّ من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ في قوله: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ قال: غير منقوصٍ، وهو بمعنى قول مجاهدٍ: محسوبٌ، والمراد أنّه يحسب فيحصى فلا ينقص منه شيءٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس بواضحٍ، غير مقطوعٍ وغير منقوصٍ أوضح.

(من الشّيخ): راجع كلامه على أوّل ما قرأت؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٥٤)]: «قوله: سورة المؤمن بسم الله الرّحمن الرّحيم»: سقطت البسملة لغير أبي ذرٍّ.

قوله: «وقال مجاهدٌ: حم مجازها مجاز أوائل السّور»، ويقال: بل هو اسمٌ لقول شريح بن أبي أوفى العبسي:

يذكرني حاميم والرمح شاجر   فهلّا تلا حاميم قبل التّقدّم

ووقع في رواية أبي ذرٍّ وقال البخاريّ: ويقال: . . . إلخ. وهذا الكلام لأبي عبيدة في «مجاز القرآن»، ولفظه: حم مجازها مجاز أوائل السّور، وقال بعضهم: بل هو اسمٌ. وهو يطلق المجاز ويريد به التّأويل؛ أي: تأويل حم تأويل أوائل السّور؛ أي: أنّ الكلّ في الحكم واحدٌ، فمهما قيل مثلًا في (ألم) يقال مثله في (حم).

وقد اختلف في هذه الحروف المقطّعة الّتي في أوائل السّور على أكثر من ثلاثين قولًا، ليس هذا موضع بسطها، وأخرج الطّبريّ من طريق الثّوريّ عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ قال: «ألم، وحم، وألمص، وص» فواتح افتتح بها.

وروى ابن أبي حاتمٍ من وجهٍ آخر عن مجاهدٍ قال: فواتح السّور كلها «ق، وص، وطسم» وغيرها هجاءٌ مقطوعٌ، والإسناد الأوّل أصحّ.

وأمّا قوله: «ويقال: بل هو اسمٌ»: فوصله عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن قتادة قال: «حم» اسم من أسماء القرآن. وقال ابن التّين: لعلّه يريد على قراءة عيسى بن عمر بفتح الحاء والميم الثّانية من ميمٍ. ويحتمل أن يكون عيسى فتح لالتقاء السّاكنين.

قلت: والشّاهد الّذي أنشده يوافق قراءة عيسى.

وقال الطّبريّ: الصّواب من القراءة عندنا في جميع حروف فواتح السّور السّكون؛ لأنّها حروف هجاءٍ لا أسماء مسمّياتٍ، وروى ابن مردويه من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ قال: «ص» وأشباهها قسمٌ أقسم الله بها، وهو من أسماء الله.

وشريح بن أبي أوفى الّذي نسب إليه البيت المذكور وقع في رواية القابسيّ: شريح بن أبي أوفى وهو خطأٌ، ولفظ أبي عبيدة وقال بعضهم: بل هو اسمٌ؛ واحتجّوا بقول شريح بن أبي أوفى العبسيّ... فذكر البيت.

وروى هذه القصّة عمر بن شبّة في كتاب «الجمل» له من طريق داود بن أبي هندٍ قال: كان على محمّد بن طلحة بن عبيد الله يوم الجمل عمامةٌ سوداءُ، فقال عليٌّ: لا تقتلوا صاحب العمامة السّوداء؛ فإنّما أخرجه برّه بأبيه. فلقيه شريح بن أبي أوفى فأهوى له بالرّمح فتلاحم فقتله.

وحكي أيضًا عن ابن إسحاق أنّ الشّعر المذكور للأشتر النّخعيّ وقال: وهو الّذي قتل محمّد بن طلحة». [انتهى كلامه].

• **س: أحسن الله إليك: ... شريح بن أبي أوفى الّذي نسب إليه البيت المذكور وقع في رواية القابسي شريح بن أوفى وهو خطأٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: كلّكم عندكم «ابن أبي أوفى» فيها «أبي» أم «ابن أوفى» في بعضها؟

من الطلاب: كلّها ابن أبي أوفى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ضع نسخةً، أقول: الأمر سهلٌ.

• **س: أحسن الله إليك، هذا شريحٌ القاضي أو شريحٌ آخر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لا، لا، غيره، القاضي غيره، شريح بن الحارث.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾ [فصلت: ١ ـ ٥][(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللَّهم صلِّ عليه وسلِّم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾، يعني: القرآن مُنزل من الرحمٰن الرحيم، كقوله: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: هذا تنزيل، يعني هذا القرآن تنزيل من الرحمٰن الرحيم، فهو خبر لمبتدأ محذوف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تبارك وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾؛ أي: بُيِّنت معانيه وأُحكمت أحكامه، ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: في حال كونه قرآنًا عربيًّا بينًا واضحًا، فمعانيه مفصَّلة وألفاظه واضحة غير مشكلة، كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر الخميس ٢٠ ـ ٥ ـ ١٤١٤هـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من نعمة الله وفضله أن جعلها واضحة بينة لمن تدبر وتعقل، يعرف منها أحكام الله وشرعه، لم يجعلها بلغات أعجمية، بل بغاية البيان والإيضاح، باللغة التي بعث الله بها نبيه عليه الصلاة والسلام، وإنما يأتي التقصير من عدم التدبر والتعقل، وإلا فإن أقبل على كتاب الله وتدبره فإنه واضح، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: هو معجز من حيث لفظه ومعناه، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. وقوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾؛ أي: إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾؛ أي: تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين، ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالبشير بالسعادة والنجاة، والنذير بالعقاب لمن خالف وتعدى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: أكثر قريش، فهم لا يفهمون منه شيئًا مع بيانه ووضوحه. ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾؛ أي: في غُلف مغطاة، ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾؛ أي: صمم عمى جئتنا به ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ﴾؛ أي: صمم عما جئتنا به، ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾، فلا يصل إلينا شيء مما تقوله: ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾؛ أي: اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك. قال الإمام العالم عبد بن حميد في مسنده: حدثني ابن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر الأجلح عن الذال بن حرملة الأسدي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اجتمعت قريش يومًا فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا،

وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولننظر ماذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد! فأتاه عتبة فقال: يا محمد! أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرَّقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل! إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلًا واحدًا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت، فلنزوجك عشرًا، فقال رسول الله ﷺ: «**فرغت؟**» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾، حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ فقال عتبة: حسبك حسبك! ما عندك غير هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: لا. فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئًا أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته، قالوا: فهل أجابك؟ قال: نعم، لا والذي نصبها بنية**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه البنية، نصب هذه البينة، يعني: الكعبة.

مداخلة: البنية؟

الشيخ: البينة.

الملقي: أحسن الله إليك!

---

(١) قال الهيثمي: أخرجه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره، البنية أي: الكعبة، وكانت تسمى بنية إبراهيم ﷺ.

الشيخ: الكعبة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئًا مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟! قال: لا والله ما فهمت شيئًا مما قال، غير ذكر الصاعقة[(١)]. وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده مثله سواه[(٢)]، وقال: وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي الكوفي وقد ضعف بعض الشيء.

الشيخ: ضُعف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد ضُعف بعض الشيء عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فذكر الحديث إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: يا معشر قريش! والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد، وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فانطلقوا إليه، فقال أبو جهل: يا عتبة ! ما حبسك عنا إلا أنك صبأت إلى محمد وأعجبك طعامه، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب عتبة، وأقسم أن لا يكلم محمدًا أبدًا، وقال: والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالًا، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة، فأجابني بشيء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى

---

(١) أخرجه عبد بن حميد المنتخب برقم (١١٢١)، وسنده فيه الأجلح الكندي وفيه مقال (انظر: تهذيب التهذيب ١/ ١٨٩)، وأخرجه الحاكم عن الأجلح به مختصرًا على أخره وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٢٥٣).

(٢) مسند أبي يعلى (٣/ ٣٤٩) (ح١٨١٨) وسنده كسابقه «حكمت».

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]. فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخشيت أن ينزل بكم العذاب[1]. وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى. والله تعالى أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأجلح وثقه جماعة وضعفه آخرون، ولكن أمرهم معروف، أمر قريش وعصيانهم أمرهم معروف، نعم. ولكن الله جل وعلا ابتلى نبيه ﷺ بهم وصبّره حتى أظهره الله عليهم، وأقام الحجة عليهم، ثم دخلوا في دين الله أفواجًا بعد ذلك.

مداخلة: عفا الله عنك، الزيال هذا وإلا الذيال؟

الشيخ: نعم، ماذا الذي عندكم؟

مداخلة: الزيال بن حرملة وإلا؟

الشيخ: عندكم بالزاي والا بالذال؟

مداخلة: بالزاي والياء.

الشيخ: بالزاي؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: لا، أظنه الذيال بالذال.

مداخلة: نسخة الشعب الذيال.

الشيخ: ماذا عندكم؟

مداخلة: . . . الذيال.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: نسخة الشعب الذيال، بالذال.

الشيخ: انظر لنا التقريب، الذيال ابن.

(١) معالم التنزيل (٤/ ١١٠)، وسنده كسابقه «حكمت».

مداخلة: حرملة.

الشيخ: الذيال بن عمرو؟

مداخلة: ابن حرملة.

الشيخ: ابن حرملة، نعم. نعم كمل.

الشيخ: الله المستعان. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال: حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: (حُدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدًا قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش! ألا أقوم إلى محمد فأكلِّمه، وأعرض عليه أمورًا لعله أن يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد ! فقم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي! إنك منا حيث علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضًا، قال: فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي! إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به مُلكًا ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئيًّا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال:

أفرغت يا أبا الوليد؟! قال نعم. قال: فاستمع مني، قال: أفعل، قال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه. فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يستمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟! قال: ورائي أني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، يا معشر قريش! أطيعوني واجعلوها لي خلوًا بين الرجل.

الشيخ: خلّوا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

خلّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سَحَرك والله يا أبا الوليد! بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم)[١]. وهذا السياق أشبه من الذي قبله، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله أكبر! سبحان الله ما أعظم شأنه، لله الحكمة لا إله إلا هو، وهذا أشبه؛ لأنه كلام عربي واضح يفهمه كل عربي، ولهذا تأثر به. الله المستعان.

*

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٥) وسنده ضعيف لإيهام شيخ محمد بن كعب «حكمت».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٧ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ [فصلت: ٦ ـ ٨](1).

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد! لهؤلاء المكذبين المشركين، ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين، إنما الله إله واحد، ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾؛ أي: أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل، ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾؛ أي: لسالف الذنوب ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾؛ أي: دمار لهم وهلاك عليهم. ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، يعني: [الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله] وكذا قال عكرمة، وهذا كقوله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، [وكقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٥]، وقوله ﷻ: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]!

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: لا يؤدون زكاة أنفسهم، ﴿لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، يعني: الطهارة التي تطهر نفوسهم، وذلك بالتوحيد والإخلاص وخلع الأوثان. لأن الزكاة زكاتان: زكاة النفوس بالتوحيد والإخلاص، وزكاة المال بالمال، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، يعني: بطاعة الله وتوحيده، و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] بطاعة الله وتوحيده.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر الخميس ٢٠ ـ ٥ ـ ١٤١٤هـ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك، وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام، وتكون سببًا لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقًا إلى استعماله في الطاعات. وقال السدي: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: لا يؤدون الزكاة، وقال معاوية بن قرة: ليس هم من أهل الزكاة. وقال قتادة: يمنعون زكاة أموالهم، وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير، وفيه نظر؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد، وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأمورًا به في ابتداء البعثة، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]. فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بُين أمرها بالمدينة، ويكون هذا جمعًا بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجبًا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله صلوات الله وسلامه عليه الصلوات الخمس، وفصل شروطها وأركانها، وما يتعلق بها بعد ذلك شيئًا فشيئًا والله أعلم. ثم قال جل جلاله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ قال مجاهد وغيره: غير مقطوع ولا مجبوب، كقوله تعالى: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣]، وكقوله ﷻ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. وقال السدي: غير ممنون عليهم، وقد رد عليه هذا التفسير بعض الأئمة، فإن المنة لله تبارك وتعالى على أهل الجنة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال أهل الجنة: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، وقال رسول الله ﷺ: «**وَلَا**

أَنا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا شك أن هذا هو الصواب، المنة لله، العباد كلهم في منته وفضله وإحسانه، وإنما المقصود: غير ممنون يعني: غير مقطوع، بل هو نعيم دائم ومستمر. فقول السدي هذا ضعيف.

● **س: تفسير الويل بوادي جهنم صحته**

○ **الجواب**: المعروف في الويل أنه شدة العذاب، وويل إشارة للعذاب.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢](٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سبحانه لا إله إلا هو. سبحانه وتعالى. إنكار الله على المشركين الذين جعلوا الأنداد لله وهو الخالق.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب تمني المريض الموت برقم (٥٦٧٣)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل يرحمه الله تعالى برقم (٢٨١٦).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الأحد ٢٣ ـ ٥ ـ ١٤١٤هـ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره، وهو الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء، المقتدر على كل شيء، وقال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾؛ أي: نظراء وأمثالًا تعبدونها معه. ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾﴾؛ أي: الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم، وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففصل ههنا ما يختص بالأرض، مما اختص بالسماء فذكر...

كيفية ترتيب خلق السماوات والأرض ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]،.. الآية، وأما قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٣]، ففي هذه الآية أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء، فالدحو هو مفسر بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١]. وكان هذا بعد خلق السماء، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص، وبهذا أجاب ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه، وأنه قال: وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال: [قال رجل لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي؟ قال: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فقد كتموا في هذه الآية، وقال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧] إلى قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، فذكر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]، إلى قوله: ﴿طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾، وذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء، قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، ﴿كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]،

﴿كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، فكأنه كان ثم مضى؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، في النفخة الأولى، ثم نفخ في الصور ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك، ولا يتساءلون، ثم في النفخة الأخرى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]. وأما قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فإن الله تعالى يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فيقول المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم، فعند ذلك يُعرف أن الله تعالى لا يُكتم حديثًا، وعنده: ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [النساء: ٤٢]، الآية. وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحيها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام، وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله تعالى: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]. وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] وخلق الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلق السماوات في يومين، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤]، سمى نفسه بذلك، وذلك قوله: أي لم يزل كذلك، فإن الله تعالى لم يرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلفن عليك القرآن، فإن كلًّا من عند الله ﷻ. قال البخاري: حدَّثنيه يوسف بن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو بالحديث(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا هو الجواب؛ لأن الله ﷻ هو العالم بأحوال خلقه، وهو الصادق في أخباره، وكلامه سبحانه لا يتناقض، بل كل كلامه في محله

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة حم السجدة ساقه قبل حديث (٤٨١٦).

له معناه، فالأرض أولًا خلقها، ثم خلق السماء، ثم بسط الأرض ودحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها في أربعة أيام، فدحوها، وإرساء الجبال فيها، وإخراج مائها ومرعاها إلى غير ذلك كان بعد السماء. أما خلقها فهو أول، هي الأساس، وهكذا المشركون، القيامة لها أحوال، فتارة يجحدون وتارة يقرون، ومن جحد منهم ختم الله على فيه، وتكلمت أعضاؤه.

الجواب عمن ظن أن الله كان سميعًا وبصيرًا ثم مضى.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤] بس ليس معناه كان ثم مضى، معناه كان أبدًا، كان الله سميعًا بصيرًا يعني للأبد.. يعني استقر به هذا الوصف، معنى (كان): ليس معنى كان ومضى، كما يظنه السائل، بل المراد أنه اتصف بهذا الوصف، و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤] المعنى أنه متصف بهذا أبدًا.

خلق الأرض وما فيها

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾، يعني: يوم الأحد ويوم الاثنين. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾؛ أي: جعلها مباركة، قابلة للخير والبذر والغراس، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء، فهما من اليومين السابقين أربع، ولهذا قال: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾؛ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلم، وقال عكرمة ومجاهد في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾، جعل في كل أرض ما لا يصلح في غيرها، ومنه العصب في اليمن، والسابوري في سابور، والطيالسة في الري، وقال ابن عباس وقتادة والسدي في قوله تعالى: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾؛ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك، وقال ابن زيد:

معناه: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾؛ أي: على

وفق مراده من له حاجة إلى رزق أو حاجة فإن الله تعالى قدَّر له ما هو محتاج إليه، وهذا القول يشبه ما ذكروه في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، والله أعلم.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾، وهو بخار الماء المتصاعد منه، حين خلقت الأرض. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾؛ أي: استجيبا لأمري، وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين، قال الثوري عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، قال: قال الله تبارك وتعالى للسموات: أطلعي شمسي وقمري والنجوم، وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك، قالتا: أتينا طائعين. واختاره ابن جرير رحمه الله: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾؛ أي: بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والإنس جميعًا، مطيعين لك، حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية. قال: وقيل: تنزيلًا لهن معاملة من يعقل بكلامهما له، وقيل: إن المتكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة، ومن السماء ما يسانده منها، والله أعلم. وقال الحسن البصري: لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابًا يجدان ألمه، رواه ابن أبي حاتم.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾؛ أي: ففرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين؛ أي: آخرين، وهما: يوم خميس ويوم الجمعة. ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾؛ أي: ورتب مقررًا في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو. ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾، وهي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض، ﴿وَحِفْظًا﴾؛ أي: حرسًا من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾، العزيز: الذي قد عز كل شيء فغلبه، وقهره، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتها، قال ابن جرير: احتجاج الله بالخلق على المشركين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه حجة على المشركين؛ لأنهم أقروا بالربوبية، وأن الله ربهم، وخالق الأرض، وخالق السماء، وأنه رازقهم، فكيف يتخذون معه الأنداد، ولهذا قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩﴾ الآيات، فالذي خلق هذه الأشياء هو الواجب بأن يعبد وحده، وأن لا يُتخذ معه الأنداد، ولكن المشركين في ضلال وإعراض عما ينبغي أن ينظروا فيه، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، وإلا فخالقهم وخالق غيرهم، وخالق ما في السماء والأرض هو المستحق لأن يعبد، ويطاع، ويعظم أمره ونهيه، لو كانوا يعقلون، ولهذا ذكَّرتهم الرسل بذلك، وذكَّرهم الله في كتابه العظيم بهذا الأمر، وأن الذي خلقهم وأوجدهم وخلق لهم هذه النعم هو المستحق لأن يعبدوه، دون كل ما سواه جَلَّ وَعَلَا، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، ذكر الأيام التي وقع فيها الخلق والرد على زعم اليهود أن الله استراح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن جرير: حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس، قال هناد: قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي ﷺ، فسألته عن خلق السموات والأرض، فقال ﷺ: (خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين، وخلق الله الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة). ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠﴾، لمن سأله قال: (وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم

والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة: آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة، ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش، قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا، فنزل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق: ٣٨، ٣٩]. .](١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى أنه سبحانه ليس بعاجز ولا يمل ولا يتعب، ولهذا قال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، يعني: من إعياء، قد كذبت اليهود في قولهم: ثم استراح، يعني: كان قد تعب من خلق السموات والأرض ثم استراح، هذا كلام باطل، كلام قبيح، أنكره الله عليهم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، في الآية الأخرى: ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، فهو قادر على كل شيء وليس بعاجز، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، أوامر، هو سبحانه له القدرة الكاملة، ولا يعجزه شيء ولا يمسه لغوب، ولا إعياء، كذبت اليهود. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذا الحديث فيه غرابة، فأما حديث ابن جريج، عن إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف أبي سعيد ويقال: أبي سعد البقال، وأخرجه الحاكم من طريق أبي بكر بن عياش به وصححه واستدرك عليه الذهبي بقوله: أبو سعيد البقال قال ابن معين: لا يكتب حديثه [المستدرك ٢/ ٥٤٣] «حكمت».

الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة، آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل، فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به، وهو من غرائب الصحيح، وقد علله البخاري في التاريخ، وقال: رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار وهو الأصح(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني أنه حصل فيه وهم، وهم بعض الرواة فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هو أبو هريرة أخذ من كعب، فقال هذا الكلام، فهو من مراسيل كعب، ما يراه كعب، فيه إسرائيليات، وقد وهم من رفعه، ورواه مسلم رحمه الله على ظاهر السند، ولكن عرف الحفاظ أنه وهم فيه أحد الرواة: إما إسماعيل وإما أيوب فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هو من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار، كما قال البخاري رحمه الله وجماعة. والصواب أنها ستة فقط، ليست سبعة، كما بينه الله في كتابه العزيز ستة أيام، خلق السماوات في ستة، لا في سبعة، فالسبت ليس فيه شيء، ليس فيه خلق، الخلق في يوم الأحد إلى يوم الجمعة نعم. تم الخلق في يوم الجمعة.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩﴾ [فصلت: ٩]، **وفي قوله تعالى:** ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢](٢).

خلق الله السماوات والأرض كلها في ستة أيام، وما بينهما أيضًا،

(١) سبق تخريجه من (٩/ ١٢٤) ولسماحة الشيخ كلام نفيس على هذا الحديث. انظره هناك رعاك الله.

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٨٦).

فبدأ بخلق الأرض في يومين، ثم استوى إلى السماء وخلق السماء في يومين، ثم دحا الأرض في أربعة أيام: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١]، ﴿...فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] فالأرض خلقها في يومين ودحاها في أربعة أيام، دحاها بعد الخلق ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠ ـ ٣٢] فهذه ستة أيام، خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أصل السماء في يومين، والأرض في يومين، ودحو الأرض في أربعة أيام، سبحانه وتعالى؛ فالله جل وعلا، دحاها يعني: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣١] فخلقها ودحوها في أربعة أيام، والسماء في يومين، الجميع ستة أيام.

ولهذا قال بعدها: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾.

*

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فصلت: ١٣ ـ ١٨][1].

يقول تعالى: قل يا محمد! لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر الخميس ١٢ ـ ٦ ـ ١٤١٤هـ.

به من الحق: إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله تعالى فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم، كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾؛ أي: ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما. ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصاعقة: الصيحة العظيمة التي يحصل بها الهلاك وتقطيع القلوب، صيحة عظيمة يكون فيها تقطيع القلوب نسأل الله العافية، وإهلاك البشر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٢١]، أي: في القرى المجاورة لبلادهم، بعث الله إليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له، ومبشرين ومنذرين، أو ما أحل الله بأعدائه من النقم، وما ألبس أولياءه من النعم، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا، بل كذبوا وجحدوا، وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [فصلت: ١٤]، أي: لو أرسل الله رسلًا لكانوا ملائكة من عنده، ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أي: أيها البشر ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤]، أي: لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فصلت: ١٥]، أي: بغوا وعتوا وعصوا، ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]؟ أي: منوا [أي: منّوا بشدة تركيبهم وقواهم، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ﴾].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا من جهلهم، مساكين، هذا من جهلهم ومن عمى القلوب، ماذا أنت يا مسكين ولو كنت مثل الجبل، لكن لا حول ولا قوة إلا بالله، حين أراد الله الهلاك عميت القلوب، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾؟ أي: أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها، وأن بطشه شديد، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، فبارزوا الجبار بالعداوة، وجحدوا بآياته وعصوا رسله، فلهذا قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، قال بعضهم: وهي شديدة الهبوب، وقيل: الباردة، وقيل: هي التي لها صوت. والحق أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحًا شديدة قوية؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به].

الشيخ: ومعها الصواعق، مع شدة الريح صواعق فيها نار وهلاك، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة البرد جدًّا، كقوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصرًا؛ لقوة صوت جريه. وقوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾؛ أي: متتابعات، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، وكقوله].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نحسات يعني: نحسات بالنسبة إليهم فيها هلاكهم، أيام نحسات لأنها فيها هلاكهم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وكقوله: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩]، أي: ابتدئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم، واستمر بهم هذا النحس ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي

الدنيا بعذاب الآخرة، لهذا قال: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾؛ أي: أشد خزيًا لهم، ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾؛ أي: في الآخرة، كما لم ينصروا في الدنيا، وما كان لهم من الله من واق، يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال. وقوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد: (بينا لهم). وقال الثوري: دعوناهم. ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود بالهداية هنا هداية البلاغ، يعني: بينا لهم، وأرشدناهم، لكن أبوا . . ، أبوا أن يقبلوا، هديناهم يعني: دللناهم وأرشدناهم، مثلما في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، يعني: ترشد وتبلغ، فالله بلغهم على يد الرسول صالح وأرشدهم، لكن أبوا، واستكبروا ولم يقبلوا الحق، فهذه هداية البلاغة والبيان. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: بصَّرناهم وبينا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام، فخالفوه وكذبوه، وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم. ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾؛ أي: بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلًّا وهوانًا وعذابًا ونكالًا، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: من التكذيب والجحود. ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: من بين أظهرهم، لم يمسهم سوء، ولا نالهم من ذلك ضرر، بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وبتقواهم لله ﷻ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهكذا المؤمنون مع هود، حيث نجاهم الله مع نبيهم هود، وأصحاب صالح نجاهم الله مع نبيهم صالح؛ لأنهم آمنوا واتقوا، كانوا

﴿ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾، كانوا يتقون عذاب الله بطاعة أوامره وترك نواهيه، فجمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، والتقوى بترك المحارم وأداء الفرائض، فأنجاهم الله مما أصاب قوم هود ومما أصاب قوم صالح، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩]].

الشيخ: نسأل الله العافية، وللظالمين أمثالهم.

❊

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ **[فصلت: ١٩ ـ ٢٤]**(١).

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾؛ أي: اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار، ﴿يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾، أي: تجمع الزبانية أولهم على آخرهم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَنَسُوقُ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر الخميس ١٩ ـ ٦ ـ ١٤١٤هـ.

﴿ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، أي: عطاشًا. وقوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾؛ أي: وقفوا عليها ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: بأعمالهم مما قدَّموه وأخَّروه، لا يكتم منه حرف. ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾؟ أي: لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم، فعند ذلك أجابتهم الأعضاء: ﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: فهو لا يخالف ولا يمانع، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه... الفظائع والفضائح. لا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية. وهذا مما يوجب الحذر والاستقامة والتوبة إلى الله، وأن العبد تحت مرأى من الله ومسمع، لا تخفى عليه خافية ﷻ، ولكن لإقامة الحجة عليهم، وإلا فهو سبحانه ما يحتاج إلى سمعه وبصره ورجله، بل هو يعلم أحوالهم ويعلم كل شيء، ولا تخفى عليه خافية، لكن لإقامة الحجة عليهم من أنفسهم وفضيحتهم، تشهد عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم والملائكة على كذبهم وباطلهم. نسأل الله العافية..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا علي بن قادم، حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم وتبسم، فقال ﷺ: «**ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت؟**» قالوا: يا رسول الله! من أي شيء ضحكت؟ قال ﷺ: «**عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: أي ربي، أليس وعدتني ألا تظلمني؟ قال: بلى. ويقول فإني لا أقبل عليّ شاهدًا إلا من نفسي. فيقول الله تبارك وتعالى: أو ليس كفى بي شهيدًا، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟! قال: فيردد هذا الكلام مرارًا**». قال:

«فيختم على فيه، وتتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول: بُعْدًا لكُنَّ وسُحقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُناضِلُ»(١). ثم رواه هو وابن أبي حاتم، من حديث أبي عامر الأسدي، عن الثوري، عن عُبيد المُكْتَب، عن فُضيل بن عمرو، عن الشعبي ثم قال: «لا نعلم رواه عن أنس غير الشعبي». وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعًا عن أبي بكر بن أبي النضر، عن أبي النضر، عن عُبَيد الله بن عبد الرحمٰن الأشجعي، عن الثوري به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله المستعان، الله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال النسائي: «لا أعلم أحدًا رواه عن الثوري غير الأشجعي». وليس كما قال كما رأيت، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا إسماعيل بن عُلَّية، عن يونس ابن عُبَيْد، عن حُميد بن هلال قال: قال أبو بُرْدَة: قال أبو موسى: ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عَزَّ وَجَلَّ عمله، فيجحد ويقول: أي رب، وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل! فيقول له الملك: أما عملت كذا، في يوم كذا، في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك، أي رب ما عملته. قال فإذا فعل ذلك خُتِم على فيه ـ قال الأشعري: فإني لأحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى(٢).

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زُهَيْر حدثنا حسن، عن ابن لَهِيعة: قال دَرّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: **«إذا كان يوم القيامة عُرّف الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقال: هؤلاء جيرانك، يشهدون عليك؟ فيقول: كذبوا. فيقول: أهلك وعشيرتك؟ فيقول: كذبوا. فيقول: احلفوا فيحلفون، ثم يصمتهم الله وتشهد عليهم**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقاق برقم (٢٩٦٩).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه ورجاله ثقات وسنده صحيح.

ألسنتهم، ويدخلهم النار»(١).

وقال ابن أبي حاتم: وحدثنا أبي، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث: سمعت أبي: حدثنا علي بن زيد، عن مسلم بن صُبيْح أبي الضُّحى، عن ابن عباس: أنه قال لابن الأزرق(٢): إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين، لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم، ثم يؤذن لهم فيختصمون، فيجحد الجاحد بشركه بالله، فيحلفون له كما يحلفون لكم، فيبعث الله عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم، جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم، ويختم على أفواههم، ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح، فتقول: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ فتقر الألسنة بعد الجحود.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: يوم القيامة له أحوال، فيها تارة ينطقون، وتارة لا ينطقون، وتارة يتساءلون وتارة لا يتساءلون، يوم طويل، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عبدة بن سليمان، حدثنا ابن المبارك، حدثنا صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمٰن بن جبير الحضرمي، عن رافع أبي الحسن ـ وصف رجلًا جحد ـ قال: فيشير الله إلى لسانه، فيربو في فمه حتى يملأه، فلا يستطيع أن ينطق بكلمة، ثم يقول لآرابه كلها: تكلمي واشهدي عليه. فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده، وفرجه ويداه ورجلاه: صنعنا، عملنا، فعلنا.

---

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده ومتنه (المسند ٢/ ٥٢٧ برقم ١٣٩٢) وسنده ضعيف بضعف رواية دراج عن أبي الهيثم ويتقوى بشواهد السابقة واللاحقة «حكمت».

(٢) في سنده علي بن زيدٍ وهو ابن جدعان وهو ضعيف، ويتقوى بالشواهد السابقة واللاحقة «حكمت».

وقد تقدم أحاديث كثيرة، وآثار عند قوله تعالى في سورة يس: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا يحيى بن سُلَيم الطائفي، عن ابن خُثَيْم، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: لما رجعت إلى النبي ﷺ مهاجرة البحر قال: «**ألا تحدِّثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟**» فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم، تحمل على رأسها قلَّة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلَّتها. فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَر، إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا؟ قال: يقول رسول الله ﷺ: «**صَدَقَتْ ثم صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقدِّسُ الله قَوْمًا لا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهم مِنْ شَدِيدِهِمْ؟**»(١).

هذا حديث غريب من هذا الوجه. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا يحيى بن سليم، به.

وقوله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أي: تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم: ما كنتم تتكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي، ولا تبالون منه في زعمكم؛ لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه من طريق سويد بن سعيد به برقم (٤٠١٠)، واستغربه الحافظ ابن كثير وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٦٢ برقم ١٩٥٤)، وابن حبان (٥/ ٣٩٠) برقم (٤٦١١).

ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾؛ أي: هذا الظن الفاسد ـ وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ـ هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم، ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾؛ أي: في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمٰن ابن يزيد، عن عبد الله قال: كنت مستترًا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر: قرشي، وختناه ثقفيان ـ أو ثقفي وختناه قرشيان ـ كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخر: إن سمع منه شيئًا سمعه كله. قال: فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[(١)]. هكذا رواه الترمذي عن هناد، عن أبي معاوية، بإسناده نحوه[(٢)]. وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضًا، من حديث سفيان الثوري، عن الأعمش، عن عُمارة بن عمير، عن وهب بن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بنحوه[(٣)]. ورواه البخاري ومسلم أيضًا، من حديث السفيانين، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر عبد الله بن سَخْبرة، عن ابن مسعود به[(٤)].

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ قال: «**إنكم تُدعَون مُفَدَّمًا على أفواهكم بالفدام، فأول شيء يبين عن أحدكم فخذه وكفه**».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١٠٨ و١٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي، في كتاب التفسير، باب ومن سورة حم برقم (٣٢٤٩).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، برقم (٢٧٧٥)، والإمام أحمد (١/ ٤٠٨).

(٤) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ...﴾ برقم (٤٨١٧)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين برقم (٢٧٧٥).

قال معمر: وتلا الحسن: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: أنا مع عبدي عند ظنه بي، وأنا معه إذا دعاني**» ثم افترَّ الحسن ينظر في هذا فقال: ألا إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم، فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل، وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن بالله فأساءا العمل. ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

وقال الإمام أحمد: حدثنا النضر بن إسماعيل القاص ـ وهو أبو المغيرة ـ حدثنا ابن أبي ليلى، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن، فإن قومًا قد أرداهم سوء ظنهم بالله**»، فقال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[١].

وقوله: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾؛ أي: سواء عليهم أصبروا أم لم يصبروا هم في النار، لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها. وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذارًا فما لهم أعذار، ولا تُقَال لهم عثرات.

قال ابن جرير: ومعنى قوله: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾؛ أي: يسألوا الرجعة إلى الدنيا، فلا جواب لهم قال: وهذا كقوله تعالى إخبارًا عنهم: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٨].

*

(١) سبق تخريجه في (٥/ ٢٢٢).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢٢][١].

حدّثنا الصّلت بن محمّدٍ، حدّثنا يزيد بن زريعٍ عن روح بن القاسم، عن منصورٍ عن مجاهدٍ، عن أبي معمرٍ، عن ابن مسعودٍ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ الآية، كان رجلان من قريشٍ، وختنٌ لهما من ثقيف، أو رجلان من ثقيف، وختنٌ لهما من قريشٍ، في بيتٍ، فقال بعضهم لبعضٍ: أترون أنّ الله يسمع حديثنا؟ قال بعضهم: يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كلّه، فأنزلت: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ الآية[٢].

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣][٣].

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا منصورٌ عن مجاهدٍ، عن أبي معمرٍ، عن عبد الله رضي الله عنه قال: «اجتمع عند البيت قرشيّان وثقفيٌّ، أو ثقفيّان وقرشيٌّ، كثيرةٌ شحم بطونهم، قليلةٌ فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أنّ الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فإنّه يسمع إذا أخفينا،

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ...﴾ برقم (٤٨١٦)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، برقم (٢٧٧٥).
(٣) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب البخاري.

فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ الآية [فصلت: ٢٢]»، وكان سفيان يحدّثنا بهذا فيقول: حدّثنا منصورٌ، أو ابن أبي نجيح، أو حميدٌ، أحدهم، أو اثنان منهم، ثمّ ثبت على منصورٍ، وترك ذلك مرارًا غير واحدة، حدّثنا عمرو بن عليٍّ، حدّثنا يحيى، حدّثنا سفيان الثّوريّ، قال: حدّثني منصورٌ، عن مجاهدٍ، عن أبي معمرٍ، عن عبد الله بنحوه(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال ﷻ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ هذا الظّنّ السّيئ، سوء ظنّهم بالله هو الّذي أرداهم وأهلكهم؛ حتّى بارزوا الله بالعظائم.

وهذا يدلّ على أنّ سوء الظّنّ بالله يجرّئ النّاس على قول الباطل، وعلى الأفعال الباطلة؛ ولهذا قال: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾.

فظنّ السّوء بالله، وأنّه لا يعلم أحوالهم، أو لا يسمع كلامهم يردي النّاس ويهلكهم، ويفضي بهم إلى أسباب الهلاك.

ولهذا أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المواضع الكثيرة أنّه يعلم أحوالهم، وأنّه بصيرٌ بأعمالهم، وأنّه لا يخفى عليه خافيةٌ ﷻ؛ ليحذر عباده نقمته وغضبه، وليبتعدوا عن أسباب غضبه، وليستقيموا على منهاجه، محابّه وطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهو لا يخفى عليه خافيةٌ ﷻ، يبصر أحوالهم ويسمع كلامهم.

ولهذا قال ﷻ في قصة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، في زوجة أوس بن الصّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لمّا جادلت في أمر زوجها، لمّا ظاهَرَ منها. الله المستعان.

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ...﴾ إلخ برقم (٤٨١٧)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين برقم (٢٧٧٥).

وقال تعالى في قصّة موسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، الله المستعان.

...[(١)] قوائم العرش، ظاهره أنّه عرشٌ غير العرش الّذي فوق السّماء السّابعة، العرش لأنّه الكرسيّ الّذي يكون عليه حين يفصل القضاء بين عباده سبحانه وتعالى في الأرض.

س: ما يحتمل أن تكون القائمة متدليةً، القائمة قد تكون متدليةً من بعيدٍ طويلة من العرش؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: محتمل المقصود قائمةٌ مثل العمود.

*

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ **[فصلت: ٢٥ ـ ٢٩]**[(٢)].

[يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله، بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن: ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: حسَّنوا لهم

(١) هنا سقط بالأصل، ولعل هذا جواب على أحد الأسئلة.
(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في فجر الخميس ٢٤ ـ ٧ ـ ١٤١٤هـ.

أعمالهم في الماضي، وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنهم إلا محسنين، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧]. وقوله تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾].

معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا...﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أنهم بسبب غفلتهم وإعراضهم وزيغهم قيض الله لهم القرناء فأضلُّوهم وثبتوهم على باطلهم جزاءً وفاقًا. نسأل الله العافية. فإعراض العبد عن الله وغفلته عن الله من أسباب أن تقيض له الشياطين حتى تضله عن الهدى ويستمر في غوايته وضلاله. نسأل الله العافية. وهكذا قال: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ [الزخرف: ٣٦] يعني: يغفل ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، قال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم، ممن فعل كفعلهم من الجن والإنس، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾؛ أي: استووا هم وإياهم في الخسار والدمار. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: تواصوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، ولا ينقادوا لأوامره.

معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾:

﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾؛ أي: إذا تلي لا تسمعوا له، كما قال مجاهد: ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾، يعني: بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ، إذا قرأ القرآن قريش تفعله].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني حتى لا يستمع له، حتى لا يصغى له، يشوشون على قراءته حتى لا يستمع له الناس. نعم. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ عيبوه. وقال قتادة: اجحدوا به، وأنكروه، وعادوه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن. وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك، فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. ثم قال ﷻ منتصرًا للقرآن، ومنتقمًا ممن عاداه من أهل الكفران: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؛ أي: في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾؛ أي: بشرِّ أعمالهم وسيئ أفعالهم. ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾:

قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزاري عن أبيه عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ قال: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه. وهكذا روى العوفي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل ذلك. وقال السدي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فإبليس يدعو به كل صاحب شرك، وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة، فإبليس الداعي إلى كل شر من شرك فما دونه، وابن آدم الأول، كما ثبت في الحديث: «**ما قتلت نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سَنَّ القتل**»].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والآية أعم من هذا؛ لأن المضلِّين من الإنس والجن كثيرون، فمن الإنس شياطين ومن الجن شياطين، كلهم مضلون، فالكفرة يطلبون أن يمكَّنوا من هؤلاء الذين أضلوهم في كل زمان ومكان. يعني: أرِناهم

حتى نعاقبهم بسبب إضلالهم لنا، وهذا مختلف، في زمن ابن آدم حصل ما حصل منه على أخيه هذا شيء خاص، والمضلون في كل زمان كثيرون من شياطين الإنس والجن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: أسفل منا في العذاب، ليكونا أشد عذابًا منا؛ ولهذا قالوا: ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: في الدرك الأسفل من النار، كما تقدم في الأعراف في سؤال الأتباع من الله تعالى أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم، قال: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]؛ أي: أنه تعالى قد أعطى كلًّا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال، بحسب عمله وإفساده، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

الحذر من الدعوة إلى الباطل والحرص على الدعوة إلى الله:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسأل الله العافية! وهذا فيه التحذير من الدعوة إلى الباطل والبدع والمعاصي، وأن على فاعل ذلك مثل آثام من تبعه، فيكون ضالًّا مضلًا، فالواجب الحذر، ولهذا يقول ﷺ: **«مَنْ دَعَا إلى هُدًّى كَانَ لَهُ مِنَ الأجْرِ مِثْل أُجورِ من تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِك من أُجورِهمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عليهِ مِنَ الإِثْمِ مِثل آثَامِ من تبعَهُ، لا يَنْقُصُ من آثامِهمُ شَيئًا»**(١)، نسأل الله العافية!. والواجب على أهل العلم وأهل الهدى والتقوى على كل مؤمن أن يحرص على أن يكون داعية إلى الحق، مبلغًا للحق، مرشدًا إليه، ناصحًا فيه، حتى يحصل له مثل أجور من هداه الله على

---

(١) سبق تخريجه في (٧/ ٣٠).

يديه، وأن يحذر غاية الحذر من الدعوة إلى الباطل، لا بفعله ولا بقوله. الله المستعان.

مداخلة: أحسن الله إليك! الراجح في المراد بأصحاب الأعراف؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أعلم.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ **[فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]**(١).

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾؛ أي: أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم.

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا الجراح، حدثنا مسلم بن قتيبة أبو قتيبة الشعيري، حدثنا سهيل بن أبي حازم، حدثنا ثابت، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم، فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها(٢). وكذا رواه النسائي في تفسيره، والبزار وابن

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الخميس ٢٦ ـ ١٠ ـ ١٤١٤هـ.

(٢) أخرجه أبي يعلى (٦/ ٢١٣) برقم (٣٤٩٥) وسنده ضعيف لضعف سهيل بن أبي حزم.

جرير عن عمرو بن علي الفلاس عن مسلم بن قتيبة به[١]. وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الفلاس به[٢].

مداخلة: عفا الله عنك! مسلم وإلا سلم؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: مسلم وإلا سلم؟

الشيخ: ماذا عندك؟

مداخلة: مسلم بن قتيبة.

الشيخ: الذي أعرف أنه سلم بن قتيبة؟

مداخلة: عندنا سلم يا شيخ!

الشيخ: يصلح، الذي عنده مسلم يصلحها سلم.

قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عامر بن سعيد عن سعيد بن عمران عن سعيد بن عمران قال: قرأت عند أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾.

قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا[٣]. ثم روى من حديث الأسود بن هلال قال.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى كتاب التفسير برقم (١١٤٧٠).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لأن سعيد بن نمران مجهول. انظر: لسان الميزان ولكنه توبع بالأسود بن هلال كما في الرواية التالية فيرتقي إلى الحسن لغيره.

(٣) أخرجه الطبري من طريق الأسود بن هلال به، وأخرجه الحاكم من الأسود به وصححه، ووافقه الذهبي، المستدرك.

الشيخ: أكتب نسخة ابن سعد. الأقرب كونه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، يعني.

مداخلة: عامر.

الشيخ: أكتب عليه نسخة: ابن سعد. الذي عنده سعيد يضع نسخة ابن سعد.

قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما تقولون في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، قال: فقالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ من ذنب. فقال: لقد حملتموه على غير المحمل، ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فلم يلتفتوا إلى غيره]. وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: مثلما هو ظاهر أنهم اعترفوا بأن الله ربهم ومعبودهم وإلههم الحق، ثم استقاموا على ذلك، بطاعته وترك معصيته حتى ماتوا، فلهم الجنة والكرامة، يعني: قالوا وعملوا، فهم اعترفوا بأن الله معبودهم الحق وإلههم وخالقهم ورازقهم، ثم استقاموا على طاعته وتنفيذ شريعته وترك معصيته، واستمروا على هذا حتى الموت. الله المستعان.

قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الظهراني أخبرنا حفص بن عمر العقدي عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال: [سئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص؟ قال: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على شهادة أن لا إله إلا الله. وقال الزهري: تلا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الآية على المنبر، ثم قال: استقاموا والله لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على أداء فرائضه. وكذا قال قتادة، قال: وكان الحسن يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة. وقال أبو العالية: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ أخلصوا له الدين والعمل.

مداخلة: الظهراني وإلا الطهراني؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الطهراني وإلا الظهراني؟

الشيخ: محتمل، يحتاج تأمل، الطهراني نسبة إلى طهران المعروفة عاصمة الجمهورية الشيعية الآن، طهران، وهي... كما في القاموس انظر التقريب ذكر شيء؟ أبو عبد الله، وأما الظهراني ما أدري ويش النسبة إلى ظهران. أبو عبد الله.

مداخلة: ما ذكر.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ما ذكر الظهراني ولا الطهراني.

الشيخ: ما ذكره؟ الأحد... عبد الله العتيبي.

مداخلة: ما حضر.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ما حضر.

الشيخ: أحدكم... يتتبع... جاء في التهذيب.. الميزان.. ابن أبي حاتم، لعله يجده. نعم. غالب ظني أني قد تتبعته سابقًا، ولكن ما أجزم أنه الطهراني بكسر الطاء نسبة إلى طهران عاصمة إيران، ولكن لا أجزم الآن، يحتاج إلى مراجعة. نعم. والأمر سهل.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه: (أن رجلًا قال: يا رسول الله! **مُرْنِي فِي الإِسْلَامِ بِأَمْرٍ لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ**

اسْتَقِمْ». قَالَ قُلْتُ: فَمَا أَتَّقِي؟ فَأَوْمَأَ إِلَى لِسَانه(١). ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به(٢).

ثم قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إبراهيم بن سعد، حدثني ابن شهاب عن محمد بن عبد الرحمٰن بن ماعز الغامدي عن سفيان بن عبد الله الثقفي.

قال: قلت: يا رسول الله! حدثني بأمر أعتصم به، قال ﷺ: **«قل ربِّيَ الله، ثم استقم»**. قلت: يا رسول الله! ما أكثر ما تخاف علي؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه، ثم قال: **«هذا»**(٣).

وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث الزهري به. وقال الترمذي: حسن صحيح(٤).

وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مُرْنِي فِي الإِسْلَامِ بِأَمْرٍ لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. قَالَ «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»**، وذكر تمام الحديث(٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا يفيد أن الأمر عظيم وخطير، فالواجب أن يستقيم. كثير من الناس لا يستقيم، بل يروغ روغان الثعالب، تارة مع هؤلاء، وتارة مع هؤلاء، وتارة مع المرابين، وتارة مع السكارى، وتارة مع كذا، وتارة مع

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤١٣ و٤/ ٣٨٤).
(٢) أخرجه النسائي في الكبرى كتاب التفسير برقم (١١٤٨٩).
(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤١٣).
(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان برقم (٢٤١٠)، وابن ماجه في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة برقم (٣٩٧٢).
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإيمان برقم (٣٨).

كذا، الواجب الاستقامة، الواجب على المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أن يستقيم على الحق، وذلك بأداء فرائض الله وترك محارم الله والوقوف عند حدود الله، وعدم التذبذب والروغان. وفي سورة الأحقاف يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤]. واضح بأن المراد بالاستقامة: الثبات على الحق والسير عليه قولًا وعملًا، لا يقول بلسانه ويضيع بعمله، لا بد أن يستقيم بقوله وعمله، يحفظ لسانه عما حرم الله ويحفظ جوارحه عما حرم الله، ويلزم الحق حتى يلقى ربه، فإذا حاد عن الطريق فهو على خطر، إلا أن يمن الله عليه بالتوبة.

مداخلة: ما معنى قوله: (أرخص) أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ما معنى قوله: (أرخص) في السند الأول؟

الشيخ: ماذا فيه؟

مداخلة: قال: ما معنى: قوله أرخص، يوم قال: آية في كتاب الله أرخص؟ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في صحتها نظر عن ابن عباس، الآية هذه عظيمة، آية عظيمة، تدل على أن الأمر عظيم. معنى قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾.

قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه: يعني: عند الموت، قائلين: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ قال

مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم: أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾. على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل ومال أو دَين، فإنا نخلفكم فيه، ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾، فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير، وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه: (إن الملائكة تقول لروح المؤمن: أخرجي أيتها الروح الطيبة! من الجسد الطيب كنت تعمرينه، أخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان وقيل: إن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم، حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبد السلام بن مطهر، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت ثابتًا قرأ سورة حم السجدة حتى بلغ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾، فوقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا قال: فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه، فما عظيمة يخشى). وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث. رواه ابن أبي حاتم. وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جدًّا، وهو الواقع.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: يبشر بالجنة عند الموت، وفي القبر، وحين يبعث وينشر يوم القيامة؛ جزاءً له على صبره وثباته على الحق. وهذه نعمة عظمى، كونه يبشر بالجنة والسعادة عند قبض الروح، وعند ما يأتيه الملكان يسألانه، وعند بعثه ونشوره. فالآية عامة، تعم المواطن الثلاثة. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

تفسير قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾؛ أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم؛ أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك

نكون معكم في الآخرة، نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾؛ أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس، وتقر به العيون ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾؛ أي: مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم، كما اخترتم ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: ضيافة وعطاءً وإنعامًا من غفور لذنوبكم، رحيم بكم رءوف، حيث غفر، وستر، ورحم ولطف.
وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾، فقال: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أبي سعيد، حدثنا الأوزاعي، حدثني حسان بن عطية **عن سعيد بن المسيب: أنه لقي أبا هريرة** رضي الله عنه فقال أبو هريرة: نسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها، نزلوا بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة في أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، وتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس فيه أدناهم وما فيهم دنيء على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا[١].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، وهل نرى ربنا؟ قال ﷺ: «**نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟**» قلنا: لا.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة برقم (٢٥٤٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة الجنة، برقم (٤٣٣٦).

قال اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه: «**فكذلك لا تتمارون في رؤية ربكم تعالى، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضَرَه الله محاضرة، حتى إنه ليقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان، أتذكر يوم عملت كذا وكذا؟ ـ يذكره ببعض غدراته في الدنيا ـ فيقول: أي رب، أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه. قال: فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط. قال: ثم يقول ربنا ﷻ: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، وخذوا ما اشتهيتم. قال: فنأتي سوقًا قد حفت به الملائكة، فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب. قال: فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيه شيء ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا**) قال: «**فيُقبِل الرجل ذو المنزلة الرفيعة، فيلقى من هو دونه ـ وما فيهم دنيء فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه؛ وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحبًا وأهلًا بحبيبنا، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه. فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا به**». وقد رواه الترمذي في صفة الجنة من جامعه عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار به نحوه. ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة برقم (٢٥٤٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة الجنة برقم (٤٣٣٦).

كره لقاء الله فكره الله لقاءه»[١]. قلنا: يا رسول الله! كلنا نكره الموت؟ قال ﷺ: «**ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير**»..].

الشيخ: نعم، إذا احتضر..

قال الحافظ بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه**»، قال: «وإن الفاجر ـ أو الكافر ـ إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر ـ أو: ما يلقى من الشر ـ فكره لقاء الله فكره الله لقاءه»، وهذا حديث صحيح، وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه.

الشيخ: الله أكبر الله أكبر، بعده.

الملقي: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾.

الشيخ: بركة قف عليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذًا مثلما عندكم أبي سعيد كنيته أبي سعيد، والإسناد حسن، ولكن شواهده كثيرة، الله أكبر الله أكبر، الله يجعلنا وإياكم منهم. نعم.

الحكم على حديث: «فنأتي سوقًا قد حفت به الملائكة»:

- **س: حديث سوق الجنة صحته؟**

○ **الجواب**: لا بأس به، من باب الحسن.

*

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه برقم (٦٥٠٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه برقم (٢٦٨٤).

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠][1].**

فقد قال الله ﷻ، في كتابه المبين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾، يبيِّن سبحانه في هذه الآيات الكريمات مصير عباده المؤمنين الذين آمنوا به سبحانه، واستقاموا على إيمانهم وطاعتهم له حتى لقوه سبحانه، حتى ماتوا، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾؛ يعني: قالوا: إلٰهنا الله ومعبودنا، وخالقنا ورازقنا، ومدبِّر أمورنا هو الله وحده ﷻ، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾، على هذا الإقرار، وهذا الإيمان، فأطاعوا أمره، وتركوا نهيه، ووقفوا عند حدوده، وسارعوا إلى مراضيه، عن رغبة ورهبة، هكذا تكون الاستقامة، المستقيم هو الذي يسير إلى الله على الطريق الذي رسمه لعباده، قولًا، وعملًا، وعقيدة، لم يمل هكذا، وهكذا، ولم ينحرف؛ بل استقام على الطريق حتى وصل إلى ربه، المعنى: حتى قبضه الله إليه، حتى توفاه الله، أكثر الخلق ليس عنده استقامة، بل هو منحرف إما إلى الترك، والإعراض، والغفلة، وعدم رفع الرأس بما خلق له، وبما جاءت به الرسل، وهذا هو حال الأكثرين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، والطرف الثاني غالٍ مشدد قد اخترع دينًا لم

---

(١) من دروس سماحة الشيخ في مسجد التوعية في مكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧ هـ، شريط رقم (٢٠٧).

يأذن به الله، وأتى بشرائع يتعبد بها لم يشرعها الله، فهذا أيضًا ليس بمستقيم، وإنما المستقيم هو الذي سار على الطريق فلم ينحرف يمنة ولا يسرة، لم ينحرف يمينًا ولا شمالًا، ليس مع أهل الجفا والإعراض والغفلة، وليس مع أهل الغلو والبدعة، ولكنه سار على نهج الرعيل الأول، على نهج أصحاب النبي ﷺ، وأتباعهم بإحسان، سار على طريقهم في عبادة الله وحده، والإنابة إليه، وتعظيم أوامره ونواهيه وامتثال ما أمر به، وترك ما نهى عنه ولم يحد عن ذلك، بل سار على هذا الطريق معظمًا لأوامر الله، سائرًا لها، منقادًا لها، تاركًا لنواهي الله، محذرًا منها، مبغضًا لها، واقفًا عند حدود الله، يرجو ثواب الله، ويخشى عقاب الله، فهو حافظ ما وكل إليه، وما أُمر به، مستقيم عليه، يدعو إليه، ويوالي عليه، ويعادي عليه، فهذا له الجنة والكرامة، والعاقبة الحميدة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، المعنى: عند خروج الروح عند الموت تقول لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾؛ يعني: لا تخافوا مما أمامكم، ولا تحزنوا على ما خلَّفتم ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾، التي وعد الله بها عباده المؤمنين المتقين، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾، تقول لهم الملائكة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا﴾؛ يعني: في الآخرة في الجنة، ﴿...مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ يعني: ما تطلبون، ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾. هذه حالهم وهذا مصيرهم، في الدنيا على استقامة، وطمأنينة، وراحة ضمير، يعبدون الله وحده، ويعظِّمون أوامره، ونواهيه، وينقادون لشرعه، ويوالون أولياءه، ويعادون أعداءه، **ويحبون فيه، ويبغضون فيه،** وقلوبهم مرتاحة في غاية **الراحة والنعمة،** وإن كانوا فقراء فهم **في غاية**

الراحة والنعيم نعيم الروح، نعيم القلب بسبب تلذذهم بتوحيد الله، وإخلاصه له، وطاعتهم إياه، وإقبالهم عليه، وإعراضهم عما سواه، فهم مقبلون على طاعته مستقيمون عليها، مواظبون عليها، يوالون عليها، ويعادون عليها؛ لم يشغلهم حاجتهم إلى ما يحتاجون من الدنيا؛ لم يشغلهم ذلك عما أمروا به؛ ولم تشغلهم صحبة الناس عما أُمروا به؛ ولم يشغلهم ما يحتاجون إليه من الشهوات والمتع العاجلة عن طاعة ربهم، فهم قائمون بأمره، محافظون على حقه، راغبون فيما عنده، ولم ينسوا نصيبهم من الدنيا؛ بل كسبوا من الدنيا، ما يعينهم على طاعة الله من طريق الحلال، وصرفوا ما عندهم من فضل فيما يرضي الله ويقرب لديه، فهم مع المتقين، ومع المحسنين قد اتقوا الله واستقاموا على أمره، وقد أحسنوا الأجر إلى عباده فيما يستطيعون بدعوة وتوجيه، وأمر بالمعروف ونهي عن منكر، ومواساة وإحسان، وسد حاجة الفقير، وشفاعة لمظلوم إلى غير ذلك، من وجوه الخير فهم لم ينسوا هذا، ولا هذا؛ بل قاموا بهذا وهذا، هذه حال أولياء الله المستقيمين، هذه حال أولياء الله المتقين، وهذا مصيرهم إلى الجنة والكرامة والسعادة، وصحَّ عن رسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**إن المؤمن إذا حضره أجله نزلت عليه الملائكة تبشِّره برحمة الله ورضوانه، ويحب لقاء الله، ويحب الله لقاه، والكافر بعكس ذلك، إذا نزل به أجله، جاءته الملائكة تبشِّره بغضب الله ومقته، وعذابه، فيكره لقاء الله، ويكره الله لقاءه**».

ولهذا صحَّ عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**». قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ. قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ**

أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ، وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»(١). أو كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هذا شاهد لما دلَّت عليه الآية الكريمة، وأن المؤمن المستقيم على طاعة الله يُبشَّر عند الموت، بهذا الخير العظيم، ويقال له: لا تخف، ولا تحزن، وأبشر بما يسرك، ﴿...وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾، وفي آية الأحقاف يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٣، ١٤].

فالواجب على المؤمن أن يلزم الطريق، وأن لا يحيد عنه، حتى يلقى ربه، فهذه الدار، دار الخطر، ولا سيما في هذا العصر؛ فالمغريات كثيرة، والدعاة إلى الباطل كثيرون، والعلم قليل، وعواصف الهوى كثيرة، فالواجب على المؤمن أن يلزم الطريق، وأن يستقيم، ويسأل ربه الثبات على الحق، وأن يحذر صحبة الأشرار، وأن يجتهد في صحبة الأخيار، لعله يموت على حالة ترضي ربه، فيفوز كل الفوز، ويسعد كل السعادة.

رزقنا الله وإياكم الاستقامة، وأعاذنا وإياكم من أسباب الخزي والندامة، وحفظنا وإياكم من كل سوء، وتوفانا وإياكم على دينه، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه.

*

---

(١) متفق عليه، من حديث عبادة بن الصامت، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه برقم (٦٥٠٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه برقم (٢٦٨٣ و٢٦٨٤).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٣ ـ ٣٦](١).

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: دعا عباد الله إليه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾؛ أي: هو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم متعدٍّ وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى.

وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد، ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك، كما قال محمد بن سيرين والسدي وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه من أعظم الآيات في الدلالة على فضل الدعاة إلى الله ﷻ، فإن هذا الاستفهام معناه النفي، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ معناه النفي، يعني: لا أحد أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا، كونه يدعو إلى الله ويعمل بدعوته ليستقيم، يدعو إلى الحق ويعمل به، وينهى عن الباطل ويجتنبه، ما أحد أحسن قولًا منه. وفي الآية الأخرى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الخميس ٣ ـ ١١ ـ ١٤١٤هـ.

بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فإذا دعا إلى الله على بصيرة واتبع الحق فلا أحد أحسن قولًا منه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: المراد بها المؤذنون الصلحاء، كما ثبت في صحيح مسلم: «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة**»(١)، وفي السنن مرفوعًا: «**الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا شك أن المؤذنين من الدعاة إلى الله، فإذا صلحوا واستقاموا فهم على خير عظيم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن عروة الهروي، حدثنا غسان قاضي هراة. وقال أبو زرعة: حدثنا إبراهيم بن طهمان عن مطر عن الحسن عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين، وهو بين الأذان والإقامة كالمتشحط في سبيل الله تعالى في دمه). قال: وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: [لو كنت مؤذنًا ما باليت ألا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد]. قال: وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (لو كنت مؤذنًا لكمل أمري، وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم اغفر للمؤذنين. ثلاثًا**». قال: فقلت: يا رسول الله، تركتنا ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف. قال ﷺ: «**كلا يا**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه برقم (٣٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يجب على المؤذن من تعاهد الوقت برقم (٥١٧)، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء أن الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن برقم (٢٠٧)، والإمام أحمد (٢/ ٣٢، ٢٨٤، ٣٨٢، ٤١٩).

عمر، إنه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم، وتلك لحوم حرَّمها الله ﷻ على النار، لحوم المؤذنين». قال: وقالت عائشة ﵂: ولهم هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾، قالت: فهو المؤذن إذا قال: حي على الصلاة، فقد دعا إلى الله. وهكذا قال ابن عمر ﵄ وعكرمة: إنها نزلت في المؤذنين. وقد ذكر البغوي عن أبي أمامة الباهلي ﵁ أنه قال في قوله ﷻ: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ قال: يعني صلاة ركعتين بين الأذان والإقامة]. ثم أورد البغوي حديث عبد الله بن مغفل ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بين كل أذانين صلاة، ثم قال في الثالثة: لمن شاء**». وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من حديث عبد الله بن بريدة عنه[(١)]، وحديث الثوري عن زيد العمي عن أبي إياس معاوية بن قرة عن أنس بن مالك ﵁. قال الثوري: لا أراه إلا قد رفعه إلى النبي ﷺ: «**الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة**»[(٢)]. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة كلهم من حديث الثوري به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن. ورواه النسائي أيضًا من حديث سليمان التيمي عن قتادة عن أنس به. والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعًا بالكلية؛ لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة، حين أريه عبد الله بن عبد ربه الأنصاري ﵁ في منامه، فقصَّه على

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب كم بين الأذان والإقامة ومن ينتظر الإقامة برقم (٦٢٤)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب بين كل أذانين صلاة برقم (٨٣٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة برقم (٥٢١)، والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة برقم (٢١٢)، والنسائي في الكبرى، باب الترغيب في الدعاء بين الأذان والإقامة برقم (٩٨٩٦).

رسول الله ﷺ، فأمره أن يلقيه على بلال رضي الله عنه فإنه أندى صوتًا، كما هو مقرر في موضعه. فالصحيح إذًا أنها عامة، كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري: أنه تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، هذا خليفة الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وعلى رأسهم الرسل، على رأس هذه الآية الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم علماء الحق ودعاة الهدى.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾؛ أي: فرق عظيم بين هذه وهذه. ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر رضي الله عنه: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه]. وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ وهو الصديق، إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم، أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك. ثم قال عز وجل: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾؛ أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾؛ أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: [أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأن الصبر على الأذى صعب على النفوس، فإذا رزق الله

العبد الصبر والحلم وقابل السيئة بالحسنة هذا فضل عظيم من الله ﷻ، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾، يعني: هذه الوصية وهذا التوجيه، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾، ما كل أحد يقبل نفسه أن يقابل الإساءة بالإحسان، بل الغالب على النفوس مقابلة الإساءة بأكثر وأشد، لكن من وفقه الله ورحمه وبصره قابلها بالعفو والصفح والصبر والتحمل حتى يكون المسيء كأنه ولي حميد، وبهذا تكثر الخيرات، وتزول الشحناء، وتحل المودة بدل العداوة بسبب هذا الصبر وهذا الإحسان وهذه المجازاة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: إن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله والتجأت إليه، كفه عنك ورد كيده.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أن شياطين الإنس فيهم حيلة، بالصبر والتحمل والإحسان إليهم، لكن شيطان الجن لا حيلة فيه إلا التعوذ بالله؛ لأنه عدو عظيم لا يسره إلا هلاكك وإلا إيقاعك في كل ما يضرك، فلا حيلة فيه إلا باللجأ إلى الله والتعوذ بالله من شره، والحذر من مكائده، وعدم طاعته في المعصية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد كان رسول الله ﷺ: إذا قام إلى الصلاة يقول: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**». وقد قدمنا أن هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠]. وفي سورة

المؤمنين عند قوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦ - ٩٨]. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.

الشيخ: بركة، بركة، بارك الله فيك.

مداخلة: أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود أن المؤمن ينبغي له أن يتحرز من عدو الله بالاستعاذة بالله من الشيطان، وبالحذر من مكائده في المعاصي التي يكيد بها، فالحذر من المعاصي من أسباب السلامة من مكائده، والتعوذ بالله من الشيطان والإلحاح في ذلك والصدق من أسباب السلامة أيضًا.

الأسئلة:

الحكم على حديث الدعاء للمؤذنين بالمغفرة ثلاثًا:

مداخلة: أحسن الله إليك. تقييد مغفرة الله..

الشيخ: نعم؟

• **س**: **أقول: حديث تقييد مغفرة الله للمؤذنين بثلاث صحيح؟**

الشيخ: ماذا؟

مداخلة: أقول: حديث تقييد مغفرة الله للمؤذنين بثلاث هل هو صحيح؟

○ **الجواب**: ما أدري، يحتاج تأمل.

حكم أخذ الجوائز على المسابقات العلمية:

مداخلة: المسابقات.

الشيخ: نعم؟

• **س**: **المسابقات في العلم التي تكون فيها جوائز مالية هل هذه جائزة..؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: المسابقات على مسائل علمية يوضع عليها جوائز مالية.

○ **الجواب**: إذا كان فيها بحث أعطى بحث في كذا أو في كذا وكذا هذه من باب الجعالة، أما المسابقات الذي على حسب الأرقام، ما وافق رقم كذا يكون كذا من دون عمل فهذه مسألة القمار، لكن إذا كان عمل سؤالات عن البحوث، عن معلومات من قدم فيها بحث يعطى كذا فلا بأس بدون أن يقدم دراهم، ما يكون قمار، أما يقدم دراهم ويأخذ دراهم هذه قمار، لكن إذا كان قال: من قدم بحث في كذا يعطى جائزة كذا، من قدم بحث في كذا يعطى جائزة كذا هذا من باب الجعالة.

مداخلة: أحسن الله إليك. إذا كانت الأسئلة بعضهم ينقل من بعض الإجابة مثلما هو موجود الآن في كثير من..

الشيخ: المقصود إذا كان من باب الأجرة ما هو من باب المقامرة لا بأس، مو من باب المقامرة.

مداخلة: المسابقات أحسن الله إليك.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: مسابقات أسئلة.

الشيخ: يكتب..

مداخلة: ومن أجاب الإجابة الصحيحة فله جوائز، الأول..

الشيخ: نعم، نعم؟

مداخلة: أسئلة ـ أحسن الله إليك ـ ثم يقولون: من أجاب الإجابة الصحيحة فله جائزة، بعضهم ينقل من بعض، فهل هذا يكون جائز؟ قد سمعنا من يحرم هذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محل نظر، أقول: محل نظر، ولكن فيه تشجيع على العلم، هذا فيه تشجيع على العلم إذا كان من أجاب على الأسئلة الجواب الصحيح هذا جعل، من باب الجعالة، ما هو من باب القمار.

حكم أخذ الأجرة على الأذان:

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ. حديث..........**

○ **الجواب:** لا بأس به جيد، الأفضل أنه يكون متبرع أو من بيت المال أو من. . . . . أما كونه يستأجر كذا وكذا تركها أولى.

مداخلة: يكون في جواز. .

الشيخ: ما نهى عنه، النبي ﷺ قال: (لا يأخذ أجرًا)، ولم يقل لا تأخذوا، لكن الأفضل المؤذن الذي لا يأخذ أجرًا.

* *

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٧ ـ ٣٩](١).

يقول تعالى منبهًا خلقه على قدرته العظيمة، وأنه الذي لا نظير له،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الخميس ١٠ ـ ١١ ـ ١٤١٤هـ.

وأنه على ما يشاء قادر: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾؛ أي: أنه خلق الليل بظلامه والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يقران، والشمس ونورها وإشراقها، والقمر وضياءه وتقدير منازله في فلكه، واختلاف سيره في سمائه، ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والأعوام، ويتبين بذلك حلول الحقوق، وأوقات العبادات والمعاملات. ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبَّه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سبحانه. لا شك أن الليل والنهار والشمس والقمر من أعظم الآيات الدالة على قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق لأن يُعبد ويسجد له، وأما هي مخلوقات ومربوبات ومتصرف فيها، لا تستحق أن تُعبد من دون الله، ولهذا نبَّه سبحانه على ذلك وحذر منه، قال: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾؛ إذ هو الخلاق العليم القادر على كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الذي تجب طاعته والاستقامة على دينه، وإخلاص العبادة له وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والحذر من كل ما نهى عنه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ولا تشركوا به، فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؛ أي: عن إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره، ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾، يعني: الملائكة، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾،

كقوله ﷻ: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا سفيان - يعني ابن وكيع - حدثنا أبي، عن ابن أبي ليلى، عن أبي الزبير، عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الليل ولا النهار، ولا الشمس ولا القمر، ولا الرياح؛ فإنها تُرسَل رحمة لقوم، وعذابًا لقوم**». وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾؛ أي: على قدرته على إعادة الموتى، ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾؛ أي: هامدة لا نبات فيها، بل هي ميتة. ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾؛ أي: أخرجت من جميل ألوان الزروع والثمار، ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: سبحانه، لا إله إلا هو سبحانه.

الحكم على حديث تكوير الشمس والقمر في النار يوم القيامة:

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ! تكوير الشمس والقمر في النار يوم القيامة؟**

الشيخ: نعم؟

• **س: حديث تكوير الشمس والقمر في النار صحيح؟**

○ **الجواب**: ما أتذكر هذا الآن، لا أذكر هذا الآن، غالب ظني أنه صحيح، لكن لا أتذكر حاله الآن، نعم. يراجع.

تخريج حديث: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة»:

مداخلة: أحسن الله إليك! حديث: «**الشمس والقمر مكوران يوم القيامة**».

الشيخ: معك؟

مداخلة: إي نعم.

الشيخ: نعم.

مداخلة: في صحيح البخاري.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: في البخاري أحسن الله إليك!

الشيخ: نعم.

مداخلة: قال: حدثنا مسدد، قال: حدثنا عبد العزيز بن المختار، قال: حدثنا عبد الله الداناج، قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة، رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرانِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1].

قال الحافظ. أحسن الله إليك!

الشيخ: هذا في ابن كثير وإلا في الصحيح؟

مداخلة: في الصحيح، في البخاري.

الشيخ: نفسه؟

مداخلة: إي نعم.

الشيخ: لا بد يذكر أيضًا عند قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] إلى آخره.

مداخلة: قال أحسن الله إليك! الحافظ.

الشيخ: نعم.

مداخلة: قال.

الشيخ: عن أبي هريرة، أعد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مداخلة: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الشمس والقمر مكوران يوم القيامة**».

الشيخ: نعم.

---

(١) أخرجه البخاري من كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر برقم (٣٢٠٠).

مداخلة: قال الحافظ في الفتح: قوله: «**مكوران**» زاد في رواية البزار ومن ذكر معه: (في النار. فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال أبو سلمة: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقول: وما ذنبهما)؟! قال البزار: لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه. انتهى. وأخرج أبو يعلى معناه من حديث أنس، وفيه: (ليراهما من عبدهما)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وأخرجه الطيالسي من هذا الوجه مختصرًا، وأخرج ابن وهب في كتاب الأهوال عن عطاء بن يسار في قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩] قال: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار. ولابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه موقوفًا أيضًا. قال الخطابي: ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك، ولكنه تبكيت لمن كان يعبدهما في الدنيا، ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلًا. وقيل: إنهما خلقا من النار فأعيدا فيها. وقال الإسماعيلي: لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما، فإن لله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذابًا وآلة من آلات العذاب، وما شاء الله من ذلك، فلا تكون هي معذبة. وقال أبو موسى المديني في غريب الحديث: لما وصفا بأنهما يسبحان في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] وأن كل من عبد من دون الله إلا من سبقت له الحسنى يكون في النار وكانا في النار يعذب بهما أهلهما بحيث لا يبرحان منهما فصارا كأنهما ثوران عقيران. انتهى كلامه أحسن الله إليك!

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يتضح بهذا أن أصل التكوير في البخاري مكوران، وهذه رواية البزار الزيادة: في النار، بسند البخاري يعني. وعلى هذا يكون تكويرهما ثابتًا من رواية البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأن المراد في النار يعني حتى يكون ذلك

أشد في عذاب من عبدهما، وهو داخل في قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، فالأصنام مع أهلها في النار. نسأل الله العافية. وهكذا من عبد وهو راض كفرعون مع من عبده في النار. نسأل الله العافية.

فهكذا الشمس والقمر إذا كوّرا في النار يكون ذلك لمزيد حسرة من عبدهما. نسأل الله العافية. نعم. ثم قول الإسماعيلي ما يلزم من كونها أهل النار أن يعذبا، قد يكونا في النار ولا يعذبان، كما أن الملائكة الذين يتولون تصريف أمور النار كمالك وغيره لا ينالهم شيء من عذابها.

مداخلة: أحسن الله إليك! الحديث الذي يقول فيه..... من كان.....[1] فليتبعه حتى يدخل النار، ما يؤيده؟

الشيخ: كذلك نعم، يؤيد التكوير، إذا أتبع عبدة الشمس الشمس وعبدة القمر القمر.

* *

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ **[فصلت: ٤٠ ـ ٤٣]**[2].

قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ قال ابن

(١) بياض في الأصل.
(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

عباس: الإلحاد: وضع الكلام على غير مواضعه]. وقال قتادة وغيره: هو الكفر والعناد. وقوله ﷻ: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فيه تهديد شديد، ووعيد أكيد، أي: أنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال؛ ولهذا قال تعالى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني يميلون بها عن الحق، يلحدون فيها يعني: يميلون بها عن الحق ويصرفونها عن الحق بأهوائهم. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ أي: أيستوي هذا وهذا؟ لا يستويان. ثم قال ﷻ تهديدًا للكفرة: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾، قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراساني: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ وعيد، أي: من خير أو شر، إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾. ثم قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾، قال الضحاك والسدي وقتادة: وهو القرآن. ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾؛ أي: منيع الجناب، لا يرام أن يأتي أحد بمثله. ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾؛ أي: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾؛ أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى: محمود، أي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه، الجميع محمودة عواقبه وغاياته. ثم قال ﷻ: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾، قال قتادة والسدي وغيرهما: ما يقال لك من التكذيب إلا كما قيل للرسل من قبلك، فكما كُذِّبت كذبوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم فاصبر أنت على أذى قومك لك. وهذا اختيار ابن جرير، ولم يحك

هو ولا ابن أبي حاتم غيره. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾؛ أي: لمن تاب إليه، ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: لمن استمر على كفره وطغيانه وعناده وشقاقه ومخالفته. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: (نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدًا العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد**»[(١)].

* *

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ [فصلت: ٤٤ ـ ٤٥][(٢)].

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وإحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبَّه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنُّت، كما قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨، ١٩٩]، وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم،

---

(١) أورده ابن حاتم في التفسير وسنده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان وإرسال سعيد بن المسيب «حكمت بشير بتصرف».

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فجر الخميس ١ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

لقالوا على وجه التعنت والعناد: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾؟ أي: لقالوا: هلا أنزل مفصلًا بلغة العرب، ولأنكروا ذلك فقالوا: أعجمي وعربي؟ أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه. هكذا روي هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم. وقيل: المراد بقولهم: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾؟ أي: هل أنزل بعضها بالأعجمي، وبعضها بالعربي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنه هلّا، أي: هلّا، ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ﴾، يعني: هلّا!.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: هَلَّا أنزل بعضها بالأعجمي، وبعضها بالعربي! هذا قول الحسن البصري، وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله: (أعجمي)، وهو رواية عن سعيد بن جبير، وهو في التعنت والعناد أبلغ. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾؛ أي: قل يا محمد: هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾؛ أي: لا يفهمون ما فيه، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾؛ أي: لا يهتدون إلى ما فيه من البيان، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾، قال مجاهد: يعني بعيد من قلوبهم. قال ابن جرير: معناه: كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد، لا يفهمون ما يقول. قلت: وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم. وقال السدي كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جالسًا عند رجل من المسلمين يقضي، إذ قال: يا لبيكاه! فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لم تلبي؟

هل رأيت أحدًا، أو دعاك أحد؟ قال: دعاني داع من وراء البحر. فقال عمر رضي الله عنه: أولئك ينادون من مكان بعيد. رواه ابن أبي حاتم(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود من هذا: أن الله جل وعلا جعل كتابه العظيم هدى وشفاء لأهل الإيمان المصدِّقين، بما فيه من المواعظ والذكرى والأحكام وضرب الأمثال والقصص العظيم، ولهذا قال فيه جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣]، يعني: يشبه بعضه بعضًا. وقال جل وعلا: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، فالمؤمنون يستفيدون من ذلك ويفهمونه ويعقلونه، لأنه كلام واضح عربي. وأما الذين في آذانهم وقر وعمى ولا قصدوا فهمه ولا أرادوا انتفاعًا فلهذا صاروا صم بكم. فالواجب على العلماء النصح للناس، والصبر على الأذى من الناس، ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. فالواجب على العاقل المكلف أن يتفهم وأن يتعقل ما أمر به وما نهي عنه، وما ضربت له الأمثال حتى يستجيب على هدى وعلى بصيرة، فلا يرضى لنفسه أن يكون كالأنعام، لا يرضى لنفسه، العاقل لا يرضى لنفسه هذا، يقول جل وعلا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]. نسأل الله العافية. ويقول جل وعلا في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] كالإبل والبقر والغنم. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، يعني: جعل الله أمرهم أشنع من البهائم، لأن هؤلاء أعطوا العقول؛ أعطوا فهم

---

(١) سنده ضعيف لأن السدي لم يلق عمر رضي الله عنه «حكمت».

ولكن لم يستعملوه فصاروا أضل من البقر والغنم والإبل، ولهذا قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فهل يرضى العاقل لنفسه هذا الوصف؟ فالواجب أن لا يرضى، الواجب أن يشمر عن ساعد الجد في التفهم والتعقل والسؤال عما أشكل عليه والعمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾؛ أي: كذب وأوذي، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الشورى: ١٤] بتأخير الحساب إلى يوم المعاد، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: لعجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلًا. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠)﴾؛ أي: وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا، بل كانوا شاكين فيما قالوه، غير محققين لشيء كانوا فيه. هكذا وجهه ابن جرير، وهو محتمل، والله أعلم.

الشيخ: الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا القرآن يخاطبنا كما خاطب من قبلنا، العاقل ينظر، لا يقرؤه غافل القلب، بل يقرؤه مقبل القلب، يريد أن يفهم، يريد أن يعقل ما قاله الله من أمر ونهي وقصص وضرب أمثلة؛ حتى يستفيد.. حتى ينتفع، وحتى لا يكون مثل هؤلاء الصم البكم الذين ذمهم الله وعابهم، وجعلهم شرًّا من الأنعام. نسأل الله العافية.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ **[فصلت: ٤٦ ـ ٤٨]**(١).

يقول تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾؛ أي: إنما يعود نفع ذلك على نفسه، ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾؛ أي: إنما يرجع وبال ذلك عليه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: لا يعاقب أحدًا إلا بذنب، ولا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه.

ثم قال ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ﴾؛ أي: لا يعلم ذلك أحد سواه، كما قال محمد ﷺ وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة، فقال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، وكما قال ﷻ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٤]، وقال جل جلاله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾؛ أي: الجميع بعلمه، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال جلّت عظمته: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود أنه يعلم كل شيء، لا يخفى عليه خافية من شئون عباده وخلقه، كما قال جَلَّ في آخر سورة الطلاق: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، ويقول في مواضع كثيرة: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]. فالعاقل الحازم هو الذي ينزل حاجاته بربه ويضرع إليه ويسأله التوفيق والإعانة والتسديد، ويرغب إليه في طلب التوفيق لأسباب النجاة والعافية من أسباب الهلاك، ويكون ذلك ديدنه في سجوده، في آخر صلاته، في سائر أوقاته، يضرع إلى الله، ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وقوله جَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾؛ أي: يوم القيامة ينادي الله المشركين على رءوس الخلائق: أين شركائي الذين عبدتموهم معي؟ ﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾؛ أي: أعلمناك، ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝٤٧﴾؛ أي: ليس أحد منا اليوم يشهد أن معك شريكًا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: ذهبوا فلم ينفعوهم، ﴿وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٤٨﴾؛ أي: وظن المشركون يوم القيامة، وهذا بمعنى اليقين، ﴿وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٤٨﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأن الظن يأتي بمعنى اليقين، مثل هذا: ﴿وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم﴾، يعني: أيقنوا، مثل قوله جَلَّ: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، يعني: أيقنوا، قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، يعني: يوقنون.. والظن الثاني الراجح، الراجح من الأمرين يسمى ظنًّا، واليقين يسمى ظنًّا إذا اتضح الأمر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٤٨﴾؛ أي: لا محيد لهم عن عذاب الله، كقوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ۝٤٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾ [فصلت: ٤٩ ـ ٥١][(١)].

يقول تعالى: لا يمل الإنسان من دعائه ربه بالخير، وهو المال وصحة الجسم، وغير ذلك، ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ وهو البلاء أو الفقر ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ۝٤٩﴾؛ أي: يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الغالب على الناس، الغالب على أكثر الخلق، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، هم لا يسأمون دعاء الخير لحاجاتهم، وإذا مسه الشر يئس وقنط، أما المؤمن لا، المؤمن حسن الظن بربه، يدعوه ويرجوه ويخافه ولا ييأس ولا يقنط، بل هو دائم الرجاء، حسن الظن بالله، إن أجيب أو لم يُجَب، إن أجيب أحسن الظن بربه وأن الله لم يجبه لأسباب من نفسه، أو لحكمة بالغة اقتضت ذلك، هكذا المؤمن، فهو حسن الظن بالله ليس بيئوس ولا قنوط.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾؛ أي: إذا أصابه خير ورزق بعدما كان في شدة ليقولن: هذا لي، إني كنت أستحقه عند ربي، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾؛ أي: يكفر بقيام الساعة، أي: لأجل أنه خول نعمة يفخر ويبطر ويكفر، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]. ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿لَلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: ولئن كان ثَمَّ معاد فليحسنن إلي ربي، كما أحسن إلي في هذه الدار، يتمنى على الله ﷻ مع إساءته العمل وعدم اليقين. قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾، يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال، ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾؛ أي: أعرض عن الطاعة، واستكبر عن الانقياد لأوامر الله ﷻ، كقوله جل جلاله: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ﴾ [الذاريات: ٣٩]. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾؛ أي: الشدة، ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾؛ أي: يطيل المسألة في الشيء الواحد، فالكلام العريض: ما طال لفظه وقل معناه. والوجيز: عكسه، وهو: ما قل ودل. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ [يونس: ١٢]، الآية].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا هو وصف الإنسان الغالب عليه، إلا من رحم الله.

❊

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٢ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤﴾ **[فصلت: ٥٢ ـ ٥٤]**[(١)].

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر الخميس ٨ ـ ٥ ـ ١٤١٥هـ.

﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ هـذا القـرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم﴾؛ أي: كيف ترون حالكم عند الذي أنزله على رسوله؟ ولهذا قال ﷻ: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾؛ أي: في كفر وعناد ومشاقة للحق، ومسلك بعيد من الهدى.

ثـم قـال ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقًّا منزلًا من عند الله ﷻ على رسوله ﷺ بدلائل خارجية ﴿فِى ٱلْأَفَاقِ﴾ من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان. قال مجاهد والحسن والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر الله فيها محمدًا ﷺ وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه. ويحتمل أن يكون المراد من ذلك: ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاختلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى. وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبح وغير ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله، وقوته، وحيله، وحذره أن يجوزها، ولا يتعداها، كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه التفكر والاعتبار، عن شيخه أبي جعفر القرشي حيث قال وأحسن المقال:

وإذا نظرت تريد معتبرًا ... فانظر إليك ففيك معتبر
أنت الذي تمشي وتصبح ... في الدنيا وكل أموره عبر
أنت المصرف كان في صغر ... ثم استقل بشخصك الكبر
أنت الذي تنعاه خلقته ... ينعاه منه الشعر والبشر
أنت الذي تعطي وتسلب ... لا ينجيه من أن يُسلب الحذر
أنت الذي لا شيء منه له ... وأحق منه بما له القدر]

الشيخ: ماذا عندكم؟

مداخلة: عندنا: الذي تمسي، يقول: تمشي.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: عندنا: أنت الذي تمسي.

الشيخ: تمسي؟

مداخلة: وتصبح.

الشيخ: ماذا عندك؟

الملقي: [أنت الذي لا شيء منه له].

مداخلة: لا.. لا البيت الأول.

الشيخ: الذي قبله، البيت الأول.

الملقي: [أنت الذي تعطي وتسلب].

الشيخ: ماذا؟ أنت الذي؟

مداخلة: البيت الثاني.

الشيخ: أنت الذي؟

الملقي: البيت الثاني: [أنت الذي تمسي وتصبح في الدنيا].

الشيخ: تمسي، نعم.

الملقي: نعم. [أنت الذي تمسي].

الشيخ: نعم.

الملقي: [أنت الذي تمشي وتصبح في الدنيا وكل أموره عبر].

الشيخ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾؛ أي: كفى بالله شهيدًا على أفعال عباده وأقوالهم]، وهو يشهد أن محمدًا ﷺ صادق فيما أخبر به عنه، كما قال: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ﴾ [النساء: ١٦٦] الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا شك أن من تأمل حاله، وما أعطاه الله من علم وسمع وبصر، وحواس بعدما كان نطفة ضعيفًا، أو علقة ثم مضغة وطفلًا لا يعقل شيئًا، ثم لم يزل يترقى ويتعلم؛ حتى صار رجلًا كبيرًا يأخذ ويعطي، ويأمر وينهى ويتصرف، من تفكر في هذا عرف قدرة الله وعظمته، وأنه سبحانه هو رب العالمين، المستحق لأن يعبد ويعظم جَلَّ وَعَلَا. وهكذا من تفكر في المخلوقات الأخرى العظيمة الكثيرة، من البشر وغير البشر، وسائر الحيوانات والنباتات، والجبال والمعادن. في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد سبحانه وتعالى..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في شك من قيام الساعة؛ ولهذا لا يتفكرون فيه، ولا يعملون له، ولا يحذرون منه، بل هو عندهم هدر لا يعبئون به وهو كائن لا محالة، وواقع لا ريب فيه. قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا خلف بن تميم، حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سعيد الأنصاري قال: إن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صعد المنبر، فحمد، الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق، والمكذب به هالك، ثم نزل. ومعنى قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أن المصدق به أحمق) أي: لأنه لا يعمل له عمل مثله، ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله، وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه، وهو مع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه، فهو أحمق بهذا الاعتبار، والأحمق في اللغة: ضعيف العقل. وقوله: (والمكذب به هالك) هذا واضح. والله أعلم.

ثم قال تعالى مقررًا على أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ

شَيْءٍ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾؛ أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وتحت طي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو. آخر تفسير سورة فصلت].

الحكم على أثر: (فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق) وبيان معناه:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الأثر في صحته نظر عن عمر ولو صح فالمراد يعني بعض من صدق به، ما يقال أن المصدقين أنهم حمق، المصدقون: هم الأكياس، هم الأبرار، هم الموفقون، إذا صدقوا التصديق الذي يثمر العمل، لكن مراده رحمه الله ـ لو صح ـ مراده أن بعض المصدقين ما أعطوا التصديق حقه، قصروا، صدقوا وقصروا، فما أعطوه حقه من الإعداد للآخرة والتأهب لها والحذر من المعاصي، فهم حمق بهذا المعنى. وأما أن يطلق الحمق على كل المصدقين ما يجوز، الرسل مصدقون والمؤمنون مصدقون وليسوا بحمق، بل هم الأكياس، هم العقلاء، هم الفضلاء، هم الأخيار، هم خلاصة الأمة، لصدقهم وتصديقهم وقيامهم بالحق، لكن بعض المصدقين من الفساق والمقصرين حمق، بمعنى: أنهم ضيعوا بعض الواجب، وركبوا بعض المحرم، ولو كان تصديقهم تصديقًا كاملًا لاستقاموا..

مثل ما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ..

● **س: يا شيخ أحسن الله إليك! إطلاق الصانع على الله؟**

○ **الجواب**: هو صانع المخلوقات، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] سمَّاه صُنع الله الذي أتقن كل شيء، لكن ما جاء في أسمائه الحسنى، والا هو صانع المخلوقات وموجدها وخالقها.

❒ ❒ ❒

تفسير آيات من سورة الشورى(١)

(القارئ): الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❐ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [الشورى: ١ ـ ٦].

تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾: قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة، وقد روى ابن جرير هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا منكرًا وقال: أخبرنا أحمد بن زهير، حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، عن أرطأة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال له وعنده حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «أخبرني عن تفسير قول الله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ قال: فأطرق، ثم أعرض عنه، ثم كرَّر مقالته فأعرض عنه فلم يجبه بشيء وكره مقالته، ثم كرَّرها الثالثة فلم يحر إليه شيئًا، فقال له حذيفة رضي الله عنه: أنا أنبئك بها، قد عرفت لِمَ كرهها، نزلت في رجل من أهل بيته يقال له: عبد الإله وعبد الله

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله بقراءة فضيلة الشيخ أحمد العرفج حفظه الله.

ينزل على نهر من أنهار المشرق، تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقًّا، فإذا أذن الله تبارك وتعالى بزوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله ﷻ على إحداهما نارًا ليلًا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها متعجبة! كيف أُفلتت؟! فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم، ثم يخسف الله بها وبهم جميعًا، فذلك قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ ﴿عٓسٓقٓ﴾؛ يعني: عزيمة من الله تعالى وفتنة وقضاء، ﴿حمٓ﴾، (ع)؛ يعني: عدلًا منه، (س)؛ يعني: سيكون، (ق)؛ يعني: واقع بهاتين المدينتين».

وأغرب منه ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في الجزء الثاني من «مسند ابن عباس رضي الله عنهما» عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذلك، ولكن إسناده ضعيف جدًّا ومنقطع، فإنه قال: حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم، حدثنا أبو عبد الله الحسن بن يحيى الخشني الدمشقي، عن أبي معاوية قال: «صعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المنبر فقال: أيها الناس! هل سمع منكم أحد رسول الله ﷺ يفسِّر ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾؟ فوثب ابن عباس رضي الله عنهما فقال: أنا، قال: ﴿حمٓ﴾ اسم من أسماء الله تعالى، قال: فـ(ع) قال: عاين المولون عذاب يوم بدر، قال: فـ(س) قال: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] قال: فـ(ق) فسكت فقام أبو ذر ففسَّر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وقال: (ق) قارعة من السماء تغشى الناس».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: مقصوده: أن الحديثين لا صحة لهما؛ الحديث الأخير هذا معضل لا صحة له، والأول في سنده نظر، السند الأول ابن جرير، حدثنا سند ابن جرير؟

تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[وقوله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: كما أنزل إليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتب والصحف على

الأنبياء قبلك، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: في انتقامه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في أقواله وأفعاله.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**». قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا». أخرجاه في «الصَّحيحين» ولفظه للبخاري[1]، وقد رواه الطبراني عن عبد الله ابن الإمام أحمد، عن أبيه، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، عن الحارث بن هشام أنه سأل رسول الله ﷺ: «كيف ينزل عليك الوحي؟ فقال ﷺ: «**في مثل صلصلة الجرس، فيفصم عني وقد وعيت ما قال**»، وقال: «**وهو أشده عليّ**»، قال: «**وَأَحْيَانًا يأتيني المَلَكُ فَيَتَمثَّل لِيَ فَيُكَلِّمُني فَأَعِي مَا يَقُولُ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١] هذا وقع للنبي ﷺ الثلاث، يأتيه الوحي كصلصلة الجرس وهو أشده عليه يسمعه ويصغي إليه وهو ثقيل عليه، كما قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، وتارة يأتيه الملك فيكلمه صورة؛ يعني: جبرائيل، تارة في صورة دحية بن خليفة الكلبي، وتارة في صورة غيره فيكلمه،

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢١٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي برقم (٢٣٣٣).

وتارة يكلمه الله وهو القليل كما كلَّمه الله في فرض الصلوات، فرضها الله عليه ﷻ مشافهة من غير واسطة، وكما كلَّم موسى. هذه أنواع الوحي **الثلاثة: تارة يسمعه كصلصلة الجرس، الوحي الذي يوحى إليه بواسطة هذا الملك، وتارة يحضر الملك بنفسه، وتارة يكلم الله الرسول نفسه.**

(مداخلة): . . . أحسن الله إليك الرؤية في المنام وحي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذه تدخل في جنس الصلصلة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن الوليد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سألت رسول الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ تُحِسُّ بِالْوَحْيِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، أَسْمَعُ صَلَاصِلَ ثُمَّ أَسْكُتُ عِنْدَ ذَلِكَ فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تَفِيضُ**»، تفرّد به أحمد[1].

وقد ذكرنا كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ في أول شرح البخاري بما أغنى عن إعادتها هنا، ولله الحمد والمنّة.

تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: [وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: الجميع عبيد له وملك له تحت قهره وتصريفه.

(مداخلة): أحمد بن زهير ما ذكره يا شيخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ما ذكره، وأرطأة؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له وعنده حذيفة بن اليمان.

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (٢/ ٢٢٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكر في «التقريب» أنه لم يدرك الصحابة من أتباع التابعين يصير منقطعًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: انظر عبد الوهاب بن نجدة الحوطي.

(مداخلة): عبد الوهاب بن نجدة بفتح النون وسكون الجيم، الحوطي بفتح المهملة بعدها واو ساكنة، أبو محمد، ثقة، من العاشرة، مات سنة اثنتين وثلاثين. أبو داود والنسائي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، المقصود: أحمد بن زهير في الترجمة المؤلف حكم عليه بأنه منكر، وغريب، وهذا في علته انقطاع وإلا غرابة المتن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] والآيات في هذا كثيرة.

تفسير قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾. وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والضحاك وقتادة والسدي وكعب الأحبار: أي: فرَقًا من العظمة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: خوفًا من الله سبحانه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ كقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إعلام بذلك وتنويه به.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٦]؛ يعني: المشركين ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: شهيد على أعمالهم يحصيها ويعدها عدًّا، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [الشورى: ٦]؛ **أي: إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل.**

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٧، ٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا . . .﴾.

يقول تعالى: وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾؛ أي: واضحًا جليًّا بيِّنًا ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ وهي مكة ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾؛ أي: من سائر البلاد شرقًا وغربًا، وسُمِّيت مكة: أم القرى؛ لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها، ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري، حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمٰن قال: إن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»، هكذا رواية الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي: حسن صحيح(١).

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل مكة برقم (٣٩٢٥)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب فضل مكة برقم (٣١٠٨)، والإمام أحمد (٤/ ٣٠٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (. . . أحب أرض الله إليَّ) عندك نسخة: (إلى الله)؟

(الطالب): نعم، عندي (إلى الله).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسخة (إليَّ) وأنتم عندكم (إلى الله) راجع الأصول، تراجع الأصول إن شاء الله. انظر عبد الله بن عدي بن الحمراء، في المكبرين، الأسماء المكبرة، عبد الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: لا شك في وقوعه، وأنه كائن لا محالة.

وقوله ﷻ: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]؛ أي: يغبن أهل الجنة أهل النار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو الغبن العظيم، هذا هو الغبن الذي ما فوقه غبن، نسأل الله العافية، أن يُساق هؤلاء إلى النار وهؤلاء إلى الجنة، فرق عظيم، أهل النار قد غبنوا أعظم غبن، وأخبث غبن، ليس له نهاية، نسأل الله العافية. أعوذ بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٣ ـ ١٠٥].

قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا ليث، حدثني

أبو قبيل المعافري، عن شفي الأصبحي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟**». فقلنا: لا يا رسول الله إلّا أن تخبرنا. فقال للّذي في يده اليمنى: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا**». ثم قال للذي في شماله: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا**». فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله، إن كان أمرٌ قد فرغ منه؟ فقال: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ**». ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ثمّ قال: «**فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**»[1].

وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعًا، عن قتيبة، عن الليث بن سعد وبكر بن مضر، كلاهما عن أبي قبيل، عن شفي بن ماتع الأصبحي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما به. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

وساقه البغوي في «تفسيره» من طريق بشر بن بكر، عن سعيد بن عثمان، عن أبي الزاهرية، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فذكره بنحوه وعنده زيادات منها: ثم قال: «**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**»[2]. عدلٌ من الله عز وجل.

ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عن الليث به، ورواه ابن جرير، عن يونس، عن ابن وهب، عن عمرو بن

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في كتاب الولاء والهبة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن الله كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار برقم (٢١٤١)، والإمام أحمد (٢/ ١٦٧).

(٢) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٧/ ١٨٥).

الحارث، عن أبي قبيل، عن شفي، عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم فذكره.

ثم روى عن يونس، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح، عن يحيى بن أبي أسيد، أن أبا فراس حدَّثه أنه سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول: «إن الله تعالى لما خلق آدم نفضه نفض المرود».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: . . . ماذا؟ مرود؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «إن الله تعالى لما خلق آدم نفضه نفض المرود».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وأخرج منه كل ذريته».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذا يؤيد المزود. . . بالزاي.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«فخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ثم قال: شقي وسعيد، ثم ألقاهما، ثم قبضهما، فقال: فريق في الجنة وفريق في السعير» وهذا الموقوف أشبه بالصواب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(مداخلة): عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري، قيل: إنه ثقفي وحالف بني زهرة، صحابي له حديث في فضل مكة في الترمذي والنسائي وابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: . . . طيب.

تأمل، فيه أبو قبيل، لكن له شواهد، أبو قبيل فيه نظر، مقبول، انظر أبو قبيل، لكن له شواهد، قال المؤلف: له شواهد، والمعنى صحيح، المعنى صحيح، مثلما قال جل وعلا: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾، ومثلما جاء في حديث ابن مسعود: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلك، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِك، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا، فَيُؤمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُم لَيَعْمَلُ**

حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[١]، ومثلما قال ﷺ: «**إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»، كل هذا أمر معلوم، ولما أخبر في حجة الوداع قال: ففيمَ العمل؟ قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» نعم، قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**»، النصوص متواترة في هذا، والقرآن دالٌّ على ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يراجع النهاية، راجعوا النهاية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد ـ يعني: ابن سلمة ـ، أخبرنا الجريري عن أبي نضرة قال: «إن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ يقال له: أبو عبد الله دخل عليه أصحابه ـ يعني: يزورونه ـ فوجدوه يبكي، فقالوا له: ما يبكيك؟ ألم يقل لك رسول الله ﷺ: «**خُذْ مِنْ شَارِبِكَ ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم أقره، نعم؛ يعني: لأنه جاء أجله، قريب، بعد موته ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال: بلا، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تعالى قبض

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته برقم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٧٦ و٥/ ٦٨).

بيمينه قبضة وأخرى باليد الأخرى قال: هذه لهذه، وهذه لهذه ولا أبالي، فلا أدري في أي القبضتين أنا؟».

وأحاديث القدر في «الصحاح» و«السنن» و«المسانيد» كثيرة جدًّا؛ منها: حديث علي وابن مسعود وعائشة وجماعة جمة ﷺ أجمعين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أقرَّه صلحتها؟

(القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أقرَّه في نسخة: (عندكم أوفره؟) نسخة: (عندكم، أوفره؟).

(مداخلة): إي نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسخة، والذي ما عنده أقرّه يكون نسخة أقره، المعنى واحد أوفره وأقره، المعنى والله أعلم؛ يعني: أن لحاقك بي قريب؛ يعني: إذا قصصت الشارب... إن صحَّ الخبر إسناده لا بأس به أعد السند. حدثنا.

(القارئ): وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد ـ يعني: ابن سلمة ـ أخبرنا الجريري، عن أبي نضرة قال....

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا جيد... معناه: أنه سريع الموت بعد النبي ﷺ، ماذا بعده...؟

(مداخلة): صحيح، أحسن الله إليك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: سنده جيد.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: إما على الهداية أو على الضلالة، ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء إلى الحق، وأضل من يشاء عنه، وله الحكمة والحجة البالغة، ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] الله المستعان، سبحانه له الحكمة البالغة جَلَّ وَعَلَا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا وهيب، أخبرني الحارث، عن عمرو بن أبي سويد، أنه حدَّثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «يا رب! خَلْقُك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقًا في الجنة وفريقًا في النار، لوما أدخلتهم كلهم الجنة؟ فقال: يا موسى! ارفع درعك. فرفع، قال: قد رفعت، قال: ارفع، فرفع، فلم يترك شيئًا، قال: يا رب! قد رفعت، قال: ارفع، قال: قد رفعت إلا ما لا خير فيه، قال: كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه».

(السَّائِل): «إلا ما لا طير فيه».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ما لا خير فيه» نعم، يعني: عدة، كشف العورة، حطه على ما عنده: (لا خير فيه)، وهم الأكثرون، نسأل الله العافية.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ **[الشورى: ٩]**.

(القارئ): ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(مداخلة): قال: هو حيي بن هانئ بن ناضر ـ بضاد معجمة ـ المعافري أبو قبيل ـ بفتح القاف ـ المصري.

عن عقبة بن عمرو، قال: والصواب عامر، عن عقبة بن عامر

وعبد الله بن عمرو، وعنه يزيد بن أبي الحبيب، ويحيى بن أيوب والليث وثَّقه ابن معين وغيره، قال ابن يونس: تُوفِّي سنة ثمان عشرة ومائة، روى عنه البخاري في «خلق أفعال العباد»، وأبو داود في «القدر» والترمذي والنسائي وابن ماجه في «التفسير».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي «التقريب»، لا بأس...، التقريب موجود؟

(مداخلة): موجود.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وماذا قال على أبي قبيل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أبو قبيل في الكنى؛ مشهور بالكنية؟

(مداخلة): ... إسناد ابن جرير الأخير... الحارس أو الحارث.

(القارئ): وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا وهيب، أخبرني الحارث، عن عمرو بن أبي سويد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الحارث بالثاء.

(القارئ): بالثاء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

(القارئ): نصلحها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

*

سورة حم عسق[1]

ويذكر، عن ابن عبّاسٍ: ﴿عَقِيمًاۚ﴾ [الشورى: ٥٠]: لَا تَلِدُ، ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [٥٢]: الْقُرْآنُ، وقال مجاهدٌ: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ﴾ [١١]: نَسْلٌ بَعْدَ نَسْلٍ، ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا﴾ [١٥]: لَا خُصُومَةَ بيننا وبينكم، ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ﴾

---

(١) وهي سورة الشورى.

[٤٥]: ذَلِيلٍ، وقال غيره: ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [٣٣]: يَتَحَرَّكْنَ، وَلَا يَجْرِينَ فِي الْبَحْرِ، ﴿شَرَعُوا۟﴾ [٢١]: ابْتَدَعُوا[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]؛ يعني: ابتدعوا، وهذه الآية أصلٌ في منع البدع ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] على سبيل الذّمّ والعيب والتّحذير. كما فعل المشركون في عبادة الّلات والعزّى ومناة وغير ذلك مما شرعوه.

❊

□ تفسير قوله تعالى: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

الله خالق كل شيء وما سواه مخلوق

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد[٢]:

فقد كتب إليّ بعض الإخوان يذكر أنه ألقى عليه بعض زملائه شبهة قائلًا: إنه يعترف أن الله سبحانه هو خالق السماوات والأرض، والعرش والكرسي وكل شيء، ولكنه يسأل قائلًا: الله ممن يكون؟

فأجابه بقوله له: كلامك الأول صحيح لا تعليق عليه، أما قولك الثاني وهو قولك: الله ممن يكون؟ فلا يقوله مسلم، وينبغي أن يسعك ما

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ (إملاءات).

وسع الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم لم يسألوا مثل هذا السؤال، وهم الفطاحل في العلم، وقال له أيضًا: إن الله سبحانه قال عن نفسه: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] إلى آخر ما ذكره. ورغب إليّ في الإجابة عن هذه الشبهة فأجبته عن ذلك بما نصّه:

اعلم وفَّقني الله وإياك وسائر المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه: أن شياطين الإنس والجن لم يزالوا ولن يزالوا يوردون الكثير من الشبه على أهل الإسلام وغيرهم، للتشكيك في الحق وإخراج المسلم من النور إلى الظلمات، وتثبيت الكافر على عقيدته الباطلة، وما ذاك إلا لما سبق في علم الله وقدره السابق، من جعل هذه الدار دار ابتلاء وامتحان وصراع بين الحق والباطل، حتى يتبين طالب الهدى من غيره، وحتى يتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، كما قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿...وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢ ـ ١١٣]، فأوضح سبحانه في الآية الأولى والثانية والثالثة: أنه يبتلي مدّعي الإيمان بشيء من الفتن؛ ليتبين صدقه في إيمانه وعدمه.

وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك بمن مضى؛ ليعلم سبحانه الصادقين من الكاذبين، وهذه الفتنة تشمل فتنة المال والفقر والمرض والصحة والعدو،

وما يلقي الشياطين من الإنس والجن من أنواع الشبه وغير ذلك من أنواع الفتن، فيتبين بعد ذلك الصادق في إيمانه من الكاذب، ويعلم الله ذلك علمًا ظاهرًا، موجودًا في الخارج بعد علمه السابق؛ لأنه سبحانه قد سبق في علمه كل شيء، كما قال ﷻ: ﴿...لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ـ قَالَ ـ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**». خرَّجه مسلم في صحيحه، ولكنه ﷻ لا يؤاخذ العباد بمقتضى علمه السابق، وإنما يؤاخذهم ويثيبهم على ما يعلمه منهم، بعد عملهم إياه، ووجوده منهم في الخارج.

وذكر في الآيات الرابعة والخامسة والسادسة: أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم من أنواع الشُّبَه وزخرف القول ما يغرونهم به ليجادلوا به أهل الحق، ويشبهوا به على أهل الإيمان، ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ليرضوا به، فيصولوا ويجولوا، ويلبِّسوا الحق بالباطل، ليشككوا الناس في الحق، ويصدُّوهم عن الهدى، وما الله بغافل عما يعملون، لكن من رحمته ﷻ أن قيّض لهؤلاء الشياطين وأوليائهم من يكشف باطلهم، ويزيح شبهتهم، بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة، فيقيموا بذلك الحجة، ويقطعوا المعذرة، وأنزل كتابه سبحانه تبيانًا لكل شيء، كما قال ﷻ: ﴿...وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، قال بعض السلف: هذه الآية عامة لكل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة؛ أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله إنّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلّم

به. قال: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**». قالوا: نعم. قال: «**ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ**».

قال بعض أهل العلم في تفسير ذلك: إن الإنسان قد يوقع الشيطان في نفسه من الشكوك والوساوس ما يصعب عليه أن ينطق به لعظم بشاعته ونكارته، حتى إن خروره من السماء أهون عليه من أن ينطق به، فاستنكار العبد لهذه الوساوس، واستعظامه إياها ومحاربته لها هو صريح الإيمان؛ لأن إيمانه الصادق بالله ﷻ وبكمال أسمائه وصفاته، وأنه لا شبيه له، ولا ند له، وأنه الخلاق العليم الحكيم الخبير، يقتضي منه إنكار هذه الشكوك والوساوس ومحاربتها، واعتقاد بطلانها، ولا شك أن ما ذكره لك هذا الزميل من جملة الوساوس، وقد أحسنت في جوابه ووُفِّقت للصواب فيما رددت به عليه، زادك الله علمًا وتوفيقًا.

وأنا أذكر لك إن شاء الله في هذا الجواب بعض ما ورد في هذه المسألة من الأحاديث، وبعض كلام أهل العلم عليها، لعله يتضح لك من ذلك وللزميل المبتلَى بالشبهة التي ذكرت، ما يكشف الشبهة ويبطلها ويوضِّح الحق، ويبيِّن ما يجب على المؤمن أن يقوله ويعتمده عند ورود مثل هذه الشبهة، ثم أختم ذلك بما يفتح الله عليَّ في هذا المقام العظيم، وهو سبحانه ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الجامع الصحيح» ص٣٣٦ من المجلد السادس من فتح الباري ـ طبعة المطبعة السلفية ـ في باب صفة إبليس وجنوده: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير قال: قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ، فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ، وَلْيَنْتَهِ**»، ثم رواه في كتاب (الاعتصام) ص٢٦٤ من المجلد الثالث عشر من «فتح الباري» عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى**

يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟»[(١)] انتهى.

وأخرج مسلم في «صحيحه» اللفظ الأول من حديث أبي هريرة ص١٥٤ من الجزء الثاني من المجلد الأول من «شرح مسلم» للنووي رَحِمَهُ اللهُ، وأخرجه مسلم أيضًا بلفظ آخر عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ**».

ثم ساقه بألفاظ أُخر. ثم رواه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟**»[(٢)].

وخرّج مسلم أيضًا رَحِمَهُ اللهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه، إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ**»، ثم رواه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ قَالَ: «**تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ**»[(٣)].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «شرح مسلم» لما ذكر هذه الأحاديث ما نصه: أما معاني الأحاديث وفقهها، فقوله ﷺ: «**ذلك صريح الإيمان**» و«**محض الإيمان**»، معناه: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان، فإن استعظام

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكلُّف ما لا يعنيه برقم (٧٢٩٦)

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها برقم (١٣٦)، وأحمد (٣/ ١٠٢).

(٣) أخرجه مسلم من حديث عبد الله في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها برقم (١٣٣).

هذا وشدة الخوف منه، ومن النطق به فضلًا عن اعتقاده، إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالًا محققًا وانتفت عنه الريبة والشكوك، واعلم أن الرواية الثانية وإن لم يكن فيها ذكر الاستعظام فهو مراد، وهي مختصرة من الرواية الأولى، ولهذا قدم مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ الرواية الأولى، وقيل: معناه: أن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه.

وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد، فعلى هذا المعنى الحديث: سبب الوسوسة محض الإيمان، أو الوسوسة علامة محض الإيمان، وهذا القول اختيار القاضي عياض.

وأما قوله ﷺ: «**فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ**»، وفي الرواية الأخرى: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ، وَلْيَنْتَهِ**».

فمعناه: الإعراض عن هذا الخاطر الباطل، والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه. قال الإمام المازري رَحِمَهُ اللَّهُ: ظاهر الحديث أنه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها، من غير استدلال ولا نظر في إبطاله.

وقال: والذي يقال في هذا المعنى: إن الخواطر على قسمين: فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تُدفَع بالإعراض عنها، وعلى هذا يُحمل الحديث، وعلى مثلها يُطلَق اسم الوسوسة، فكأنه لما كان أمرًا طارئًا بغير أصل دُفِع بغير نظر في دليل؛ إذ لا أصل له ينظر فيه، وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة فإنها لا تُدفَع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها، والله أعلم.

وأما قوله ﷺ: «**فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ، وَلْيَنْتَهِ**» فمعناه: إذا عرض له هذا

الوسواس فليلجأ إلى الله تعالى في دفع شره عنه، وليعرض عن الفكر في ذلك، وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان، وهو إنما يسعى بالفساد والإغواء فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته، وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها، والله أعلم. انتهى كلام النووي رحمه الله ص١٥٦.

وقال الحافظ في «الفتح» في الكلام على حديث أبي هريرة المذكور في أول هذا الجواب ما نصه: قوله: «**مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ، وَلْيَنْتَهِ**»؛ أي: عن الاسترسال معه في ذلك، بل يلجأ إلى الله في دفعه، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة، فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها، قال الخطابي: وجه هذا الحديث: أن الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله منه، وكفَّ عن مطاولته في ذلك اندفع، قال: وهذا بخلاف ما لو تعرض أحد من البشر بذلك فإنه يمكن قطعه بالحجة والبرهان، قال: والفرق بينهما أن الآدمي يقع منه كلام بالسؤال والجواب، والحال معه محصور، فإذا راعى الطريقة وأصاب الحجة انقطع، وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء، بل كلما ألزم حجة زاغ إلى غيرها إلى أن يفضي بالمرء إلى الحيرة، نعوذ بالله من ذلك.

قال الخطابي: «على أن قوله: «**مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟**» كلام متهافت ينقض آخره أوله؛ لأن الخالق يستحيل أن يكون مخلوقًا، ثم لو كان السؤال متجهًا لاستلزم التسلسل، وهو محال، وقد أثبت العقل أن المحدثات مفتقرة إلى مُحْدِث، فلو كان هو مفتقرًا إلى مُحْدِث لكان من المُحْدَثات» انتهى.

والذي نحا إليه من التفرقة بين وسوسة الشيطان ومخاطبة البشر فيه نظر؛ لأنه ثبت في «مسلم» من طريق هشام بن عروة عن أبيه في هذا

الحديث: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ**»، فسوَّى في الكف عن الخوض في ذلك بين كل سائل عن ذلك من بشر وغيره.

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة قال: سألني عنها اثنان، وكان السؤال عن ذلك لما كان واهيًا لم يستحق جوابًا. أو الكف عن ذلك نظير الأمر بالكف عن الخوض في الصفات والذات.

قال المازري: الخواطر على قسمين: فالتي لا تستقر ولا يجلبها شبهة هي التي تُدفَع بالإعراض عنها، وعلى هذا ينزل الحديث، وعلى مثلها يُطلَق اسم وسوسة، وأما الخواطر المستقرة الناشئة عن الشبهة فهي التي لا تندفع إلا بالنظر والاستدلال.

وقال الطيبي: إنما أمر بالاستعاذة والاشتغال بأمر آخر ولم يأمر بالتأمل والاحتجاج؛ لأن العلم باستغناء الله ﷻ عن الموجد أمر ضروري لا يقبل المناظرة؛ ولأن الاسترسال في الفكر في ذلك لا يزيد المرء إلا حيرة، ومن هذا حاله فلا علاج له إلا الملجأ إلى الله تعالى، والاعتصام به، وفي الحديث إشارة إلى ذم كثرة السؤال عما لا يعني المرء وعما هو مستغنٍ عنه، وفيه علم من أعلام النبوة لإخباره بوقوع ما سيقع فوقع.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»: ولفظ التسلسل يراد به التسلسل في المؤثرات، وهو أن يكون للحادث فاعل وللفاعل فاعل، وهذا باطل بصريح العقل واتفاق العقلاء، وهذا هو التسلسل الذي أمر النبي بأن يُستعاذ بالله منه، وأمر بالانتهاء عنه، وأن يقول القائل: «**آمَنْتُ بِاللهِ**»، كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ، وَلْيَنْتَهِ**».

وفي رواية: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟**» قال: قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَنِي نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذَا اللهُ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَصًى بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ ثُمَّ قَالَ: قُومُوا قُومُوا صَدَقَ خَلِيلِي(١).

وفي «الصحيح» أيضًا عن أنس بن مالك عن رسول الله قال: «**قَالَ اللهُ ﷻ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟**» انتهى المقصود من كلام الشيخ رحمه الله.

ولعله يتضح لك أيها السائل ولزميلك الذي أورد عليك الشبهة، مما ذكرنا من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم ما يزيل الشبهة ويقضي عليها من أساسها، ويبين بطلانها؛ لأن الله سبحانه لا شبيه له، ولا كفؤ له، ولا ندّ له، وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو الخالق لكل شيء وما سواه مخلوق، وقد أخبرنا في كتابه المبين وعلى لسان رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، بما يجب اعتقاده في حقه ـ سبحانه ـ، وبما يُعرِّفنا به ويدلُّنا عليه من أسمائه وصفاته وآياته المشاهدة، من سماء وأرض وجبال وبحار وأنهار وغير ذلك من مخلوقاته ﷻ، ومن جملة ذلك نفس الإنسان فإنها من آيات الله الدالة على قدرته وعظمته وكمال علمه وحكمته، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، أما كنه ذاته وكيفيتها وكيفية صفاته فذلك من علم الغيب الذي لم يطلعنا عليه، فالواجب علينا فيه: الإيمان والتسليم وعدم

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها برقم (١٣٥).

الخوض في ذلك، كما وسع ذلك سلفنا الصالح من الصحابة ﷺ وأتباعهم بإحسان، فإنهم لم يخوضوا في ذلك، ولم يسألوا عنه، بل آمنوا بالله سبحانه، وبما أخبر به عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله محمد ﷺ ولم يزيدوا، مع إيمانهم بأنه سبحانه: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

وعلى كل من وجد شيئًا من هذه الوساوس، أو أُلقي إليه شيء منها أن يستعظمها وينكرها من أعماق قلبه إنكارًا شديدًا، وأن يقول: آمنت بالله ورسله، وأن يستعيذ بالله من نزغات الشيطان، وأن ينتهي عنها ويطرحها كما أمر الرسول بذلك في الأحاديث السابقة، وأخبر أن استعظامها وإنكارها هو صريح الإيمان، وعليه أن لا يتمادى مع السائلين في هذا الباب؛ لأن ذلك قد يفضي إلى شر كثير، وإلى شكوك لا تنتهي، فأحسن علاج للقضاء على ذلك والسلامة منه هو امتثال ما أمر به النبي ﷺ، والتمسك به والتعويل عليه، وعدم الخوض فيه، وهذا هو الموافق لقول الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. فالاستعاذة بالله سبحانه، واللجوء إليه وعدم الخوض فيما أحدثه الموسوسون وأرباب الكلام الباطل من الفلاسفة ومن سلك سبيلهم، من الخوض في باب أسماء الله وصفاته وما استأثر الله بعلمه، من غير حجة ولا برهان هو سبيل أهل الحق والإيمان، وهو طريق السلامة والنجاة والعافية من مكايد شياطين الإنس والجن، وفَّقني الله وإياك وسائر المسلمين للسلامة من مكائدهم، ولهذا لما سأل بعض الناس أبا هريرة ﷺ عن هذه الوسوسة: حصبهم بالحصى ولم يجبهم على سؤالهم، وقال: صَدَقَ خَلِيلِي.

ومن أهم ما ينبغي للمؤمن في هذا الباب: أن يكثر من تلاوة القرآن الكريم وتدبره؛ لأن فيه من بيان صفات الله وعظمته وأدلة وجوده،

ما يملأ القلوب إيمانًا ومحبةً وتعظيمًا، واعتقادًا جازمًا بأنه سبحانه هو رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق لكل شيء، والعالم بكل شيء، لا إلٰه غيره ولا رب سواه، كما ينبغي للمؤمن أيضًا أن يكثر من سؤال الله المزيد من العلم النافع، والبصر النافذ، والثبات على الحق، والعافية من الزيغ بعد الهدى، فإنه سبحانه قد وجَّه عباده إلى سؤاله، ورغَّبهم في ذلك ووعدهم الإجابة، كما قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

والآيات في هذا المعنى كثيرة. وأسأل الله أن يوفِّقنا وإياك وزميلك وسائر المسلمين للفقه في الدين، والثبات عليه، وأن يعيذنا جميعًا من مضلّات الفتن، ومن مكايد شياطين الإنس والجن ووساوسهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وآله وصحبه.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ **[الشورى: ٩ ـ ١٢]**(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومخبرًا أنه هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، فإنه هو القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير.

ثم قال ﷻ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: مهما اختلفتم فيه من الأمور، وهذا عام في جميع الأشياء ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: هو الحاكم فيه بكتابه وسُنَّة نبيِّه ﷺ؛ كقوله ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود من هذا أن الله ﷻ هو المستحق للعبادة، فاتخاذهم الأولياء من دونه من أقبح الغلط، ومن أقبح الجرائم، ولهذا لا ذنب أعظم عند الله من ذنب الشرك وجريمة الشرك، وأهل الشرك هم أضل الناس عن الهدى، فالواجب على العاقل أن ينتبه، وأن يحذر، وأن يعبد الله وحده، وأن يحذر صرف العبادة لغيره، فهو الولي وهو الذي يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير سبحانه، وهو الذي يحكم بين عباده ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؛ فالواجب على المكلف أن يعبد الله وحده الذي خلقه وأوجده من العدم وغذاه بالنعم أن يخصّه بالعبادة والطاعة وترك معصيته ومخالفة أمره سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت، والخير وضده؛ فالواجب محبته وموالاته وطاعة أمره وترك نهيه سبحانه وتعالى، وما اختلف الناس فيه وجب ردُّه إلى الله ورسوله، ما اختلف الناس وتنازعوا فيه وجب فيه الرد إلى الله ورسوله، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] هذا هو الواجب، على المكلفين وفيه نجاتهم وسلامتهم وعصمتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: الحاكم في كل شيء.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾؛ أي: أرجع في جميع الأمور.

وقوله جل جلاله: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خالقهما وما بينهما.

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: من جنسكم وشكلكم منَّة عليكم وتفضلًا، جعل من جنسكم ذكرًا وأنثى ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: يخلقكم فيه؛ أي: في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذرؤكم فيه ذكورًا وإناثًا، خلقًا من بعد خلق، وجيلًا بعد جيل، ونسلًا بعد نسل من الناس والأنعام.

وقال البغوي: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: في الرحم، وقيل: في البطن، وقيل: في هذا الوجه من الخلقة.

قال مجاهد: نسلًا بعد نسل من الناس والأنعام، وقيل: (في) بمعنى: الباء؛ أي: يذرؤكم به.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ أي: ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا حثٌّ وتحذير على شكره على نعمه الذي أنعم عليكم وجعل منكم الأزواج ذكرًا وأنثى يميل إليها الذكر ويستمتع بها، ويحصل النسل، وتكثر الأمة، وهكذا الأنعام جعلها ذكرًا وأنثى تتناسل وينتفع العباد بها إلى أن يقضي الله أمره من هذا العالم، فضلًا منه وإحسانًا، إبل بقر غنم، صيود، طيور.. إلى غير ذلك مما خلق للعباد من النعم، وأنبت لهم الثمار من الزروع والحبوب، ليعيشوا في هذه الدار حتى تنتهي آجالهم، كل هذا بفضله وإحسانه ليشكروه ويقوموا بحقه ويدعوا ما نهاهم عنه سبحانه وتعالى، فمن شكر فلنفسه، ومن كفر فعليها، ولهذا قال جل وعلا: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] فهو الغني الحميد عن عباده، فأعمالهم لهم، إن أحسنوا فلأنفسهم، وإن أساءوا فعليها، والله جل وعلا هو الغني الحميد، ولكن من رحمته وفضله

وإحسانه خلق لكم ما فيه نفعكم ونهاكم عما يضركم، وأرشدكم إلى أسباب النجاة، وحذَّركم من أسباب الهلاك، وأرسل الرسل وأنزل الكتب للإيضاح والبيان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره في سورة الزمر، وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم فيهما ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يوسّع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، وله الحكمة والعدل التام ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقاليد هي المفاتيح؛ مفاتيح الأشياء بيده، يبسط الرزق لمن يشاء، ويقتر على من يشاء، يجعل هذه المزرعة نافعة ومفيدة ومبروكة والأخرى بضد ذلك، هذا الحيوان نافعًا ومفيدًا، والآخر بضد ذلك.. إلى غير ذلك، بيده مفاتيح كل شيء، فهو الخلاق الرزاق، بيده الضر والنفع والعطاء والبذل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالواجب على العاقل الثقة به والاعتماد عليه، والأخذ بالأسباب التي شرعها وأباحها، والحذر من الأسباب التي منعها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٣، ١٤][(١)].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام، وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ الآية [الأحزاب: ٧].

والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وفي الحديث: «**الأنبياء أولاد عَلَّات ديننا واحد**»؛ أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم؛ كقوله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] فدينهم واحد عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، بعث الرسل جميعًا، وخلق الخلق جميعًا لهذا؛ ليعبدوا الله وحده، لعبادتهم وخوفهم ورجائهم وصلاتهم وصومهم.. وغير ذلك العبادة لله وحده، أما الشرائع فهي متنوعة، الصلوات والصوم.. وغير هذا من الشرائع. ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وأكملها وأعظمها شريعة محمد - عليه الصلاة والسلام - فهي أكمل الشرائع ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(**مداخلة**): أحسن الله إليك! تخصيص الخمسة بأنهم أولو العزم هل عليه دليل...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ذِكرهم في الآيتين، تخصيصهم في الآيتين يدل على مزية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال هاهنا: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾؛ أي: وصَّى الله جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف.

وقوله ﷻ: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: شقَّ عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد.

ثم قال ﷻ: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾؛ أي: هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [الجاثية: ١٧]؛ أي: إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم وقيام الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد والمُشاقَّة.

ثم قال ﷻ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجَّل عليهم العقوبة في الدنيا سريعًا.

وقوله جلَّت عظمته: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ﴾؛ يعني: الجيل المتأخر بعد القرن الأول، المكذب للحق.

﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾؛ أي: ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان، وهم في حَيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥][١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]:

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات كلٌّ منها منفصلة عن التي قبلها، حُكم برأسها، قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضًا عشرة فصول كهذه.

وقوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ﴾؛ أي: فللذي أوحينا إليك من الدِّين الذي وصَّينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم فادعُ الناس إليه.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾؛ أي: واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، الحمد لله الذي يسَّر العودة إلى مجالس العلم والتواصي بالحق في هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيه ﷺ أن يدعو إلى الله وأن يوضح للمؤمنين ما بعثه الله به، ويدعوهم إلى الالتزام، ولهذا قال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ﴾، يعني: فلما بعثناك به وأوحيناه إليك من العلم والعمل ادع الناس وبلغ الناس، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢]، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وذلك في مسجده بالطائف.

﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾، والاستقامة معناها: الاستمرار على الحق والثبات عليه حتى الموت، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. فالواجب على المؤمنين جميعًا ذكورهم وإناثهم عربهم وعجمهم جنهم وإنسهم، الواجب عليهم أن يستقيموا، أن يثبتوا على الحق الذي بعث الله به نبيه عليه الصلاة والسلام، وأن يسيروا عليه إلى الموت، ولا يجوز تركه تارة وفعله تارة، تارة يطيع وتارة يعصي، لا، بل يجب أن يستمر على الحق، وأن يثبت عليه وأن يدعو إليه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]. فأنت - يا عبد الله - مأمور بأن تستقيم على الحق وأن تدعو إليه تأسيًا بنبيك عليه الصلاة والسلام حسب علمك: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١]، هذا واجب العلماء وطلبة العلم: أن يدعو إلى الله وأن يستقيموا، يدعو إلى الله بالأدلة الشرعية إلى توحيد الله وطاعته واتباع رسوله، وأن يستقيموا حتى يكونوا قدوة في الخير، حتى يتأسى بهم الناس، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: دعوة مع استقامة حتى يكون داعية إلى الله بالفعل والقول؛ فالداعي إلى الله يدعو إلى الله بالآيات والأحاديث، ويدعو إلى الله أيضًا بالفعل، باستقامته هو على الحق حتى يرى الناس عمله يطابق.

قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ﴾، في الآية الأخرى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ [هود: ١١٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾؛ يعني: المشركين فيما اختلقوه فيه، وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان.

وقوله ﷺ: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾؛ أي: صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقوله: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾؛ أي: في الحكم كما أمرني الله.

وقوله جلَّت عظمته: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ﴾؛ أي: هو المعبود لا إلٰه غيره، فنحن نقر بذلك اختيارًا، وأنتم وإن لم تفعلوه اختيارًا فله يسجد من في العالمين طوعًا وإجبارًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: العلوي والسفلي، ولله يسجد من في السمٰوات والأرض طوعًا وكرهًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾؛ أي: نحن براء منكم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأن المشرك أنت بريء منه، وهو بريء منك، الله رب الجميع خالقهم وموجدهم، لكن هو إلٰه المؤمنين معبودهم الحق، والكفار خالفوا في ذلك، فلهذا قال: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ لنا أعمالنا المخلصة لله ولكم أعمالكم الباطلة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ قال مجاهد: أي: لا خصومة، قال السدي: وذلك قبل نزول آية السيف، وهذا متجه؛ لأن هذه الآية مكية، وآية السيف بعد الهجرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وآية السيف قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] في أول الإسلام لا نقاتلهم لا نبدأهم بالقتال إلا إذا بدءُونا ندافع، وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ثم نسخ هذا لما قوي المسلمون أُمروا بالقتال، فكان ناسخًا بما كان في أول الإسلام من الكف عنهم إلا إذا قاتلوا، وهذا معنى: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: لا خصومة بيننا وبينكم، إنما ندعوكم إلى الله ما بيننا خصومة، بيننا الدعوة إلى الله، ندعوكم إلى الحق وترك الباطل فقط، ما بيننا خصومة، ندعوكم إلى شيء ينفعكم، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦] خصومتهم داحضة ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ ندعوكم إلى الشيء الذي فيه سعادتكم ونجاتكم وهو توحيد الله والإخلاص له، ما فيه خصومات، ندعوكم إلى شيء واحد: أن تخصوا الله بالعبادة، وأن تفردوه بالعبادة دون كل ما سواه، وهذا فيه نجاتكم وسعادتكم، وليس لنا في ذلك خصومة ولا حظ إلا طاعة الله ورسوله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾؛ أي: يوم القيامة؛ كقوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجع والمآب يوم الحساب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: استعدوا لهذا اليوم الذي فيه الجمع وإليه المصير، فهو يوم عظيم لا ينجو فيه إلا الموحدون المخلصون الصادقون، هذا اليوم

لا بد أن يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة فاحذروا مغبة هذا التفريط حين تُجمعون يوم القيامة ثم يؤمر بكم إلى النار، فالمصير إلى الله، والمجتمع بين يديه يوم القيامة، والمحاسب هو ﷻ، والقاضي هو ﷻ، فليحذر العاقل هذا اليوم فإنه يوم الفصل، هذا اليوم هو يوم الفصل يفصل الله به بين العباد، فهؤلاء إلى الجنة لما سبق من أعمالهم الطيبة، وهؤلاء إلى النار لما سبق من أعمالهم الخبيثة، فالعاقل لا يغفل هذا اليوم يجعله على باله، ويعمل أسباب النجاة لذلك اليوم، ويحذر أسباب الهلاك.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٦ ـ ١٨](١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى متوعدًا الذين يصدُّون عن سبيل الله من آمن به: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾؛ أي: يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدُّوهم عما سلكوه من طريق الهدى.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: باطلة عند الله.

﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾؛ أي: منه.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾؛ أي: يوم القيامة.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذلك في مسجد سماحته بالطائف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: «جادلوا المؤمنين بعدما استجابوا لله ولرسوله ليصدوهم عن الهدى، وطمعوا أن تعود الجاهلية»، وقال قتادة: هم اليهود والنصارى، قالوا لهم: ديننا خير من دينكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم وأولى بالله منكم، وقد كذبوا في ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والآية عامة، الآية عامة تعمّ اليهود والنصارى وغيرهم، كل من يحاج في الله في الباطل فهو داخل في الآية حجته داحضة، يهوديًّا أو نصرانيًّا أو شيوعيًّا أو علمانيًّا أو وثنيًّا أو غير ذلك، كل من خاصم في الباطل فحجته داحضة؛ لأنه يخاصم بالباطل وينصر الباطل، والله جل وعلا أنزل كتابه بالحق ولنصر الحق ودمغ الباطل، فالمحاج في الله ضد الحق هو المبطل والمخصوم، والمحاج في الله لإقامة الحق ونصر الحق هو المنصور وهو المصيب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ يعني: الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه، ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ وهو العدل والإنصاف، قاله مجاهد وقتادة، وهذه كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٧ ـ ٩]].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: أوضح لهم الحق الذي به وزن الأمور، فلا يجوز أن يخالف الحق الذي أنزله، هذا هو بخس الميزان، بل يجب البقاء على الحق والقيام بالقسط والحذر من الظلم، هذا هو الميزان، الوقوف مع الحق، والدعوة إليه والحذر من الباطل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ فيه ترغيب فيها وترهيب منها، وتزهيد في الدنيا.

وقوله ﷻ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾؛ أي: يقولون: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، وإنما يقولون ذلك تكذيبًا واستبعادًا وكفرًا وعنادًا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾؛ أي: خائفون وجِلون من وقوعها، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: كائنة لا محالة، وهم مستعدون لها عاملون من أجلها، وقد روي من طرق تبلغ درجة التواتر في الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفي بعض ألفاظه: «أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ بصوت جهوري وهو في بعض أسفاره فناداه فقال: يا محمد! فقال له رسول الله ﷺ نحوًا من صوته: «**هاؤم**»، فقال له: متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ويحك! إنها كائنة فما أعددت لها؟**» فقال: حب الله ورسوله، فقال ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»[(١)]. فقوله في الحديث: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[(٢)] هذا متواتر لا محالة، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة، بل أمره بالاستعداد لها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: قال له: إنها كائنة، الساعة كائنة، حاصلة لا بد منها،

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، برقم (٢٦٨٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحب، برقم (٢٦٣٩).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله، برقم (٦١٦٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، برقم (٢٦٤٠).

سوف تقوم وسوف يبعث الله الخلق، وسوف يجازيهم بأعمالهم، لكن المهم الإعداد لها، ولا يعلم متى تقوم إلا هو ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] فعلمها عنده ﷻ، ولكن المهم الإعداد، الواجب في حق المكلف من الرجال والنساء الإعداد، كي يعد العدة، يعني: يستقيم على طاعة الله، يبتعد عن محارم الله، يقف عند حدود الله، يستكثر من الخير، يتباعد من الشر إعدادًا لهذه الساعة، وكل من مات قامت قيامته، كل إنسان مات فقد قامت قيامته وختم على عمله. فالواجب الإعداد لهذا اليوم العظيم قبل أن يهجم الأجل، وليس لك إلا ما قدمت من عملك: **«إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»** الله المستعان. الله أكبر.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه بشرى للمؤمن، أن الإنسان مع من أحب، فمن أحب الله ورسوله والمؤمنين فهو معهم في الجنة، فهو معهم في المحشر إذا صدق في ذلك، ولهذا فرح الصحابة بهذا فرحًا عظيمًا.

وما استبشر المسلمون بشيء مثل هذا؛ أن الإنسان مع من أحب، قال أنس: «وأنا أحب الله ورسوله، وأحب أبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم».

كل مؤمن يحب الله ورسوله، فله السعادة إذا صدق في ذلك: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، والصادق في محبة الله ورسوله يعمل، ولهذا قال لما سأل الأعرابي: يا محمد! المرء يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال النبي ﷺ: **«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»**، فهذه نعمة عظيمة، فمن أحب الله ورسوله كان إلى الجنة والسعادة إذا صدق في هذه المحبة فتبع الشرع وانقاد للشرع وابتعد عن الهوى.

فالمقصود أن المؤمن يُعد العدة لهذا اليوم، ليس الأهم وجودها، كائنة، لكن أهل الباطل يستعجلون بها؛ لأنهم ما أعدوا لها، مكذبون، لكن أهل الإيمان مصدِّقون وخائفون منها، ومشفقون منها، ما يدرون ماذا يكون يوم القيامة، يخشون على أنفسهم منها، فلهذا يستعدون ويجتهدون في طاعة الله والقيام بحقه والوقوف عند حدوده، يخشون هذا اليوم العظيم، يخشون أن يهلكوا في هذا اليوم، وأن يكونوا مع الهالكين مع أصحاب النار؛ فالواجب الإعداد لها، ولهذا قال: «**ماذا أعددت لها؟** قال: حب الله ورسوله»؛ يعني: أعددت حب الله ورسوله، قال: «**أنت مع من أحببت**»، ولا هو بالحب الذي يُدّعى فقط، لا، هذا الحب معه العمل، حب صادق، الحب الصادق معه العمل، أما دعوى الحب فما ينفع، لا بد من دعوى معها عمل، إذا كان أعد حب الله ورسوله فليعمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: يجادلون في وجودها ويدفعون وقوعها.

﴿لَفِي ضَلَـٰلِۭ بَعِيدٍ﴾؛ أي: في جهل بيِّن؛ لأن الذي خلق السمٰوات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأحرى، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ثم في النظر، دراسة الأمور بالعقول الصحيحة أمرك بالعمل ونهاك عن أشياء ثم يهملك؟! ما فيه جزاء؟! ما يمكن هذا، العقول الصحيحة تشهد بالقيامة والجزاء، الناس مختلفون أكثرهم لا يعمل ولا يطيع الرسل، فما جزاء من أطاع الرسل؟ كلهم يموتون؟ لا بد من جزاء، ويوم القيامة هو دار الجزاء؛ فالمطيعون لهم جزاؤهم المناسب لهم وهو الجنة والكرامة، والمعرضون الغافلون المكابرون لهم جزاؤهم المناسب وهو

النار، فالعقول الصحيحة تشهد بيوم القيامة، وتشهد بالجنة والنار، وتشهد بالجزاء؛ لأن هذا العالم مختلف، فلا بد له من جزاء.

* *

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].**

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ۝١٩ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٢١ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الشورى: ١٩ - ٢٢].

يقول تعالى مخبرًا عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم لا ينسى أحدًا منهم، سواء في رزقه البر والفاجر؛ كقوله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦] ولها نظائر كثيرة.

وقوله ﷻ: ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾؛ أي: يوسِّع على من يشاء.

﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾؛ أي: لا يعجزه شيء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من رحمته وإحسانه، فلهذا قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ ورحيم بهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣] لولا رحمته ولطفه كيف يعيش الكفار في النعم وهم يعبدون غيره ويسبونه؟ ومع هذا أنزل المطر وأنبت النبات، وأعطاهم الحياة، والأرزاق الكثيرة وأمهلهم، كل

هذا من لطفه ورحمته، ابتلاء وامتحان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بلطف الله ورحمته وإحسانه وإملائه، لا، يجب أن يحذر معصيته، ويجب أن يحذر الجرأة على محارمه، والتساهل بحقه، ولا يجوز أن يغتر بلطفه ورحمته وإملائه وإمهاله، هو ﷻ يملي ولا يغفل، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

فالعاقل الحازم هو الذي يحذر، ولا يغتر بإمهال الله وسعة جوده ورحمته بعباده، لو أخذ الناس ما بقي أحد، لو عاقب كل عاصٍ وكل كافر حالًا ما بقي أحد، قال ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١]، فلولا هذا الحلم وهذا اللطف ما عاش الناس في الدنيا، هلكوا عن آخرهم؛ لأن أكثرهم مجرم وعاصٍ لربه، فلو أخذهم لهلكوا.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الشورى: ٢٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم قال ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: عمل الآخرة.

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾؛ أي: نقويه ونعينه على ما هو بصدده، ونكثر نماءه، ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾؛ أي: ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة همٌّ ألبتة بالكلية حرمه الله الآخرة، والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم

يشأ لم يحصل لا هذه ولا هذه، وفاز الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة.

والدليل على هذا: أن هذه الآية هاهنا مقيدة بالآية التي في (سبحان)، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ١٨ ـ ٢١]

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى في هذا: أن من أراد الدنيا قد يُعطى منها، قد يُستدرَج وقد يُمنَع، ولهذا قال في سورة بني إسرائيل سورة (سبحان): ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ مقيَّد، فهذه تقيد الآية الأخرى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ هذه مقيدة، وهكذا الآية الأخرى، . . . في الدنيا مقيد بمشيئة الله ﷻ: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾؛ فالمؤمن على خير عظيم ولو مُنِع بعض الشيء في الدنيا فهو على خير عظيم، يجمع الله له بين الدنيا والآخرة، وما حرمه من الدنيا لا يفوته أجره مع الصبر والاحتساب، ومن كان يريد الآخرة فله الأجر العظيم، والفوز العظيم، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾؛ يعني: أرادها وسعى لها سعيها، عمل عملها، أعطاه الله الخير العظيم، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠].

فالمؤمن يحاسب نفسه، ويجتهد في طلب الآخرة، ويأخذ من الدنيا ما يسَّر الله له مما يعينه على طاعة الله ولا يصدُّه عن الآخرة، ولكن إنما يُعطَى ما قسم الله له مع الجزاء العظيم في الجنة إذا أراد الآخرة وسعى لها سعيها، عن إيمان وعن صدق؛ لأنه قال: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا

سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ فطلب الآخرة ليس بالأماني والكلام، لا، لا بد من العمل الصادق الذي يريد الآخرة يعمل، يعمل لها عملها عن إيمان وعن صدق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الثوري: عن مغيرة، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالدِّينِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ**»[1]، فمن عمل منهم عمل الآخرة في الدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب».

(مداخلة): أقول: كيف يجمع بين...؟ يعني: من يدرس لنيل الشهادة كيف يجمع بينها وبين إرادة الآخرة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يجاهد نفسه، مثلما قال الشوكاني وغيره: طلبنا العلم للدنيا، فأبى الله إلا أن يكون للآخرة، يجاهد نفسه، إذا طلب العلم لأجل الوظيفة يجاهد نفسه حتى يصلح الله نيته، ويبشر بالخير إن شاء الله مع المجاهدة.

(مداخلة): أحسن الله إليك! في تعليق على نسخة الشعب على نفس الأثر قال: أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد من طريق سفيان عن أيوب عن أبي العالية عن أُبي بن كعب به نحوه.

(الشيخ): عن أيوب؟

(مداخلة): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا شيء ثالث، غير معمر وغير المغيرة.

(مداخلة): ذكر هنا: وأخرجه الإمام أحمد عن عبد الرحمٰن بن مهدي عن عبد العزيز بن مسلم عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أُبي بن كعب.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/ ١٣٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على كل حال يراجع مسند أُبي، يراجع مسند أُبي في «المسند»، عن أُبي بن كعب في المسند، و... في الكتب الأخرى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله جَلَّ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾؛ أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم؛ بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار.. إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة.

وقد ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: **قصبه؛ يعني: أمعاءه.**

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ**»؛ لأنه أول من سيَّب السوائب، وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل هذه الأشياء، وهو الذي حمل قريشًا على عبادة الأصنام، لعنه الله وقبحه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما تولى مكة حملهم على عبادة الأصنام وبحث عنها حتى أتى بها، ودّ وسواع ويغوث ويعوق، نسأل الله السلامة.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب قصة خزاعة، برقم (٣٥٢١)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٥٦).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: لعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقدم من الإنظار إلى يوم المعاد.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: شديد موجع في جهنم وبئس المصير.

ثم قال تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟﴾؛ أي: في عرصات القيامة، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾؛ أي: الذي يخافون منه واقع بهم لا محالة، هذا حالهم يوم معادهم وهم في هذا الخوف والوجل.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فأين هذا من هذا؟ أي: أين من هو في العرصات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه، ممن هو في روضات الجنات فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الفرق عظيم، فرق عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الناجين ومن السعداء، يا له من فرق عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذا في غمرات النار، وهذا في روضات الجنات، فرق عظيم نسأل الله العافية.

(مداخلة): هل يدخل أهل البدع...؟

(الشيخ): نعم؟

(مداخلة): أهل البدع؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيهم التفصيل، منهم الكافر، ومنهم غير الكافر، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قال الحسن بن عرفة: حدثنا عمرو بن عبد الرحمٰن الأبار، حدثنا محمد بن سعد الأنصاري عن أبي طيبة قال: إن الشرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول: ما أمطركم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إن.

(القارئ): [إن الشرب من أهل الجنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إن؟

(القارئ): ... الشرب أو الشرب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: شين راء باء؟

(القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الشرب؛ المجتمعين يشربون.

(القارئ): الشرب؟

(الشيخ): الشرب...

(الشيخ): مثل الركب جمع راكب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الشرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول: ما أمطركم؟ قال: فما يدعو داعٍ من القوم بشيء إلا أمطرتهم، حتى إن القائل منهم ليقول: أمطرينا كواعب أترابًا. رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾؛ أي: الفوز العظيم والنعمة التامة السابغة الشاملة العامة.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] ولهم فيها ما يدَّعون وما يطلبون، موافقة للحديث.

المقصود أن أهل الجنة لهم ما يطلبون، ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٥ - ٥٧].

والآية الأخرى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]؛ يعني:

تطلبون، ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢] من طلب الحور، من طلب شراب، من طلب فاكهة، أي شيء يطلبون يعطون، الله أكبر.

(مداخلة): أحسن الله إليكم يا شيخ... النساء يحتجبن عن الأجانب في الجنة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما بلغنا شيء في ذلك، ما في الجنة... يخشى منها الزنا، ما فيها معاصٍ، كلها طاعات، كلٌّ قانع بأهله.

(مداخلة): كلٌّ مرضي...

(الشيخ): نعم؟

(مداخلة): كلٌّ مرضي...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كلٌّ راضي بأهله، ولا يحتاج إلى النظر إلى غيره، الله المستعان.

(مداخلة): أحسن الله إليكم ذكر... ابن القيم في «حادي الأرواح»: أن العلماء يتنعمون بالعلم الشرعي في الجنة... العلم الشرعي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما هو ببعيد.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٣، ٢٤][(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات لعباده الذين آمنوا وعملوا

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

الصالحات: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: هذا حاصل لهم كائن لا محالة ببشارة الله تعالى لهم به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا وعده سبحانه وعده ﷻ، فإنه هو الصادق في وعده، بشر عباده بالجنة، وهو موفٍ لهم بما وعدهم به؛ بسبب أعمالهم الطيبة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [لقمان: ٨]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧]، فهو سبحانه وعدهم وبشَّرهم، وسوف يعطيهم ما وعدهم به فضلًا منه، كما قال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة: ٧ ـ ٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالًا تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شرَّكم عني، وتذَروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة.

قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت طاوسًا يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد! فقال ابن عباس: «عجلت، إن النبي ﷺ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا عندك؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: في التوضيح يقول: في البغوي: عجبت أو عجبت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا بعده؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد؟ فقال ابن عباس: عجلت...

(الشيخ): يقول لسعيد: عجلت، أو عجلت كله واحد، يعني: عجلت في التفسير.

(القارئ): في البغوي يقول: عجبت أو عجبت؟

(الشيخ): لا، عجلت أو عجلت باللام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: «**إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ القَرَابَةِ**»، انفرد به البخاري[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: ما أطلب منكم أجرًا تعطوني مالًا أو شيئًا، إنما تراعون القرابة التي بيني وبينكم، تراعون هذه القرابة ودعوني أبلغ رسالات ربي، إذا لم يكن منكم قبول فلا أقل من أن تراقبوا قرابتي ورحمي فيكم حتى تدعوني أبلغ رسالات ربي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ورواه الإمام أحمد عن يحيى القطان عن شعبة به[٢]، وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وعلي بن أبي طلحة والعوفي ويوسف بن مهران

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] برقم (٤٨١٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٢٩).

وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وأبو مالك وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم وغيرهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى: إذا لم تستجيبوا فراعوا القرابة وصلة الرحم، ودعوني أبلغ رسالات ربي، فإذا لم تؤمنوا فكفوا الأذى وراعوا القرابة التي بيني وبينكم؛ حتى أبلغ رسالات ربي، ولكنهم لم يستجيبوا، حتى يسَّر الله ﷺ فتح مكة؛ فدخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتهى الأمر، ونصر الله دينه، وأعز جنده، وخذل أعداءه .الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هاشم بن القاسم بن زيد الطبراني وجعفر القلانسي قالا: حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شريك عن خُصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لهم رسول الله ﷺ: «**لا أسأَلُكُمْ أجرًا إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم، وتحفظوا القرابة بيني وبينكم**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا عندك...؟

(القارئ): هاشم بن القاسم بن زيد الطبراني.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هاشم؟

(القارئ): هاشم بن القاسم بن زيد الطبراني.

(القارئ): ... عندك ابن زيد؟

(مداخلة): نعم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٤٣٥) برقم (١٢٢٣٣) وفي سنده شريك وخصيف وكلاهما سيء الحفظ. ولشطره الثاني شاهد تقدم من رواية البخاري «حكمت بشير» بتصرف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حط نسخة. عندكم هشام وأم هاشم؟

(القارئ): عندي هاشم بن القاسم.

(مداخلة): قال في الحاشية...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ضع نسخة ويراجع شيوخ الطبراني فيه مؤلف كتاب الدعاء لشيوخ الطبراني...؛ لأن شيوخه في الغالب ما توجد في «التقريب» ولا في «التهذيب»؛ لأنهم متأخرون، في «الميزان» نعم ضع عليه إشارة ابن زيد وعلى هشام وهاشم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وروى الإمام أحمد عن حسن بن موسى، حدثنا قزعة ـ يعني: ابن سويد ـ وابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن قزعة بن سويد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجرًا، إلا أن توادوا الله ورسوله، وأن تقربوا إليه بطاعته**»[1].

وهكذا روى قتادة عن الحسن البصري مثله، وهذا كأنه تفسير بقول ثانٍ كأنه يقول: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ أي: إلا أن تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفى.

وقول ثالث: وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير ما معناه أنه قال ما معنى ذلك: أن تودوني في قرابتي؛ أي: تحسنوا إليهم وتبروهم.

وقال السدي عن أبي الديلم: قال: لما جيء بعلي بن الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أسيرًا.

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (١/ ٢٦٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال السدي؟

(القارئ): [وقال السدي عن أبي الديلم].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كذا عندكم أبي الديلم؟

(مداخلة): نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال: لما جيء بعلي بن الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أسيرًا فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذي قتلكم، واستأصلكم، وقطع قرن الفتنة، فقال له علي بن الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم، قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال: ما قرأت: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال:

وقال أبو إسحاق السبيعي: سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ فقال: قربى النبي ﷺ. رواهما ابن جرير.

ثم قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا عبد السلام، حدثني يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالت الأنصار: «فعلنا وفعلنا.. وكأنهم فخروا، فقال ابن عباس أو العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - شكَّ عبد السلام -: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم في مجالسهم، فقال: «**يا معشر الأنصار! ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي**؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال ﷺ: **ألم تكونوا ضلالًا فهداكم الله بي**؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: **أفلا تجيبوني**؟ قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: **ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فآويناك؟ أولم يكذبوك فصدقناك؟ أولم يخذلوك فنصرناك**»، قال: فما زال ﷺ يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا في أيدينا لله ولرسوله، قال: فنزلت: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾، وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن عبد المؤمن بن علي

عن عبد السلام عن يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف بإسناده مثله أو قريبًا منه[١].

وفي «الصحيحين» في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق، ولكن ليس في ذكر نزول هذه الآية، وذكر نزولها في المدينة فيه نظر؛ لأن السورة مكية، وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السياق مناسبة، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والصواب القول الأول: أن المراد أنه يسألهم مراعاة القرابة، كف الأذى ومراعاة القرابة، إذا لم يستجيبوا لله ورسوله ويدخلوا في الإسلام؛ فالواجب أن يكفوا الأذى، وأن يراعوا القرابة وصلة الرحم، حتى يدعوه يبلغ الناس؛ فيكونوا كافين الأذى، إن لم ينصروا لم يؤذوا، ولم يعرقلوا الطريق، وهذا أقل شيء، أقل شيء إن لم يستجيبوا للحق أن يكفوا الأذى، وأن يدعوا الناس يدخلون في دين الله، فالقول الأول هو الصواب في الآية الكريمة. وإن كان المراد بالثاني المعروف: دعوتهم إلى أن يتقوا الله، وأن يطيعوا الله، وأن يتقربوا إليه، كذلك الإحسان إلى أهل البيت، «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»، هذا أمر معلوم من أدلة أخرى.

والأصح فيها مثلما تقدم إلا أن تودوني في القربى؛ يعني: أن تراعوا قرابتي وصلة رحمي حتى أبلغ رسالات ربي؛ لأنها مكية؛ يعني: إن لم يكن منكم قبول للحق فلا أقل من أن تصلوا الرحم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا رجل سماه، حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٥).

عباس رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله! من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: فاطمة وولدها رضي الله عنهما»[(١)].

وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لا يُعرف عن شيخ شيعي محترق، وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا المحل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: وأيضًا مكية، وفاطمة وأولادها كل هذا كان في المدينة. وهذا الذي قاله المؤلف هو الصواب: **أن الآية** في قرابات النبي ﷺ من قريش وغيرهم، وأن الواجب كف الأذى، وأما إكرام أهل البيت واحترامهم ومعرفة حقهم، هذا أمر معلوم بيَّنه الرسول ﷺ في المدينة، والواجب الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم إذا استقاموا على دين الله، أما إذا انحرفوا عن دين لله فلا، فأبو لهب من أهل البيت وهم من أخبث الناس وأكفرهم، وهم من أهل البيت، أبو طالب، وأبو لهب، فأهل البيت إذا استقاموا على دين الله فلهم حقان: حق الإيمان، وحق القرابة.

(مداخلة):

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

في بدعته، فيما يقوي بدعته إذا كان غير غالٍ، أما الغالي فما تقبل روايته مطلقًا، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلي رضي الله عنه إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة، والحق تفسير هذه الآية بما فسَّرها به حبر الأمة

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٤٤) من طريق حرب الطحان عن حسين الأشقر به.

وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري، ولا ننكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متَّبعين للسُّنَّة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم؛ كالعباس وبنيه وعلي وأهل ذريته رضي الله عنهم أجمعين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

أهل البيت لهم حق إكرامهم والإحسان إليهم ما استقاموا على الحق، لكن الآية ليست فيهم، الآية في القربى من حيث العموم، قرابة ما بين النبي ﷺ وبين قريش وغيرهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم: «**إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي**»[١].

كذا يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«**وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أن إسماعيل بن أبي خالد.

(**الشيخ**): «حتى يردا على الحوض»....

(**القارئ**): «حتى يردا على الحوض»؟

---

(١) أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم،... علي الحوض... قريب ليس ببعيد.

المقصود أهل بيته المستقيمين المتبعين الكتاب والسُّنَّة، ولهذا قال: «**أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي**» الذين تابعوه واستقاموا على دينه، أما من حاد عن ذلك من الرافضة وأتباعهم فهؤلاء ليسوا بأهل بيته في الحقيقة؛ بل ضلوا عن السبيل، ومثل أبي لهب وأبي طالب وغيرهم ممن ضل عن السبيل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أن إسماعيل بن أبي خالد..].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، أخبرنا إسماعيل أو: ح حدثنا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، أخبرنا إسماعيل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: «يا رسول الله! إن قريشًا إذا لقي بعضهم بعضًا لقوهم ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، قال: فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا وقال: **والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله**»(١).

ثم قال أحمد: حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد المطلب بن ربيعة قال: «دخل العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله ﷺ فقال: إنا لنخرج فنرى قريشًا تحدث، فإذا رأونا سكتوا،

(١) أخرجه الترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب أبي الأعور... برقم (٣٧٥٨)، والإمام أحمد (١/ ٢٠٧).

فغضب رسول الله ﷺ ودرّ عرق بين عينيه ثم قال ﷺ: **والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي**»[(١)] .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ :

لا شك أن محبتهم لله حق من كمال الإيمان، يزيد بن أبي زياد هذا شيعي ضعيف، وهذا في إسناده، يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف في هذا الباب ؛ لكن المعنى صحيح، محبتهم لله، ولقرابتهم من الرسول أمر ثابت، كما قال في الحديث الصحيح: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»[(٢)] ؛ ولهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويترضون عنهم، ويعرفون فيهم وصية رسول الله ﷺ ويحفظونها فيهم، لكن من غير غلو، محبة في الله، ومعاونة في الخير، إحسان إليهم من بيت المال، كف الأذى عنهم من غير غلو، بخلاف عمل الرافضة، أما عمل الرافضة فهو منكر، الغلو فيهم وعبادتهم من دون الله، هذا هو الضلال البعيد، فمحبة أهل البيت ومحبة المؤمنين على الطريق القويم، محبتهم في الله، ومساعدتهم في الخير، نصرهم في الحق، كف الأذى عنهم، وهكذا عن كل مؤمن، أما الغلو فيهم وعبادتهم من دون الله كما تفعل الرافضة مع علي ومع الحسين و الحسن وغيرهم؛ هذا هو الضلال البعيد، هذا هو المنكر، هذا هو الشرك الأكبر نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا خالد، حدثنا شعبة عن واقد قال: سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أبي

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث العباس بن المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ برقم (١٤٠)، والإمام أحمد (١/ ٢٠٧ و٤/ ١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٢٤٠٨).

بكر - هو الصديق رضي الله عنه - قال: «ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته»[١].

وفي «الصحيح»: أن الصدِّيق رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه: «والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا من فقه الصدِّيق رضي الله عنه، وإنصافه، والصدِّيق هو أفضل الصحابة، وخيرهم، وأسبقهم إلى الإسلام، ولهذا يقول: «**ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ**»[٣]، يعني: راعوهم وأحسنوا إليهم، ويقول: [صلة أقارب النبي ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي]، لما استخلف وطلب العباس وفاطمة إرثهم؛ أخبرهم رضي الله عنه أن الأنبياء لا يورثون، قال الرسول ﷺ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ**»[٤]، ولكن سوف يفعل فيها ما كان يفعله النبي ﷺ، وقال: «**لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي**»[٥]، ولكن على الوجه الشرعي.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي بكر رضي الله عنه في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ منقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ برقم (٣٧١٣).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي بكر رضي الله عنه. في كتاب المغازي، باب حديث بني النضير برقم (٤٠٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة،باب مَنَاقِبُ قَرَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَنْقَبَةِ فَاطِمَةَ عليها السلام بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». برقم (٣٧١٣).

(٤) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب فرض الخُمس، باب فرض الخمس برقم (٣٠٩٤)، ومسلم في كتاب الجهاد والسيرة، باب قول النبي ﷺ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ**». برقم (١٧٥٧).

(٥) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مَنَاقِبُ قَرَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَنْقَبَةِ فَاطِمَةَ عليها السلام بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» برقم (٣٧١٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسيرة، باب قول النبي ﷺ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ**» برقم (١٧٥٩).

الأسئلة:

● **س: أحسن الله إليكم يا شيخ، إذا كان ظهر من أهل البيت أو بعضهم ما يوجب الهجر مع البقاء على الإسلام هل يهجرون أم لهم ميزة خاصة؟**

○ **الجواب**: يستحقون مثل غيرهم، إذا ظهر منهم منكر وأصرُّوا عليه ظاهر يستحقون الهجر، لكن إذا تيسر علاجه بدون هجر طيب، نعم. مثل غيرهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عمر بن الخطاب للعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم؛ لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب».

فحال الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك، ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن سائر الصحابة أجمعين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا كانا؛ بالألف؛ أي: الصدِّيق وعمر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان التيمي، حدثني يزيد بن حيان قال: «انطلقت أنا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما جلسنا إليه قال حصين: لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا؛ رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت معه، لقد رأيت يا زيد خيرًا كثيرًا، حدِّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي! لقد كبر سني وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوه،

وما لا فلا تكلِّفونيه، ثم قال ﷺ: قام رسول الله ﷺ يومًا خطيبًا فينا بماء يدعى خُمًّا ـ بين مكة والمدينة ـ فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وذكّر ووعظ، ثم قال ﷺ: «**أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَوَّلُهُمَا كِتابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى والنُّورُ فَخُذُوا بِكِتابِ اللهِ واستَمْسِكُوا بِهِ**». فحثَّ على كتاب الله ورغّب فيه، وقال ﷺ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». فقال له حصين: ومَن أهل بيته يا زيد؟! أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إن نساءه لسن من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرُم عليه الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس ﷺ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا؟ قال ماذا عندك؟

(القارئ): [قال: إن نساءه لسن من أهل بيته.

(مداخلة):

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم هذا هو المعروف، المعروف أن نساءه من أهل بيته؛ يعني: من أهل بيته في الإكرام والاحترام والعناية بهن، ولكن ليس من أهل بيته في الصدقة.

مثل ما عندهم صلح مثل ما عندهم: إن نساءه من أهل بيته، هذا المعروف عنده في الرواية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال: إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يعني: ولكن أهل بيته عند الإطلاق.

(مداخلة): «صحيح مسلم»: لسن من أهل بيته، و. . . السياق يقتضي أنه لسن من أهل بيته.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا عندك؟

(مداخلة): أقول: الذي في صحيح مسلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: معك الآن.

(مداخلة): لا ليس بموجود.

(مداخلة): السياق ما يقتضي، عفا الله عنك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لكن أهل بيته على الحقيقة من جهة الصدقة، نساؤه من أهل بيته من جهة الاحترام، ولسن من أهل بيته من جهة الصدقة.

(مداخلة): قوله: ولكن أهل بيته.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم من جهة الصدقة؛ يعني: أهل بيته على الإطلاق من جهة النسب، حط عليها إشارة، . . . عزاه أحمد هنا؟ الذي معك المسند هنا؟ المسند؟ الشيخ عبد العزيز معك المسند؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يصلحه هذه رواية المسند. يصلحها رواية المسند.

(القارئ): «قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: وهؤلاء منهم، وأهل بيته هم من بنو هاشم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: أكل هؤلاء حرم عليه الصدقة؟ قال: نعم، وهكذا رواه مسلم والنسائي من طرق يزيد بن حبان به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: من طرق عن.

(مداخلة): ... نساءه من أهل بيته.

(مداخلة): ولكن أهل بيته...

(الشيخ): أهل بيته... نعم.

يراجع رواية مسلم لأجل المؤلف قد يكرر أيضًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا علي بن المنذر الكوفي، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد، والأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنِي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهَما أَعْظَمُ مَن الآَخرِ: كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُود مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرضِ، وَعِتْرَتي أَهْلُ بَيْتِي ولَنْ يَتَفرّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخلفونِي فِيهِمَا»**[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والآخر.

(القارئ): (والآخر).

(الشيخ): ما فيه.

(القارئ): «عترة أهل بيتي».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عترتي أهل بيت، عندك؟

(القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عندك وعترتي؟

(القارئ): لا ، عترة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عترتي؟

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ برقم (٣٧٨٨).

(القارئ): عترة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عترتي أهل بيتي.

(القارئ)... بالياء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ...، نعم، عترتي أهل بيتي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**عترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما**»، تفرد بروايته ثم قال: هذا حديث حسن غريب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمراد من هذا: أهل بيته المستقيمون على طريق الحق، وهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحسن والحسين ومن سار على نهجهم، هؤلاء يجب احترامهم، ومعرفة فضلهم، والإحسان إليهم، والرفق بهم، وإعطاؤهم حقوقهم أكمل مما يراعى غيرهم، لكن ليس على طريقة الرافضة الغلو فإن هذا منكر لا يجوز، وإنما المقصود إعطاؤهم حقوقهم من بيت المال ومن الرفق والحكمة والإحسان والترضّي عنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، نعم؛ لأنهم استقاموا على دينه، نعم، بخلاف أبي لهب وأبي طالب وغيرهم ممن خالف دينه فليس لهم احترام، بل لهم النار، نعوذ بالله يوم القيامة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تختلف نسخ الترمذي، أقول: نسخ الترمذي تختلف في هذا كثيرًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الترمذي أيضًا: حدثنا نصر بن عبد الرحمٰن الكوفي، حدثنا زيد بن الحسن عن جعفر بن محمد بن الحسن عن أبيه عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: **يا أيها الناس! إني تركت فيكم ما إن**

أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي» تفرَّد به الترمذي أيضًا وقال: حسن غريب[١].

وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم.

ثم قال الترمذي أيضًا: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نعَمِهِ، وأَحِبُّونِي بِحُب اللهِ، وأَحِبُّوا أَهْل بَيْتِي لحَبِّي»**[٢].

ثم قال: حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد أوردنا أحاديث أخر عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] بما أغنى عن إعادتها هاهنا، ولله الحمد والمنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود من هذا كله محبتهم في الله إذا استقاموا وإعطاؤهم حقوقهم من بيت المال.. وغير هذا، لكن فعل الرافضة قبَّحهم الله من الغلو في أهل البيت... من دون الله، واعتقاد أنهم يعلمون الغيب وما أشبه ذلك مما تفعله الرافضة، هذا من أعظم الباطل والكفر والضلال، ولكن يحبون في الله ويعطون حقوقهم التي لهم في شرع الله، إذا استقاموا على دين الله.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ برقم (٣٧٨٦)، والإمام أحمد من حديث أبي سعيد رضي الله عنه (٣/ ٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ برقم (٣٧٨٩).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مفضل بن عبد الله عن أبي إسحاق عن حنش قال: سمعت أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو آخذ بحلقة الباب يقول: يا أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ، من دخلها نجا، ومن تخلَّف عنها هلك»[(١)].

هذا بهذا الإسناد ضعيف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بل موضوع؛ لأن سفينة نوح شريعة الله جَلَّ وَعَلَا الكتاب والسُّنَّة، من أخذ بهما نجا، ومن تخلف عنهما هلك، أما أهل البيت فليسوا سفينة نوح، لكن لو صح لكان المقصود به من استقام على دين الله، ولكنه موضوع من وضع الرافضة.

(مداخلة):

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ليس بصحيح، لكن لو وجد شيء صحيح يُحمَل على من استقام كعلي والحسن والحسين فيما وافقا فيه الشريعة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾؛ أي: ومن يعمل حسنة ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾؛ أي: أجرًا وثوابًا؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٢٦٣٨)، والبزار في كشف الأستار برقم (٢٦١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٠٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو متروك (١٨/٤٦٢).

[النساء: ٤٠]، وقال بعض السلف: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾؛ أي: يغفر الكثير من السيئات، ويكثر القليل من الحسنات، فيستر ويغفر ويضاعف، فيشكر.

*

▢ تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣](١).

حدّثني محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا محمّد بن جعفرٍ، حدّثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: سمعت طاوسًا، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فقال سعيد بن جبيرٍ: قربى آل محمّدٍ ﷺ، فقال ابن عبّاسٍ: «عَجِلْتَ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَقَالَ: إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى أن تراعوا هذه القرابة؛ فلا تؤذوني في إبلاغ رسالة ربّي؛ يعني: على أقلّ الأحوال أن ترعوا القرابة، والصّلة، والرّحم؛ حتّى تمكّنوني من تبليغ رسالة ربّي، وأداء ما وجب عليّ؛ يعني: إن لم تكونوا مستجيبين، وإن لم تكونوا قابلين للحقّ؛ فأنشدكم المودّة في القربى، وما يجب على القريب لقريبه من الصّلة وكفّ الأذى؛ حتّى أبلّغ رسالات ربّي؛ فليس هناك أجرٌ أسأله من مالكم، وإنّما أسألكم أن تراعوا حقّ القرابة، على ما وضّحه ابن عبّاسٍ رحمه الله.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على كتاب التفسير من صحيح البخاري.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ برقم (٤٨١٨).

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فهو يبلّغ رسالة ربّه، ولا يريد أجرًا من النّاس، ولا مالًا من النّاس، كبقيّة الرّسل ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ، إنّما أرادوا البلاغ والبيان، وأجرهم على الله ﷻ، ولكنّهم أرادوا من أقوامهم أن يكفّوا عنهم الأذى، وأن يراعوا حقّ القرابة فقط؛ حتّى تؤدّى الرّسالة، وحتّى يبلّغ أمر الله إلى عباد الله. الله المستعان.

والمعنى إذا لم تستجيبوا فصِلة الرّحم تكفي، كفّوا عنّي الأذى من أجل صلة الرّحم، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ما أريد منكم فلوسًا، ولا طعامًا، ولا ملابس، ما أريد منكم إلّا اتّباع الحقّ، فإن لم تتّبعوا الحقّ فكفّوا الأذى، يكفي، وهذا من صلة الرّحم.

وقرابة النّبيّ ﷺ عامّةٌ: بنو عبد منافٍ، وبنو عديّ بن كعبٍ، وفي بني هاشمٍ وفي غيرهم؛ لأنّهم قرابةٌ تجتمع في الجدّ الأدنى كعبد المطّلبِ، والجدّ الثّاني كهاشمٍ، والجدّ الثّالث كعبد منافٍ، والجدّ الرّابع كقصيّ، وهكذا، قرابتهم متّصلةٌ، فالواجب صلة الرّحم وكفّ الأذى إذا لم يتيسّر قبول الحقّ.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الشورى: ٢٤][(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ أي: لو افتريت عليه كذبًا كما يزعم هؤلاء الجاهلون، ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ أي: يطبع على قلبك وسلَبَك ما كان آتاك من القرآن.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويسلبك؟

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسلبك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا عندكم؟ بالماضي؟

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بالماضي.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طيب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾؛ أي: لو افتريت عليه كذبًا كما يزعم هؤلاء الجاهلون، ﴿يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾؛ أي: يطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: يطبع كذا عندك أنت؟

(القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنتم عندكم: أي: طبع؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي نطبع حتى يستقيم المعنى، حتى يكون ما بعده مناسبًا له، إما... يطبع ويسلب، وإلا طبع وسلب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧]؛ أي: لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه.

وقوله جلَّت عظمته: ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ ليس معطوفًا على قوله: ﴿يَخۡتِمۡ﴾ ويكون مجزومًا؛ بل هو مرفوع على الابتداء، قاله ابن جرير، قال: وحذفت من كتابته الواو في رسم مصحف الإمام كما حُذِفت في قوله: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ﴾ [الإسراء: ١١].

وقوله ﷻ: ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، معطوف على ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: يحققه ويثبته ويبيّنه ويوضّحه بكلماته؛ أي: بحججه وبراهينه.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: بما تُكِنُّه الضمائر وتنطوي عليه السرائر.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ **[الشورى: ٢٥ ـ ٢٨]**[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ممتنًا على عباده بقَبوله بتوبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه أنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر. كقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقد ثبت في «صحيح مسلم» رحمة الله عليه، حيث قال: حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا: حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك وهو عمه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ**

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»(١).

وقد ثبت أيضًا في «الصحيح» من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ... ماذا؟

(القارئ): قال: حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا: حدثنا عمر بن يونس.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ضع عليه إشارة يراجع الأصل؛ يراجع الأصل في «صحيح مسلم».

(مداخلة):

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

معروف عمر بن يونس ومعروف يونس، يونس معروف وعمر بن يونس معروف.

(مداخلة): ... بن عمار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ... يراجع، نسخة عمر بن يونس الذي ما عنده عمر بن يونس يضع نسخة عمر بن يونس.

عندكم عمر بن يونس بن أبي إسحاق.

(مداخلة): عمر بن يونس.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ابن أبي إسحاق...؟

(مداخلة): ابن القاسم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم؟

---

(١) أخرجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم (٢٧٤٧).

(مداخلة): الحنفي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم؟

(مداخلة): قال: عمر بن يونس بن القاسم الحنفي الجرشي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الجرشي؟

(مداخلة): بالضم الجُرشي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الجرشي أم الحرشي؟

(مداخلة): بالجيم، بضم الجيم...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والشين بالمعجمة.

(مداخلة): بضم الجيم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

(مداخلة): بالمعجمة نعم، اليمامي عن أبيه وعكرمة بن عمار، وعنه أبو ثور ومحمد بن بشار... وثَّقه ابن معين والنسائي وجماعة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا. حدثنا من؟

(القارئ): قال: حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا: حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الذي عندكم عمر بن يونس؛ نعم لأن يونس بعيد، ما روى عنه محمد بن الصباح يونس بن أبي عبيد فوقهم... لم يدركوه، لم يدركه محمد بن الصباح وزهير بن حرب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عبد الرزاق: عن معمر عن الزهري في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: إن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف**

أن يقتله فيه العطش»[١]، وقال همام بن الحارث: «سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها؟ قال: لا بأس به، وقرأ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لكن إذا تاب وتابت له أن يتزوجها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريح القاضي عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي عن همام.. فذكره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وقوله ﷺ: «**التوبة تهدم ما كان قبلها**»[٢]، «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»[٣]، كل هذا من رحمة الله جل وعلا، قد يبتلى العبد بالسيئة ثم يمن الله عليه بالتوبة، وقد تكون حاله أحسن بعد ذلك، ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾، وآدم لما تاب الله عليه كانت حاله أحسن بعد ذلك، ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]. وهذا فضل منه سبحانه، من أسمائه العفو، «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[٤]، فهو يعفو بسبب التوبة، ويعفو بأسباب الأعمال

---

(١) **قال سماحته** رحمه الله: ما يخالف، منقطع، الزهري ما سمع أبا هريرة الزهري يحكي عن أبي هريرة، كما في رواية أنس.
مداخلة: هذا ما هو حديث أحمد، الشيخ: عبد الرزاق شيخ أحمد.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ: إن الإسلام يجبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها (٤/ ١٩٨ و٢٠٤ و٢٠٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي عبيد بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما في كتاب الزهد، باب في ذكر التوبة، برقم (٤٢٥٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب الدعاء بالعفو والعافية برقم (٣٨٥٠) والإمام أحمد (٦/ ١٧١ و١٨٣ و٢٠٨ و٢٥٠)

الصالحات، ويعفو فضلًا منه ﷻ إذا أراد ذلك ﷻ، ومع هذا يتوب على من تاب إليه.

(**مداخلة**): أحسن الله إليك في الحديث شريح أو شريك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شريح بضم الشين، أما شريك بفتح الشين، شريك دائمًا بفتح الشين، وشريح دائمًا بضم الشين. وهذه الآيات الكريمة فيها الحث على التوبة، وأن الله سبحانه يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات فضلًا منه ﷻ، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤]، وقال ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»[(١)]. فمن تاب من الذنب بالندم على ما مضى، والإقلاع من الذنب، والعزم ألا يعود فيه؛ تاب الله عليه، هكذا التوبة تكون، بالندم على الماضي، والعزم الصادق ألا يعود فيه، مع الإقلاع منه وتركه خوفًا من الله، وتعظيمًا لله، وإن كان الذنب يتعلق بحق المخلوقين فلا بد من الرابع وهو إعطاؤهم حقوقهم، إذا كان ظلم في نفس أو مال أو عرض لا بد من إعطائهم حقوقهم، أو تحللهم منها، وبهذا تتم التوبة. والإنسان إذا زنى بامرأة ثم تاب إلى الله وتابت جاز النكاح؛ لأن الذنب يمحى بالتوبة، فإذا تابا وأصلحا جاز أن يتزوجها الزواج الشرعي في نفس الأمر، وهكذا بعد الحد الشرعي إذا كان أقيم عليهما الحدود؛ لأن الحد كفارة لأهله، والتوبة كفارة لأهلها.

(**مداخلة**): الذي في الإسناد شريح أو شريك؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: من الذي عندك؟

• **س: بالنسبة للزاني بالمرأة هل يجبر عليها إلا إذا هو أراد وهي أرادت؟**

الجواب: لا يجبر، إذا تابا وأراد أن يخطبها لا بأس بعد الحد يقام عليه الحد إذا ثبت، أما فيما بينه وبين الله ما درى بينهم أحد إذا تابا فالحمد لله ومن تيب يقام عليه الحد إذا كان جُلد يقام الحد بعد التوبة له أن يتزوجها.

(مداخلة): من حديث شريح القاضي عن إبراهيم بن مهاجر.

(الشيخ): نعم.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشورى: ٢٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال السدي: يعني: يستجيب لهم، وكذا قال ابن جرير: معناه: يستجيب لهم الدعاء لأنفسهم ولأصحابهم وإخوانهم، وحكاه عن بعض النحاة، وأنه جعلها كقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. ثم روى هو وابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن شقيق بن سلمة عن سلمة بن سبرة قال: «خطبنا معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالشام فقال: أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة، والله إني لأرجو أن يدخل الله تعالى من تَسْبون من فارس والروم الجنة، وذلك بأن أحدكم إذا عمل له ـ يعني: أحدهم ـ عملًا قال: أحسنت رحمك الله، أحسنت بارك الله فيك، ثم قرأ: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بدعائهم لهم وبتوجيههم لهم وإرشادهم لهم فيهديهم الله بأسبابهم.

وقال سماحته[(١)]: إذا سبَوهم ودخلوا في الإسلام صاروا من أهل الجنة، أخرجوهم من الكفر إلى الجنة، مثلما في الحديث الصحيح: «**لَقَدْ عَجِبَ رَبُّنَا** عَزَّ وَجَلَّ **مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ**»[(٢)]، يُسْبَون ويعفى عنهم ولا يقتلُون، ثم يستقيم إسلامهم وإيمانهم ويدخلون الجنة، ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني: يستجيب لهم. نزع الخافض، يستجيب لهم دعاءهم وأعمالهم فضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ على ما طلبوا بسبب تقواهم وإيمانهم وأعمالهم الصالحة، يستجيب دعاءهم ويعطيهم خيرًا من ذلكم فوق ما طلبوا، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه جعل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]؛ أي: هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه، كقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦]، والمعنى الأول أظهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك، ولهذا قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا بقية، حدثنا إسماعيل بن عبد الله الكندي، حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، في مسجده في مدينة الطائف.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب، باب في الأسير يوثق برقم (٢٦٧٩)، والإمام أحمد (٢/ ٣٠٢).

﴿فَضْلِهِۦٓ﴾ قال: «**الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم معروفًا في الدنيا**»[(١)].

وقال قتادة عن إبراهيم النخعي في قوله ﷻ: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

قال: يشفعون في إخوانهم، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾.

قال: يشفعون في إخوان إخوانهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والآيات عامة في الاستجابة لهم، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ مما لا يحصيه إلا الله ﷻ، هو سبحانه يستجيب لعباده المؤمنين دعواتهم ويستجيب شفاعاتهم في إخوانهم، وهذا من فضله وجوده وكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا فيه حثٌّ على الدعاء والشفاعة بالخير والإحسان إلى عباد الله، وأن الله ﷻ يزيد المؤمنين بهذه الأعمال فضلًا إلى فضلهم وخيرًا إلى خيرهم.

(مداخلة): أي: التفسيرين أحسن الله إليك الأظهر للآية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو ظاهر على ظاهره يستجيب للناس في دعائهم وشفاعاتهم سبحانه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة برقم (٨٧٢)، وفي إسناده إسماعيل الكندي ضعفه الذهبي فقال: أتى بخير وبقية رجاله وُثِّقُوا، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٣): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه إسماعيل الكندي ضعفه الذهبي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ(١) :

والمعنى عام، أنه يستجيب لهم دعاءهم وأعمالهم ويزيدهم من فضله، عام في الشفاعة وغيرها، الآيات المطلقة تعم، يستجيب لهم في دعائهم لأنفسهم وأهليهم وإخوانهم في الله، ويزيدهم من فضله جَلَّ وَعَلَا؛ لأنهم أحسنوا فزادهم الله ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] سبحانه، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ جل وعلا.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

أي: لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشرًا وبطرًا.

وقال قتادة: كان يقال: خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك، وذكر قتادة حديث: «**إنما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا**»، وسؤال السائل: «أيأتي الخير بالشر؟» الحديث(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ(٣) :

والمعنى أنه سبحانه يبتلي الناس بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، لينيبوا إليه، ويستقيموا على طاعته ويخافوه، ولو بسط لهم

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، في مسجده في مدينة الطائف.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبا سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا برقم (١٠٥٢).

(٣) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، في مسجده في مدينة الطائف.

الرزق في كل ما يريدون لبغوا في الأرض، من طبيعة الإنسان العدوان والطغيان إلا من رحم الله، إلا من عصم الله، فمن رحمته ﷻ أنه يبتليهم بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، حتى يشكروه عند النعمة، وحتى يصبروا عند البلاء، وحتى يتذكروا ولا يطغوا ولا يبغوا، فهو طبيبهم سبحانه وتعالى، يعالج مشاكلهم، ويبتليهم بالسراء والضراء، ويعفو عن السيئات، إلى غير هذا سبحانه وتعالى. فربك ﷻ هو الحكيم العليم فيما يعمل بعباده من شدة ورخاء، وصحة ومرض، وفقر وغنى، إلى غير ذلك سبحانه وتعالى.

* *

❐ **وقـــولـــه** ﷻ: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ **[الشورى: ٢٧]**.

أي: ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك، فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر، كما جاء في الحديث المروي: «**إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، ومن عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه**».

(مداخلة): أحسن الله إليك! صحيح الحديث هذا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم؟

(مداخلة): الحديث هذا صحيح؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، من الآثار الإسرائيليين، من الآثار التي ما... يعرف لها سند، مما تحكى... في الترغيب والترهيب.

ولكن المعنى صحيح، هو سبحانه يغني من يشاء لحكمة ويفقر من يشاء لحكمة ﷻ، هو الغني الحميد وهو الحكيم العليم ﷻ.

(مداخلة): أحسن الله إليك!... ما يدل على...

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لو أفقرته لأفسده لو أغنيته لأفسده ذلك، الغنى والفقر بالنسبة إلى الفساد والغنى والفقر.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله[(١)]:

وهذا أثر قدسي مما يروى عن أحاديث بني إسرائيل، في اللفظ الآخر: (إن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك)[(٢)]. والمقصود أنه ﷻ حكيم عليم فيما يقدر لعباده، ويبتليهم به من سراء وضراء وشدة ورخاء، وقد يملي لبعض الناس، قد يملي بعض الناس ويعطيهم الأموال ويبسط لهم الرزق وهم في عصيانه وفي مخالفة أمره ابتلاءً وامتحانًا، ثم يجازيهم يوم القيامة بما يستحقون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣]، قد يعطيهم ويملي لهم ثم يؤخذون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، في مسجده في مدينة الطائف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء (ص ٩، رقم ١)، والحكيم (٢/ ٢٣٢)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٨)، وابن عساكر (٧/ ٩٥).

❐ (القارئ) وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨].

أي: من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه؛ كقوله ﷻ: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٩].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

يعني أنه سبحانه عند الشدة وعند قنوط الناس يأتي الغيث، يبتليهم ثم ينزل الغيث، فيبتليهم بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* *

❐ وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨].

أي: يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية، قال قتادة: ذكر لنا أن رجلًا قال لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين! قحط المطر، وقنط الناس.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قحط المطر.

(القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قحط وقحط ما يخالف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قحط المطر وقنط الناس، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مُطرتم، ثم قرأ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾؛ أي:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في مسجده في مدينة الطائف.

هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

له الحكمة البالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو العليم بأحوال عباده، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ [الفرقان: ٥٠]، فهو المصرف لهذا الغيث وللأرزاق كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وله الحكمة البالغة في إغناء هذا وإفقار هذا، وجعل هذا بين الغنى والفقر.. إلى غير ذلك، له الحكمة البالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولولا هذا ما تميز الناس، لو كانوا على طبقة واحدة ما تميز الناس، لكن جعلهم الله طبقات حتى يتميز الناس، هذا غني يجود ويحسن، وهذا غني يبخل، وهذا فقير يصبر، وهذا فقير لا يصبر، يتفاوت الناس في أعمالهم وفي أجورهم وفي إثمهم، الله المستعان.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ **[الشورى: ٢٩ ـ ٣١]**(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر، ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾؛ أي: ذرأ فيهما؛ أي: في السمٰوات والأرض، ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات على اختلاف أشكالهم وألوانهم.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بقراءة الشيخ أحمد العرفج. ومن دروس سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ بمسجده في مدينة الطائف في ١٩ ـ ٢ ـ ١٤١٩هـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر! وهذه من آياته العظيمة ومن آثاره العظيمة، الآية: العلامة والدليل؛ يعني: من دلائل قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق لأن يُعبَد ويعظم، هذه المخلوقات الكثيرة في السمٰوات والأرض، فهي من الدلائل على عظمته واستحقاقه للعبادة جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] يعم الخلائق كلها، كل دابة، كل ما يدب على الأرض أو في السماء، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم، وقد فرَّقهم في أرجاء أقطار السمٰوات والأرض ﴿وَهُوَ﴾ مع هذا كله ﴿عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾؛ أي: يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]. هو سبحانه خلق السماوات وما فيها، خلق الأرض وما فيها، خلق كل شيء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فالواجب الإعداد لهذا اليوم، والحذر من التفريط والتساهل والغفلة، يوم لا بد من وقوعه، ولا بد أن يجازى المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه. فجدير بالعقلاء أن يعدوا لهذا اليوم، وذلك بطاعة الله ورسوله، والاستقامة على دين الله والإخلاص

له، والحذر من الإشراك به ومعصيته، هذه هي العُدة، العدة الصالحة هي تقوى الله ﷻ، والاستقامة على دينه. يقول ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٧٠، ٧١]. وهذه الدواب التي غير الإنس والجن يقتص لبعضها من بعض ثم تكون ترابًا، ويجازي الله المؤمنين بإيمانهم والمحسنين بإحسانهم. والملائكة هم عبيده وفي تنفيذ أوامره، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، المشركون الذين قالوا: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ﴾ يعني: الملائكة، رد الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨]. فالملائكة لهم فضلهم وإيمانهم وطاعتهم لله ﷻ، وهم في قبضته كغيرهم من الإنس والجن والدواب، لكن ما كان في الأرض من الدواب غير الإنس والجن هذه يقتص الله لبعضهم من بعض من إبل وبقر وغنم وحيات وعقارب وغير ذلك ثم تكون ترابًا، فيتمنى الكافر عند ذلك يقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠] إذا رأى هذه الأشياء قضي عليها وكانت ترابًا. أما الإنس والجن فهم محل الجزاء والحساب في هذه الأرض، والملائكة عند ربهم في الدنيا والآخرة مكرمون، الملائكة عند ربهم في الدنيا والآخرة مكرمون، لهم فضلهم، ولهم جزاؤهم على طاعتهم لله وقيامهم بحقه عليهم الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هي عن سيئات تقدمت لكم،

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾؛ أي: من السيئات، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

وفي الحديث الصحيح: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(١).

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا أيوب قال: قرأت في كتاب أبي قلابة قال: نزلت: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] وأبو بكر رضي الله عنه يأكل، فأمسك وقال: «يا رسول الله! إني أرى ما عملت من خير وشر، فقال: **أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر، وتدخر لك مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: وتدخر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: بالراء هو الصواب؛ تدخر.

(القارئ): أحسن الله إليك «**وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة**».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال: قال أبو إدريس: فإني أرى مصداقها في كتاب الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾، ثم رواه من وجه آخر عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه، قال: والأول أصح.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى وقول الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] برقم (٥٦٤١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥) و(٢١/ ٢٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا الأزهر بن راشد الكاهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيلة عن علي رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل، وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ **وسأفسِّرها لك يا علي: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله تعالى أحلم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوه»** وكذا رواه الإمام أحمد عن مروان بن معاوية وعبدة عن أبي سخيلة قال: قال علي رضي الله عنه.. فذكر نحوه مرفوعًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: في السند الأول: حدثنا ابن أبي حاتم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا الأزهر بن راشد الكاهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيلة عن علي رضي الله عنه قال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

في صحته نظر،... والمعنى صحيح، لكن ذكر أفضل آية لعله وهم؛ لأن أفضل آية في القرآن آية الكرسي، بالنص، أفضل آية في كتاب الله آية الكرسي.

انظر الخضر، عن معاوية الفزاري...

(مداخلة): نعم.

(مداخلة): . . . هل يدخل. . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الملائكة خلقوا من النور مستثنى، خلقت الملائكة من النور.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[ثم روى ابن أبي حاتم نحوه من وجه آخر موقوفًا، فقال: حدثنا أبي، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا أبو سعيد بن أبي الوضاح عن أبي الحسن عن أبي جحيفة قال: دخلت على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يعيه؟ قال: فسألناه، فتلا هذه الآية: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ قال: ما عاقب الله تعالى به في الدنيا فالله أحلم من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيام».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا المعنى ثبت في «الصحيحين» في بيعة الصحابة للنبي ﷺ قال لهم: «**من أدركه الله في الدنيا كان كفارة له**»، من عوقب في الدنيا لم يعد عليه العقوبة هذا كفارة له، فإذا أُقيم عليه حد، حد الزنا. . حد السرقة غير ذلك كان كفارة له إذا لم يعد.

(مداخلة): وأُقيم عليه الحد هل يسقط حق المقتول؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يسقط حق الورثة وحق الله ويبقى حق القتيل يرضيه الله، يرضيه الله يوم القيامة، يرضيه الله عنه إذا كانت التوبة صادقة؛ لأن الله قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] من تاب أفلح، في الحديث الصحيح: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»(١).

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٤٩).

(مداخلة): يسقط حق الله ولو لم يتب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، إذا تاب، إذا أُقيم القصاص سقط حق الله، قصاص أو حدّ، يقول ﷺ: «**من أدركه الله في الدنيا كان كفارة له**»[١] من حديث عبادة.

(مداخلة): يسقط حقان؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، يبقى حق القتيل يرضيه الله إذا كان قتيل.

(مداخلة): الخضر بن القواس مجهول من السادسة، . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

. . . وأبو سخيلة؟ هذا يحط عليه إسناده ضعيف، وفي روايته نكارة؛ لأن أفضل آيات كتاب الله هي آية الكرسي.

(مداخلة): يعني لو صح ـ أحسن الله إليك ـ ما يعول على أنه. . . للمخلوق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم؟

(مداخلة): بالنسبة للعبد فيما يتعلق بالسيئة. . . لو صح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يحتمل، لكن إطلاق أفضل آية. . . معارض للحديث الصحيح.

(مداخلة): أبو سخيلة يا شيخ.

(الشيخ): نعم.

(مداخلة): أبو سخيلة بالمعجمة المصغر مجهول من الثالثة النسائي.

---

(١) هذا معنى حديث ذكره سماحته، والحديث متفق عليه من حديث عبادة، أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب الحدود كفارة برقم (٦٧٨٤)، ومسلم في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها برقم (١٧٠٩).

(الشيخ): بعد.

(مداخلة): أيضًا روى له النسائي...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ... فيه مجهولان وضعيف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا طلحة ـ يعني: ابن يحيى ـ عن أبي بردة عن معاوية ـ هو: ابن أبي سفيان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفَّر الله تعالى عنه به من سيئاته**»(١).

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا حسن عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ الْعَبْدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُكَفِّرُهَا مِنَ الْعَمَلِ ابْتَلَاهُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **بِالْحُزْنِ؛ لِيُكَفِّرَهَا عَنْهُ**»(٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن ـ هو: البصري ـ قال في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ قال: لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر**»(٣).

وقال أيضًا: حدثنا أبي، حدثنا عمر بن يعلى، حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده، فقال له بعضهم: إنا لنبأس لك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٩٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٦/ ١٥٧).

(٣) انظر: كنز العمال (٨٦٧٠)، وأخرجه ابن عساكر (٥٨/ ٥٤).

(مداخلة): . . . «**والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا مرسل أقول: مرسل، الحسن تابعي مرسل سند حدثنا سنده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن ـ هو: البصري ـ.

قال سماحة (الشيخ): بهذا مرسل وإسماعيل بن مسلم يحتمل إن كان المكي فهو ضعيف، وإن كان الكوفي فهو لا بأس به، وبكل حال هو مرسل، ومراسيل الحسن لا قيمة لها.

(مداخلة): لكن. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الآية، عموم الآية ظاهر، أقول: عموم الآية ظاهر.

(القارئ): [وقال له بعضهم: إنا لنبأس لك لما نرى فيك، قال: فلا تبتئس بما ترى فإن ما ترى يذنب ويعفو الله عنه أكثر.

(الشيخ): فإن. .

(القارئ): [فلا تبأس بما ترى فإن ما ترى يذنب.

(الشيخ): بذنب.

(القارئ): أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، بذنب؛ بالباء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن ما ترى بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الآية الأخرى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حديث عائشة الذي قبله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم؟

(مداخلة): إسناد حديث عائشة الذي في المسند.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا فيه؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا حسن عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ضعيف، هذا ليث، فيه ليث بن أبي سليم ضعيف.

(مداخلة): الأصل أنه حسين، أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم؟

(مداخلة): حسين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

(مداخلة): قال الإمام أحمد: حدثنا حسين عن زائدة...

(القارئ): عندنا حسن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الذي عنده حسن يحط نسخة، والذي عنده حسين يحط نسخة حسن، محتمل هذا وهذا. نعم.

(مداخلة): طيب، حديث عائشة...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

(القارئ): وحدثنا أبي حدثنا يحيى..].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عائشة ماذا؟ عن عائشة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم. [عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفِّرها ابتلاه الله تعالى بالحزن ليكفرها**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن الليث ضعيف... الليث بن أبي سليم عنده ضعف.

(مداخلة): عفا الله عنك يا شيخ معناه..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لكن على كل حال حزن من المصائب، يرجى فيه حزن على أخيه أو أبيه أو مولود يموت له، مثلما قال ﷺ في إبراهيم ابنه: «**العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب**»(٢)، فالأحزان مصائب: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وحدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، حدثنا جرير عن أبي البلاد قال: قلت للعلاء بن بدر: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ وقد ذهب بصري وأنا غلام؟ قال: فبذنوب والديك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا خطأ لو صح، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤]،

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٦٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «**إنا بك لمحزونون**» برقم (١٣٠٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك برقم (٢٣١٥).

لله الحكمة فيما أصابه، قد يكون كسبت يده شيئًا وإن لم يكن ذنبًا، قد يكون فعل أشياء سبَّبت العمى، أو يكون للعموم وهذا خاص؛ يعني: في الأغلب والعموم بما كسبت يد الإنسان، وقد يكون الكسب ليس بذنب، يكون كسبًا ليس بذنب، قد مثلًا يلطم نفسه بشيء أو يفعل شيء ليس بذنب يكون سببًا يترتب عليه ما يضره من أكلة أو... أو من صعود أو نزول...

(القارئ): وحدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا وكيع عن عبد العزيز بن أبي داود عن الضحاك قال...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والعجب من المؤلف كيف يسكت على هذا، رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: ما نعلم أحدًا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ثم قرأ الضحاك: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأن المصائب قد تكون ذنوبًا وقد تكون غير الذنوب، قد تكون مصائب غير ذنوب وقد تكون ذنوبًا.

(مداخلة): عفا الله عنك يا شيخ، عندنا فيه عن عبد العزيز بن أبي راوي.

(مداخلة): رواد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ابن أبي رواد، صلّحها عندك ابن أبي رواد. نعم.

(القارئ): عبد العزيز بن أبي داود هنا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، رواد، ابن أبي رواد بالراء...

(القارئ): ثم يقول الضحاك: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [الشورى: ٣٢ ـ ٣٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾؛ أي: كالجبال، قاله مجاهد والحسن والسدي والضحاك؛ أي: هذه في البحر كالجبال في البر.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾؛ أي: التي تسير في البحر بالسفن لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن، بل تبقى راكدة لا تجيء ولا تذهب؛ بل واقفة على ظهره؛ أي: على وجه الماء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من لطفه جَلَّ وَعَلَا تسييره السفن المحملة بالمتاع والأشياء الكثيرة تسير على ظهر الماء بما يسر الله من الرياح رحمة من الله بعباده وتيسيرًا عليهم، ولو ألقيت حجرًا أو صندوقًا يسيرًا لسقط، وهذه السفن تجري على ظهره، ثم جاءت هذه البواخر العظيمة التي لا تحتاج إلى الرياح؛ بل فيها من الآلات والمكاين والأشياء التي تسيرها ما يسَّر الله لأهلها ذلك، وهكذا سفينة نوح أجراها إلى البحار سفينة بدائية سخرها الله لعباده حتى أنجى الله عليها نوحًا ومن معه، سفينة عظيمة جرت على ظهر الماء، وأنقذ الله بها المؤمنين من الغرق كلهم بفضله سبحانه من آياته

العظيمة، ومن آياته دلائل قدرته ودلائل أنه رب العالمين، ودلائل أنه مستحق العبادة، هذه الجواري في البحر كالأعلام؛ كالجبال في البحر، ما بين سفينة وباخرة لنشات وأنواع كثيرة الآن جدت كلها تطرح رحاها على البحر بما يسَّر الله لأهلها من العلوم والخبرة حتى سارت في البحار بتعليم الله وتسخيره وإرشاده وتيسيره، حتى يستفيد من وراء البحار من البلدان الأخرى تنقل هذه البضائع من إقليم إلى إقليم، ومن بلاد إلى بلاد، ومن قوم إلى قوم رحمة من الله حتى تمشي هذه الدار تمحى إلى ما كتب الله لها حتى ينقضي أمده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ أي: في الشدائد.

﴿شَكُورٍ﴾؛ أي: إن في تسخيره البحر وإجرائه في الهوى بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾؛ أي: في الشدائد ﴿شَكُورٍ﴾ في الرخاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿. . . صَبَّارٍ﴾ فيه إشارة ـ والله أعلم ـ إلى ما قد يصيبهم من الشدائد في البحار والأخطار، ولكنهم يصبرون ويشكرون، أهل الإيمان تصيبهم شدائد في البحار فيشكرون، تأتيهم رياح عاصفة، أمواج عظيمة، يرون فيها الخطر والموت القريب، ولكن الله ينجيهم ويخلصهم ويصبرون ويشكرون الله على نعمه في الخلاص والعافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾؛ أي: ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون فيها.

﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾؛ أي: من ذنوبهم، ولو آخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر.

وقال بعض علماء التفسير: معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾؛ أي: لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال آبقة لا تسير على طريق ولا إلى جهة مقصد، وهذا القول هو يتضمن كلاهما وهو مناسب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الآية عامة، يوبقها بما شاء سبحانه إذا أراد الله ذلك أهلكهم، لكن رحمة منه يعني: سلَّم ويسَّر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا القول يتضمن هلاكها وهو مناسب للأول، وهو أنه تعالى لو شاء لسكَّن الريح فوقفت أو لقواه فشردت وأبَقَت وهلكت، ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية، ولو أنزله كثيرًا جدًّا لهدم البنيان أو قليلًا لما أنبت الزرع والثمار حتى إنه يرسل إلى مثل بلاد مصر فيحًا من أرض أخرى غيرها؛ لأنهم لا يحتاجون إلى مطر ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بركة.. الله المستعان. لا حول ولا قوة إلا بالله. وهذا يوجب للمؤمن شكر الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فإنه سبحانه هو الراحم المتفضل بالنعم، فلو شاء لأهلك العباد بقول الله: ﴿كُن﴾، كلمة واحدة. وهكذا ما يجري في البحار من السفن والبواخر لو شاء لأهلكها جَلَّ وَعَلَا، وهكذا ما ينزل من الأمطار لو شاء لزاد المطر حتى يهلك الناس، ولو شاء لأمسكه حتى

يجدبوا ويهلكوا بالجدب والقحط، هو سبحانه المتصرف في عباده، الرءوف بهم، الحكيم العليم فيما يقضي ويقدر من نزول الأمطار وهبوب الرياح وما يقع في البحار، إلى غير ذلك. والله يذكِّر عباده بهذه النعم ويذكِّرهم بالأخطار التي تحتف بهذه النعم، لو شاء لأرسلها إليهم وصار فيها هلاكهم. فالواجب شكر الله على نعمه، والقيام بحقه، والحذر من أسباب غضبه ﷻ.

بيان سبب ما يقع للصغير من البلاء

● **س: يا شيخ بارك الله فيك! قول العلاء بن بدر لأبي البلاد؟**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: قول العلاء بن بدر

في الأثر السابق، وقد ذهب بصري وأنا غلام. قال: فبذنوب والديك. كيف يؤاخذ بذنوب والديه؟

الجواب: نعم. هذا ما هو صحيح، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

الشيخ: لله الحكمة ﷻ. ما يقع للأطفال من الأمراض والأسقام والمجانين وغيرهم كله لحكمة بالغة، ﷻ الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾؛ أي: لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا فإنهم مقهورون بقدرتنا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم والله، ليس لهم محيص لكن أين من يعقل؟ أكثر الناس لا يعقلون، أكثر الناس، ولهذا في ضلالهم يعمهون وفي طغيانهم يسيرون، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]،

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، مع الآيات الواضحات، والنعم الكثيرات أكثر الناس لا يعقلها كالبهيمة، بل شر من البهيمة.

(مداخلة): . . . بأن المصيبة التي تنزل بالعبد بسبب ذنوبه أو ابتلاء من الله ﷻ له ومحبة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يحملها على الذنوب حتى يتواضع ويجاهد نفسه، يحملها مثلما قال الله: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

يحملها على الذنوب مهما أمكن حتى يخضع لله ويتواضع ويتوب ويقلع وينيب إلى الله ويتهم نفسه بالتقصير، ولهذا قال: ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ دل على أنها من الذنوب.

(مداخلة): يا شيخ الله يثيبك ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم؟

(مداخلة): العطف على ماذا في ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الواو بمعنى (مع) منصوب بأن بعد الواو.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم؟

(مداخلة): ورد أن غلاء الأسعار من ذنوب العباد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كل ما يقع فهو من ذنوب العباد ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: ٣٦ ـ ٣٩][(١)].

يقول تعالى محقرًا لشأن الحياة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني بقوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾؛ أي: مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به فإنما هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾؛ أي: وثواب الله تعالى خير من الدنيا وهو باق سرمدي فلا تقدموا الفاني على الباقي، ولهذا قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لهذا إذا غُمس أهل النار في النار غمسة قيل له: هل مر بك نعيم؟ يؤتى بأنعم أهل الدنيا فإذا أدخل النار: قيل هل مر بك نعيم؟ فيقول: ما مر بي نعيم قط، نسي كل هذا، العمر الطويل بالنعم نسيه كله، فما مر بنعيم قط، وإذا أدخل المؤمن الجنة الفقير المحتاج الذي أصابته البأس والشدة قيل له: هل مر بك شر؟ هل مر بك بأس؟ يقول: لا، ما مر بي شيء نسي الشدة التي أصابته كلها والحاجات لما رأى من النعيم العظيم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾؛ أي: ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بقراءة فضيلة الشيخ أحمد العرفج.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويقول تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، ولو عُمِّرت فيها مائة عام أو مائتي عام أو ألف عام كنوح لا قيمة له يذهب كأنه ما مر، كأنه ما صار.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ وقد قدَّمنا الكلام على الإثم والفواحش في سورة الأعراف ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾؛ أي: سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ليس سجيتهم الانتقام من الناس. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله[١]، وفي حديث آخر كان يقول لأحدنا عند المُعْتبة «ما له تربت» جبينه[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]:

هذا من ربنا توجيه لعباده المؤمنين، وتحريض لهم على العمل للآخرة، والمسارعة إلى ما يرضيه ﷻ، وأن هذه الحياة متاع زائل، لا ينبغي للعاقل أن يغتر بذلك، مهما أوتي من الدنيا، فهو متاع زائل، فقد غرَّ قارون ما آتاه الله من الدنيا، وآثر ذلك على الآخرة فخسف به، وذهب كأمس الذاهب. وهكذا الأمم الكثيرة التي غرَّتها الدنيا قضي

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «**يسِّروا ولا تعسِّروا**» برقم (٦١٢٦)، ومسلم من كتاب الفضائل، وباب مباعدته ﷺ للأثام برقم (٢٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكنالنبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا رقم (٦٠٣١).

(٣) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في مسجده في مدينة الطائف.

عليها، من قوم نوح وعاد وثمود وقوم صالح وغيرهم؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعني: فهو متاع الحياة الدنيا، نهايته الزوال، متاع، يتمتع به الإنسان مثل ما يتمتع المسافر بزاده اللي معه من ماء وطعام، ثم ينتهي، متاع: ﴿ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] متاع يتمتع به مدة حياته، خمسين سنة، ستين سنة، مائة سنة، متاع ثم ينتهي، لكن ما عند الله من النعيم لعباده الصالحين المؤمنين لا ينتهي، دائم، نعيم دائم لا ينقضي ولا ينتهي؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يعني: يجتنبون المعاصي ويحذرونها كبيرها وصغيرها، الإثم: الكبائر، والفواحش: عموم المعاصي. فالواجب على العبد أن يحذر جميع ما حرَّم الله عليه، وأن يُعد العُدة للآخرة؛ لأنها الباقية، وأن يحذر أن يغتر بزهرة العاجلة، زهرة الدنيا العاجلة التي نهايتها الزوال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، يعني: من طبيعتهم ومن صفاتهم العفو والصفح، من صفات المؤمنين العفو والصفح، وعدم الانتقام، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك والمصلحة، ولهذا قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، ويقول ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»(١)، فمن صفات المؤمن: الجهاد للنفس، والحرص على ملكها عند الغضب؛ حتى لا يفرط منه ما لا ينبغي. الله المستعان.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حُرمات الله(٢).

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٤٧٩).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة ﵂. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا**» برقم (٦١٢٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، وباب مباعدته ﷺ للآثام برقم (٢٣٢٧).

وفي حديث آخر كان يقول لأحدنا عند المعتبة: (ما له تربت جبينه؟)[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه الحث على الصفح والعفو ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧﴾ في حقوق أنفسهم، كما قال ﷻ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠] قال ﷺ: «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»[(٢)] مع زوجته مع أولاده مع جيرانه الحقوق التي تتعلق بنفسه من طبيعته السماح والعفو والصفح، أما في حق الله لا، ينتقم لله ويغضب لله، كان ﷺ لا يغضب لنفسه ولكن إذا انتهكت محارم الله غضب لله وانتقم لله عليه الصلاة والسلام..

مداخلة: .... إذا ظلم الإنسان هل الأفضل في حقه أن يعفو عن حقه في الدنيا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ينظر المصلحة؛ إن رأى المصلحة في العفو عفا وهو أفضل، وإن رأى في العفو خطرًا وشرًّا انتقم.

مداخلة: لكن لو عفا أحسن الله إليك هل الأفضل أن يعفو عن حقه في الدنيا والآخرة، أم يعفو في الدنيا والآخرة يطالب، يعني: ينوي أنه ما يتنازل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا عفا عنه تنجي ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**» عفو كله في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا برقم (٦٠٣١ و٦٠٤٦).

(٢) سبق تخريجه في (٤/ ٤٠٠).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن زائدة عن منصور عن إبراهيم قال: كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا، وكانوا إذا قدروا عفوا.

وقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: اتبعوا رسله وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وهي أعظم العبادات لله ﷻ ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عطف الصلاة على استجابوا من عطف الخاص على العام، لأن أعظم الاستجابة بعد التوحيد إقامة الصلاة ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ من عطف الخاص على العام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: لا يبرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني في الأمور التي تحتاج إلى الشورى كالاشتباه يتشاورون، أما الأمر الواضح فإنه ما يحتاج إلى شورى، يبادرون به ويأخذون به، لكن إذا جاءت أمور تحتاج إلى النظر تشاوروا.

مداخلة: عفا الله عنك يا شيخ جاء في الحديث أن المؤمن يخرج حقه فإن أراد أن يأخذه بعد ما يخرج وإن أراد أن يتركه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كيف؟

مداخلة: ينبغي للمسلم أن يخرج حقه، ورد في الحديث الظاهر في البخاري: إن أراد أن يأخذه وإن أراد أن يدعه بعدما يرى أن حقه قد طلع؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما أذكر شيء في هذا، أقول: ما أذكر هذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ليطيِّب بذلك قلوبهم، وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنهم، فاجتمع رأي الصحابة كلهم رضي الله عنهم على تقديم عثمان عليهم رضي الله عنهم.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ وذلك بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب. وقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾؛ أي: فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بالعاجزين ولا الأذلين بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢] مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه، وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم، فلما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام، وكذلك عفوه ﷺ عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم فاستيقظ ﷺ وهو في يده مصلتًا، فانتهره فوضعه من يده وأخذ رسول الله ﷺ السيف في يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل وعفا عنه. وكذلك عفا ﷺ عن لبيد بن الأعصم الذي سحره عليه الصلاة والسلام ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه، وكذلك عفوه ﷺ عن المرأة اليهودية وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن مسلمة التي سمَّت الذراع يوم خيبر فأخبره الذراع

بذلك فدعاها فاعترفت، فقال ﷺ: «**مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ**» قالت: أردت إن كنت نبيًّا لم يضرك، وإن لم تكن نبيًّا استرحنا منك، فأطلقها عليه الصلاة والسلام ولكن لما مات منه بشر بن البراء رضي الله عنه قتلها به، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدًّا، ولله الحمد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: عندكم محمود وإلا محمد؟

مداخلة: محمد.

الشيخ: صوابه محمد بن سلمة رضي الله عنه ....

مداخلة: ....

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

من صفات المؤمنين العفو والصفح إلا إذا اقتضت المصلحة ذلك، فلا بأس. أما إذا اقتضت المصلحة عدم العفو لحماية المسلمين أو لأسباب أخرى، فلا بأس، فالعفو أفضل إذا لم يكن هناك موجب لعدم العفو؟

مداخلة: ....

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

.... ما في يده شيء عفا وإلا ما عفا لكن إذا عفا له أجر ما هو مثل ذاك أجره أعظم، الذي إذا قدر أجره أعظم.

مداخلة: .... موت النبي ﷺ بهذا السم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم؟

مداخلة: موت النبي بهذا السم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما أتذكر الآن، أقول: يحتاج إلى تأمل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾؛ أي: إنما الحرج والعنت ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾؛ أي: يبدأون الناس بالظلم كما

جاء في الحديث الصحيح: «**الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ**»[(١)]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: شديد موجع.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد، حدثنا عثمان الشحام، حدثنا محمد بن واسع قال: قدمت مكة فإذا على الخندق قنطرة فأُخذت فانطُلق بي إلى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة فقال: ما حاجتك يا أبا عبد الله؟ قلت: حاجتي إن استطعت أن تكون كما كان أخو بني عدي، قال: ومن أخو بني عدي؟ قال العلاء بن زياد: استعمل صديقًا له مرة على عمل فكتب إليه: أما بعد، فإن استطعت أن لا تبيت إلا وظهرك خفيف وبطنك خميص وكفك نقية من دماء المسلمين وأموالهم، فإنك إذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾. فقال مروان: صدق والله ونصح، ثم قال: ما حاجتك يا أبا عبد الله؟ قلت: حاجتي أن تلحقني بأهلي، قال: رواه ابن أبي حاتم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمقصود من هذا التحذير.

ثم إن الله تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص قال نادبًا إلى العفو والصفح: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ أي: صبر على الأذى وستر السيئة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾.

قال سعيد بن جبير: يعني: لمن حق الأمور التي أمر الله تعالى بها، أي: لمن الأمور المشكورة، والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) سبق تخريجه في (ص٦٨).

يعني الطيبة المعزومة التي شرعها الله وثبتها، مثل ما قال ﷻ: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] يعني: من عزم الأمور المشروعة، وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، الآية الأخرى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

مداخلة: عفا الله عنك! إذا مات الظالم وصلى عليه.... أخطأ إنسان على آخر فمات فصلى عليه، فهل يعتبر هذا إباحة له؛ صلاته صلاة الجنازة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، ما هو بلازم، هذا إحسان إليه ولكن ما هو بلازم له، حقه موجود يوم القيامة إلا أن يعفو.

مداخلة: أحسن الله إليك! قدمت مكة فإذا على الخندق منظرة بدل القنطرة، منظرة؟

الشيخ: منظرة.

مداخلة: قال في الحاشية: المنظرة: موضع الحرس وتكون في رأس الجبل.

الشيخ: وعندكم قنطرة؟

الطالب: نعم.

الشيخ: نسخة: منظرة، نسخة نعم، من رواه ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذي عندكم قنطرة أنتم؟

القاري: عندي قنطرة؟

الشيخ: والباقون؟

مداخلة: قنطرة؟

الشيخ: قنطرة، وأنت عندك منظرة؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: ضع نسخة منظرة نعم، لعلها منظرة يعني حرس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمران بن موسى الطرسوسي، حدثنا مصمد بن يزيد خادم الفضيل بن عياض قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلًا فقل: يا أخي اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عَزَّ وَجَلَّ، فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب واسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى يعني: ابن سعيد القطان عن ابن عجلان، حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِبْتَ وَقُمْتَ، قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ**». ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعَزَّ اللهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً**»[(١)]، وكذا رواه أبو داود عن عبد الأعلى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، في الانتصار برقم (٤٨٩٨)، والإمام أحمد (٢/٤٣٦).

يعني رد عليه أبو بكر: هذا سند جيد، تنقله في ورقة وتعطينيه، تنقل الحديثان في ورقة وتعطينيه، تنقل لي سنده وصفحته، كمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذا رواه أبو داود عن عبد الأعلى بن حماد عن سفيان بن عيينة قال: ورواه صفوان بن عيسى كلاهما عن محمد بن عجلان، ورواه من طريق الليث عن سعيد المقبري عن بشير بن المحرر عن سعيد بن المسيب مرسلًا، وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو مناسب للصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشيخ: سنده جيد؛ سند أحمد.

مداخلة: . . . . . بشر بن المحرر.

الشيخ: بشر؟ والذي عندك؟

القاري: نعم؟

الشيخ: بشر بن المحرر عن. .

القاري: عن بشير بن المحرر.

الشيخ: وجدت عثمان الشحام.

مداخلة: نعم يا شيخ.

الشيخ: عثمان الشحام العدوي أبو سلمة البصري يقال: اسم أبيه ميمون أو عبد الله، لا بأس به من السادسة، مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

الشيخ: وعبد الصمد.

مداخلة: ما وجدت عبد الصمد بن يزيد. . .

الشيخ: عبد الصمد ما وجدتوه؟

الشيخ: الذي فيه عثمان الشحام ما هو؟ حديث ماذا؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا

سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد حدثنا عثمان الشحام، حدثنا محمد بن واسع قال: قدمت مكة فإذا على الخندق قنطرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يكفي، طيب.

مداخلة: شيخ أحسن الله إليك.

الشيخ: نعم.

مداخلة: قول الرسول ﷺ: **«إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ»** خاص بـأبي بكر وإلا..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الظاهر والله أعلم العموم في المعنى، وأن المظلوم إذا سكت ردَّ الله عنه بالملائكة، إذا سكت عفوًا وتسامحًا وإغفالًا لهذا الشيء وعدم مبالاة به فالله يرد عنه. نعم.

مداخلة: ...... بشير بن المحرر.

الشيخ: نعم.

مداخلة: في الحديث السابق: (ردي عليها).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إيـــه........ ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ إن انتصر فلا بأس، أذن لها بالانتصار، نعم.

مداخلة: أحسن الله إليك! بشير بن المحرر بالمهملات.

الشيخ: بشير؟

مداخلة: بشير نعم.

الشيخ: نعم.

مداخلة: ابن المحرر بمهملات الحجازي عن ابن المسيب وعنه سعيد بن أبي سعيد أبو داود.

الشيخ: الذي عنده بشر يصلحها بشير بن المحرر.

مداخلة: أحسن الله إليك! ما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**ما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله كثرة**»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني جود وكرم يتصدق ويحسن، من فتح باب العطاء والجود زاده الله بها كثرة، مثلما في الحديث الصحيح: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[١]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

مداخلة: قوله: (فإذا على الخندق).

الشيخ: الطريق، في الخندق أو في الطريق، الطريق إلى مكة.

مداخلة: أحسن الله إليك!

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الظاهر والله أعلم لأجل يفتن بينهم، لأن حضوره يفتن وإلا هو منتصر ما عليه شيء، لكن الشيطان حضر حتى يفتن. يعني ذليل، أي: ينظرون إليها مسارقة خوفًا منها، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة وما هو أعظم مما في نفوسهم أجارنا الله من ذلك.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٠ ـ ٤٣][٢].

(١) سبق تخريجه (٤/ ٢٠٩).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وكقوله: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦]، فشرع العدل وهو القصاص، وندب إلى الفضل وهو العفو، كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة: ٤٥]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: لا يضيع ذلك عند الله كما صح في الحديث: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا من المجانسة ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ لأن الثانية ليست بسيئة في المعنى قصاص ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ من باب القصاص.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المعتدين، وهو المبتدئ بالسيئة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

العقوبة حق، قصاصًا ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة: ١٧٩]، لكن من عفا وأصلح فأجره على الله، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ قصاصًا، ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١﴾. المقصود: أن الرب جَلَّ وَعَلَا أباح القصاص لما فيه من قطع دابر الفساد والعدوان، ولما فيه من كف الناس بعضهم عن بعض، لكن من أراد أن يعفو ويصفح ورأى المصلحة في العفو والصفح فأجره على الله، ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ

---

(١) سبق تخريجه في (٤/ ٤٠٠).

بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦]، قال ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. فالقصاص حق لازم ومشروع، ولكن من عفا وأصلح وآثر العفو وآثر الكرم والإحسان فأجره على الله إذا اقتضت المصلحة ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال بعضهم: لما كانت الأقسام ثلاثة: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، ذكر الأقسام الثلاثة في هذه الآية فذكر المقتصد وهو الذي يفيض بقدر حقه لقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، ثم ذكر السابق بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، ثم ذكر الظالم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فأمر بالعدل، وندب إلى الفضل، ونهى من الظلم.

ثم قال: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ أي: ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم.

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزيع، حدثنا معاذ بن معاذ، حدثنا ابن عَوْن قال: كنت أسأل عن الانتصار: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾، فحدثني علي بن زيد بن جدعان عن أم محمد ـ امرأة أبيه ـ قال ابن عون: زعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين عائشة ـ قالت: قالت أم المؤمنين: دخل علينا رسول الله ﷺ، وعندنا زينب بنت جحش، فجعل يصنع بيده شيئًا فلم يَفْطِن لها، فقلت بيده حتى فَطَّنته لها، فأمسك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا...

(القاري): فقلت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذي قبله

(القاري): نعم، دخل علينا رسول الله ﷺ، وعندنا زينب بنت جحش، فجعل يصنع بيده شيئًا فلم يَفْطِن لها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَفْطِن لها؟

(القاري): فلم يَفْطِن لها؟ فقلت بيده حتى فَطَّنته لها، فأمسك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كأنه يمد يده إلى عائشة ما درى عن زينب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأقبلت زينب تقحم لعائشة، فنهاها، فأبت أن تنتهي. فقال لعائشة: "سُبّيها" فسبتها فغلبتها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: انتصري.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وانطلقت زينب فأتت عليًّا فقالت: إن عائشة تقع بكم، وتفعل بكم. فجاءت فاطمة فقال لها: «إِنَّهَا حِبَّةُ أَبِيكِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»[1] فانصرفت، وقالت لعلي: إني قلت له كذا وكذا، فقال لي كذا وكذا. قال: وجاء علي إلى النبي ﷺ فكلمه في ذلك.

هكذا ورد هذا السياق، وعلي بن زيد بن جدعان يأتي في رواياته بالمنكرات غالبًا، وهذا فيه نكارة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا حكم عليه أهل العلم بالضعف، روايته غير معتبرة لضعفه، إلا الترمذي كان يحسن روايته، والجمهور على تضعيفه، وهذا من منكراته، فإن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لا تقع فيهم ولا نقول فيهم إلا خيرًا ؛ ولكن الغيرة بين الضرات معروفة، الغيرة بين زينب وبين عائشة وبين بقية النساء معروف، الضرات لهن غيرة معروفة، والنبي ﷺ قد عرف ذلك أيضًا وقد هجرهن شهرًا عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب الأدب، باب في الانتصار برقم (٤٨٩٨)، والإمام أحمد (٦/ ١٣٠).

المقصود أن الغيرة معروفة؛ فالواجب على المؤمن حسن الظن بهن والترضي عنهن والكف عما ينقل من المساوي؛ لأنه يزاد فيها وينقص ويغلط فيها الناس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والحديث الصحيح خلاف هذا السياق، كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث خالد بن سلمة الفأفاء، عن عبد الله البَهِيّ، عن عروة قال: قالت عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما علمتُ حتى دخلت عليَّ زينب بغير إذن وهي غضبى، ثم قالت لرسول الله ﷺ: حسبك إذا قلَّبت لك ابنة أبي بكر ذُرَيِّعَتَيهَا، ثم أقبلت علي فأعرضت عنها، حتى قال النبي ﷺ: «**دونك فانتصري**» فأقبلت عليها حتى رأيتها وقد يبس ريقها في فمها، ما ترد علي شيئًا. فرأيت النبي ﷺ يتهلل وجهه(١)، وهذا لفظ النسائي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والخلاصة أن الانتصار لا بأس به، من عفا فله أجر، ومن انتصر وطلب القصاص إذا سبَه سبه، دعا عليه دعا عليه، قطع يده يطلب قطع يده، قطع إصبعه يطلب قطع إصبعه. . وهكذا يطلب القصاص، ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾، والأخذ بالقصاص حياة؛ لكن من عفا وأصلح وترك القصاص له أجر ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**» ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]؛ ولهذا لما سبَّت زينب عائشة كن يغرن منها من حب الرسول لها ـ عليه الصلاة والسلام ـ فكن يغرن منها ويتكلمن فيها ببعض الشيء، فقال لها النبي ﷺ: «انتصري»؛ يعني ردي عليها بما يكبح جماحها من تعديها عليك، فردت عليها.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب التفسير، سورة الشورى برقم (١١٤٧٦)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء برقم (١٩٨١)، وصححه البوصيري في (مصباح الزجاجة ٢/ ١١٥).

(مداخلة): حديث ـ سلَّمك الله ـ: «من دعا على من ظلمه فقد انتصر»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الدعاء نوع من الانتصار، لكن ما هو بالانتصار الكافي، لكن نوع من الانتصار.

(مداخلة): الحديث ضعيف أم ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أدري عن سنده؟

إسناده عندك؟ عندك سنده «من دعا على ظالم فقد انتصر» سنده

(القاري): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من شأن الضرائر يقع بينهم ما يقع، من عهد النبي ﷺ وبعده. والمقصود من هذا: أنه أمر عائشة بالانتصار، بالرد على ما قالت عليها زينب، لمَّا لم تسكت زينب أمر عائشة أن تنتصر لما قالته زينب، وأن تدفع عن نفسها، والعفو أصلح، وهي أولًا سكتت ولم ترد عليها شيئًا حتى أذن لها النبي ﷺ. هذا من مثل ما قال ﷻ: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾، من عفا وأصلح فهو أفضل، ومن انتصر فلا بأس عليه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٣٩ ـ ٤٠]. والخلاصة: أن القصاص جائز، والعفو أصلح وأفضل إذا تيسر، وصار أقرب من القصاص، أما إذا كان القصاص أقرب إلى الردع، وأقرب إلى استقامة الأحوال فالقصاص أولى؛ لأن بعض الأحيان بعض الناس إذا عفي عنه يزيد شره، ما ينفع فيه العفو، فالذي العفو يضره ولا ينفعه العفو القصاص منه أولى؛ حتى يردع شره، أما إذا كان ترك

القصاص والعفو أفضل، ويزيده خيرًا، ويرجى فيه الخير صار العفو حينئذ أفضل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال البزار: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو غسان، حدثنا أبو الأحوص عن أبي حمزة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدِ انْتَصَرَ**»[(١)]. رواه الترمذي من حديث أبي الأحوص، عن أبي حمزة ـ واسمه ميمون ـ ثم قال: «لا نعرفه إلا من حديثه»، وقد تكلم فيه من قِبل حفظه[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يكون ضعيفًا لأجل ضعف أبي حمزة، لكن معناه صحيح، المعنى صحيح، انتصر؛ يعني: أخذ بعض النصر، لكن ليس بكل النصر.

(مداخلة): أحسن الله إليك! متى نعرف...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، العفو في محله، إذا كان العفو يزيل الشر ويحصل بت الخير هو أقرب، أما إذا كان العفو يزيد الشر لا يعفو؛ بل يطلب القصاص.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ أي: إنما الحرج والعنت ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: يبدؤون الناس بالظلم. كما جاء في الحديث الصحيح: «**الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ**»[(٣)].

---

(١) سنده ضعيف لضعف أبي حمزة وهو ميمون الأعور: ضعيف (التقريب ص٤٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب من دعا على من ظلمه فقد انتصر برقم (٣٥٥٢).

(٣) سبق تخريجه في (ص٦٨).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد موجع.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا سعيد بن زيد ـ أخو حماد بن زيد ـ حدثنا عثمان الشحام، حدثنا محمد بن واسع قال: قدمت مكة فإذا على الخندق مَنْظَرَة، فأُخذت فانطلق بي إلى مروان بن المهلب، وهو أمير على البصرة، فقال: حاجتك يا أبا عبد الله. قلت: حاجتي إن استطعت أن تكون كما قال أخو بني عدي. قال: ومن أخو بني عدي؟ قال: العلاء بن زياد، استعمل صديقًا له مرة على عمل، فكتب إليه: أما بعد فإن استطعت ألا تبيت إلا وظهرك خفيف، وبطنك خميص، وكفك نقية من دماء المسلمين وأموالهم، فإنك إذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾، فقال: صدق والله ونصح، ثم قال: ما حاجتك يا أبا عبد الله؟ قلت: حاجتي أن تلحقني بأهلي. قال: نعم. رواه ابن أبي حاتم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]:

والمقصود من هذا: التحذير من الظلم، وأن الله جَلَّ وَعَلَا يحذر عباده من البغي والعدوان، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾. فالظلم ظلمات يوم القيامة، كما قال الرسول ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٢)]، والله يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨]. ويقول

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في مسجده في مدينة الطائف.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٨).

النبي ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»(١).

فليتق الله المؤمن وليحذر، ما دام في هذه العاجلة، ليحذر الظلم لزوجته، لولده، لجاره، لغيرهم، ليتق الله وليتحر الحق، وليتحر العمل الطيب والقول الطيب مع أهل بيته، ومع جيرانه، ومع زملائه، ومع جلسائه، ومع كل أحد، يراقب الله حتى تكون يده سليمة مما يغضب الله ﷻ، ولسانه سليم مما يغضب الله ﷻ. وهكذا عينه، هكذا أذنه، هكذا يده، هكذا قدمه ليتق الله؛ حتى لا يظلم أحدًا لا بقول ولا بعمل، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١]، الهمَّاز اللمَّاز: الذي يظلم الناس بفعل أو قول، إما بشفته، وإما بعينه، وإما بيده، وإما بقدمه. وهذه الدار هي دار العمل، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم إنه تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص، قال نادبًا إلى العفو والصفح: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣﴾ أي: صبر على الأذى وستر السيئة، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾. قال سعيد بن جبير: يعني لمن حق الأمور التي أمر الله بها، أي: لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمران بن موسى الطرسوسي، حدثنا عبد الصمد بن يزيد ـ خادم الفضيل بن عياض ـ قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلًا فقل: «يا أخي، اعف عنه». فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله ﷻ. فقل له إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).

باب العفو، فإنه باب واسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]:

يعتي أن العافي، متى ما عفا استراح، ونام على فراشه مطمئنًا؛ لأنه قد أحسن، وقابل السيئة بالإحسان والعفو، أما المنتصر فقد يترقب، وقد يخشى أن تعود المشكلة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى ـ يعني ابن سعيد القطان ـ عن ابن عَجْلان، حدثنا سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا شتم أبا بكر والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله إنه كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت! قال: «إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان». ثم قال: **«يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا لله عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعَزَّ اللهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً»**[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]:

وهذا الحديث فيه فوائد عظيمة، وهو حديث جيد الإسناد، لا بأس

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، في مسجده في مدينة الطائف.

(٢) أخرجه الامام أحمد (٢ / ٤٣٦).

(٣) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، في مسجده في مدينة الطائف.

به، يفيد أن الصبر والسماح فيه خير عظيم، والعفو، هذا الصدِّيق رضي الله عنه سبَّه بعض الناس والنبي ﷺ جالس، والنبي ﷺ يتبسم من تأييد الله لأبي بكر بالملك الذي يرد على الشخص، فلما رد عليه الصدِّيق؛ قام النبي ﷺ، فسأله الصديق عن ذلك، فقال: «**إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ**»، ثم ذكر هذه المسائل الثلاث: أنه ما فتح العبد باب عفو إلا زاده الله به عزة ورفعة، ولا باب عطية إلا زاده الله بها كثرة، ولا باب مسألة إلا زاده الله بها قلة، وهذا معنى الحديث الآخر: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»، والله يقول في كتابه العظيم: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾. فالمشروع للمؤمن أن يتحرى هذا حسب الطاقة، العفو والصفح والإحسان، حيث كان ذلك في محله، وحيث كان العفو في محله، أما إذا كان يترتب على العفو شر وخطر؛ فالأولى الانتصار، كما قال تعالى في عباد: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: ٣٩]. يعني: إذا كان الانتصار في محله، وأردع، وأقرب إلى السلامة، أما إذا كان العفو أصلح وأقرب إلى الخير؛ فهو أولى. كذلك الحذر من السؤال إلا عند الضرورة، في الحديث الصحيح: «**مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»(١). فالإنسان إذا فتح على نفسه باب المسائل؛ فهذا خطر عظيم، وقد توعد بأن الله يزيده قلة، وفي الحديث الآخر: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**»، أخرجه مسلم في الصحيح(٢).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرًا برقم (١٤٧٤)، ومسلم في كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس برقم (١٠٤٠).
(٢) أخرجه في كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس برقم (١٠٤١).

وفيه: الحث على الجود والإحسان، وأن الله يزيد العبد بذلك خيرًا وفضلًا وخلفًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذا رواه أبو داود، عن عبد الأعلى بن حماد، عن سفيان بن عيينة ـ قال: ورواه صفوان بن عيسى، كلاهما عن محمد بن عَجْلان، ورواه من طريق الليث، عن سعيد المَقْبُرِي، عن بشير بن المحرر، عن سعيد بن المسيب مرسلًا[(١)].

وهذا الحديث في غاية الحُسن في المعنى، وهو مناسب للصدِّيق؟

الشيخ: عن بشر بن؟

القاري: عن بشر بن المحرر

الشيخ: ماذا عندكم عندكم؟

مداخلة: بشير بن المحرر

الشيخ: بشير بن المحرر؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: بشير والا بشر؟

القاري: بشر.

الشيخ: نعم؟

القاري: عندي: بشر. بشر.

الشيخ: عندكم بشر؟

مداخلة: لا. بشير.

الشيخ: والذي عندك بشير؟

مداخلة: بشير عندي.

الشيخ: شوف التقريب، التقريب حاضر؟

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الانتصار برقم (٤٨٩٨).

مداخلة: الخلاصة بارك الله فيك.

الشيخ: والا الخلاصة، شوف بشر.

مداخلة: ما ذكره.

الشيخ: أو بشير.

مداخلة: بشير بن المحرر ـ بمهملات ـ الحجازي عن ابن المسيب، وعنه سعيد بن أبي سعيد أبو داود

الشيخ: فقط؟

مداخلة: نعم.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الشورى: ٤٤ ـ ٤٦][(١)].

يقول تعالى مخبرًا عن نفسه الكريمة: أنه ما شاء كان ولا راد له، وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له، وأنه من هداه فلا مضل له، ومن يُضلل الله فلا هادي له، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. ثم قال عَزَّ وَجَلَّ مخبرًا عن الظالمين وهم المشركون بالله: ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: يوم القيامة تمنَّوا الرجعة إلى الدنيا:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾ كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧ ـ ٢٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هيهات هيهات.. لا حول ولا قوة إلا بالله، هذه دار الأمنية، هذه الدار الآن يتمناها الكفار يوم القيامة وليس لهم سبيل، فالعاقل ينتهز الفرصة في هذه الدار، أنت الآن في دار المهلة، دار يتمناها الكفار يوم القيامة لعله يحصل لهم توبة أو حسنة هيهات، وأنت تفرط فيها الآن تضيع أيامك ولياليك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾؛ أي: على النار ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾. أي: الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾. قال مجاهد: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أي: يقولون يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾؛ أي: الخاسر الأكبر ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: ذهب بهم إلى النار فعدموا لذّتهم في دار الأبد وخسروا أنفسهم، وفُرِّق بينهم وبين أحبابهم وأصحابهم وأهاليهم وقراباتهم فخسروهم ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: دائم سرمدي أبدي لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾. أي: ليس له خلاص.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نسأل الله العافية، الله يجعلنا وإياكم من أهل العافية، نسأل الله العافية والسلامة. بركه، قف على هذا.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى: ٤٧، ٤٨][(١)].

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له فقال: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إذا أمر بكونه فإنه كلمح البصر يكون، وليس له دافع ولا مانع. وقوله ﷻ: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾؛ أي: ليس لكم حصن تتحصنون فيه ولا مكان يستركم وتتنكرون فيه فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى، بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته فلا ملجأ منه إلا إليه ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٠ ـ ١٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من ربنا ﷻ توجيه للعباد إلى أسباب النجاة وتحذير لهم من الغفلة، يقول ﷻ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾. يعني: قبل مجيء يوم القيامة ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟﴾. يعني: أطيعوا الله ورسوله، امتثلوا أمره واجتنبوا نهيه، هو دعاكم إلى طاعته فاستجيبوا، أمركم بطاعته فامتثلوا، يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. ويقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. فهو ﷻ أمر ونهى ووعد وأوعد، وعد المستجيبين بالجنة والكرامة، وأوعد المنحرفين والمخالفين بالعذاب الأليم والغضب وسوء المصير، وقد أعطاهم عقولًا وأعطاهم أسماعًا وأبصارًا ليعقلوا ويفهموا ويمتثلوا، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

فالواجب على العاقل أن يستعمل هذه الحواس: سمعه وبصره وعقله؛ فيمتثل الأوامر وينتهي عن النواهي ويستفيد من هذه الجوارح التي أعطاه الله إياها ولا يتشبه بالأكثرين، يقول ﷻ في سورة الفرقان: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني: أكثر الناس ﴿يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]. هذي حال أكثر الخلق من الجن والإنس، هذه حالهم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ﴾ [الفرقان: ٤٤] يعني: يسمعون السمع الذي ينفعهم ويعقلون ما ينفعهم. هم يسمعون، ولكن مثل سمع البهائم وأردأ، يعقلون مثل عقل البهائم وأردأ، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ﴾ [الفرقان: ٤٤] يعني: ما هم إلا كالأنعام، ﴿إِنْ﴾ نافية ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الفرقان: ٤٤] يعني: ما هم إلا كالأنعام. ثم لم يرض بهذا ﷻ، فقال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ يعني: أسوأ من الأنعام وأردأ؛ الأنعام تستفيد إذا قال لها الراعي، دعاها الراعي تستفيد، إذا رأت المرعى الطيب استفادت منه، إذا رأت الماء شربت تستفيد، أعطاها الله عقل يليق بها، ولكن أكثر بني آدم أردأ، أسوأ حالًا من الأنعام، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] يعني: خلقنا ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩] هذه: حال هذا الجمع من الناس ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] أضل من الأنعام، حكم عليهم بالغفلة، بالإعراض عن دين الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ينبهون ويعرضون. فليتق الله المؤمن، وليتق الله ذو العقل السليم أن يكون شبيهًا لهم عندما يؤمر وينهى يعرض، بل يُقبل ويشكر من دعاه ونصحه ويتقبل الحق ويسأل ربه التوفيق، هذا هو الواجب على العاقل. يقول سبحانه: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ يعني: أيها الناس من جن وإنس.. أيها الناس ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وهو يوم القيامة ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧] ما في ملجأ يتحرز به الإنسان ولا يتنكر فيه عن هذا اليوم ليسلم، أبدًا، هذا اليوم يعم الناس كلهم ثم يجزون بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر. يقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ما هو مثقال الذرة؟! تعرفون الذرة، ما هو مثقال الذرة؟ ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، إن كان حسنة ضاعفها ولا يظلم الناس مثقال ذرة يُحمّلون من غير سيئاتهم أو ينقصون من حسناتهم، ولا مثاقيل الذر. ويقول في آية أخرى سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾ لا قليل ولا كثير ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وهذا هو الواجب على المكلفين أن يستجيبوا لله الذي خلقهم من العدم وأسداهم النعم، وأرسل لهم الرسل وأنزل الكتب وبيَّن لهم المآل وأن لهم دارين؛ دار النعيم لمن أطاع واستقام، ودار الهوان والعذاب لمن أعرض عن الهدى وتابع الهوى، فالواجب أن يستجيبوا لله، ولهذا قال: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ يعني: أطيعوه، واستقيموا على أمره واحذروا معصيته، فالمستجيب هو الذي يطيع الأوامر وينتهي عن النواهي، هذا هو المستجيب، فالله ﷻ يأمرهم أن يستجيبوا لفعل الأوامر وترك

النواهي، وعلى رأسها توحيد الله والإخلاص له وترك الإشراك به قبل أن يأتي يوم القيامة، يعني قبل الموت، من مات فقد قامت قيامته. فالحاصل أن الإنسان يجب عليه أن ينتبه وأن يحذر وأن يعد العدة قبل أن يهجم عليه الأجل، هذا لا بد منه لا بد من الموت ولا بد من يوم القيامة لا ملجأ ولا نكير، فالقيامة حق والموت حق، فإذا مت انتهت الحيل، فالواجب أن تعد العدة قبل أن يهجم عليك الأجل، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال ﷻ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ [المنافقون: ١١] فالواجب الحذر قبل هجوم هذا الأجل الذي لا حيلة فيه. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾، يعني: المشركين ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ﴾؛ أي: لست عليهم بمسيطر. وقال ﷻ: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال ﷻ هاهنا: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾؛ أي: إنما كلّفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهكذا الدعاة خلفاء الرسل ليس عليهم إلا هذا، ليس عليهم إلا البلاغ والصدق والنصح، والهداية بيد الله ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾. فلا ينبغي للداعي أن يحزن ويضيق صدره وينكل عن الدعوة، لا، يصبر.. يصبر ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]. عليه أن يبلغ ويصبر ويسأل ربه لهم الهداية، وأما أن يحزن حزنًا يمنعه من البلاغ أو يقعده عن البلاغ أو يشوش عليه فكره، لا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ﴾؛ أي: إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾، يعني: الناس ﴿سَيِّئَةُۢ﴾؛ أي: جدب ونقمة وبلاء وشدة ﴿فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨﴾: أي يجحد ما تقدم من النعم ولا يعرف إلا الساعة الراهنة فإن أصابته نعمة أشر وبطر، وإن أصابته محنة يئس وقنط، كما قال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**»، فقالت امرأة: ولم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**»(١).

وهذا حال أكثر النساء إلا من هداه الله تعالى وألهمه رشده وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا يعني غالب الناس، هذا وصف أغلبي، الشكور هو القليل، ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، لكن الغالب على الناس أنه متى جاءت النعم بطروا وأشروا وظلموا، ومتى جاءت المصائب يئسوا وقنطوا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المعروف في رواية: «لو أحسن إلى إحداكن الدهر» يعني: الزوج «لو أحسن إلى إحداكن الدهر»، هكذا لفظ الحديث، والعشير هو الزوج. يعني هذا هو الغالب عليهن إنكار النعمة وإنكار العشير، ولهذا قال ﷺ: «**إني رأيتكن أكثر أهل النار، قالت امرأة: ولم يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن اللعن وتكفُرن العشير، لو أحسن إلى إحداكن الدهر ثم رأت منه**

---

(١) سبق تخريجه في (٥/ ٣٨).

شيئًا يعني: شيئًا يسوؤها قالت: ما رأيت منك خيرًا قط»، يعني: ماذا أبغي به؟ ما فيه خير، ما رأيت منه شيء خير أبدًا مع أنها في نعمة عظيمة هذا من أسباب دخول النار.

وهكذا الحديث؛ حديث صهيب عند مسلم في شأن المؤمن: **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»** لكنهم الأقل، هم الأقلون، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]. فالمؤمن شكور صبور يشكر على النعماء ويصبر على البلاء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالمؤمن كما قال ﷺ: **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»**[1].

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ۝٥٠﴾ **[الشورى: ٤٩ ـ ٥٠]**.

يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٤٠٩).

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾؛ أي: يرزقه البنات فقط، قال البغوي منهم لوط عليه الصلاة والسلام.

﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾؛ أي: يرزقه البنين فقط، قال البغوي: كإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾؛ أي: ويعطي لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، أي: من هذا وهذا، قال البغوي: كمحمد ﷺ.

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾؛ أي: لا يولد له، قال البغوي: كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

فجعل الناس أربعة أقسام: منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورًا وإناثًا، ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيمًا لا نسل له ولا ولد له ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾؛ أي: بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام ﴿قَدِيرٌ﴾؛ أي: على ما يشاء من تفاوت الناس في ذلك. وهذا المقام شبيه بقوله تبارك وتعالى عن عيسى عليه الصلاة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا المقام بالفتح، يعني هذا الموضع، المقام بمعنى الإقامة، وأما المقام بالفتح فهو بمعنى الموضع أو المحل، والقيام المصدر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا المقام شبيه بقوله تبارك وتعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١]؛ أي: دلالة لهم على قدرته تعالى وتقدس، حيث خلق الخلق على أربعة أقسام، فآدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى، وحواء عليها السلام مخلوقة من ذكر بلا أنثى، وسائر الخلق سوى عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ذكر وأنثى، وعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أنثى بلا ذكر، فتمَّت الدلالة بخلق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام.

يعني تمت القسمة الرباعية بخلق عيسى، فآدم من تراب لا من ذكر ولا من أنثى، وزوجته حواء منه خلقها الله منه ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وعيسى من أنثى بلا ذكر من مريم ليس له أب، والبقية من ذكر وأنثى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١]، فهذا المقام في الآباء والمقام الأول في الأبناء، وكل منهما أربعة أقسام، فسبحان العليم القدير.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ **[الشورى: ٥١ - ٥٣]**[١].

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله ﷻ، وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في رُوع النبي ﷺ شيئًا لا يُتمارى فيه أنه من الله ﷻ، كما جاء في صحيح ابن حبان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يتمارى فيه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يتمارى فيه أنه من الله ﷻ.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، يعني لا يشك فيه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**»(١).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحُجب عنها.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا**»(٢). كذا جاء في الحديث، وكان قد قتل يوم أحد ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا نبينا ﷺ كلمه الله من وراء حجاب لم يره، لما عرج به إلى السماء وفرض الله عليه الصلوات الخمس كلمه سبحانه وفرضها عليه خمسين، ثم لم يزل يتردد إلى ربه حتى جعلها خمسًا، ونادى مناد من السماء إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، هذا أيضًا من الكلام الذي صدر من الله لنبيه محمد ﷺ من وراء حجاب. أما الرؤيا فلم يره أحد لا موسى ولا محمد، ولهذا لما سئل ﷺ: **هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ**

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران برقم (٣٠١٠)، وابن ماجه في السنن برقم (١٩٠، ٢٨٠٠)، وابن خزيمة في التوحيد (٥٩٩)، وابن حبان في الصحيح (٧٠٢٢) الإحسان، والحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة، وذكر مناقب عبد الله بن عمرو بن حرام برقم (٤٩٧٦).

«**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»[(١)]، وفي لفظ: «**رَأَيْتُ نُورًا**»[(٢)]. فلم ير أحد ربه في هذه الدنيا، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**»[(٣)]. فهذه الدار ما هي بدار رؤية، الرؤية أعلى نعيم أهل الجنة، فلا يرى إلا في الآخرة سبحانه وتعالى، يراه المؤمنون يوم القيامة ويراه المؤمنون في الجنة.

مداخلة: .... في المنام يا شيخ....؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

رؤيا المنام غير لا بأس بها قد تقع، رآه النبي ﷺ في النوم اللهم صلِّ عليه.

مداخلة: على صورته يرى الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، يرى شيء مما يدل على أنه الله إما نور وإما شبه؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى.

مداخلة: أقول عندما أسري بالرسول عليه الصلاة والسلام في عقيدة أهل السنة هل الله سبحانه عز وجل كلم الرسول ﷺ حتى فرض عليه الصلوات، وإلا فرضت عليه الصلاة بدون لا يسمع كلام الجلال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

فرض الله عليه الصلاة وسمع كلام ربه.

مداخلة: سمع كلامه.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «**نور أنَّى أراه. وفي قوله: رأيت نورًا**» برقم (٢٩١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد ساقه بعد الحديث رقم (٢٩٣٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، ليلة المعراج..

مداخلة: .... إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [البقرة: ١٣١] ألا يقتضي أن الله كلمه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محتمل أنه من وراء حجاب، محتمل أنه بواسطة جبرائيل، ما هو صريح..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ فهو علي عليم خبير حكيم. وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يعني: القرآن ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾؛ أي: على التفصيل الذي شرع لك في القرآن ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: القرآن ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤] الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾، يعني: الوحي، جعله الله روح تحصل به الحياة الطيبة، وجعله الله نور تحصل به البصيرة والهدى، وهو هذا القرآن وما جاءت به السنة، فيها الروح وفيها النور، في القرآن والسنة الروح والنور، فهما روح تحصل بهما الحياة الطيبة السعيدة، وهما نور تحصل بهما البصيرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ﴾؛ أي: يا محمد ﴿لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

﴿٥٢﴾ وهو الخُلُق القويم، ثم فسَّره بقوله تعالى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: شرعه الذي أمر به الله ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو المراد في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وفي قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، هذا الصراط الذي يدعو إليه النبي ﷺ، ويهدي إليه شرع الله ودينه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾؛ أي: ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا انتهى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سبحانه لا إله إلا هو.



تفسير آيات من سورة الزخرف
وهي مكية(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [٢٢، ٢٣]: على إمام، ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ﴾ [٨٨]: تفسيره: أَيَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَلَا نَسْمَعُ قِيلَهُمْ، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [٣٣]: لَوْلَا أَنْ جَعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ كُفَّارًا لَجَعَلْتُ لِبُيُوتِ الْكُفَّارِ سَقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ مِنْ فِضَّةٍ، وَهِيَ دَرَجٌ، وَسُرُرُ فِضَّةٍ، ﴿مُقْرِنِينَ ۝١٣﴾ [١٣]: مُطِيقِينَ، ﴿ءَاسَفُونَا﴾ [٥٥]: أَسْخَطُونَا، ﴿يَعْشُ﴾ [٣٦]: يَعْمَى، وقال مجاهدٌ: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ [٥]: أَيْ: تُكَذِّبُونَ بِالْقُرْآنِ، ثُمَّ لَا تُعَاقَبُونَ عَلَيْهِ؟ ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ [٨]: سُنَّةُ الأَوَّلِينَ، ﴿مُقْرِنِينَ﴾ [١٣]: يَعْنِي: الإِبِلَ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ، ﴿يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ [١٨]: الْجَوَارِي جَعَلْتُمُوهُنَّ لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا، فَكَيْفَ تَحْكُمُونَ؟ ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾ [٢٠]: يَعْنُونَ الأَوْثَانَ، يقول الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [٢٠]: الأَوْثَانُ، إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، ﴿فِى عَقِبِهِۦ﴾ [٢٨]: وَلَدِهِ، ﴿مُقْتَرِنِينَ ۝٥٣﴾ [٥٣]: يَمْشُونَ مَعًا، ﴿سَلَفًا﴾ [٥٦]: قَوْمُ فِرْعَوْنَ سَلَفًا لِكُفَّارِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمَثَلًا﴾ [٥٦]: عِبْرَةً، ﴿يَصِدُّونَ﴾ [٥٧]: يَضِجُّونَ، ﴿مُبْرِمُونَ﴾ [٧٩]: مُجْمِعُونَ، ﴿أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾ [٨١]: أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [٢٦]: الْعَرَبُ تَقُولُ: نَحْنُ مِنْكَ

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

الْبَرَاءُ وَالْخَلَاءُ، وَالْوَاحِدُ وَالِاثْنَانِ وَالْجَمِيعُ مِنَ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، يُقَالُ فِيهِ: بَرَاءٌ؛ لأَنَّهُ مَصْدَرٌ، وَلَوْ قَالَ بَرِيءٌ: لَقِيلَ فى الِاثْنَيْنِ بَرِيئَانِ، وَفِي الْجَمِيعِ بَرِيؤُونَ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللهِ: (إِنَّنِي بَرِيءٌ) بِالْيَاءِ، وَالزُّخْرُفُ: الذَّهَبُ، (مَلَائِكَةً يَخْلُفُونَ) [٦٠]: يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أنّه سبحانه يسمع السّر وأخفى، ولا تخفى عليه خافيةٌ؛ فالواجب الحذر عن قول السّوء ولو سرًّا، وعن فعل السّوء ولو سرًّا، فهو سبحانه لا تخفى عليه خافيةٌ، يعلم السّر وأخفى جَلَّ وَعَلَا؛ فعلى العبد أن يحذر معصية الله سرًّا وجهرًا أينما كان.

قوله: (**وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾): المعنى أنّه سبحانه ليس للدّنيا عنده قيمةٌ، ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ [الزخرف: ٣٣، ٣٤] يعني ذهبًا، ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٥٣]؛ يعني: ما لها قيمةٌ، ولكنّه سبحانه ترك ذلك؛ لئلّا يهلك النّاس جميعًا، فهذه الدّنيا لا قيمة لها، فلا ينبغي للعاقل أن يغترّ بما رضي الأغنياء، ويدع الحقّ؛ لأنّه فقيرٌ، فهو سبحانه يعطي الدّنيا من يحبّ ومن لا يحبّ، ولا يعطي الدّين والإيمان والهدى إلّا من أحبّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى..

قوله: ﴿مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾: تقدّمت هذه، مقرّنين يعني مطيقين يعني، هذه تقدمت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ولولا أن جعل النّاس، كذا عندكم؟

(من الطّلّاب): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال عليه الشّارح؟ تكلّم في الرّواية؟

(القارئ): قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٦٦)]: «قوله: **(وقال ابن عبّاسٍ**: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً...﴾ إلخ: وصله الطّبريّ وابن أبي حاتمٍ من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ بلفظه مقطّعًا، وقال عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن قتادة: أمّةٌ واحدةٌ كفّارًا.

وروى الطّبريّ من طريق عوفٍ عن الحسن في قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال: كفّارًا يميلون إلى الدّنيا، قال: وقد مالت الدّنيا بأكثر أهلها وما فعل فكيف لو فعل». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لو أعطاهم ما طلبوا ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، على الكفر والضّلال، وهم أقسامٌ فيما أعطاهم الله، وليس كلّ كافرٍ أعطي ما يريد، ومع هذا مال الأكثر إلى الهوى والشّيطان، فكيف لو أعطوا ما قاله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿...لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف: ٣٣، ٣٤]؟! لو أعطوا هذا لكان النّاس على الكفر كلّهم. نسأل الله العافية.

● **س: يعني أحسن الله عملك، تفسير الآية يعني**: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ يعني: الدّنيا ما لها قيمةٌ.

(السّائل): يعني يقول: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ يعني: ما هم على الإيمان، لو يكونون أمّةً واحدةً على الإيمان والإسلام والطّريق المستقيم ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ولولا خشية أن يكون النّاس أمةً واحدةً على الكفر؛ يعني: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾؛ يعني: لأعطيناهم ما أرادوا من الذّهب والفضّة وغير ذلك، لكن تركنا ذلك؛ لئلّا يكونوا على الكفر كلّهم.

والمعنى: أنّها لا قيمة لها، وليس لها قيمةٌ عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن بسبب مراعاة ألّا يكونوا على الكفر كلّهم؛ ترك بعض الكفّار لم يعطوا ما ذكر.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ [الزخرف: ١ـ ٨][(١)].

يقول تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾؛ أي: البيِّن الواضح الجلي المعاني والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾؛ أي: أنزلناه، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغة العرب فصيحًا واضحًا، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾؛ أي: تفهمونه وتتدبرونه، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا لإقامة الحجة وقطع المعذرة، فهو سبحانه أنزل كتابًا عظيمًا بينًا واضحًا بلسان العرب ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥] حتى تقوم الحجة وتنقطع المعذرة فهو كتاب مبين، يعني مبين الحق ويوضحه، وهو نفسه بيِّن، ومع ذلك يبين الحق ويظهره ويوضحه ويبين الباطل، فهو بيِّن في نفسه، وهو أيضًا في نفسه يبين الحق ويوضحه؛ لطالب الحق كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فالواجب على جميع المكلفين العناية به، وتدبره، وتعقله، والعمل بما فيه، كما قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ويقول ﷻ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ويقول ﷻ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فالواجب على كل مكلف من الجن والإنس، من العرب ومن العجم، من الذكور والإناث، على الجميع أن يتدبروا ويتعقلوا ويعملوا بهذا الكتاب، والذي لا يعرف اللغة العربية فعليه أن يتوصل إلى ذلك بالترجمة أن يتعلم، ويجتهد في تعلم اللغة العربية ويستعين بالتراجم التي وضعها الثقات والأخيار، لتفسير هذا الكتاب وإيضاح معانيه، وإيضاح السنة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ بيَّن شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: القرآن. ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد وغيره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢]. أمُّ الكتاب في اللوح المحفوظ بين فيه، وكتب فيه، وهو كلام الرب ﷻ أسمعه جبرائيل وجبرائيل بلَّغه نبيه عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣]، الروح الأمين هو جبرائيل ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٤] قلب محمد ﷺ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥]. فهو منزل من عند الله وهو كلام الله، منزل غير مخلوق، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣] فهو كتابه الحكيم العظيم المنزل المشتمل على بيان الحق بأدلته وبيان فرائض الله والمشتمل على بيان ما حرمه الله والمشتمل على بيان ما مضى وما سلف مما بين على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿لَدَيْنَا﴾؛ أي: عندنا، قاله: قتادة وغيره. أي: ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، قاله قتادة ﴿حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾: أي: محكم بريء من اللبس والزيغ، وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله، كما قال تبارك: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٨٠]. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١ ـ ١٦].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسأل الله يجعلنا وإياكم من أهله، يا له من كتاب، نسأل الله أن يمنحنا وإياكم تدبره، وتعقله، والعمل بما فيه، الله المستعان، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا استنبط العلماء رضي الله عنهم من هاتين الآيتين أن المُحْدِث لا يمس المصحف، كما ورد به الحديث إن صح؛ لأن الملائكة يعظمون

المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى؛ لأنه نزل عليهم، وخطابه متوجه إليهم، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله أكبر. الله أكبر.

هذا القرآن العظيم ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا﴾ عند الله ﴿لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ رفيع الشأن عظيم الشأن ﴿حَكِيمٌ﴾ قد أحكم وأتقن ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] يعني المحكم الذي اشتمل على الأحكام والمعاني العظيمة وضرب الأمثال، والدعوة إلى الخير والتحذير من الشر في غاية البيان والإيضاح والأحكام ومن عظمته أنه لا يمسه إلا المطهرون ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٩، ٨٠] بل كتب النبي ﷺ إلى عمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر، وهو حديث صحيح لا بأس به، فيه الدلالة أن لا يمس القرآن إلا طاهر يعني من الحدث يعني على وضوء على طهارة ليس بجُنُب ولا مُحدث، أما الجنب فلا يقرأه حتى ولو كان من غير مصحف ولو عن ظهر قلب، أما غير الجنب فيقرأه عن ظهر قلب؛ لكن من المصحف لا حتى يتطهر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾ اختلف المفسرون في معناها، فقيل: معناها: أتحسبون أن نصفح عنكم فلا نعذبكم، ولا تفعلوا ما أمرتم به، قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وأبو صالح، ومجاهد والسدي، واختاره ابن جرير، وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾، والله لو أن هذا القرآن رُفع حين ردته

أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله تعالى عاد بعائدته ورحمته، فكرره عليهم، ودعاهم إليه عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك، وقول قتادة: لطيف المعنى جدًّا، وحاصله أنه يقول في معناه: أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير، وإلى الذكر الحكيم، وهو القرآن، وإن كانوا مسرفين معرضين عنه، بل أمر به ليهتدي به من قدَّر هدايته، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته.

ثم قال ﷻ مسليًا لنبيِّه ﷺ، في تكذيب مَن كذَّبه من قومه، وآمرًا له بالصبر عليهم: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦﴾؛ أي: في شيع الأولين، ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧﴾؛ أي: يكذبونه ويسخرون به، وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾؛ أي: فأهلكنا المكذبين بالرسل، وقد كانوا أشد بطشًا من هؤلاء المكذبين لك يا محمد، كقوله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ [غافر: ٨٢] والآيات في ذلك كثيرة جدًّا. وقوله ﷻ: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ قال مجاهد: سنَّتهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني فلك أسوة لك يا محمد الأسوة بمن مضى قد أرسلت الأنبياء والرسل كثيرون وكذبهم قومهم إلا قليل فما آمن به إلا قليل كما قال ﷻ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾، تلك يا محمد الأسوة من الرسل ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فقد مضى قبلك رسل كثيرون وأنبياء وكذِّبوا وصبروا فلك بهم أسوة: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾، ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾. وهكذا أهل الإيمان عليهم الصبر كما أمر الرسل الأتباع الرسل أيضًا، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ إنما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب. فالواجب على المسلمين الصبر على من عاندهم وخالفهم وآذاهم وكذبهم كما صبر

الرسل، فالواجب على المسلم أن يصبر ويستقم على الحق ويثبت على الحق وإن كذبه قومه أو أصحابه، أو أهل بلده بالاتباع، هذا الواجب على جميع المكلفين من الجن والأنس على الأنس والجن جميعًا أن يصبروا ولو عاندهم أكثر قومهم، ولو كذبه أهل بلدهم وإذا أمكن الهجرة هاجر إلى بلد حتى يجدوا من يؤويهم وينصرهم ويغيثهم، لا يجوز التساهل في هذا الأمر والانقياد لأهل الباطل، لا بل يجب الصبر والثبات عن الحق والاعتصام بالحق وإن عاند من عاند وإن كذب من كذب سواء كان قريبًا أو بعيدًا، جنًّا وإنسًا، على من عرف الحق الثبات عليه والصبر عليه وإن خالفه أقرب الناس إليه، قد صبر الرسول ﷺ وقد خالفه من هو من أقرب الناس إليه عمه أبو طالب وعمه أبو لهب، فصبر وخالفه قريش وغيرهم ثم هداهم الله بعد الفتح وأدخل عليهم الإسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال قتادة: عقوبتهم، وقال غيرهما: عبرتهم، أي: جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين، أن يصيبهم ما أصابهم، كقوله تعالى في آخر هذه السورة: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]، وكقوله جلَّت عظمته: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ٨٥]، وقال: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأولون فيهم عظة، مضت سنَّتهم ومثلهم وعبرتهم وعظتهم وعقوباتهم ونصرهم، كل هذا مضى، فللمتأخرين العظة بذلك والاقتداء بمن صبر والحذر ممن عاند وكابر، ففي ما مضى عظة، فقد مضى على قوم نوح ما مضى، كذبوا نوحًا وكابروا وعاندوا فماذا صار؟ توعدهم فلم يُجْدِ فيهم، فأمره الله أن يصنع السفينة، فلما كملت صناعتها ركب فيها من آمن ومن كل زوجين اثنين، ثم أنبع الله الماء من تحت وأنزل المطر

من فوق فغرق الناس كلهم وهلكوا إلا من كان مع نوح في السفينة، عجل لهم العقوبة مع عقوبة جهنم يوم القيامة. وهكذا عاد بعد نوح كذبت هودًا وكابرت وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، فأرسل الله عليهم الريح العقيم فهلكوا عن آخرهم إلا من آمن بهود. وهكذا قوم صالح كابروا وعاندوا وكذبوا صالحًا وأعطاهم الله الناقة، ومع هذا ما زادهم إلا استكبارًا، ثم عقروا الناقة فحلَّ بهم العذاب وأصابتهم الصيحة فهلكوا عن آخرهم إلا من كان مع صالح؛ إلا من آمن بصالح. وهكذا فمن بعدهم قوم لوط، قوم شعيب، فرعون وأصحابه، إلى غير ذلك، كلهم عاندوا وكابروا فحلت بهم العقوبة في الدنيا مع العذاب يوم القيامة، المقصود من هذا التحذير: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴿٨﴾﴾. يعني احذروا أن يصيبكم ما أصابهم، فقد كذب من قبلكم فعوقبوا كقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح وغيرهم، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم، قد كانوا أشد منكم قوة، ومع هذا عوقبوا ؛ ولكنه ﷻ يملي ولا يغفل. نسأل الله العافية.

الأسئلة:

حكم تصوير ديار المعذَّبين لأخذ العبرة وحكم السكنى فيها.

السؤال: أحسن الله إليكم، هل يجوز تصوير ديار المعذَّبين للاعتبار؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: ديار المعذبين هل يجوز تصويرها للاعتبار والعظة؟

النبي ﷺ قال: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذَّبين** ـ قصده قوم صالح ـ **إلا أن تكونوا باكين**»، ولما مرَّ أسرع.. تقنَّع وأسرع عليه الصلاة والسلام حذرًا من العقوبة، فإذا مر سريعًا ولم يقف وكان باكيًا لا بأس. نسأل الله العافية.

مداخلة: والسكنى فيها يا شيخ؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: السكنى فيها؟

الشيخ: ولا يجوز السكنى فيها... يعني: محل العذاب، نسأل الله العافية.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ [الزخرف: ٥][(١)].

«مُشْرِكِينَ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ هَذَا القُرْآن رُفِعَ حَيْثُ رَدَّهُ أَوَائِلُ هَذِهِ الأُمَّةِ لَهَلَكُوا»، ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٨]: «عُقُوبَةُ الأَوَّلِينَ»، ﴿جُزْءًا﴾ [البقرة: ٢٦٠]: «عِدْلًا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وما ذاك إلّا؛ لأنّ المسرف هو الّذي فرّط في الأوامر وأضاعها، والمشركون أعظم النّاس تفريطًا وإضاعةً؛ فلهذا سمّاهم مسرفين: ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾، هل تصرف عنكم العقوبة؛ لأنّكم مسرفون، أنتم مستحقّون للعقوبة لإسرافكم بترك الحقّ والتّمادي في الباطل؛ فلهذا حقّت بهم العقوبة يوم بدرٍ، ويوم الأحزاب، كما حقّت بقوم نوحٍ، وعادٍ، وثمود، وغيرهم ممّن أسرفوا بإضاعة الحقّ، والتّمادي في الباطل، نسأل الله العفو والعافية.

فالواجب الحذر من إضاعة أمر الله، والواجب الاستقامة على

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير. وهذه الآية وردت في البخاري بعد الآية ٧٧ قدمتها هنا لترتيب الآيات.

الحقّ، هذا هو طريق النّجاة، وطريق السّلامة في الدّنيا والآخرة، فطريق النّجاة والسّلامة هو الاستقامة على الحقّ، والقصد في السّبيل، والثّبات على الحقّ، والتّواصي بذلك، والتّعامل بذلك، هذا هو طريق النّجاة، فإذا وضع هذا السّبيل وجاء الإسراف والإضاعة والغفلة؛ جاءت العقوبات في الدّنيا والآخرة ـ نسأل الله العافية ـ.

ولهذا قال ﷻ: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ فأعظم، وأعظم الشّرّ وأعظم الفساد في الأرض هو إضاعة الحقّ والاستكبار عن التّوحيد، واعتناق الشّرك.

هذا هو أعظم الإسراف، وأعظم الباطل، وأعظم الضّلالة هو أن ينصرف النّاس عن الحقّ إلى الباطل، وعن التّوحيد إلى الشّرك، وعن الإيمان إلى الكفر، وهذا هو أعظم الإسراف، ولهذا حلّت الكوارث والعقوبات العظيمة بقوم نوحٍ، وقوم هودٍ، وقوم صالحٍ، وقوم شعيبٍ وقوم لوطٍ، وبفرعون وأصحابه، وبأهل مكّة يوم بدرٍ. كلّ هذا من إعراضهم عن الحقّ، وإسرافهم وتكبّرهم عن اتّباع الهدى، نسأل الله العافية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: «والله لو أنّ هذا القرآن رفع» عزاه لمن؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٥٦٩)]: «قوله: (﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾: **مُشْرِكِينَ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ رُفِعَ حَيْثُ رَدَّهُ أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَهَلَكُوا**): وصله ابن أبي حاتمٍ من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظه وزاد: ولكنّ الله عاد عليهم». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمؤلّف ما قال: قال قتادة، معناه أنّ المؤلّف قاله على معنى ما قال قتادة، هذا من قول قتادة وعزاه لنفسه، اختصره.

• **س: المراد بأوائل هذه الأمة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: قريشًا وأشباههم. نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك، الباطل والحقّ والسّاكت عن...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسأل الله يثبّتنا وإيّاكم، نسأل الله يثبّتنا وإيّاكم، نسأل الله الثّبات.

• **س: «وَاللهِ لَوْ أَنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ رُفِـعَ حَيْـثُ رَدَّهُ أَوَائِـلُ هَـذِهِ الْأُمَّـةِ لَهَلَكُوا». هذا من قول البخاري؟**

○ ج: من كلامه، من كلام غيره.

(من الطّالب): قال في الشرح (٨/ ٥٦٩) أحسن الله إليك: «وصله ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظه وزاد: ولكنّ الله عاد عليهم بعائدته ورحمته فكرّره عليهم ودعاهم إليه».

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ٩ ـ ١٤][(١)].

يقول تعالى: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله العابدين

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

معه غيره، من خلق السموات والأرض؟ ليقولن: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾؛ أي: ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد. ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾؛ أي: فراشًا قرارًا ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتنصرفون، مع أنها مخلوقة على تيار الماء؛ لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا وهكذا ولا هكذا. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾؛ أي: طرقًا بين الجبال والأودية. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾؛ أي: في سيركم من بلد إلى بلد، وقطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى (لعل) للتعليل لتهتدوا (لعلكم تذكرون) لتذكروا، (لعلكم تعقلون) لتعقلوا يعني فعل هذه الأشياء لتعقلوها وتذكروا وتستفيدوا وتنتفعوا، فـ (لعل) للتعليل يعني لبيان العلة والحكمة (لعلكم تعقلون)، (لعلكم تذكرون)، (لعلكم تهتدون) يعني: فعلنا هذه الأشياء لتعقلوها، وتتذكروا، وتفهموا، وتعلموا، وتعملوا..... سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾؛ أي: بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم. وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾؛ أي: أرضًا ميتة، فلما جاءها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، ثم نبه تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: كما أخرجنا النبات بهذا الماء، أنتم كذلك تخرجون يوم القيامة من القبور، ففي إخراج النبات والزروع والأشجار دلالة على أنه سبحانه سوف يخرجهم يوم القيامة من هذه القبور، ويعيدهم كما بدأهم

ويجازيهم بأعمالهم ﷻ، كما قال في سورة (ق): ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩ ـ ١١]، يعني: كذلك خروجهم من القبور.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾؛ أي: مما تنبت الأرض من سائر الأصناف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك، ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها، وأصنافها. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾؛ أي: السفن. ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢﴾؛ أي: ذللها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها، وشربكم ألبانها، وركوبكم ظهورها، ولهذا قال ﷻ: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾؛ أي: لتستووا متمكنين مرتفقين ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾؛ أي: على ظهور هذا الجنس. ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: فيما سخر لكم. ﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣﴾؛ أي: مقاومين، ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه. قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي وابن زيد ﴿مُقْرِنِينَ ۝١٣﴾؛ أي: أمطيقين. ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾؛ أي: لصائرون إليه بعد مماتنا، وإليه سيرنا الأكبر، وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة، كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى: ﴿وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الله أكبر.. الله أكبر.. وهذا من رحمته العظيمة، وفضله الكبير، تنبيه العباد، كما أنبت لهم النباتات، وأعطاهم الأرزاق يخرجهم يوم القيامة، سبحانه وتعالى، وكما أعطاهم الزاد في الدنيا من أنواع النعم،

يذكرهم بزاد التقوى، حتى يعدوا العدة للآخرة، وكما أعطاهم اللباس في هذه الدار لستر العورات، يذكرهم بلباس التقوى، الذي به نجاتهم يوم القيامة وسعادتهم يوم القيامة، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ [الأعراف: ٢٦].

ثم قال بعدها: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ الأعمال الصالحة لباس، والأعمال السيئة لباس، لكن لباس التقوى خير لأهلها، وأصلح لأهلها، ولباس الفساد والكفر والضلال شر لأهله، وبال على أهله، وعاقبته وخيمة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر الأحاديث الواردة عند ركوب الدابة، حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا شريك بن عبد الله، عن أبي إسحاق، عن علي بن ربيعة قال: (رأيت عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أوتي بدابة، فلما وضع رجله في الركاب، قال: باسم الله، فلما استوى عليها قال: الحمد لله، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾ ثم حمد الله تعالى ثلاثًا، وكبر ثلاثًا، ثم قال: سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي، ثم ضحك، فقلت له: مم ضحكت يا أمير المؤمنين؟ فقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: رأيت رسول الله ﷺ فعل مثلما فعلت ثم ضحك، فقلت: مم ضحكت يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال: رب اغفر لي، ويقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري**»[(١)].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب ما يقول الرجل إذا ركب برقم (٢٦٠٢)، والإمام أحمد (١/ ٩٧ و١٢٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة برقم (٣٤٤٦)، والنسائي في الكبرى عمل اليوم والليلة برقم (٨٨٠٠).

وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي الأحوص، زاد النسائي ومنصور عن أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة الأسدي الوالبي به، وقال الترمذي: حسن صحيح. وقد قال عبد الرحمٰن بن مهدي عن شعبة قلت لأبي إسحاق السبيعي: ممن سمعت هذا الحديث؟ قال: من يونس بن خباب، فلقيت: يونس بن خباب فقلت: ممن سمعته؟ فقال: من رجل سمعه من علي بن ربيعة، ورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الأسدي عن علي بن ربيعة الوالي به.

حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا أبو بكر بن عبد الله، عن علي بن أبي طلحة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (إن رسول الله ﷺ أردفه على دابته، فلما استوى عليها، كبَّر رسول الله ﷺ ثلاثًا، وحمد ثلاثًا، وسبَّح ثلاثًا، وهلَّل الله واحدة، ثم استلقى عليه، وضحك، ثم أقبل عليه فقال: **«مَا مِن امْرِئٍ يَرْكَبُ دَابَّتَهُ فَيَصْنَعُ كَمَا صَنَعْتُ إِلَّا أَقْبَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَحِكَ إِلَيْهِ كَمَا ضَحِكْتُ إِلَيْكَ»**)(١). تفرد به أحمد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لكن إسناده ضعيف، أبو بكر بن عبد الله بن مريم ضعيف هذا. الرواية التي قبلها أصح نعم، وإن كان فيها ضعف.

القاري: [حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هو أصحها حديث ابن عمر هذا الآتي هو أصحها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٣٠).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد الله البارقي، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: (إن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثًا، ثم قال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾، ثم يقول: اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا السفر، واطوِ لنا البُعد، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا، وكان ﷺ إذا رجع إلى أهله قال: **«آيِبُونَ تَائِبُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»**)(١).

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج والترمذي من حديث حماد بن سلمة، كلاهما عن أبي الزبير به(٢).

حديث آخر، قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان، عن أبي لاس الخزاعي قال: (حملنا رسول الله ﷺ على إبل من إبل الصدقة إلى الحج، فقلنا: يا رسول الله! ما نرى أن تحملنا هذه؟ فقال ﷺ: **«مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا فِي ذُرْوَتِهِ شَيْطَانٌ فَارْكَبُوهُنَّ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِنَّ كَمَا أُمِرْتُمْ ثُمَّ امْتَهِنُوهُنَّ لأَنْفُسِكُمْ فَإِنَّمَا يَحْمِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»**)(٣).

أبو لاس اسمه: محمد بن الأسود بن خلف.

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو برقم (١٧٩٧)، ومسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره برقم (١٣٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره برقم (١٣٤٢)، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر برقم (٢٥٩٩)، والترمذي في الدعوات، باب ما يقول إذا ركب برقم (٣٤٤٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٢١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أعد أعد سنده.

الشيخ: نعم، حديث آخر؟

مداخلة: عمرو بن الحكم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بالواو؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: وأنتم عندكم بالواو؟ حدثنا من حدثنا؟

مداخلة: بالواو...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بعضكم عنده عمر؟

القاري: كلها عمرو.

الشيخ: كلكم عندكم عمرو؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر في معناه، قال أحمد: حدثنا عتاب أخبرنا عبد الله وعلي بن إسحاق، أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك، أخبرنا أسامة بن زيد، أخبرني محمد بن حمزة أنه سمع أباه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عَلَى ظَهْرِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا فَسَمُّوا اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **ثُمَّ لَا تُقَصِّرُوا عَنْ حَاجَاتِكُمْ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يراجع المسند، قد يكون الخطأ من المسند وقد يكون الخطأ من التقريب، يراجع عمر وعمرو كله ضع عليه نسخة ضع عليه في التقريب عمر، .... في التقريب عمر بدون واو........

مداخلة: «**لا تقصروا عن حاجاتكم**»... أم في السفر فقط؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المعروف عنه أنه كان في السفر. . . ﷺ، المعروف أنه في السفر هذا المعروف. محمد بن حمزة وجدته؟

مداخلة: محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمي المدني مقبول من الثالثة البخاري تعليقًا مسلم، وأبو داود، وابن ماجه.

الأسئلة:

● **س: [ما حكم الاستعاذة والبسملة عند قراءة القرآن الكريم]؟**

○ **الجواب**: نعم سنة سنة، سنة الاستعاذة والبسملة كلها سنة، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، الأمر للندوب و. . هذا المعروف عند أهل العلم، ينبغي للمؤمن ألا يدع ذلك؛ لأن الأصل في الأوامر الوجوب، فينبغي للمؤمن أن يحتاط في هذا ويحرص ألا يفرط، فإذا أراد القراءة فليتعوذ بالله من الشيطان ثم يسمي إن كان من أول السورة.

● **س: دعاء ركوب الدابة في غير السفر؟**

○ **الجواب**: دعاء طيب ما فيه شيء، لكن بس كونه يقال: سنة أو ما هو بسنة هو محل بحث، فيسن مطلقًا أو يسن عند السفر هذا محل بحث، أما هو إذا قاله الإنسان في أي وقت كله طيب كالتكبير والتحميد.

مداخلة: منهم من قال: عن أبي لاس الخزاعي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يراجع التهذيب هذا، تهذيب التهذيب والتهذيب. . . لأن الواو قد تسقط.

مداخلة: يا شيخ! هل دعاء السفر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

حسب الأحوال، إذا عد سفر يقوله، إذا عد سفر السفر ثمانين كيلو تقريبًا.

*

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ **[الزخرف: ١٢ ـ ١٤]**(١).

هذه الآيات الكريمات تدل على شرعية هذه الأذكار عند الركوب في السفر، والرسول ﷺ بعثه الله بالآداب الشرعية في كل الأمور: في التوحيد، في الصلاة، في الزكاة، في الصيام، في الحج، في كل أعماله، الله شرع لعباده آدابًا شرعية في جميع الشؤون، من آداب ذلك الإخلاص لله في كل شيء وتحري السُّنَّة والعمل بها والحذر من البدعة، فالمؤمن يتحرى ما شرعه الله فيؤديه كما شرعه الله في أقواله وأعماله وعباداته وغير ذلك، ومن هذا الركوب في السفر، كان ﷺ إذا استوى على راحلته في السفر قال: بسم الله والحمد لله وكَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** ـ يعني: **مطيقين** ـ، **وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ. اللَّهُمَّ إنا نسألُكَ في سفرنا هذا البرّ والتَّقوى، ومنَ العملِ ما ترضى، اللَّهُمَّ هَوِّن عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ. اللَّهُمَّ أنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والخَلِيفَةُ في الأهْلِ. اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ في المالِ والأهْلِ والوَلَدِ**». فالمؤمن هكذا يتحرى سُنَّته ﷺ في السفر إذا ركب الدابة، أو ركب الآن السيارة، أو الطائرة، أو القطار، أو الباخرة، يأتي بالأذكار الشرعية: يسمِّي الله ويحمد الله ويكبر ثلاثًا يقول: «**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**».

في **رواية علي**: أنه سمَّى عند وضع رجله في الغرز، فلما استوى على الدابة: حمد الله ثلاثًا وكبر ثلاثًا ثم قال: «**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا**

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٣١٦).

هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ». وكله طيب كله سُنَّة، ولعل الرسول ﷺ كان يفعل هذا تارة وهذا تارة ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعند الرجوع يقول: «**آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**» إذا رجع من سفره يكثر من هذه الكلمات عند الرجوع: طريق الرجوع «**آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ. صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»[(١)]. يكثر في السفر من ذكر الله، كان الصحابة يكثرون من ذكر الله في السفر، إذا هبطوا أودية سبَّحوا، وإذا ارتفعوا كبَّروا، فأنت يا عبد الله هكذا في سفرك وفي سائر أحوالك تُكثر من ذكر الله، تعظيم، تسبيح، وفي الأسفار السُّنَّة عند هبوط الأودية التسبيح وعند الصعود عند الروابي والجبال التكبير.

*

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ **[الزخرف: ١٥ ـ ٢٠]**[(٢)].

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم، وبعضها لله، كما ذكر الله ﷻ عنهم في سورة

---

(١) سبق تخريجه في (ص٤٣٠).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

الأنعام في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخصَّهما وأردأهما وهو البنات، كما قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ [النجم: ٢١، ٢٢].

مداخلة: تعبير المؤلف هنا بكلمة أخصهما.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لو قال.... كان أنسب في العبارة، رحمه الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال جَلَّ هاهنا: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥)﴾، ثم قال جَلَّ: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ (١٦)﴾ وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار، ثم ذكر تمام الإنكار فقال جلَّت عظمته: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)﴾؛ أي: إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من جهلهم من جهل الجاهلية، كانوا يكرهون أن يبشروا بالبنات، يتغير وجهه من ذلك، وهذا من جهلهم، فكم لله من بنت أصلح من رجل وأنفع من رجل، وإن كان في الجملة الذكر أفضل وأقوى على العمل، ولكن قد يقع في البنات من هو خير من البنين.... فالواجب الرضا بما قسم الله وعدم الكراهة وعدم التشبه بأعداء الله، وهم

بجهلهم وضلالهم زعموا أن الملائكة بنات الله ما قالوا: بنون، قالوا: بنات، ولهذا ذمهم الله وعابهم على هذا، ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٣، ١٥٤]، ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾، يعني البنات، يعني الملائكة.

مداخلة: أحسن الله إليك! لكن للرجل أن يتمنى الولد؟

الشيخ: لا مانع لكن.. لا يكره، إذا بُشِّر بالأنثى يحمد الله، يسأل الله أن يجعلها مباركة، لا يتشبه بأعداء الله. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩] يعني يئدها يقتلها، نعم. ويزعمون أنه يخشى أنها تزني إذا كبرت، يخشى العار وهذا من الجهل الكبير، نسأل الله العافية.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبين ظلم المشركين وجهلهم وضلالهم؛ حيث جعلوا لله جزءًا من خلقه وجزءًا للآخرين، ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وهنا قال: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [الزخرف: ١٥]. جحود بين الجحود وبين الضلالة لكفره وضلاله ونسبته إلى الله ما ليس بحق، وهذا هو الغالب، هذا وصف أغلبي، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾، المقصود أنه إذا بشر بالأنثى كره ذلك واسود وجهه، ومع هذا ينسب البنات إلى ربه ﷻ، وهذا هو الجهل العظيم والظلم الكبير. ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾، وفي الآية

الأخرى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩]، وهذا الذي وصف به النساء وصف أغلبي أيضًا، وصف أغلبي لهن في جهلهن وعدم استطاعتهن الدفاع عن أنفسهن، فلا يليق بالعاقل أن ينسب إلى ربه الأنقص وينسب إلى نفسه ما هو الأفضل، بل يجب على كل عاقل، بل على كل مؤمن، أن ينسب إلى ربه ما هو الأكمل والأفضل؛ لأنه سبحانه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو الغني الحميد. ولهذا ذمهم وعابهم على ما فعلوا وعلى زعمهم أن الملائكة إناث: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾، ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ [النجم: ٢١ ـ ٢٢]، يعني: جائرة، فالملائكة ليسوا بإناث، بل لهم وصف الذكور، وليس لهم شهوة، بل هم عباد مكرمون، مكلفون بالعبادة قائمون بها على خير وجه، كما قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦﴾ [الأنبياء: ٢٦]، ليسوا أولادًا، بل عباد مكرمون، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٧ ـ ٢٨]، هذا وصف الملائكة، ﴿...بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧]، كما في الآية الأخرى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ﴾ [مريم: ٦٤]، فالواجب على المؤمن أن يحذر أخلاق الكافرين، وأن يبتعد عن صفاتهم الذميمة، وأن يصف ربه بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام من صفات الكمال ونعوت الجلال، وأن يحذر كل ما كان عليه أهل الشرك من الباطل، الله المستعان.

مداخلة: يا شيخ! يقال للملائكة: ذكور؟ الشيخ: نعم؟

مداخلة: يقال للملائكة: ذكور؟

الشيخ: ما في شك، ليسوا بإناث، الله أنكر على المشركين ذلك؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ٢٦﴾ ما قال: مكرمات، (مُـكْـرَمُـونَ) وصف الذكور، ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾.

مداخلة:

الشيخ: ﴿إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١﴾ [يوسف: ٣١].

مداخلة: هل هم أرواح يا شيخ، أو أرواح وأجساد؟

الشيخ: أرواح وأجساد، الله المستعان، هم طبقات وعلى صفات ما يحصيها إلا الرب ﷻ، لهم صفات ونعوت لا يحصيها إلا الله ﷻ، ومن ذلك ما بينه الله وما جاء في السنة من صفة جبرائيل ، فقد يأتي على صور شتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام. ومن ذلك مجيئه في صورة رجل غريب حتى سأل النبي ﷺ عن الإسلام وعن الإيمان والإحسان، اللهم صل عليه وسلم، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[يقول تبارك وتعالى: فكيف تأنفون أنتم من ذلك وتنسبونه إلى الله ﷻ.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ١٨﴾؛ أي: المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي، منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عيية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: في الأغلب، مراده ﷻ يعني: في الأغلب فلا وجه للاعتراض من بعض النساء، يوجد فيهن خطيبات وجيدات وفاضلات وبليغات، لكن الأغلب عليهن هو ما قاله الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم، فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن، في الصورة والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي، وما في معناه، ليجبر ما فيها من نقص كما قال بعض شعراء العرب:

وما الحلي إلا زينة من نقيصة ... يتمم من حسن إذا الحسن قصَّرا
وأما إذا كان الجمال موفرًا ... كحسنك لم يحتج إلى أن يزوَّرا]

الشيخ: الله المستعان، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار، لا عبارة لها ولا همة، كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت: ما هي بنعم الولد نصرها بكاء، وبرها سرقة. وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴿١٩﴾﴾؛ أي: اعتقدوا فيهم ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كل هذه الأوصاف غالبة وإلا قد يقع منهن خلاف ذلك؛ لكنهن قاصرات في الجملة، نصرها بكاء: إذا أصابها شيء، أصاب أباها أو أخاها، أو أقاربها تبكي وتحزن، ليس عندها القوة للنصر بالسلاح والقوة والمغالبة. وبرها سرقة: قد يكون سرقة من مال الزوج أو من غيره.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾؛ أي: شاهدوه وقد خلقهم الله إناثًا، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾؛ أي بذلك، ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عن ذلك يوم القيامة، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد. ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾؛ أي: لو أراد الله لحال بيننا وبين

عبادة هذه الأصنام التي هي على صور الملائكة التي هي بنات الله، فإنه عالم بذلك، وهو يقررنا عليه، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ:

أحدها: جعلهم لله تعالى ولدًا، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثًا.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله ﷻ، بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء.

الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرًا، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلًا كبيرًا، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]. وقال ﷻ في هذه الآية بعد أن ذكر حجتهم هذه: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: بصحة ما قالوه واحتجوا به ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: يكذبون ويتقوَّلون. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾، يعني: ما يعلمون قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر، الله قدَّر الأشياء ومضى بها

علمه، وأنت قد أعطاك عقلًا وتمييزًا تستطيع أن تميز هذا من هذا، وتختار هذا من هذا، كما تفعل في حاجاتك، تختار الطعام الفلاني، اللباس الفلاني، الناقة الفلانية، الزوجة الفلانية، السفر الفلاني، تختار ما تشاء تقدم هذا وتؤخر هذا، فأنت عندك تصرف عندك عقل تمييز وإرادة، فأنت مؤاخذ بتقديمك هواك على طاعة الله ورسوله، واختيارك المعصية والكفر على ما أمرك الله به من التوحيد والطاعة، فالاحتجاج بالقدر أمر باطل وظلم وعدوان، يحتج به على معاصيه وهو في مسائله الأخرى يختار ما يشاء الله المستعان.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: ٢١ ـ ٢٥][(١)].

يقول تعالى منكرًا على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾؛ أي: من قبل شركهم، ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾؛ أي: فيما هم فيه، أي: ليس الأمر كذلك، كقوله ﷻ: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥]؛ أي: لم يكن ذلك. ثم قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾؛ أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك، سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها: الدين هاهنا. وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقولهم: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾؛ أي: وراءهم ﴿مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾، دعوى منهم بلا دليل. ثم بيَّن ﷻ أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل، تشابهت قلوبهم، فقالوا مثل مقالتهم ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣]. وهكذا قال هاهنا: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

.... ﴿مُتۡرَفُوهَآ﴾ أهل النعمة وأهل الغنى والسعة والرياسة والفقراء تبعًا لهم، تقدمهم هؤلاء فيتبعهم فقراؤهم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿قَٰلَ﴾؛ أي: يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾؛ أي: ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله، قال الله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾؛ أي: من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب، كما فصَّله تبارك وتعالى في قصصهم: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾؛ أي: كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وفي هذا العظة والذكرى لمن يعقل، والله ﷻ قصَّ القصص

للاعتبار والذكرى، والمبادرة إلى الحق، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]. فالله قص القصص العظيم، بل هو أحسن القصص وأكمله عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وغيرهم.. لماذا؟ للاتعاظ والذكرى والحذر مما وقعوا فيه، ولكن أكثر الخلق لا يعي، ولا يتبصر، وإنما يقلد من سبقه في الباطل ويتبع هواه، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، هذه مستنداتهم، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ لا علم ولا قصد، لا علمًا طيب لا علمًا حقيقي ولا إرادة طيبة، ظنون وأهواء، هذه حالهم نسأل الله العافية ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، فأهل الباطل غلب عليهم سوء الظن، وعدم العلم، واتباع الهوى، وأهل الحق هداهم الله للعلم النافع، ومخالفة الهوى، فآثروا الحق واتبعوا الهدى وقدموه على أهوائهم، طاعة لله وطلبًا لمرضاته وحذرًا من عقابه ﷻ. هكذا أهل الحق، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، من لم يستجب للحق بعد ظهوره فاعلم أنه إنما يتبع هواه، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾، يعني: يا محمد ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]. فالحق قصَّه الله واضحٌ بيِّن، والباطل بيِّن، قد بيَّن عاقبة هؤلاء وعاقبة هؤلاء، عاقبة أهل الحق، وعاقبة أهل الباطل، بلسان عربي مبين، فإذا حاد عن الصواب وتابع الهوى، فقد ترك الحق على بصيرة، وأقدم على الباطل على بصيرة، نسأل الله العافية.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٣٥][(١)].

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء، ووالد من بعث بعده من الأنبياء الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها، أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾؛ أي: هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله، أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: إليها، قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، يعني: لا إله إلا الله، لا يزال في ذريته من يقولها، وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن زيد: كلمة الإسلام، وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالمعنى أنه أوصاهم بها فهم يتواصون بها، ولا يزال فيهم لكنها في آخر الزمان قلت فيهم وأطبقوا على الكفر بالله والضلال إلا النادر كـزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة قليلة بقي فيهم هذا الشيء، الله المستعان.

وقال سماحته(١): وهذا يبين لنا ولكل مكلف ولكل عاقل أن دين إبراهيم ودين المرسلين مبني على هذا الأساس، وهو البراءة من عبادة غير الله، وإخلاص العبادة لله وحده، هذا هو دين المرسلين من أولهم إلى آخرهم، من آدم ونوح. ومن بعدهما، إلى خاتمهم وأفضلهم وإمامهم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وهو دين إمام الحنفاء ووالد الأنبياء بعده، وهو إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾، يعني: قال لهم مصرِّحًا لهم: ﴿...إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾، فالمعنى: التزموا بهذا الأمر، وأخلصوا العبادة لله، ودعوا ما أنتم عليه من الباطل، هكذا يقول لأبيه وقومه، وقال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٨ ـ ٤٩]. وهكذا قال نبينا محمد ﷺ لقومه: (يا قوم! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا)، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]، وقالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٦]، هكذا حال الكفرة، مصادمة الحق، والاستكبار عن اتباعه، إلا من هدى الله منهم. فالواجب على المكلفين جميعًا من الرجال والنساء، والجن والإنس الإيمان بهذا الأمر، وأن

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مسجده بمدينة الطائف.

أساس هذا الدين وأصل هذا الدين هذه الكلمة: لا إله إلا الله، عن صدق، وعن إخلاص، وعن التزام بالمعنى، والمعنى: البراءة من عبادة غير الله، واعتقاد بطلان عبادة غير الله، والإيمان بأن الله هو المستحق للعبادة، وأن جميع ما يعبده الناس من دونه باطل، سواء كان المعبود ملكًا أو شجرًا أو حجرًا أو صنمًا أو نبيًّا أو جنيًّا، أو غير ذلك، كله باطل، يقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾، فهو الله سبحانه فاطر الأرض والسماء، فاطر العباد، فاطر الخلق: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].. ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، هو الذي خلق الجميع، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالذين يتعلّقون بالجن أو بأصحاب القبور يستغيثون بهم: يا فلان! أغثني، يا بدوي، يا حسين، يا علي، يا نبي الله.. يا فلان! انصرنا. أغثنا، هذا هو الشرك، هذا هو المناقض لقول: لا إله إلا الله، أو يا جن الظهيرة! أو يا جن كذا! أو يا جن الجبل الفلاني! أو ما أشبه ذلك؛ هذا هو الشرك الأكبر المناقض لقوله ﷻ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، والمناقض لقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٨]، والخبر محذوف في هذا كله، (لا إله) يعني: حق، (لا إله) يعني: لا معبود حق، كما تفسره الآية، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] أما من قال: موجود هذا

باطل، الآلهة موجودة كثيرة. (لا إله موجود) هذا غلط؛ الآلهة كثيرة معبودة من دون الله من الجن والإنس والقبور، لكن المعنى: لا إله حق، فالآلهة الباطلة كثيرة، ولكن يبين سبحانه أن الإله الحق هو الله وحده المستحق ليعبد، الذي خلق الجميع، ورزق الجميع، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب هو المستحق لأن يعبد، والواجب على جميع الثقلين، على جميع الجن والإنس أن يعبدوا الله وحده، وأن يخصوه بدعائهم وخوفهم ورجائهم وتوكلهم واستغاثتهم ونذرهم ونحو ذلك، كله لله وحده. أصحاب القبور لا يملكون شيئًا، قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [فاطر: ١٣]، ثم قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣]، ويش القطمير؟! اللفافة التي على النواة، ما يملكون شيء. ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، هذا عام يعم الأنبياء وغيرهم، يعم الأنبياء والرسل وغيرهم. ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣]، ما يملكون شيء، أخرجهم الله من بطون أمهاتهم ما يملكون شيء، ولا يعقلون شيئًا، ولا يفهمون شيئًا، وآدم الذي هو أبونا خلق من التراب، ليس بشيء مذكورًا، لم يكن شيئًا مذكورًا. ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، ما يسمعون، ما بين ميت أو جماد، إما ميت والا جماد، أو غائب بعيد ما يسمع، ثم لو فرضنا أنهم سمعوا، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، لو سمعوا، لو كانوا أحياء ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾، يعني: في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، كسؤالهم الجنة، أو النجاة من النار، أو الولد، أو الرزق، أو ما أشبه ذلك. ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، أما الحي الحاضر القادر فلا بأس، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، الحي القادر غير داخل في

الآية، القادر تكلمه وتقول: أقرضني كذا، أو: ساعدني في كذا، أو تكتب إليه كتابة، أو تكلمه بالهاتف بالتلفون، هذا شيء واضح، شيء معقول مفهوم عليه عمل الناس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، ولم يزل الناس هكذا، يعين بعضهم بعضًا، وينصر بعضهم بعضًا، هذا يقرضه، هذا يعينه، هذا يصدق عليه، هذا يحمله، الشيء العادي ما فيه بأس، غير داخل في هذا، لكن المنكر أن تدعو غائبًا تعتقد أنه يسمع وهو غائب بدون كتابة وبدون شيء، تعتقد أنه يسمع كما يفعل عباد القبور، أو تدعو صنمًا أو شجرًا أو حجرًا، أو تدعو ميتًا هذا الشرك الأكبر، وهذا شرك المشركين؛ يدعون أمواتهم، والأشجار والأحجار، والأصنام، والغائبين يعتقدون أنهم ينفعونهم، وأنهم يجيبون دعوتهم، قال تعالى عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، يعني: وإنهم لا يملكون شيئًا، أنهم مقهورون، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. أما من اعتقد فيهم أنهم يتصرفون بدون إذن الله؛ فهذا شرك أكبر من جهة الربوبية، يصير جمع بين الشرك الأكبر من جهة الربوبية والإلهية جميعًا، كما يعتقده بعض الكفرة، وهم قليل، لكن غالب الكفار يعتقدون أن الله هو الخلاق الرزاق، وإنما أشركوا بتوسيط الآلهة، بدعاء الآلهة من دون الله، بدعاء الجن، بدعاء الملائكة، بدعاء الأنبياء، بدعاء أصحاب القبور، شركهم في الإلهية. ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، يعني: يتبرءون منكم، وينكرون ما فعلتم، ويقولون: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: ٦٣]، ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٩]، ما يعرفون هذا، ولا يدرون عنه، كانوا غافلين عنه؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن

دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١]. فالواجب على المكلفين جميعًا الإيمان بهذا الأمر، الإيمان بأن الله سبحانه هو المستحق للعبادة، وأنه الإله الحق، وأن من عبد سواه من المخلوقات من جن أو إنس أو قمر أو شجر أو شمس أو غير هذا؛ فقد أشرك بالله، وناقض قول: لا إله إلا الله، وناقض قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وما جاء في معناها من الآيات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال ﷻ: ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعني: المشركين ﴿وَءَابَآءَهُمۡ﴾، أي: فتطاول عليهم العمر في ضلالهم، ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: بين الرسالة والنذارة. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾؛ أي: كابروه وعاندوه، ودفعوا بالصدور والراح كفرًا وحسدًا وبغيًا وقالوا: أي: كالمعترضين على الذي أنزله تعالى وتقدس: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾؛ أي: هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين، يعنون مكة والطائف. قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة والسدي وابن زيد، وقد ذكر غير واحد منهم أنهم أرادوا بذلك: الوليد بن المغيرة، وعروة بن مسعود الثقفي، وقال مالك عن زيد بن أسلم والضحاك والسدي، يعنون الوليد بن المغيرة، ومسعود بن عمرو الثقفي، وعن مجاهد: يعنون عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي، وعنه أيضًا: أنهم يعنون عتبة بن ربيعة، وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: جبارًا من جبابرة قريش. وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنهم يعنون الوليد بن المغيرة، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، وعن مجاهد: يعنون عتبة بن ربيعة بمكة، وابن

عبد ياليل بالطائف، وقال السدي: عنوا بذلك الوليد بن المغيرة، وكنانة بن عمرو بن عمير الثقفي، والظاهر: أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: كبير عندهم، لماله وجاهه ونحو ذلك، لجهلهم وضلالهم، ظنوا أن هذا هو الذي ينبغي ولم ينظروا إلى الأخلاق والصدق والأمانة، إنما نظروا إلى المال والشرف الدنيوي والرياسة، لجهلهم..

مداخلة: عروة بن مسعود أو مسعود بن عروة؟

الشيخ: عروة بن مسعود.

مداخلة: في موضع مسعود بن عروة.

الشيخ: عروة بن مسعود الثقفي، معروف من كبارهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الله تبارك وتعالى رادًّا عليهم في هذا الاعتراض: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾؛ أي: ليس الأمر مردودًا إليهم، بل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا، وأشرفهم بيتًا وأطهرهم أصلًا.

ثم قال تعالى مبينًا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة، فقال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ الآية، وقوله جلَّت عظمته: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ قيل: معناه: ليسخِّر بعضهم بعضًا في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغير واحد، وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضًا، وهو راجع إلى الأولى. ثم قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم، من الأموال

ومتاع الحياة الدنيا. ثم قال ﷻ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة، أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال، هذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم. ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾؛ أي: سلالم ودرجًا من فضة]، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم، ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾؛ أي: يصعدون ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾؛ أي: أغلاقًا على أبوابهم، ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾﴾؛ أي: جميع ذلك يكون فضة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لولا أن يكون هذا سببًا لاجتماعهم على الباطل لجعلنا هذا للكفار، لأنه لا قيمة له، الدنيا لا قيمة لها؛ لكن لو جعل هذا لأهل الدنيا، ومتعوا بهذه الأموال، لكفر الناس كلهم، فلله الحكمة سبحانه وتعالى، ولهذا جعلهم طبقات وفاوت بينهم، يبتلي هذا بالفقر، وهذا بالغنى، والعكس، لحكمة بالغة سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَزُخْرُفًا﴾؛ أي: وذهبًا، قاله: ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني الزخرف من أسماء الذهب، يعني أنها لا قيمة لها، ذهب وفضة، كله فانٍ زايل، لا قيمة له، لكن لو أعطيناه الكفار ومتعناهم به، وكل من أسلم لا يعطى، لكفر الناس فمن حكمة الله قسم بينهم معيشتهم وجعل بعضهم فوق بعض، هذا غني، وهذا فقير، وهذا متوسط، وهذا كذا، وهذا كذا، لحكمة بالغة ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾؛ أي: إنما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله تعالى أي: يجعل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب ليوافوا الآخرة، وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنةٌ يجزيهم بها، كما ورد به الحديث الصحيح، وورد في حديث آخر: «**وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا**». أسنده البغوي من رواية زكريا بن منظور عن أبي حازم عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ فذكره(١)، ورواه الطبراني من طريق زمعة بن صالح عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ: «**لوْ عَدَلَتِ الدُّنْيَا عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا أَعْطَى كَافِرًا مِنْهَا شَيْئًا**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَإِن﴾ هنا بمعنى: ما، ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾، يعني: ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، يعني: ليس له قيمة، ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ﴾، يعني: ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، لا قيمة له زايل..

وهذا يدل على حقارتها، الدنيا لو كانت لها قيمة؛ ما سقى منها كافر شربة من ماء، لكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حمى منها أولياءه، ورزقهم البصيرة، وأعانهم على عدم الاغترار بها، ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥]، لولا أن يكونوا كلهم على الكفر لأعطوا هذا، لكنه سبحانه لم يقدر هذا؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب مثل الدنيا برقم (٤١١٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ١٨٧) برقم (٥٩٢١).

والمقصود: أنها لا قيمة لها، ولا ينبغي الاغترار بها، بل ينبغي الثبات على الحق، والاستقامة على الحق، ولو كنت فقيرًا، ولو لم يكن عندك مال، فعندك ما هو خير من المال، وهو خير من الدنيا وما عليها، فاصبر على الحق واثبت على الحق، واستقم؛ وأبشر بالخير، متى استقام العبد على الحق وثبت عليه؛ يسر الله أمره، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤]، فالرسول ﷺ صبر في مكة، والمسلمون صبروا، ثم صبروا في أول الهجرة، ثم كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، رزقهم الله الدنيا والخير والملك العظيم، والجنة بعد ذلك، لما صبروا وثبتوا على الحق.

نعم. الملقي: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٧]. . .

الشيخ: بركة. الله المستعان. لا حول ولا قوة إلا بالله. لا حول ولا قوة إلا بالله.

الأسئلة:

بيان دخول سائر الأنبياء في شفاعة نبينا يوم القيامة.

السؤال: يا شيخ أحسن الله إليك، بالنسبة للأنبياء يحتاجون إلى شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الأنبياء. .

الشيخ: أيه.

مداخلة: يحتاجون إلى شفاعة النبي ﷺ؟

○ **الجواب**: هو يشفع في أهل الموقف كلهم، عام، له الشفاعة العظمى في أهل الموقف، الأنبياء وغير الأنبياء، في أهل الموقف جميعًا

حتى يقضى بينهم، ثم يشفع في أهل الجنة حتى يدخلوا الجنة جميعًا، الأحاديث عامة في هذا، الأنبياء وغير الأنبياء. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾؛ أي: هي لهم خاصة، لا يشاركهم فيها أحد غيرهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لتقواهم لله، لما اتقوه، وعظموا أمره ونهيه وأطاعوه، أعد الجنة لهم، والدنيا لا قيمة لها، الله المستعان.

مداخلة: درجة الحديث هذا يا شيخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يحتاج تأمل، زمعة بن صالح ضعيف ولكن يحتاج، والذي يغلب على ظني أن لها طرق أخرى جيدة، «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**»، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ولهذا لما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لرسول الله ﷺ: حين صعد إليه في تلك المشربة، لما آلى ﷺ من نسائه، فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء، وقال: (يا رسول الله! هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه، وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس، وقال: أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ ثم قال ﷺ: «**أَوَ فِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**»[1]، وفي رواية: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة برقم (٢٤٦٨)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء برقم (١٤٧٩).

الآخِرَةُ»[١]. وفي الصحيحين أيضا وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ**»، وإنما خوَّلهم الله تعالى في الدنيا لحقارتها، كما روى الترمذي وابن ماجه من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**»، قال الترمذي: حسن صحيح.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ **[الزخرف: ٢٦، ٢٧]**[٢].

بيان توحيد المرسلين
وما يضاده من دين الكفار والمشركين[٣]

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى جميع النبيين والمرسلين، وعلى سائر الصالحين.

أما بعد:

فإن الله ﷻ بعث رسله الكرام معرِّفين به، ودعاة إلى توحيده وإخلاص العبادة له، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الاطعمه، باب الأكل في إناء مُفَضَّض برقم (٥٤٢٦)، ومسلم في كتاب اللباس، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة برقم (٢٠٦٧).

(٢) من إملاءات سماحة الشيخ رحمه الله.

(٣) كلمة كتبها سماحته رحمه الله في عام ١٣٦٨هـ عندما كان نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. مجموع الفتاوى (٣/ ٣).

أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾؛ فأبان الله سبحانه في هذه الآية الكريمة أنه بعث في كل أمة من الناس رسولًا يدعوهم إلى أن يعبدوا الله وحده، ويجتنبوا عبادة الطاغوت. والعبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة بين الرسل وأممهم في ذلك؛ لأن المشركين يعبدون الله سبحانه ويعبدون معه غيره، فبعث الله الرسل تأمرهم بعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾. أخبر سبحانه عن خليله إبراهيم أنه تبرَّأ من معبودات قومه، إلا الله وحده، وهو معنى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فدل ذلك على أنهم يعبدون الله، ويعبدون غيره، فلهذا تبرأ من معبوداتهم كلها سوى الذي فطره، وهو الله وحده، فإنه سبحانه هو المستحق للعبادة؛ لكونه خالق الجميع ورازقهم.

ومعنى فطرني: أي خلقني على غير مثال سبق، ومن كان بهذه المثابة فهو المستحق أن يعبد دون كل ما سواه، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فبيَّن ﷻ أنه أوحى إلى جميع الرسل قبل خاتمهم نبينا محمدٍ ﷺ أنه لا إلٰه غيره يستحق العبادة، وأنه أمرهم بعبادته وحده.

فدل ذلك على أن جميع الآلهة المعبودة من دونه من أنبياء وأولياء وأصنام وأشجار وجن وملائكة، وغير ذلك، كلها معبودة بالباطل.

ومما يوضح هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقوله ﷻ عن المشركين لما دعاهم نبيِّنا محمد ﷺ إلى أن يقولوا: لا إلٰه إلا الله، أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، فدلَّ ذلك على أنهم عرفوا أن

كلمة التوحيد وهي لا إلٰه إلا الله تبطل ما هم عليه من الشرك، وتدل على أن آلهتهم باطلة.

فعلم بذلك: أن لا إلٰه إلا الله تقتضي إخلاص العبادة لله وحده، وتدل على أنه سبحانه المعبود بالحق، ولولا ذلك لم يستكبروا عن قولها، ولم يقولوا إنها تقتضي إبطال الآلهة جميعها.

وهذا مما خفي على أكثر الخلق، حتى ظنوا أن من قال: لا إلٰه إلا الله فهو مسلم معصوم الدم والمال، ولو صرف الكثير من العبادة لغير الله، كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك. وهذا هو الواقع من عبَّاد القبور، فإنهم يقولون: لا إلٰه إلا الله، وهم مع ذلك يلجؤون إلى أصحاب القبور ممن يسمونهم بالأولياء، فيسألونهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والنصر على الأعداء، تارةً عند قبورهم، وتارةً مع البعد عنهم.

وقد يفعلون ذلك مع نبيِّنا محمد ﷺ، ومع غيره من الأنبياء، وقد يلجؤون في حاجاتهم إلى الجن فيستغيثون بهم، ويذبحون لهم، يرجون نفعهم والشفاء لمرضاهم، والدفاع عن أنفسهم وزروعهم وغير ذلك.

وكل هذه الأمور معلومةً مشهورة، لا تخفى على من اتصل بعبَّاد القبور، ورأى ما هم عليه من الشرك الصريح، والكفر البواح. فأرسل الله الرسل جميعهم، تنكر هذا الشرك، وتحذر منه، وتدعو إلى عبادة الله وحده، كما سبق ذلك في الآيات الكريمات.

وقد أمرهم الله ﷻ، أن يعرِّفوا الناس بربهم وخالقهم ورازقهم، وأن يذكروا لهم أسماءه الحسنى، وصفاته العلا، الدالة على كمال عظمته وقدرته، وعلمه وإحسانه إلى عباده ورحمته إياهم، وأنه سبحانه هو النافع الضار، المدبر لجميع شؤون خلقه، الخبير بأحوالهم، فلا يليق أن يعبدوا غيره، أو يسألوا حاجاتهم من سواه؛ لأنه سبحانه هو القادر على كل شيء المحيط علمه بكل شيء، وما سواه فقير إليه، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، إلى قوله سبحانه: ﴿...فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٥ ـ ١٧].

وأخبر عن المرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أنهم بلغوا أممهم عظمة الله سبحانه، وقدرته على كل شيء، وعلّمه بكل شيء، وأنه سبحانه هو الذي يسمع الدعاء، ويجيب المضطر، وأنه النافع الضار، وأن يخبروهم عن معبوداتهم أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع دعاء الداعي ولا تجيبه، كما أخبروهم عن أصنامهم أنها لا تكلمهم، ولا تهديهم سبيلًا، ولا تملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، وكل ذلك مما يوجب إخلاصهم لله في العبادة، وتوبتهم إليه، وطلب حاجاتهم منه، وتصديق أنبيائه والتزام شريعته، كما قال تعالى عن نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢]، وقال عن هود ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال لقومه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء ١٢٨ ـ ١٣٥]، وقال عن نبيِّه صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنه قال لقومه: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٦ ـ

١٥٢]، وقال عن خليله إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٦٨ ـ ٧٤] إلى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].

وقال في قصة بني إسرائيل وعبادتهم العجل: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]. وقال في سورة طه في القصة نفسها: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]. والمعنى: أين ذهبت عقول هؤلاء حتى عبدوا صورة عجل، لا يرد إليهم قولًا، ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا يكلمهم ولا يهديهم سبيلًا. فعلم بذلك أن الله سبحانه هو الضار النافع الذي يسمع الدعاء، ويجيب المضطر إذا دعاه، ويتكلم إذا شاء، وأن هذه الصفات من صفات الكمال التي يجب أن يكون المعبود بحق موصوفًا بها، بخلاف الأصنام ونحوها فإنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا تجيب من دعاها، ولا ترجع إليه قولًا، ولا تهديه سبيلًا.

فكيف يجوز أن تعبد مع الملك الحق السميع المجيب، النافع الضار، العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء لا إلٰه غيره، ولا ربَّ سواه. والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها ترشد إلى أن الله سبحانه موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص والعيب، وذلك مما يوجب توحيده وإخلاص العبادة له سبحانه وتوجيه القلوب إليه، والتوكل عليه في جميع الأمور دون كل ما سواه، لكونه الخلاق الرزاق المالك لكل شيء، المدبر لجميع الأمور، فلا يجوز أن يعبد معه غيره.

وقد أخبر الله سبحانه عن أنبيائه: نوح وهود، وصالح وشعيب: أنهم قالوا لقومهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، كما أخبر عن جميع المرسلين أنهم قالوا لأممهم ذلك كما سبقت الآيات في ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧]، وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٣ ـ ٨٧].

وقال سبحانه في سورة مريم عن إبراهيم الخليل نفسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٥٠].

وقال سبحانه في سورة الأعراف عن قوم هود: أنهم قالوا لهود ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠].

وقال في سورة يونس عن مشركي العرب، الذين بُعثَ إليهم نبينا محمد ﷺ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨]، فرد الله ﷻ عليهم بقوله: ﴿...قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

وقال في سورة الزمر: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ١ ـ ٣]، فأوضح سبحانه في هذه الآيات أن المشركين الذين بُعِث فيهم محمد ﷺ لم يعبدوا الأصنام والأوثان والأنبياء والصالحين وغيرهم؛ لأنهم يضرون وينفعون، أو يخلقون أو يرزقون، وإنما عبدوهم يرجون شفاعتهم عند الله، وتقريبهم لديه زلفى، فحكم عليهم ﷻ بعملهم هذا: أنهم كفار مشركون.

وفي هذا المعنى يقول ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، فأخبر سبحانه في هذه الآية: أن المُلك لله وحده، وأنه المتصرف في جميع خلقه، وأن جميع معبودات المشركين من دون الله من جن وإنس وشجر وحجر وغير ذلك كلهم لا يملكون من قطمير، وهو القشرة التي على نواة التمر، وأنهم لا يسمعون دعاء الداعي، وأنهم لو سمعوا ما استجابوا؛ لأنهم ما بين ميت وغائب، أو جماد لا يفعل شيئًا، وأوضح سبحانه أن معبوديهم من دون الله، يكفرون بشركهم يوم القيامة، وينكرونه، فدل ذلك على أن تعلُّقهم بهم، ودعاءهم إياهم شرك بالله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [يونس: ٢٨، ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، فأبان سبحانه في هذه الآيات

أن جميع المعبودين دون الله يتبرءون من عابديهم يوم القيامة، ويكفرون بعبادتهم، ويخبرونهم أنهم كانوا عنها غافلين.

فما أعظم حسرة أولئك المشركين، وما أعظم خسارتهم يوم القيامة، حيث باؤوا بالخيبة والندامة واستحقوا غضب الجبار ونقمته بكفرهم به وعبادتهم معه من لا يضر ولا ينفع، ولا يغني عنهم شيئًا، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، والآيات في بيان بطلان الشرك، وسوء عاقبة أهله وعظم خسارتهم يوم القيامة في كتاب الله كثيرة.

وهكذا جاء في السُّنَّة الصحيحة عن رسول الله ما يبيِّن ضلال المشركين، وسوء عاقبتهم، وعظم خسارتهم، وأنهم لم يشركوا في توحيد الربوبية، بل هم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق، مدبِّر أمورهم، وإنما أشركوا في عبادتهم مع الله غيره بالدعاء والخوف والرجاء، والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة كما ثبت في «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**».

وفي رواية: «**فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»، وفي رواية للبخاري رحمه الله: «**تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**»(١)، وفي «صحيح مسلم» عن سعد بن طارق الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ**

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله برقم (٧٣٧٢).

دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[١]، وفي رواية لمسلم بلفظ: **«مَنْ وَحَّدَ اللهَ وكفر بما يعبد من دون الله»**، الحديث.

وهذان الحديثان صريحان في وجوب توحيد الله سبحانه، وإخلاص العبادة له، والكفر بما يُعبد من دونه.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال لجبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإسلام قال: **«الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ»**[٢] الحديث.

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ أنه قال: **«بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**.

وفي رواية أخرى له: **«عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ»** الحديث. وأصله في «الصحيحين» مرفوعًا بلفظ: **«بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**.

وروى مسلم رحمه الله حديث سؤال جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان من حديث عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال لجبريل لما سأله عن الإسلام: **«الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»**.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك عن أبيه في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة برقم (٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة برقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله برقم (٩).

فدلَّت هذه الأحاديث، وما جاء في معناها على أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله: هو توحيد الله وإخلاص العبادة له، والكفر بما يعبد من دونه. وهذا المعنى هو حقيقة التوحيد الذي بعث الله به المرسلين، وأنزل به الكتب، وقام عليه سوق الجهاد، وانقسم الناس فيه إلى كافرٍ ومؤمن، وشقيٍ وسعيد. فالواجب على كل مكلف أن يحرص على أسباب النجاة، وأن يلتزم بتوحيد الله سبحانه، ويخلص له العبادة ﷻ، ويكفر بعبادة ما سواه، ويتبرأ منها، ويوالي على ذلك، ويعادي عليه، كما قال الله ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، فهذا هو دين المرسلين جميعًا، وهو الدين الذي بعث الله به خاتمهم وأفضلهم نبيِّنا محمد ﷺ.

فعلى كل مسلم أن يعض عليه بالنواجذ، وأن يستقيم عليه، وأن يدعو الناس إلى ذلك بكل صدقٍ وإخلاص، وأن يصبر على ما أصابه في سبيل التمسك به، والدعوة إليه كما قال الله ﷻ لنبيِّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الآية [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والله المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين وجميع الدعاة إلى الحق لكل ما فيه رضاه وصلاح أمر عباده، وأن يوفِّق جميع ولاة أمر المسلمين لكل ما فيه صلاح شعوبهم وهدايتهم إلى صراطه المستقيم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٥٤][(١)].

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾؛ أي: يتعامى ويتغافل ويُعرِض، ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴿٣٦﴾﴾ والعشا في العين ضعف بصرها، والمراد هاهنا عشا البصيرة، ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [النساء: ١١٥] الآية، وكقوله: ﴿فَلَمَّا

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذلك بمسجده بمدينة الطائف.

زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وكقوله جَلَّالَهُ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥] الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآية العظيمة تحث على الإكثار من ذكر الله بالقلب واللسان؛ لأن ذلك يعين على أداء ما أوجب الله وعلى ترك ما حرم الله. أما الغفلة فهي طريق الشيطان وسلاح الشيطان يصد بها عن الحق، ويعمي بها عن الحق، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ يعني: يغفل عن ذكر الرحمٰن ويعرض عن ذكر الرحمٰن، ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾، فالعبد متى غفل عن الله وعن ذكره وعن القيام بحقه وتابع الشيطان والهوى قيض له الشيطان وصار هو قائده، وصار هو سائقه، وصار دليله إلى كل شر، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة العناية بالأمر، الإقبال على الله والإكثار من ذكره، وأن يكون القلب معمورًا بذكر الله، وهكذا اللسان، بذكر الله وذكر عظمته وحقه عليك، وأنه سبحانه الرحمٰن الرحيم، العزيز الحكيم، المستحق لأن يعبد ويذكر ويطاع، فليكن على بالك معظمًا ذاكرًا مسبحًا مهللًا، مسارعًا إلى مراضيه متباعدًا عن معاصيه، حتى لا يستولي عليك الشيطان، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]. هذه حال أعداء الله، غفلة وإعراض، وشغل بما يضرهم ولا ينفعهم، نسأل الله العافية.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا وعيد عظيم، يدل على أن من غفل عن ذكر الله وأعرض، فهو معرَّض لاستيلاء الشيطان عليه، وتوليه إياه، هذا يصده عن الهدى،

فالواجب على المؤمن أن يحذر ذلك، وأن يكون على يقظة وانتباه واستقامة على ذكر الله ﷻ، من طاعته، وترك معصيته، والإكثار من ذكره واستغفاره لا يغفل، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، وفي الآية الأخرى يقول: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]. فالمؤمن لا يغفل بقلبه ولسانه، قلبه ذاكر ولسانه ذاكر، وجوارحه ذاكرة، يكن مع الله ﷻ في جميع الأوقات، تارة بقلبه، تارة بلسانه، تارة بعمله، تارة بالجميع، ما يغفل حتى لا يبتلى بالشيطان حتى لا يسلط عليه أعداء الله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ولهذا قال تبارك وتعالى هاهنا: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾؛ أي: هذا الذي تغافل عن الهدى، نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم، فإذا وافى الله ﷻ يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذي وكل به ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾، وقرأ بعضهم: (حتى إذا جاءنا) يعني: القرين والمقارن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

﴿وَإِنَّهُمْ﴾، يعني الشياطين، عبَّر بالجمع؛ لأن الشيطان إشارة لجنس الشيطان، نقيض له شيطان يعني: شياطين الإنس والجن، فإذا قيض له الشياطين صدوه عن السبيل، صدوه عن الحق، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سعيد الجريري قال: بلغنا أن الكافر إذا بُعث من قبره يوم القيامة، شفع بيديه شيطان، فلم يفارقه حتى يصيرهما الله تبارك وتعالى إلى النار، فذلك حين يقول: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى

وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾. والمراد بالمشرقين هاهنا: هو ما بين المشرق والمغرب، وإنما استعمل هاهنا تغليبًا كما يقال: القمران والعُمَران والأبوان، قاله ابن جرير وغيره.

ولما كان الاشتراك في المصيبة في الدنيا يحصل به تسلية لمن شاركه في مصيبته، كما قالت الخنساء تبكي أخاها:

ولَوْلا كثرةُ الباكين حَوْلي عَلَى قَتْلاهم لقتلتُ نَفْسي
وما يَبْكُون مثلَ أخي ولكن أُسَلِّي النفسَ عنه بالتأَسِّي

قطع الله بذلك بين أهل النار، فلا يحصل لهم بذلك تأسي وتسلية ولا تخفيف].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣٨]، إذا جاء القرين وهو الشيطان، والمقارن وهو الإنسان تبرأ منه: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٨] يقوله الإنسان، يقوله لعدوِّه الشيطان: بئس القرين، صددتني عن الهدى، سُقتني إلى البلاء، زينت لي الباطل، ما ينفع، ما عاد ينفع. لا حول ولا قوة إلا بالله. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ [الزخرف: ٣٨] يعني: هذا الإنسان الذي غفل، الله المستعان، لا حول ولا قوة إلا بالله.

مداخلة: القراءة الثانية يا شيخ؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: القراءة الثانية بالتثنية؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: القراءة الثانية؟

الشيخ: أيش؟

مداخلة: (حتى إذا جاءانا)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المقصود هنا: إذا جاء القرين يعني.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾؛ أي: لا يغني عنكم اجتماعكم في النار، واشتراككم في العذاب الأليم. وقوله جلَّت عظمته: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾﴾؛ أي: ليس ذلك إليك، إنما عليك البلاغ، وليس عليك هداهم؛ ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العدل في ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦] ولكن إنما عليه البلاغ والبيان، وهكذا الدعاة مثل نبيهم ﷺ ليس عليهم إلا الدعوة، ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦]. فالواجب على الدعاة الصبر وبذل النصيحة والتوجيه إلى الخير، والهداية بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾ ليس بيده هذا، الهداية بيد الله جَلَّ وَعَلَا، وإنما على الرسل البلاغ والبيان والدعوة، وهكذا أتباعهم من العلماء والدعاة إلى الله، وكل مسلم هذا واجبه البلاغ والبيان والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]. فالرسل نُذُر ومبلِّغون وهداة، وليس بيدهم هداية الخلق، يعني: قذف النور في القلب، بيدهم الدعوة والهداية التي هي البلاغ، وأما هداية القلوب فإلى الله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، يعني: ترشد وتدل وتعلم، هذه هداية البلاغ والبيان، أما هداية التوفيق وقذف النور في القلب وكونه

يقبل الحق هذا ليس بيد أحد، لا بيد الرسل ولا بيد غيرهم، إنما هي بيد الله ﷻ، وهي المراد في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]. لما حرص على إسلام عمه أبي طالب فلم يقدر ذلك، بل مات على دين قومه، مات على الكفر، قال الله في حقه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾. وهكذا يقول سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. فلا ينبغي للداعي أن يجزع، بل يصبر ويعلم أن الأمر بيد الله، هو الحكيم العليم، فإذا رأى الإصرار والإعراض فلا يجزع، يصبر ويستمر في الدعوة، «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**» ولو واحد، ولو واحد من آلاف. «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**». فإذا دعوت الآلاف والملايين وهدى الله على يديك واحد أو اثنين أو عشرة أو مائة خير كثير، الحمد لله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾؛ أي: لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم، ولو ذهبت أنت ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾؛ أي: نحن قادرون على هذا وعلى هذا، ولم يقبض الله تعالى رسوله ﷺ حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه في نواصيهم، وملكه ما تضمنته صياصيهم، هذا معنى قول السدي، واختاره ابن جرير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما جرى يوم بدر، يوم خيبر، يوم الأحزاب، يوم الفتح، والحمد لله، ويوم حنين، كلها من نصر الله وتأييده، وابتلاهم يوم أحد، لما له من الحكمة ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا أبو ثور عن معمر

قال: تلا قتادة: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ فقال: ذهب النبي ﷺ، وبقيت النقمة، ولن يري الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ في أمته شيئًا يكرهه حتى مضى، ولم يكن نبي قط، إلا وقد رأى العقوبة في أمته، إلا نبيكم ﷺ، وذكر لنا أن رسول الله ﷺ أري ما يصيب أمته من بعده، فما رئي ضاحكًا منبسطًا حتى قبضه الله ﷻ. وذكر من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة نحوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب الأول أن الله أراه فيهم وانتقم منهم في يوم الأحزاب وفي غيره ثم أقر عينه بالفتح والنصر وفتح الله عليه مكة ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فأقر عينيه بالفتح والنصر عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم روى ابن جرير عن الحسن نحو ذلك أيضًا وفي الحديث: **«النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»**(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العقوبات الخاصة، وقعت في عهده ﷺ وأراه الله ذلك وأقرَّ عينه، والعقوبات العامة، كفاه الله ذلك، ولم يشهدها ووقعت بعده، كما جرى يوم فتنة علي ومعاوية، وما جرى بعدها من الفتن، فالله أقر عينه بنصره على أعداء الله يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم خيبر ويوم الفتح، أقر الله عينه، وأراه فيهم ما يسره، ففي بدر عوقبوا، وفي خيبر

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه برقم (٢٥٣١).

عُوقبُوا، وفي الفتح هداهم الله وأسلموا، هذه من نعم الله العظيمة.

مداخلة: أبو ثور وإلا ابن ثور في السند؟

الشيخ: ماذا عندك؟

القاري: [وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر.

الشيخ: لا أبو ثور ما أدرك معمر لعله ابن ثور، أبو ثور متأخر في عهد المؤلف. إبراهيم بن خالد، ويش عندكم من نسخة أخرى (بأبو) حط عليها إشارة يراجع الأصل، يراجع ابن جرير طيب إن شاء الله لعله ابن ثور..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال عَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك، فإنه هو الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم الموصل. إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الواجب على الأمة كلها، أن تستمسك بالحق الذي جاء به، وأن تستقيم عليه حتى الموت، هذا هو الواجب عليها، فهو صراط الله المستقيم، القرآن والسنة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال جَلَّاله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾ قيل: معناه: لشرف لك ولقومك، قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد، واختاره ابن جرير، ولم يحك سواه، وأورد الترمذي هاهنا حديث الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ، لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللهُ**

عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ»[١] رواه البخاري. ومعناه أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به، وأعملهم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلَّص من المهاجرين السابقين الأولين، ومن شابههم وتابعهم، وقيل: معناه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، أي: لتذكير لك ولقومك، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، وكقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: عن هذا القرآن].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الآية عامة هو ذكر لهم، وشرف لهم، أنزله الله بلغتهم، وهو شرف لهم أيضًا ولغيرهم إذا عملوا به واستقاموا عليه، ومن أعرض عنه فله الهلاك والويل، نسأل الله العافية.

مثل ما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] يعني: شرفكم وعزكم. وهكذا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. هذا الوحي وهذا الدين (ذكر لك ولقومك) شرف لك ولقومك الذين آمنوا وهداهم الله، نعم. فهذا الوحي العظيم هو شرف لمن آمن به واستقام عليه، وشرف لكل من اتبع الحق. الله المستعان.

مداخلة: أحسن الله إليك! طريقة ابن كثير يورد حديث في السنن ثم يقول: رواه البخاري مع أن الأولى أنه يذكره في الصحيح.

الشيخ: تسامح تساهل لا يضر سهل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي عن هذا القرآن، وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له، وقوله ﷻ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب قريش برقم (٣٥٠٠).

مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد، كقوله جلَّت عظمته: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]. قال مجاهد في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا)، وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدي عن ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا كأنه تفسير لا تلاوة، والله أعلم.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: واسألهم ليلة الإسراء، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جمعوا له، واختار ابن جرير الأول].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: أتباعهم، ويحتمل المعنى بأن يسأل الرسل الذين قصصنا عليك أخبارهم، يعني: اسأل ما عندك من كتاب الله، فإن الرسل بينت لك أخبارهم، فسؤالهم تلاوة قصصهم الدالة على أنه دعوا إلى الله، وأخلصوا له العبادة، فإذا تأملت قصصهم عرفت أنهم دعوا إلى توحيد الله، لا إلى الشرك بالله.

ويحتمل هذا وهذا، يحتمل المراد يسأل يعني من سبقت إليهم الرسل من مؤمني أهل الكتاب، ومن كان عنده من العلم في هذا الأمر، ويحتمل ما قاله ابن زيد سؤال الرسل حين جمعوا له في حين عرج به إلى السماء، يحتمل هذا.

المقصود أن الرسل جميعًا كلهم دعوا إلى ما دعا إليه من توحيد الله والإخلاص له، فالمؤمنون من أتباعهم يشهدون بذلك، والرسل يشهدون بذلك عليهم الصلاة والسلام حين جمعوا له وحين قابل من قابل منهم في السماوات السبع، من آدم ويوسف وعيسى ويحيى وموسى وهارون وإبراهيم، فهو سبحانه وتعالى أرسلهم جميعًا بالحق كما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

فلم يجعل. . . آلهة تعبد أبدًا، بل كلها باطلة، والإله الحق هو الله وحده، والعبادة الحقيقية عبادة الله وحده، ولهذا قال: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ هذا استفهام إنكار، يعني: لم نجعل، بل العبادة حق الله وحده ليس لأحد فيها نصيب، لذلك قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزخرف: ٤٦].

الشيخ: بركة. . اللَّهم صلِّ وسلِّم.

* *

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ **[الزخرف: ٤٦ ـ ٥٠]**[(١)].

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله موسى أنه ابتعثه إلى فرعون، وملأه من الأمراء والوزراء والقادة والأتباع والرعايا من القبط وبني

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذلك في مسجده بمدينة الطائف. .

إسرائيل، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، وأنه بعث معه آيات عظامًا، كيدِه وعصاه، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها، وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاءهم بها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نسأل الله العافية، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]، ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٧] هكذا فعل الله بفرعون وقومه، مع الآيات العظيمة الواضحة استكبروا حتى أهلكهم الله في البحر، فالأجساد للغرق والأرواح للحرق، وفي النار ما هو أشد من ذلك، ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم وجهلهم وخبالهم، وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له في العبارة بقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾؛ أي: العالم، قاله ابن جرير، وكان علماء زمانهم هم السحرة، ولم يكن السحر في زمانهم مذمومًا عندهم، فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم؛ لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لا تناسب ذلك، وإنما هو تعظيم في زعمهم، ففي كل مرة يعدون موسى عليه السلام، إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بني إسرائيل، وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه، وهذا كقوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا

مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ
لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٤ ـ
١٣٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نسأل الله العافية، الله أكبر ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف: ١٣٦] هكذا جزاؤهم المعجل، الله أكبر.

مداخلة: عفا الله عنك! ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ﴾ [الزخرف: ٤٨] أن ما بعد العصا واليد أكبر منها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الترتيب يحتاج إلى نظر، أقول: يحتاج الترتيب إلى نظر.

* *

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ **[الزخرف: ٥١ ـ ٥٦]**(١).

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون وتمرُّده وعتوه وكفره وعناده، أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحًا مفتخرًا بملك مصر، وتصرفه فيها، ﴿أَلَيْسَ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾، قال قتادة: قد كانت لهم جنات، وأنهار ماء ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾؛ أي: أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يعني وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٣ ـ ٢٥].

الشيخ: نسأل الله العافية، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ قال السدي: يقول: بل أنا خير من هذا الذي هو مهين، وهكذا قال بعض نحاة البصرة: إن (أم) هاهنا: بمعنى: بل، ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء، أنه قرأها: (أما أنا خير من هذا الذي هو مهين). قال ابن جرير: ولو صحت هذه القراءة، لكان معناها صحيحًا واضحًا، ولكنها خلاف قراءة الأمصار، فإنهم قرءوا: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾، على الاستفهام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا أن فرعون وقومه طغوا وبغوا، إذا جاءتهم الشدائد طلبوا الفرج ووعدوا بالإيمان والدخول في الإسلام والسمع والطاعة لنبي الله، وإذا جاء الفرج وجاءت النعمة من الله نكثوا ورجعوا إلى باطلهم، وهذه حال الأكثرين، عند النعمة يكون البطر، ويكون الإعراض عن الهدى، وإذا جاءت الشدائد أظهروا الإيمان والرجوع إلى الصواب، فإذا جاءتهم النعمة استكبروا وتعدَّوا ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

فالمقصود: أن الواجب على العاقل أن يتقي الله في السر والعلن، في الشدة والرخاء، في جميع الأحوال، ومتى ظهر الحق وجب الالتزام

به دائمًا في الشدة والرخاء، وألا يتشبه بأعداء الله من النكث، والرجوع عن الحق إذا جاءت النعم وجاء الرخاء، فهم عند الشدة يقولوا لموسى ادع لنا ربك. فإذا جاء الفرج رجعوا إلى باطلهم وشرهم، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٥٠]. فالله ﷻ يري عباده الشدة والرخاء، ويأخذ بالسراء والضراء، والنعم والعقوبات؛ ليستقيموا وينتبهوا ويرجعوا إلى الحق، ويعرفوا أنهم مربوبون، وأن لهم ربًّا يتصرف فيهم بالشدة والرخاء، والسراء والضراء، والخير والشر، فالواجب الانتباه والاتعاظ، وعدم الاغترار بالأموال والكثرة والنعم، فقد اغتر بذلك قوم نوح فهلكوا، قوم هود فهلكوا، قوم صالح فهلكوا، قوم شعيب فهلكوا، قوم لوط فهلكوا.

فالواجب الحذر، والواجب الرجوع إلى الله في جميع الأحوال، والاستقامة على الحق، فعند النعمة يكون الشكر، وعند البلاء يكون الصبر، هكذا يجب على أهل الإيمان، صبر عند البلاء شكر عند الرخاء، كما في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير: إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**»، قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقد كان في عهد النبي ﷺ الشدائد وهو سيد الخلق وأفضل الخلق، وأصحابه أفضل الخلق، فأصابتهم الشدائد، واستسقى مرات يطلب الغيث وهو رسول الله وبين أفضل عباد الله من الصحابة، فالله ﷻ يصيب أولياءه بالسراء والضراء، والشدة والرخاء ليعرفوا قدر النعمة، وليلجئوا إلى الله، ويضرعوا إليه، ويسألوه من فضله ﷻ. أما أعداء الله

الذين ماتت قلوبهم ومرضت قلوبهم فهم عند السراء يبطرون، وعند الشدة والرخاء لا يصبرون، فلا ينبغي ولا يجوز التشبه بهم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: وعلى كل تقدير فإنما يعني فرعون لعنه الله بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام، وقد كذب في قوله هذا كذبًا بينًا واضحًا، فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، ويعني بقوله: ﴿مَهِينٌ﴾ كما قال سفيان: حقير، وقال قتادة والسدي: يعني ضعيف، وقال ابن جرير: يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾، يعني: لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عيي حصر، قال السدي: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾: أي: لا يكاد يفهم، وقال قتادة والسدي وابن جرير: يعني: عيي اللسان، وقال سفيان: يعني في لسانه شيء من الجمرة حين وضعها في فمه وهو صغير، وهذا الذي قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد، وهو ما ينظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام بعين كافرة شقية، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الآية الكريمة: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾... بعض العقدة حلها الله، أعطاه الله سؤله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿مَهِينٌ﴾ كذب، بل هو المهين الحقير خلقة وخلقًا ودينًا.

الشيخ: يعني: فرعون بل هو المهين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد، وقوله: ﴿وَلَا

يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾: افتراء أيضًا، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله ﷻ أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦]، وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته، كما قاله الحسن البصري: وإنما سأل ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد، لا يعاب بها ولا يذم عليها، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته فإنهم كانوا جهلة أغبياء، وهكذا قوله: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ وهي ما يجعل في الأيدي من الحلي، قاله: ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة وغير واحد: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾؛ أي: يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه، نظر إلى الشكل الظاهر، ولم يفهم السر المعنوي الذي هو أظهر مما نظر إليه لو كان يفهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

مع ما أعطاه الله من الآيات الباهرات، لكنه الجهل والمكابرة، فقد أعطاه الله من الآيات ما هو فوق هذا بكثير، وما قيمة الأسورة من ذهب، وما قيمة الفصاحة، المنافقون أفصح الناس؛ لكن إنما هو المكابرة والعناد، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾؛ أي: استخف عقولهم، فدعاهم إلى الضلالة، فاستجابوا له، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ءَاسَفُونَا﴾: أسخطونا، وقال الضحاك عنه: أغضبونا، وهكذا قال ابن

عباس أيضًا، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة والسدي وغيرهم من المفسرين. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبيد الله ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي، حدثنا ابن لهيعة، عن عقبة بن مسلم التجيبي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لَهُ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ منه له**»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا جزاؤهم في الدنيا، لما آسفوا الله وأغضبوه هذا جزاؤهم أغرقهم وأهلكهم على ما هم فيه من قوة، وعظمة، وكثرة جند، قال الله لهم في لحظة واحدة: (موتوا) فماتوا بالغرق. وهذه سنته في أعدائه إذا استمروا في الطغيان والعدوان أهلكهم، يملي ولا يغفل، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]، فقد أملى لفرعون وقومه المدة الطويلة، وأملى لقوم نوح، وأملى لقوم هود، وأملى لقوم صالح، أملى لقوم لوط، وأملى لقوم شعيب، وأملى لغيرهم ثم يأخذهم بعد قيام الحجة عليهم، واستمرارهم في الطغيان.

وهكذا فرعون وقومه أملي لهم دهر طويل ثم أخذوا، أمر الله البحر فالتأم عليهم، لما خرج موسى وقومه من بني إسرائيل ودخل فرعون وقومه وصار أوائل آل فرعون عند قرب الخروج، وآخرهم قد دخلوا؛ انطبق عليهم البحر بأمر الله فهلكوا عن آخرهم، هذا جزاء من تعدى حدوده، وركب محارمه، وخالف رسله، الأجساد للغرق والأرواح للنار، ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، نسأل الله العافية، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٤٥).

﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦]، عبرة لمن يعتبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم تلا ﷺ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥﴾. وحدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، وحدثنا قيس بن الربيع، عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: كنت عند عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكر عنده موت الفجأة، فقال: تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر[1]، ثم قرأ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥﴾ وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وجدت النقمة مع الغفلة، يعني قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه الحذر، إذا رأيت الله يعطي العبد على المعاصي ما يحب فإنما هو استدراج، وإن كان السند ضعيفًا لكن المعنى عظيم، فإن الله هذه سنته في عباده إذا استمروا على الطغيان، واستمروا على العناد

---

(١) وهذا صحيح، موت الفجأة رحمة للمؤمن وغضب على الفاجر، موت الفجأة راحة للمؤمن، وأما الفاجر فنسأل الله العافية، حسرة عليه؛ لأنه أخذ على غير توبة ولا حول ولا قوة إلا بالله، فليحذر موت الفجأة، فكم من خارج لم يرجع إلى بيته! كم من خارج لم يرجع، دعسته السيارة، انقلبت السيارة، إلى غير هذا من الحوادث، أصابته سكتة، مات في السيارة، مات في الطريق، مات على فراشه، فليحذر، ليعد العدة من التوبة قبل أن يفجأه الأجل، الآجال بيد الله، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، فأنت لا تدري ماذا تكسب غدًا. والحزم أن تكون أبدًا على توبة وعلى استقامة وعلى حذر حتى إذا فجأ الأجل فإذا أنت على خير حالة، والناس يشاهدون ما يقع من موت الفجأة، فينبغي الاعتبار والحذر والعظة وعدم التساهل.

جاءتهم العقوبات. فالواجب على العاقل أن يحذر، وأن لا يغتر بإملاء الله له وستره عليه وهو مقيم على المعصية، ليحذر أن يفضحه مع العذاب يوم القيامة، ومع العذاب في القبر، ليحذر من إصراره على الزنا، على الخمر، على عقوق الوالدين، على قطيعة الرحم، على غير هذا من المعاصي، ليحذر، ولا يغتر بستر الله عليه، كون الله ستره ولم يفضحه لا يغتر بهذا، فليحذر فقد تنزل به العقوبة ويفضح مع العقوبة في الآخرة، ولكن الواجب البدار بالتوبة من معصيته، أي معصية كانت سواء كان عقوقًا لوالديه، أو لأحدهما، أو قطيعة رحم، أو شربًا لمسكر، أو تعاطيًا لشيء من الفواحش، الواجب الحذر والبدار بالتوبة، هذا هو الواجب، ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

فالواجب أن يحذر، وأن يبادر بالتوبة، وألا يصر على السيئة، يقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]. فالواجب على كل إنسان، ذكر أو أنثى، الواجب الحساب لنفسه والجهاد لها، وأن يحاسبها على ما فعلت، ينظر في أعماله: إن كان يتساهل بالصلاة بادر إليها، وسارع إليها في الجماعة، وأحضر قلبه فيها، واجتهد في الخشوع، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، فالصلاة هي عمود الإسلام من حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

فالواجب العناية بالصلاة على الرجال والنساء، هذه هي عمود

الإسلام، (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة)، أعظم الأركان وأهمها بعد الشهادتين هذه الصلاة، فالواجب أن يحاسب نفسه، فإذا كان عنده تثاقل عنها، أو تأخر عن صلاة الفجر أو العشاء أو غير ذلك من أنواع الضعف فليبادر بالتوبة والإقلاع وليحذر وليستقم على المحافظة عليها في الجماعة في كل وقت لعله ينجو لعله يسلم، ومن حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وهي أول شيء يحاسب عنه العبد، هذه الصلاة هي أول شيء يحاسب عنه العبد يوم القيامة من عمله، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر. ثم الزكاة يعتني بها، حق المال حق الفقراء، ليتق الله في ذلك وليؤد هذا الحق عن طيب نفس وإخلاص إلى أهله. وهكذا صوم رمضان كل ما أدرك رمضان صام، واعتنى وحفظ صيامه مما يجرحه من المعاصي وأكل الحرام، يصون صيامه ويعتني بحفظه من كل ما يجرحه من جميع المعاصي، وهكذا الحج إذا استطاع بادر بالحج، وهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم بذلك حسب طاقته بين أهله وبين إخوانه وبين المسلمين حسب الطاقة، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]. هكذا أعمال الإسلام كلها، بر والديه، صلة أرحامه، يحذر العقوق، يحذر القطيعة، يحذر إيذاء الجار، يحذر شر اللسان من غيبة ونميمة وسب وشتم وغير هذا، يكون محافظًا يحاسب نفسه وينظر في النقص حتى يزول، ينظر في النقص حتى يزول، إن كان نقص ببعض الواجبات كمل واعتنى، النقص من جهة بعض المعاصي تاب إلى الله منها وحذر، ومن أهم ذلك صحبة الأخيار، من أهم الأشياء صحبة الأخيار الطيبين، والحذر من صحبة الأشرار والله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦﴾، قال أبو مجلز: ﴿سَلَفٗا﴾ لمثل من عمل بعملهم، وقال هو ومجاهد: ﴿وَمَثَلٗا﴾؛ أي،

عبرة لمن بعدهم، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

سبحانه وتعالى، لا إله إلا هو، لا حول ولا قوة إلا بالله، يملي ولا يغفل، أملى لهم كثيرًا ثم أخذهم سبحانه أخذ عزيز مقتدر..

مداخلة: يا شيخ!.......... هل يجد بعض الشيء؟

الشيخ: يعني مثل ما... رحمة للمؤمن، حيث سلم من تعب الأمراض والمشقة.

مداخلة: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هل هو يؤمن بالملائكة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

مقتضى هذا أنه يعني إذا حضروا من السماء يدل على صحة ما قال، لا هو ما يؤمن بـ... لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر مكابر عناد، بس من أجل المكابرة.

مداخلة: حدثنا ابن أبي حاتم.

الشيخ: ماذا يقول حدثنا ابن أبي حاتم؟

مداخلة: قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبيد الله بدون أبي هو ذكر أبي؟

الشيخ: ماذا عندك أنت؟

مداخلة: وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب.

الشيخ: هذا الصواب: حدثنا أبي حدثنا عبيد الله، صلِّحوا على ما عندكم.

مداخلة: لعلها أبو عبيد الله.

الشيخ: حدثنا أبي ماذا بعده؟

مداخلة: حدثنا أبي حدثنا عبيد الله.

الشيخ: أعد ابن؟ مداخلة: ابن أخي ابن وهب، وحدثنا عمي.

الشيخ: يحتاج تأمل.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٦٥][(١)].

يقول تعالى مخبرًا عن تعنُّت قريش في كفرهم وتعمُّدهم العناد والجدل، ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾، قال غير واحد عن ابن عباس ومجاهد، وعكرمة، والسدي، والضحاك: يضحكون، أي أعجبوا بذلك، وقال قتادة: يجزعون ويضحكون، وقال إبراهيم النخعي: يعرضون، وكأن السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة، حيث قال: وجلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يومًا مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ، حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] الآيات، ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل عبد الله بن الزبعرى التميمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد، وقد زعم محمد أنَّا وما نعبد من آلهتنا هذه، حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته، سلوا محمدًا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرًا، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: من عبد المؤمنين من الملائكة والرسل فمعبوده الشيطان؛ لأنهم لا يرضون بذلك الملائكة لا ترضى والرسل لا يرضون، وعيسى لا يرضى، وعزير لا يرضى، فالمقصود: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ممن يرضى بعبادته، كفرعون والنمرود وغيرهم، وهكذا الأصنام والأشجار والأحجار، أما من لا يرضى فهو بريء منهم وإنما عبدوا الشيطان الذي دعا إلى ذلك وزين ذلك هو المعبود، أما الملائكة والرسل وعيسى وعزير وغيرهم من الصالحين، ليسوا مع من عبدهم، بل هم براء منهم، ولهذا قال بعده ﷻ في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ليسوا داخلين في هذا إنما يدخل في هذا من عبدوه وهو راضي، كفرعون والنمرود وغيرهم ممن يعبد وهو راضي، وهكذا الأصنام المعبودة والأشجار والأحجار.

مداخلة: عفا الله عنك! عبد الله بن زبعرى التميمي أو التيمي؟

الشيخ: ما أدري. . . . . . ما أعرفه، ماذا عندكم؟

مداخلة: التميمي.

الشيخ: التميمي ما أعرفه، انظر له ذكر في التقريب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا: أن قوله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] يعني: المعبودون الراضون بذلك، والأصنام وأشباهها هم الذين معهم في جهنم. أما من لا يرضى بذلك ـ كالملائكة، والمسيح وأمه وزيد وأشباه ذلك ـ فليسوا معهم، إنما المراد بالآية: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، يعني: الأصنام المعبودة من دون الله، وهكذا كل من رضي بذلك من يعبد ممن دون الله يكون مع عابده في جهنم، أما من لا يرضى بذلك فهو بريء من هذا الشيء، كعيسى وأمه، والملائكة، والأنبياء، وغيرهم من الصالحين المعبودين من دون الله، هم لا يرضون بذلك ليسوا معهم في جهنم، بل هم ناجون سالمون، وإنما البلاء على من عبدهم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأحبار والرهبان، الذين مضوا على طاعة الله ﷻ، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون الله، ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة، وأنهم بنات الله ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]

الآيات، ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنه يعبد من دون الله، وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته، ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾؛ أي: يصدون عن أمرك بذلك من قوله، ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ أي: ما وضع على يديه من الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام فكفى به دليلًا على علم الساعة، يقول: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾.

وذكر ابن جرير من رواية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ قال: يعني قريشًا، لما قيل لهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] إلى آخر الآيات، فقالت له قريش: فما ابن مريم؟ قال: ذاك عبد الله ورسوله، فقالوا: والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه ربًّا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربًّا.

فقال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾، وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا شيبان، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي رزين، عن أبي يحيى مولى ابن عقيل الأنصاري قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط، ولا أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها، أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها، قال: ثم طفق يحدثنا، فلما قام تلاومنا، أن لا نكون سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غدًا، فلما راح الغد قلت: يا ابن العباس ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط، فلا تدري أعلمها

الناس، أم لم يفطنوا لها، فقلت: أخبرني عنها، وعن اللاتي قرأت قبلها، قال ﷺ: نعم إن رسول الله ﷺ قال لقريش: يا معشر قريش! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير، وقد علمت قريش أنا النصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، وما تقول في محمد؟ فقالوا: يا محمد ألست تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيًّا وعبدًا من عباد الله صالحًا، فإن كنت صادقًا كان آلهتهم كما تقولون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كان آلهتهم كل النسخ....... أو كان (من آلهتهم) ما عندكم: (من آلهتهم) ما في: من... آلهتهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ضعها يقولون (كما يقولون) هم النصارى، قد يكون (تقولون) يعني: من باب التعظيم (تقولون كما تقول يا محمد).... من باب التعظيم يخاطب الواحد..... أو كما يقولون هم النصارى يعني المقصود أن آلهتهم التي يعبدونها مريم وعيسى وغيرهم كمن عبده النصارى من الصالحين والأنبياء هم براء مما فعله المشركون وليسوا منهم في شيء بل يبرءوا إلى الله منهم، فالرسل وكل معبود من دون الله من الأخيار بريء ممن عبده. والمراد: بقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ يعني: الذين يرضون بعبادتهم، أو من الجمادات كالأصنام ونحوها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قلت: ما يصدُّون؟ قال: يضحكون، ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: قال: هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

قرئ (علم) وقرئ: (علَم) قراءتان عِلم وعَلَم... ينزل في آخر الزمان فيقتل الدجال، وذلك من أشراط الساعة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي، حدثنا آدم، حدثنا شيبان، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي أحمد مولى الأنصار، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: يا معشر قريش! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير، فقالوا له: ألست تزعم أن عيسى كان نبيًّا وعبدًا من عباد الله صالحًا، فقد كان يعبد من دون الله، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ قالت قريش: إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى عليه السلام، ونحو هذا قال قتادة. وقوله: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ قال قتادة: يقولون: آلهتنا خير منه. وقال قتادة: قرأ ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هذا﴾ يعنون محمدًا ﷺ. وقوله تبارك وتعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾؛ أي: مراء، وهم يعلمون أنه ليس بوارد على الآية؛ لأنها لما لا يعقل، وهي قوله تعالى].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا في عرف اللغة، لغة العرب (ما) لما لا يعقل و(من) والله قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ وعيسى ليس داخلًا في هذا؛ لأنه ممن يعقل والمراد به الأصنام وأشباهها، وهكذا من يرضى بذلك، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ثم هي خطاب لقريش، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد ولم يكونوا

يعبدون المسيح حتى يوردوه، فتعين أن مقالتهم إنما كانت جدلًا منهم ليسوا يعتقدون صحتها، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا ابن نمير، حدثنا حجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أورثوا الجدل، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾. وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير من حديث حجاج بن دينار به، ثم قال الترمذي: حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديثه، كذا قال. وقد روي من وجه آخر عن أبي أمامة ﵁ بزيادة، فقال ابن أبي حاتم: حدثنا حميد بن عياش الرملي، حدثنا مؤمل، حدثنا حماد، أخبرنا ابن مخزوم، عن القاسم بن أبي عبد الرحمٰن السامي.

الشيخ: عن القاسم أبي عبد الرحمٰن.

مداخلة: عن القاسم أبي عبد الرحمٰن.

الشيخ: القاسم أبي عبد الرحمٰن لأنه هو يقال له: القاسم أبي عبد الرحمٰن ويقال له:

القاسم أبو عبد الرحمٰن ما يقال له: ابن أبي عبد الرحمٰن، (ابن زائدة) غلط وإلا (أبي) غلط واحدة منهم غلط، يقال له: ابن عبد الرحمٰن، ويقال له: القاسم أبي عبد الرحمٰن كلاهما صحيح جمعها الكاتب خطأً.

قال الحافظ ابن كثير ﵀:

قال حماد: لا أدري رفعه أم لا، قال: ما ضلت أمة بعد نبيها إلا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾. وقال ابن جرير أيضًا: حدثنا أبو كريب، حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن عن عبادة بن عباد عن جعفر عن القاسم، عن أبي أمامة ﵁ قال: (إن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضبًا

شديدًا حتى كأنما صُبَّ على وجهه الخل، ثم قال ﷺ: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإنه ما ضل قوم قط إلا أوتوا الجدل، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

الشيخ: الذي عندك أنت: حدثنا السند.

القاري: نعم حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن عن عبادة بن عباد عن جعفر عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال.

الشيخ: عندك عبادة بن عباد فيه شيء في عبادة... عندك عبادة.

مداخلة: عبادة بن عباد ما فيه.

الشيخ: لا يوجد ابحثها اشطب على الهاء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾، يعني: عيسى عليه الصلاة والسلام، ما هو إلا عبد من عباد الله عز وجل أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة، ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾؛ أي: دلالة وحجة وبرهانًا على قدرتنا على ما نشاء، وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾؛ أي: بدلكم: ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ قال السدي: يخلفونكم فيها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: يخلف بعضهم بعضًا، كما يخلف بعضكم بعضا، وهذا القول يستلزم الأول، وقال مجاهد: يعمرون الأرض بدلكم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك من الأسقام، وفي هذا نظر، وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري، وسعيد بن جبير، أن الضمير في، وإنه عائد على القرآن، بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك

نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى، ﴿وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة.

قال مجاهد: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ أي: آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة، وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك وغيرهم، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ، أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا وحكمًا مقسطًا. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾؛ أي: لا تشكوا في أنها واقعة وكائنة لا محالة، ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾؛ أي: فيما أخبركم به ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، أي: عن اتباع الحق، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾؛ أي: بالنبوة ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾، قال ابن جرير: يعني: من الأمور الدينية لا الدنيوية، وهذا الذي قاله حسن جيد، ثم رد قول: من زعم أن ﴿بَعْضَ﴾ هاهنا بمعنى (كل)، واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال:

تـزال أمكـنـة إذا لـم أرضـهـا ... أو يتعلق بعض النفوس حِمامها

وأوّلوه على أنه أراد جميع النفوس.

قال ابن جرير: وإنما أراد نفسه فقط، وعبَّر بالبعض عنها، وهذا الذي قاله محتمل، وقوله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: فيما أمركم به، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما جئتكم به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾؛ أي: أنا وأنتم عبيد له فقراء إليه، مشتركون في عبادته وحده لا شريك له، ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ أي: هذا الذي جئتكم

به هو الصراط المستقيم، وهو عبادة الرب ﷻ وحده، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾؛ أي: اختلفت الفرق، وصاروا شيعًا فيه، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله، وهو الحق، ومنهم من يدعي أنه ولد الله، ومنهم من يقول: إنه الله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، ولهذا قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وظلمهم شركهم به، الظلم: الشرك... قالوا: إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة أو أنه الله هم الظالمون، ومن قال: إنه عبد الله ورسوله، فهو المهتدي، نسأل الله العافية، ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ ظاهر السياق الضحك، يعني: أنهم سوف ينتصروا على محمد؛ لأن عيسى ليس من أهل النار، والرسول قال: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ ذكر عن الله أنه قال: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أو يصيحون ضحكًا ولعبًا وانتصارًا، وهو يحتمل ﴿يَصِدُّونَ﴾ يعرضون، يقرأ بالصاد بضم الدال وكسرها ﴿يَصُدُّونَ﴾، و(يصدون) يعني: يعرضون عن الحق، لما قيل لهم: إن عيسى عبد الله ورسوله، فليس من هؤلاء؛ لأنهم يعرضون عن قبول الحق، فهذا محتمل، يحتمل هذا وهذا، كله واقع منهم، فالإعراض واقع، والضحك واللعب واقع، كله واقع منهم، صدهم من اللعب والإعراض بزعمهم أنهم منتصرون، وأن عيسى ليس من أهل النار، والإعراض بمعنى أنهم لم يقبلوا الحق لما بيِّن لهم، وأن عيسى عبد الله ورسوله، ليس داخلًا في هذا، كله واقع من المشركين، صدهم بمعنى: الإعراض، وصدهم بمعنى: الصياح والضحك واللعب، كله واقع.

والحق مثلما بيَّن ربنا ﷻ أنه عبد الله ورسوله، واختلافهم لجهلهم وضلالهم، فليس هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة، ولكنه عبد الله

ورسوله، هذا هو الحق، وهذا هو صراط الله المستقيم، وهو دين الله الذي لا ريب فيه، وأنه هو سبحانه هو الحق، هو الإله الحق، ومن سواه عبد مخلوق من الرسل وغيرهم، والإله الحق هو الله وحده دون كل ما سواه، ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يونس: ٣٢]، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طـه: ٩٨]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٦ ـ ٧٣][1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اللهم اجعلنا منهم.. اجعلنا وإياكم منهم... اللهم اجعلنا منهم الله أكبر نعم، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[يقول تعالى: هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل ﴿إِلَّا

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾؛ أي: فإنها كائنة لا محالة وواقعة، وهؤلاء غافلون عنها، غير مستعدين].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا تحذير للأمة من الغفلة والإعراض، فإن الساعة آتية ولا بد منها، وهؤلاء المكذبون إنما ينتظرونها وسوف تقوم ويندمون غاية الندامة، وسوف تجزى كل نفس بما كسبت، وسوف يساقون إلى النار كما فرطوا. فالواجب على العاقل أن ينتبه وأن يعد العدة قبل فوات الفرصة ما دام في دار العمل، وليحذر أن يغتر بالمُعرِضين والسفهاء والمستكبرين، ليحذر، ليأخذ بالحيطة، لا يغتر بأولئك المجرمين، لو كان الإنسان بين أمرين أحدهما رابح والآخر ناجح في الدنيا لكان أولى به أن يلتمس أسباب النجاح في أمور الدنيا بدلًا من أسباب الخسارة؛ فكيف بالنجاح الذي ليس فوقه نجاح؟! وكيف بالخسران الذي ليس بعده خسران؟! ألا يتقي؟! ألا يحذر؟! ألا يحاسب نفسه؟! حتى يعرف الحق وحتى يسير مع أهله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾. فالساعة آتية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. فالأمر واقع وإن لم تعرف متى يقع، فهو واقع وحتم ويقين، ثم يندم المجرمون غاية الندامة، ويندم المفرطون غاية الندامة، ويندم المعرضون غاية الندامة، ويفرح المؤمنون غاية الفرح والسرور بما وفَّقهم الله له من الاستعداد والاستقامة والأخذ بالحيطة..

فهم غافلون بل مكذبون، ما كفى الغفلة بل كذبوا وأنكروا، نسأل الله العافية؛ ولهذا استمروا في طغيانهم؛ لأنهم آمنون من أن هناك بعثًا ونشورًا وجزاءً وحسابًا، غرَّهم الغرور حتى هلكوا، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإذا جاءت: إنما تجيء وهم لا يشعرون بها، فحينئذ يندمون كل الندم، حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾؛ أي: كل صداقة وصحابة لغير الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله عَزَّوَجَلَّ، فإنه دائم بدوامه، وهذا كما قال إبراهيم: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هكذا الخلة والصحبة على غير الحق تكون عداوة يوم القيامة، الأخلاء اللي يتعاونوا على الباطل وعلى مخالفة الرسل العاقبة أنها تكون عداوة يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا؛ لأنهم تعاونوا على الباطل وعلى أسباب الهلاك، فيوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا وتكون هذه المحبة عداوة؛ لأنها سببت لهم الهلاك ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ الأخلاء: الأحباء ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ إلا خلة المتقين ومحبة المتقين فهي الرابحة والناجحة في الدنيا والآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عبد الرزاق: أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنين وبُشِّر بالجنة فذكر خليله فقال: اللهم إن فلانًا خليلي، كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، وينبئني أني ملاقيك، اللهم فلا تضله

بعدي حتى تريه مثلما أريتني، وترضى عنه كما رضيت عني، فيقال له: اذهب فلو تعلم ما له عندي لضحكت كثيرًا وبكيت قليلًا، قال: ثم يموت الآخر، فتجتمع أرواحهما، فيقال: ليثن أحدكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: نِعم الأخ، ونعم الصاحب، ونعم الخليل، وإذا مات أحد الكافرين وبشِّر بالنار ذكر خليله، فيقول: اللهم إن خليلي فلانًا كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثلما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت علي.

قال: فيموت الكافر الآخر، فيجمع بين أرواحهما فيقال: ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: بئس الأخ، وبئس الصاحب، وبئس الخليل. رواه ابن أبي حاتم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسأل الله العافية، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، نسأل الله العافية، نعم، هكذا العاقبة الوخيمة، لما كانت في غير الله، يتعاونوا على الإثم والعدوان على المعاصي والكفر، صاروا في غاية من الندامة والسب لبعضهم البعض، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد وقتادة: صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الخَلة: الخصلة، والخُلة: المحبة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن أحمد، عن هشام بن عبد الله بن كثير، حدثنا أبو جعفر محمد بن الخضر بالرقة عن معافى،

حدثنا حكيم بن نافع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رجلين تحابَّا في الله، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة، يقول: هذا الذي أحببته فيَّ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

في الحديث الصحيح، يقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»(١).

الله يجعلنا وإياكم منهم. ويقول ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» خرجه الشيخان في الصَّحيحين رحمة الله عليهما(٢). الله المستعان.

مداخلة: أحسن الله إليك! . . . . . المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**المرء مع من أحب**».

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

صحيح هذا، صحيح ثابت: «**المرء مع من أحب**»، و«**المرء على دين خليله**» كله صحيح، ولهذا قال أنس لما سمع الحديث قال: (اللَّهم إني أحب الله ورسوله فاجعلني مع رسول الله)، وقال: (اللَّهم إني أحب رسول الله وأحب أبا بكر وعمر فاجعلني معهم) الله المستعان، الله أكبر.

---

(١) سبق تخريجه (٣/ ٥٤٤).

(٢) سبق تخريجه (٣/ ٥٤٤).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾، ثم بشرهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود من هذا: أن الواجب على المؤمنين التعاون بالبر والتقوى، والتواصي بالحق، هكذا شأن الأخلاء، من أهل الإيمان، يتناصحون ويتواصون بالحق، حتى ينفع هذا هذا وهذا هذا، فالإنسان قد يغفل، قد يبتلى بجليس سوء، قد يبتلى بمعصية يقع فيها، فإذا أرشده أخوه ونصحه، تنبه بتوفيق الله وارتدع، فلا ينبغي للمؤمن أن يتساهل في هذا الأمر يقول الله سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، ويقول تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول النبي ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» هكذا المؤمن يلاحظ إخوانه وأحبابه وأهل بيته وزملاءه، وغيرهم بالنصيحة والوصية، والتوجيه إلى الخير بالرفق، وانتهاز الفرص وتحري الأوقات المناسبة والكلام الطيب والأسلوب الحسن، يرجو ما عند الله من المثوبة.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! هنالك رجل تقي يحب عاص، هل يعتبر آثم مثله؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فيه تفصيل هذا، المحبة هذه قد تكون لها أسباب إن كان يحبه لأجل المعصية فقد رضي بالمعصية وإن كان يحبه لقرابة أو لأنه جواد سخي ينفق ويحسن أو لأسباب أخرى فهذا حب خاص، ليس محبة عامة، فالواجب أن يبغضه لله وأن يحبه على قدر ما عنده من الخير، والقلب يتحمل هذا

وهذا، يتبعض يكون فيه حب من وجه وبغض من وجه، فإن كان كافرًا أبغضه كل البغض وإن كان عاصيًا أبغضه من جهة المعصية، وأحبه من جهة ما فيه من الإيمان والخير والهدى والأعمال الطيبة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بشرهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾؛ أي: آمنت قلوبهم وبواطنهم، وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم.

قال المعتمر بن سليمان عن أبيه: إذا كان يوم القيامة، فإن الناس حين يبعثون لا يبقى أحد منهم إلا فزع، فينادي منادٍ: ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾، فيرجوها الناس كلهم، قال: فيتبعها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾، قال: فييأس الناس منها غير المؤمنين، ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ أي: يقال لهم: ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾؛ أي: نظراؤكم، ﴿تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾؛ أي: تتنعمون وتسعدون، وقد تقدم تفسيرها في سورة الروم. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾؛ أي: زبادي آنية الطعام ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ وهي آنية الشراب، أي من ذهبٍ لا خراطيم لها ولا عرى، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾، وقرأ بعضهم: ﴿تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ﴾ ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾؛ أي: طيب الطعام والريح وحسن المنظر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مثل ما في الآية الأخرى ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ يعني أشباههم ونظراءهم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، أخبرني إسماعيل بن أبي سعيد، قال إن عكرمة مولى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهلِ الجنة منزلةً، وأسفلهم درجة، لَرجل لا يدخل الجنة بعده أحد، يُفسح له في بصره مسيرة مائة عام، في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ، ليس فيها موضع شبر إلا معمور، يُغدى عليه ويراح بسبعين ألف صحفة**

من ذهب، ليس فيها صحفة إلا فيها لون ليس في الأخرى مثله، شهوته في آخرها كشهوته في أولها، لو نزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطي، لا ينقص ذلك مما أوتي شيئًا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا مرسل وما في القرآن كافي، أقول: هذا مرسل وما في القرآن لهم فيها ما يطلبون ولهم ما يشتهون. ما في القرآن كاف من البيان والإيضاح ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾، ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٥، ٥٧] يعني ما يطلبون، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]، الله أكبر، الله يجعلنا وإياكم منهم اللهم آمين، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا عمرو بن سواد السرحي، حدثني عبد الله بن وهب، عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن أبا أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدث، أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر الجنة فقال: **«والذي نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم اللقمة، فيجعلها في فيه، ثم يخطر على باله طعام آخر، فيتحول الطعام الذي في فيه على الذي اشتهى، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾»**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله يجعلنا وإياكم منهم، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، الله أكبر.

الشيخ: اشطب (أبو) اشطبها الأشعث، أبو غلط.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنين وبُشِّر بالجنة].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، هذا ضعيف، هذا الحديث ضعيف الحارث الأعور هذا ليس بشيء يروي عن علي ضعيف؛ لأن: الحارث هذا ساقط، ثم لو صح فهو قد يقال: في حكم الرفع، وقد يقال: تلقاه عن بني إسرائيل، محتمل قد يكون تلقي من بني إسرائيل؛ لكن مثل ما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مصداقه الآية، كل واحد يتبرأ من الآخر ويسبه نسأل الله العافية بئست العاقبة الله أكبر.

مداخلة: علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن تلقى عن بني إسرائيل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الظاهر أنه قد يروي بعض الإسرائيليات، ما عندي فيه يقين لكن غالب ظني إنه ممن يحكي عنهم مثل ابن عباس وعبد الله بن عمرو وآخرون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن هو ابن موسى، حدثنا سُكين بن عبد العزيز، حدثنا الأشعث الضرير، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة من له لسبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة، وأن له ثلاثمائة خادم، ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة، ولا أعلمه إلا قال: من ذهب، في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وأنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشربة**

ثلاثمائة إناء، في كل إناء لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم، لم ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وأن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أعد السند. شهر فيه ضعف له أوهام، ويكفي ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾.

مداخلة: يكون الحديث ضعيف من ضعف...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عند ماذا بعد عن شهر

القاري: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يكفي فيه ضعف. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾. الله المستعان، ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧] الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا﴾؛ أي: في الجنة، ﴿خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾؛ أي: لا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولًا.

ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾؛ أي: أعمالكم الصالحة كانت سببًا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحدًا عمله الجنة؛ ولكن برحمة الله وفضله، وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الفضل بن شاذان المقري، حدثنا يوسف بن يعقوب، يعني: الصفار، حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: كل أهل

النار يرى منزله من الجنة حسرة، فيكون له، فيقول: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]، وكل أهل الجنة يرى منزله من النار: فيقول ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فيكون له شكرًا، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فالكافر يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة، وذلك قوله تعالى**: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: من جميع الأنواع، ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: مهما اخترتم وأردتم، ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة، لتتم النعمة والغبطة، والله تعالى أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اللَّهم يجعلنا وإياكم من أهلها، نعيم متنوع، وخير كثير، وخلود دائم في جوار رب كريم، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، الله أكبر هذا هو الفضل العظيم وهذه هي العاقبة الحميدة، نسأل الله التوفيق والهداية..

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧][1].

هذه الآية الكريمة فيها الحث على اتخاذ الوزراء الطيبين والأعوان الأخيار؛ لأنهم يعينون على الخير ويُذكِّرون به، وفيهما مع الآية التحذير من اتخاذ الوزراء الأشرار والأعوان الذين لا يظن فيهم الخير، ولا يرجى منهم الخير.

يقول الله ﷻ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٤٩٩).

[الزخرف: ٦٧] الأخلاء: هم الأحباء والأصدقاء يوم القيامة، تكون بينهم عداوة وبغضاء إلا المتقين، إلا من كانت خُلته لله وفي الله، هؤلاء أحباء في الدنيا وفي الآخرة، ولهم عند الله أجر عظيم، كما قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. فالأولياء المتحابون في الله المتعاونون على البر والتقوى لهم البشرى في الدنيا وفي الآخرة، وهم أهل التقوى والإيمان، بخلاف الأخلاء على المعاصي والدنيا، هؤلاء ترجع خلتهم إلى عداوة وبغضاء يوم القيامة.

وجاء في حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما الدلالة على أنه ينبغي للمؤمن الوالي أن يتخذ الوزراء الطيبين والأعوان الطيبين، يقول ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ**»[1]، في اللفظ الآخر: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ**» يعني: وزير خير، وزير هدى، وزير صلاح، «**إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ**» إن نسي الخير ذكره به، وإن ذكره أعانه عليه؛ كإنصاف المظلوم وردع الظالم، ومواساة الفقير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من وجوه الخير، «**وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ**». وهذا يوجب على الوالي أن يتحرى الأخيار، وأن يتخذ من يعتقد فيهم الخير والصلاح، وأنهم يعينونه على الخير ويذكرونه به، وتوجب له أن يحذر بطانة السوء وعون السوء؛ لأنهم إن ذكر لم يعينوه، وإن نسي لم يذكروه؛ لخبثهم وفساد عقائدهم، وهذا من النصح لله ولعباده، أن يتخذ الوزراء الطيبين، سواءٌ

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته برقم (٧١٩٨).

كنت أميرًا، أو ملكًا، أو رئيس جمهورية، أو قاضيًا، أو غير ذلك، يحرص على صحبة الأخيار، واتخاذ البطانة الطيبة المعروفة بالخير والاستقامة، حتى تُعينه على الخير وتذكِّره، ويحذِّر دعاة السوء وأصحاب الشر؛ لأنهم إن ذكر لم يعينوه، وإن نسي لم يذكِّروه؛ ولأنهم أيضًا يدعونهم إلى الباطل ويجرونهم إلى الباطل ويثبِّطونهم عن الحق.

* *

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٨٠][1].

لما ذكر تعالى حال السُّعداء ثنَّى بذكر الأشقياء، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه سُنَّته سبحانه، يذكر الفريقين ترغيبًا وترهيبًا في مواضع كثيرة من كتاب الله ﷻ، ليرغب المؤمن في الثبات على الحق وليدعى غيره إلى الثبات على الحق وليحذر المكلف والمؤمن وغيره من الشر وأهله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦] بعد ما ذكر أهل النار، وقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. وقال

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، وهكذا يذكر هؤلاء وهؤلاء، تحريضًا للمؤمنين على الثبات والاستقامة، وتحذيرًا لغيرهم من البلاء والبقاء على الباطل، والحذر مما هم فيه من الباطل والله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: ساعة واحدة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمجرم هو الذي يتعاطى الإجرام من الكفر والمعاصي، أعظم الإجرام الكفر بالله، ودون ذلك بقية المعاصي كلها جرائم، الزنا جريمة، والسرقة جريمة، والعقوق جريمة، وشرب الخمر جريمة وهكذا؛ لكن أعظم الإجرام: هو الشرك الأكبر: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾، يعني: الكفرة المراد هنا الكفار، نسأل الله العافية، ضد المؤمنين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾؛ أي: آيسون من كل خير ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦﴾؛ أي بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾، وهو خازن النار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا وصف الكفرة العاصي ليس بآيس؛ لكن الكافر هو الآيس، ليس له إلا نار أبد الآباد، نسأل الله العافية. كما قال جَلَّ في كتابه العظيم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ويقول سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾

[الإسراء: ٩٧]، ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني الله بلَّغهم وأنذرهم وأمرهم ونهاهم وأرسل الرسل فما ظلمهم، وأعطاهم العقول والاختيارات والإرادة، فأقدموا على الباطل، وآثروا الهوى والشيطان، أهل الشقاء أهل الشرك بالله والكفر بالله، إذا أُطلقوا هم أهل الشرك بالله، ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾، وأعظم الإجرام الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ والظلم، وإن كانت المعاصي إجرام، لكن أعظم الإجرام وأهمه وأكبره الشرك بالله والكفر به سُبْحَانَهُ، أما المجرم الإجرام الذي هو دون الشرك فهذا تحت مشيئة الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، إذا مات ولم يتب. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال البخاري حجاج بن منهال، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمر بن عطاء، عن صفوان بن يعلى، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؛ أي: يقبض أرواحنا، فيريحنا مما نحن فيه، فإنهم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١١ ـ ١٣]، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يتمنون الموت يطلبون الموت لما هم فيه من العذاب،

نسأل الله العافية والسلامة، يطلبون أن يموتوا في النار حتى يستريحوا من هذا العذاب، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ يعني يمتنا، قال: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾، نسأل الله العافية، نعم، لا حول ولا قوة إلا بالله ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، نسأل الله العافية.

مداخلة: الصواب عمرو بن عطاء وإلا عمر بن عطاء.

الشيخ: ماذا عندك أنت، السند عمرو بن عطاء وإلا عمر بن عطاء؟

مداخلة: عندي عمرو عندنا عن عمرو.

الشيخ: عندكم عمرو؟

مداخلة: عن عمرو.

الشيخ: غالب ظني إنها عمرو أقول: غالب ظني أنها بواو، شوف التقريب حدثنا أيش.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال البخاري حدثنا: حجاج بن منهال، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمر بن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؛ أي: ليقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه، فإنهم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. وقال: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١١ - ١٣]، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك، ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

الشيخ: انظر التقريب أو الخلاصة كله واحد.

مداخلة: عمر بن عطاء.

الشيخ: عمر بالواو فيها الواو.

مداخلة: نعم.. أحسن الله إليك قال! عمر بن عطاء بن أبي الخوار بضم المعجمة المكي عن ابن عباس ونافع بن جبير وعمرو بن

جريج وإسماعيل بن أمية وثقه ابن معين أشار رمز له مسلم وأبو داود.

مداخلة: عمر بن عطاء بن وراز بفتح الواو المهملة الثقيلة آخره زاي حجازي عن سالم أبي الغيث وعنه ابن جريج قال أحمد: ليس بقوي.

مداخلة: عمر بن عطاء بن أبي الخوار بضم المعجمة وتخفيف الواو، المكي، مولى بني عامر، ثقة، من الرابعة، مسلم وأبو داود عمر بن عطاء بن وراز بفتح الواو والراء الخفيفة، آخره زاي، حجازي ضعيف، من السادسة. . . . .

الشيخ: هذا عمر على ما عندك، أقول: على ما عندك.

مداخلة: . . . .

الشيخ: عمر من عمر بن عطاء.

مداخلة: شيخ لعلها عمرو عن عطاء.

الشيخ: يقول رواه البخاري.

مداخلة: إي نعم يا شيخ.

الشيخ: ماذا عندك؟

القاري: قال البخاري حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمر بن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه.

الشيخ: رمز له بـمسلم.

مداخلة: نعم.

الشيخ: لعلها عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح أو عطاء بن يزيد محتمل أنتم عندكم عمرو بالواو، ولا عندكم ابن؟

مداخلة: إي نعم.

الشيخ: عن عمرو عن عطاء.

مداخلة: عن عمرو بن عطاء.

الشيخ: الظاهر أنها عن عطاء، عمرو عن عطاء حط عليه إشارة

يراجع البخاري الظاهر أنها عمرو يعني عمرو بن دينار، الخلاصة والتقريب كلهم. . . مسلم.

مداخلة: نعم.

الشيخ: هو الأقرب أنها عمرو بن دينار.

مداخلة: . . . في ترجمة عمرو بن دينار.

الشيخ: نعم الخلاصة؟

مداخلة: نعم الخلاصة.

الشيخ: إيه.

مداخلة: قال: عمرو بن دينار الجمحي مولاهم أبو محمد. . . . . عن العبادلة وكريب ومجاهد وخلق وعنه قتادة. . . وشعبة. . .

الشيخ: مشهور أقول: مشهور. . .، والأقرب أنه هو ساقطة (عن) بدل (ابن) (عن) تصحفت (عن) إلى (ابن) التصحيف هذا كثير في (عن) و(ابن) كثير.

مداخلة: في البخاري ـ أحسن الله إليك ـ يقول: ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، قال: حدثنا حجاج بن منهال، قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو، عن عطاء، عن صفوان بن يعلى عن أبيه.

الشيخ: فقط هذا هو صلحوه عن عطاء. . . (ابن) خطأ عن عطاء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن عباس: مكث ألف سنة، ثم قال: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ رواه ابن أبي حاتم، أي: لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها، ثم ذكر سبب شقوتهم، وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له، فقال: ﴿لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بيناه لكم، ووضحناه وفسرناه، ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾، أي: ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه،

وإنما تنقاد للباطل وتعظِّمه وتصد عن الحق وتأباه، وتبغض أهله، فعودوا على أنفسكم بالملامة، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة. ثم قال تبارك وتعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾، قال مجاهد: أرادوا كيد شر فكدناهم، وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠] وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في ردَّ الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه، فكادهم الله تعالى، ورد وبال ذلك عليهم، ولهذا قال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾، أي: سرهم وعلانيتهم، ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾؛ أي: نحن نعلم ما هم عليه، والملائكة يكتبون أيضًا أعمالهم صغيرها وكبيرها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نسأل الله العافية، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ الآية [الزخرف: ٧٧][1].

حدّثنا حجّاج بن منهالٍ، حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرٍو، عن عطاءٍ عن صفوان بن يعلى، عن أبيه، قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[2].

وقال قتادة: (مثلًا للآخرين) [٥٦]: عظةً لمن بعدهم، وقال غيره: ﴿مُقْرِنِينَ﴾ [١٣]: ضابطين، يقال: فلانٌ مقرنٌ لفلانٍ: ضابطٌ له،

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث صفوان بن يعلى عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ برقم (٤٨١٩)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (٨٧١).

والأكواب: الأباريق الّتي لا خراطيم لها، وقال قتادة: ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [٤]: جملة الكتاب، أصل الكتاب، ﴿أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١﴾ [٨١]: أي: ما كان فأنا أوّل الآنفين، وهما لغتان: رجلٌ عابدٌ، وعبدٌ، وقرأ عبد الله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠]: ويقال: أوّل العابدين الجاحدين، من عبد يعبد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا حول ولا قوّة إلّا بالله، نسأل الله العافية؛ يعني: ليمتنا؛ يعني: ليمتنا من شدّة العذاب ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧، ٧٨] هذا الجزاء ـ نسأل الله العافية ـ يَتمَنَّونَ المَوتَ وَلَيْسَ بِحَاصلٍ، ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧]، ردّ عليهم بقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]؛ يعني: ليس لكم من ينصركم في إخراجكم من النار، بل أنتم فيها أبد الآباد ـ نسأل الله العافية ـ ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٧] نسأل الله العافية.

هذه النّار، هذا في حقّ الكفرة، أمّا العصاة يخرجون، من دخلها من العصاة لهم أمدٌ، ثمّ يخرجهم الله منها إلى الجنّة، من مات على التّوحيد والإيمان، لكن من مات على معاصٍ لم يتب منها ولم يعف عنها دخل النّار، يعذّب فيها على قدر معاصيه، ثمّ يخرجه الله من النّار، خلافًا للمعتزلة والخوارج.

فإنّ الخوارج والمعتزلة يقولون: من دخلها يخلّد فيها ولا يخرج،

وهذا من جهلهم وضلالهم، إنّما يخلّد الكفرة، أمّا العاصي - كالزّاني، والسّارق، والعاقّ لوالديه ونحو ذلك ممّن دخل النّار بشيءٍ من المعاصي - فإنّه يعذّب فيها ما شاء الله، ثمّ يخرجه الله من النّار، بعضهم بشفاعة الشّفعاء كنبيّنا محمّدٍ ﷺ، وبعضهم بمجرّد رحمته ﷻ، إذا مضى أجلهم فيها ومدّتهم فيها أخرجهم الله من النّار، ويلقون في نهر الحياة؛ فينبتون كما تنبت الحبّة في حميل السّيل.

كلّ من كان كافرًا يخلّد في النّار، سواءٌ كان وثنيًّا أو شيوعيًّا، أو يهوديًّا، أو نصرانيًّا، أو غير ذلك، كلّ من لم يؤمن بمحمّدٍ ﷺ، أو لم يقبل التّوحيد مخلّدٌ في النّار، من مات على الكفر بجميع أنواع الكفر الأكبر يعني، نسأل الله العافية.

قوله: (**مُقْرِنِينَ ضَابِطِينَ**): ضابطين أو مطيقين، المعنى متقاربٌ، إمّا مطيقين أو ضابطين، أو مستطيعين، المعنى متقاربٌ، قد سبق، نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ماذا قال على (العابدين)؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٥٦٧)]: «قوله: ﴿أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ۝٨١﴾؛ أي: ما كان فأنا أوّل الآنفين، وهما لغتان: رجلٌ عابدٌ، وعبدٌ. وأخرج الطّبريّ من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ قال: يقول: لم يكن للرّحمن ولدٌ. ومن طريق سعيدٍ عن قتادة قال: هذه كلمةٌ في كلام العرب، إن كان للرّحمن ولد؛ أي: أنّ ذلك لم يكن.

ومن طريق زيد بن أسلم قال: هذا معروف من قول العرب: إن كان هذا الأمر قطّ؛ أي: ما كان. ومن طريق السّدّيّ «إن» بمعنى لو؛ أي: لو كان للرّحمن ولدٌ كنت أوّل من عبده بذلك، لكن لا ولد له. ورجّحه الطّبريّ.

وقال أبو عبيدة: «إن» بمعنى ما في قولٍ، والفاء بمعنى الواو؛ أي: ما كان للرّحمن ولدٌ وأنا أوّل العابدين.

وقال آخرون: معناه إن كان للرّحمن في قولكم: ولدٌ؛ فأنا أوّل العابدين؛ أي: الكافرين بذلك والجاحدين لما قلتم.

«والعابدين» من «عبِد» بكسر الباء يعبَد بفتحها، قال الشّاعر:

أولئك قومي إن هجوني هجوتهم وأعبَد أن أهجو كليبًا بدارم

أي: أمتنع.

وأخرج الطّبريّ أيضًا عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهبٍ: «عبد»؛ معناه: استنكف». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والخلاصة من هذا أن قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، إن كانت شرطيّةً «إن كان»؛ فالمعنى: أنّه إن كان له ولدٌ فأنا أوّل الّذي يعبده في هذا، ويخضع لهذا، ويذلّ لهذا، وينقاد له، ولكنّه لا ولد له فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم تكن له صاحبةٌ ولا ولدٌ.

وأما على القول الثّاني فـ «إن» معناها «ما» نافيةٌ؛ يعني: قل ما كان للرّحمن ولدٌ، فأنا أوّل العابدين بذلك؛ يعني: أوّل المقرّين والمعترفين بأنّه لا ولد له.

وهذا على سبيل الفرض، لو فرض وقدّر.

وهذا معنى قول من قال: إنّ «إن» بمعنى لو، فأنا أوّل العابدين بذلك؛ يعني: لو أنّ له ولدًا لكنت ممّن يقرّ بهذا، وينقاد لهذا، ويذلّ بهذا؛ لكنّه لا ولد له؛ فلهذا أبان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنكار ذلك، وبيّنه لعباده؛ حتّى لا يقع في قلوبهم شيءٌ من قول اليهود أو النّصارى الّذين افتروا على الله الكذب.

فالحاصل: أنّ الأولى في هذا والأظهر أنّ «إن» على بابها شرطيّةٌ، والمعنى أنّه لو كان له ولدٌ لكنت أنا أوّل من يقرّ بهذا، ويعترف وينقاد له، ولكنّه سبحانه قد نزّه نفسه عن هذا؛ فأنا أنزّه ربّي عن ذلك.

هذا تعليمٌ من الله لنبيّه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ أن يقول ذلك، وأنّه ﷻ هو المنزّه عن هذا الشّيء، وأنّه لا صاحبة له ولا ولد، ولو فرض أنّ له ولدًا لكنت أوّل من يستجيب ويقرّ ويذعن ويخضع.

والعبوديّة هي الذّلّ والخضوع، هذا هو الأصل فيها.

● **س: عفا الله عنك، المقصود من سياق الحديث: «كان يقرأ على المنبر** ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾» ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنّه يمكن في بعض الخطب؛ لسياق حال أهل جهنّم، وما يجري عليهم من العذاب يقرأ هذه الآيات ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، إخبارٌ أنّه قد قرأ مثل هذه الآيات؛ لأنّه كان في الخطب يذكّرهم ويقرأ آياتٍ، فقرأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٧].

مثل ما قال بعض الصّحابة: سمعته يقرأ: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ﴾ [ق: ١٠]؛ يعني: السّورة الّتي فيها هذا الشّيء.

● **س: تفسير الأمّة بالإمام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما هو بظاهرٍ، الظّاهر مثل ما في قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الزخرف: ٣٣]، ظاهرٌ فيها.

● **س:** ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ **[الزخرف: ٢٢]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، الّذي يظهر مثل ما قال بعض السّلف؛ يعني: على طريقةٍ وعلى دينٍ ـ نسأل الله السّلامة ـ وهي عبادة الأوثان. نسأل الله السّلامة، هذا هو الأظهر فيها.

قوله: (وَيقَالُ: أَوَّلُ العَابِدِينَ...): لكن الآية في المعنى الأوّل مؤمنين، ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]؛ يعني: المؤمنين بذلك، لكنّ الله يتنزّه عن هذا ويتقدّس؛ فلهذا قال ﷻ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] سبحانه وتعالى.

(من الطّالب): ثلاث مرّاتٍ ـ أحسن الله إليك ـ سبقت هذه اللّفظة ثلاث مرّاتٍ «أوّل العابدين».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الله يغفر لنا وله، ويعفو عنه، من باب الإيضاح.

• س: أحسن الله إليك: نقول: وأنا أوّل المسلمين، ولّا نقول: وأنا من المسلمين؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

من المسلمين، الّذي بعد النّبيّ ﷺ يقول: من المسلمين. الرّسول هو أوّل المسلمين من أمّته، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]؛ يعني: من هذه الأمّة؛ لأنّ هو جاءه الوحي أوّلًا، فهو المسلم أوّلًا، أمّا أنت تقول: وأنا من المسلمين، إذا قرأت هذا في الاستفتاح أو غيره، أمّا في القرآن تقرؤه كما في القرآن ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]؛ يعني: النّبيّ ﷺ.

• س: إذا قرأ الذّكر في الذّبح ـ أحسن الله إليك ـ في الأضاحي: «قل إن صلاتي...» إذا قرأ الآية على الآية، على لفظ الآية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: كما قرأها النّبيّ ﷺ.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨١ ـ ٨٩][١].

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾؛ أي: لو فرض هذا لعبدته على ذلك؛ لأني عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته، فلو فرض هذا لكان هذا، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضًا، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾؛ أي: الآنفين، ومنهم سفيان الثوري، البخاري حكاه، فقال: ويقال: أول العابدين الجاحدين: من عبد يعبد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سبحانه وتعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب، حدثني ابن أبي ذئب عن ابن قسيط عن بعجة بن بدر الجهني: [أن امرأة منهم دخلت على زوجها - وهو رجل منهم أيضًا - فولدت له في ستة أشهر، فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأمر بها أن ترجم، فدخل عليه علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: إن الله تعالى يقول في كتابه:

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، قال: فوالله ما عبد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن بعث إليها ترد، قال يونس، قال ابن وهب: عبد: استنكف، وقال الشاعر:

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالما

وهذا القول فيه نظر؛ لأنه كيف يلتئم مع الشرط، فيكون تقديره إن كان هذا فأنا ممتنع منه، هذا فيه نظر فليتأمل، اللهم إلا أن يقال: (إن) ليست شرطًا، وإنما هي نافية، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾، يقول: لم يكن للرحمن ولد، فأنا أول الشاهدين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عن ابن قسيط. ابن قسيط ماذا عندكم.

الشيخ: ممكن يكنى بأبيه كما ينسب إليه.

الملقي: عن أبي قسيط.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الصواب الأول، فأنا أول المطيعين والمنذرين، لكنه لا يلزم، ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۝٨١﴾؛ أي: العابدين بذلك، بالإقرار والإذعان، ما هو، بأول المستنكرين، لا يصلح، لا يتلاءم مع المقام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال قتادة: هي كلمة من كلام العرب، ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾؛ أي: إن ذلك لم يكن فلا ينبغي، وقال أبو صخر: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾؛ أي: فأنا أول من عبده، بأن لا ولد له، وأول من وحد، وكذا قال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، قال مجاهد: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾؛ أي: أول من عبده ووحده وكذبكم.

وقال البخاري: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ الآنفين وهي لغتان رجل عابد، وعبد، والأول أقرب على أنه شرط وجزاء، ولكن هو ممتنع. وقال السدي: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾، يقول: لو كان له ولد كنت أول من عبده، بأن له ولدًا، ولكن لا ولد له وهو اختيار ابن جرير، ورد قول من زعم: أن (إن) نافية، ولهذا قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾؛ أي: تعالى وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فرد أحد صمد، لا نظير له ولا كفء له، فلا ولد له.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾؛ أي: في جهلهم وضلالهم، ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم: ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا وعيد، هو بلَّغهم وأنذرهم، لكن ذرهم من باب التهديد، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو يوم القيامة، أي: فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم، ومآلهم، وحالهم في ذلك اليوم، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾؛ أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض، يعبده أهلها، وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾، وهذه الآية كقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣] أي: هو المدعو الله في السموات والأرض.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سبحانه وتعالى يعني: هو المدعو، الله في السماء والأرض، وهو إله أهل السماء وإله أهل الأرض، وهو إله الجميع، وهو فوق العرش سبحانه، فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: هو خالقهما ومالكهما، والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة، فسبحانه وتعالى عن الولد، وَتَبَارَكَ: أي: استقر له السلامة من العيوب والنقائص؛ لأنه الرب العلي العظيم المالك للأشياء، الذي بيده أزمَّة الأمورِ نقضًا وإبرامًا: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: لا يجليها لوقتها إلا هو. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾؛ أي: فيجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو ﷻ إله أهل السماء وإله أهل الأرض، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ يعني: إله الجميع، وهو فوق عرشه ﷻ، كما قال في الآية: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣]، فهو سبحانه فوق العرش ويعلم سر أهل الأرض وأهل السماء، وهو إله

الجميع هؤلاء وهؤلاء، وهو معبودهم الحق، وإن أبى الأكثرون، فإنهم قد ضلوا عن السبيل، وهو سبحانه إلههم وإله جميع المخلوقات، وهو الإله الحق، ومن خرج عن هذا السبيل فقد خرج عن الصراط المستقيم إلى طريق المغضوب عليهم والضالين. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

الشيخ: استقر له الثناء.

القاري: له السلامة.

الشيخ: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لعل استقر له الكمال يعني تبارك، هو الكامل في كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مداخلة: البركة....

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

... يعني بلغ الكمال في كل شيء البركة والكمال في كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾؛ أي: من الأصنام والأوثان: ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾؛ أي: لا يقدرون على الشفاعة لهم: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾، هذا استثناء منقطع؛ أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له، ثم قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾؛ أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين: ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾؛ أي: هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره، ممن لا يملك شيئًا ولا يقدر على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أقروا بها ولكن على غير بصيرة، أقروا أن الله ربهم وخالقهم وخالق السموات والأرض، ولكن على غير بصيرة، لم يستفيدوا من هذا وإلا هذا الذي هو ربهم وخالقهم، هو المستحق لأن يعبد ويعظم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] أفلا تتقون الإشراك به ودعوة غيره، مع أنكم تعرفون أنه رازقكم وخالقكم ومدبر أموركم، لكنه الجهل العظيم، نسأل الله العافية وعدم النظر، والتقليد الأعمى، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾؛ أي: وقال محمد ﷺ: قيله: أي شكا إلى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه، فقال: ﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ كما أخبر تعالى في الآية الأخرى، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وهذا الذي قلناه هو قول: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومجاهد، وقتادة، وعليه فسر ابن جرير.

الشيخ: يعني الذي عنده علم الساعة، هو عنده علم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم هذا، ويعلم هذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال البخاري: وقرأ عبد الله يعني ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال الرسول: ﴿يَـٰرَبِّ﴾، وقال مجاهد في قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾، قال: يؤثر الله ﷻ قول محمد ﷺ، وقال قتادة: هو قول نبيكم ﷺ، يشكو قومه إلى ربه ﷻ، ثم حكى ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ﴾، قراءتين، إحداهما: النصب، ولها توجيهان:

أحدهما: أنه معطوف على قوله تبارك وتعالى: ﴿نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾.

والثاني: أن يقدر فعل، وقال: قيله، والثانية: والخفض وقيله عطفًا على قوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، وتقديره وعلم قيله.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: المشركين، ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾؛ أي: لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ، ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلًا وقولًا، ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾، هذا تهديد من الله تعالى لهم، ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، وشرع بذلك الجهاد والجلاد، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب، والله أعلم. آخر تفسير سورة الزخرف].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هكذا أمر الرسل أن يصفحوا وأن يصبروا على الأذى، وأن يبلغوا الرسالات، بالصبر: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٤٨] فالمقصود البلاغ والبيان، حتى تبرأ الذمة، ويحصل البلاغ والبيان، والله عنده ﷻ الجزاء والعقاب سبحانه وتعالى.

وهذا في حال كون الصفح عنهم ينفع، ولا سيما في مكة قبل الجهاد، يتألفهم ويدعوهم ويصفح عن بعض الأشياء التي لا تناسب منهم؛ لعلهم يسلمون، لعلهم يهتدون، ثم شرع الله الجهاد والقتال لمن أصر على الكفر بالله، لما هاجر ﷺ إلى بلاد الهجرة وصار من لم يقبل الحق ولم ينقد له يجب أن يجاهد، وكان قبل ذلك إنما هو الدعوة والصفح؛ رجاء أن يهديهم الله وأن يسلموا. . الله المستعان.

❑ ❑ ❑

تفسير آيات من سورة الدخان(١)

(**القارئ**): بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير سورة الدخان: [قال الترمذي: حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا زيد بن الحباب عن عمرو بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ (حم) الدُّخَانَ فِي لَيْلَةٍ، أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ**»(٢)، ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمرو بن أبي خثعم يضعف أو يضعف، قال البخاري: منكر الحديث.

ثم قال: حدثنا نصر بن عبد الرحمٰن الكوفي، حدثنا زيد بن الحباب عن هشام أبي المقدام عن الحسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ (حم) الدُّخَانَ في لَيَلةَ الجُمُعَةِ غُفَرَ لهُ**»(٣)، ثم

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ بقراءة فضيلة الشيخ أحمد العرفج.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل حم الدخان برقم (٢٨٨٨). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل حم الدخان برقم (٢٨٨٩)، والدارمي =

قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهشام أبو المقدام يضعف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه، كذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود أن الحديثان ضعيفان في هذا الفضل، الحديثان ضعيفان؛ لما ذكره المؤلف من ضعف عمرو بن أبي خثعم وسفيان بن وكيع كذلك يضعف أيضًا في الحديث، كذاك الطريق الثاني، وهي سورة عظيمة، لكن ما ورد فيها من هذا الفضل ضعيف، لا في قراءتها كل ليلة، أو ليلة الجمعة، كله ضعيف.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وفي «مسند البزار» من رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة عن زيد بن حارثة: (أن رسول الله ﷺ: قال لابن صياد: «**إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ خَبِيئًا**»[1]، وخبَّأ له رسول الله ﷺ سورة الدخان، فقال: هو الدخ، فقال: «**اخسأ ما شاء الله كان**»، ثم انصرف»[2].

(مداخلة): أحسن الله إليك.

(الشيخ): نعم.

(مداخلة): الفضل الوارد في سورة الدخان من قرأها في ليلة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: أقول: ما أعرف فيها شيء يثبت، كلها ضعيفة.

*

= في كتاب فضائل القرآن، باب فضل حم الدخان برقم (٣٤٢٠).

(١) متفق عليه حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه برقم (١٣٥٤)، ومسلم في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد برقم (٢٩٢٤).

(٢) أخرجه الطبراني (٤/ ٤٨٥)، والبزار (٢/ ٢٢٩).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الدخان: ١ ـ ٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن القرآن العظيم، أنه أنزله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر كما قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، وكان ذلك في شهر رمضان، كما قال تبارك وتعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته.

ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنها في رمضان، والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري: أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له، وقد أخرج اسمه في الموتى**»(١)، فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو الحق، فإن ليلة القدر هي الليلة التي أنزل فيها القرآن، وهي التي تقدر فيها حوادث السنة، ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾، الله أكبر.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٣٦٨١) ٨/٣٥٨.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾؛ أي: معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعًا لتقوم حجة الله على عباده.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والآيات صريحة في أنه ﷻ أنزل القرآن في ليلة القدر، وهي ليلة مباركة، في سورة الدخان (في ليلة مباركة) هي ليلة القدر، وفيها يفرق كل أمر حكيم، أما ما يتعلق بليلة النصف من شعبان هو ضعيف، وإنما الصواب ما دل عليه القرآن: أن ليلة القدر هي التي يفرق فيها كل أمر حكيم، تكتب فيها حوادث السنة، وهو التقدير السنوي، كل هذا يتعلق بليلة القدر ، الله أكبر. ، وليلة القدر هي أفضل الليالي، ويوم النحر ويوم عرفة هما أفضل الأيام، وعشر ذي الحجة أفضل أيام السنة، وليالي رمضان أفضل الليالي، وأفضلها ليلة القدر. . الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾؛ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها، وهكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد من السلف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا يقال له: التقدير السنوي، فإن التقدير أربعة:

التقدير العام: التقدير الذي قدَّره الله، فإن الله ﷻ قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء، قدَّر كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا عام في جميع الأشياء ما كان وما يكون.

وهذا دل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، هذا

تقدير عام، ومنه الحديث الذي رواه مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**».

والتقدير العُمْري: الذي جاء في حديث ابن مسعود وغيره أن ابن آدم: (يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)، عندما يمضي أربعة أشهر في بطن أمه، هذا التقدير العمري. ثم السنوي في ليلة القدر. واليومي في كل يوم، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩]، سبحانه وتعالى.

التقدير الثاني: عمري، فإن الله يكتب مقادير العبد في بطن أمه، يكتب أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد، بعد إكماله الأطوار الثلاثة، على رأس الأربعة الأشهر، ثم تنفخ فيه الروح.

التقدير الثالث: السنوي، الذي يكون في ليلة القدر.

والرابع: اليومي، الذي قال الله فيه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩]، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] سبحانه وتعالى، في أثر ابن عباس: «إن لله لوحًا محفوظًا ينظر الله فيه كل يوم ألف نظرة، يحيي وصيت، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل ويقضي»(١)، إلى آخره، نعم، اللَّهُمَّ صلِّ عليه.

(مداخلة): أحسن الله إليك! التقدير الذي جعله بعض أهل العلم من حديث مسح ظهر آدم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا فيه نظر، وهو من التقدير...، هذا **تقدير خامس**؛ يعني: نوع خامس، في مسح ظهر آدم، بعد التقدير العام وقبل التقدير العمري، هذا جاء في عدة روايات في مسح ظهر آدم، وتفصيل من القدر السابق، فيكون نوعًا خامسًا، يصير هو الثاني، بعد التقدير

---

(١) رواه الطبراني من طريقين ورجال هذه ثقات، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠٥)، والحاكم (٢/ ٥١٦ برقم ٣٧٧١)، وقال: صحيح الإسناد.

العام، هو الثاني في مسح ظهر آدم، ثم التقدير العمري الذي للجنين.

(مداخلة): ضعيفة أحسن الله إليك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا لا، له طرق لا بأس بها، الذي أعلم أنه لا بأس به، له طرق متعددة، نعم، وتفصيل من القدر السابق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿حَكِيمٍ﴾؛ أي: محكم لا يبدل ولا يغير، ولهذا قال ﷻ: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾؛ أي: جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾؛ أي: إلى الناس رسولًا يتلو عليهم آيات الله مبينات، فإن الحاجة كانت ماسة إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من رحمة الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، الله جعل كتابه ونبيه نذيرين للعالم، يوضحان لهم أسباب السعادة، وينذرانهم من أسباب الشقاء والهلاك، فالكتاب نذير والرسول نذير؛ فينبغي للعاقل، بل يجب على العاقل أن يحذر ما حذره الله منه، وأن يجيب إلى ما أوجبه الله عليه، فهو سبحانه أرسل الرسل وأنزل الكتب للنذارة والبشارة وإقامة الحجة. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما يدل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦]، الله أكبر ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ

إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢]. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾؛ أي: الذي أنزل القرآن هو ربُّ السماوات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما.

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾؛ أي: إن كنتم متحقِّقين.

ثم قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ **[الدخان: ٩ ـ ١٦]**[(١)].

يقول تعالى: بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون؛ أي: قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به، ثم قال ﷻ متوعدًا لهم ومهددًا: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾، قال سليمان بن مهران الأعمش عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن مسروق قال: دخلنا المسجد ـ يعني: مسجد الكوفة ـ عند أبواب كندة، فإذا رجل يقص على أصحابه: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: تدرون ما ذلك الدخان؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام.

مداخلة: حديث يأخذ المؤمنين كهيئة الزكام.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

○ **الجواب**: هذا محل نظر، يحتاج نظر لأنه ما أسنده لأحد يحتاج إلى طلب الحديث، ابن مسعود أنكر هذا، وأن هذا لا حجة له، وأن عذابهم لا يكشف كما هو معلوم، فهذا الواعظ الذي تكلم بهذا الوعظ يحتاج إلى التماس عليه أين وجده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: فأتينا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكرنا ذلك له، وكان مضطجعًا ففزع فقعد وقال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال لنبيِّكم ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، سأحدثكم عن ذلك، إن قريشًا لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان»، وفي رواية: «فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد».

قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فأتي رسول الله ﷺ فقيل: «يا رسول الله، استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، فاستسقى ﷺ لهم فسقوا فنزلت: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾(١). قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: أن هذا عذاب عارض يكشف، وعذاب القيامة ما يكشف مستمر لأهل النار؛ نسأل الله العافية.

والمقصود: أفيكشف عنهم، يعني: أن هذا العذاب في الدنيا، هذا

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ [الدّخان: ١١] برقم (٤٨٢١)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب الدخان برقم (٢٧٩٨).

الدخان الذي أصابهم في الدنيا، أما عذاب الآخرة فلا يكشف عنهم، بل لهم النار يوم القيامة، وهذا الذي قاله ابن مسعود قول حسب ما ظهر له من واقعات أهل مكة، وأنه أراد بالدخان ما أصابهم من الجهد العظيم. وآخرون قالوا: إنه الدخان اللي يكون في آخر الزمان، إحدى الآيات اللي يكون في آخر الزمان، يصيب الناس دخان عظيم من أشراط الساعة العشر القريبة من قيام الساعة. وأما يوم القيامة فعذابهم ـ والعياذ بالله ـ لا يكشف، بل لهم النار أبد الآباد، في بعض الروايات: (أفيكشف) من باب الاستفهام، استفهام الإنكار، وهنا فيكشف، يعني: خبر معناه الإنكار، يعني: لا يكشف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦] قال: يعني: يوم بدر. قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فقد مضى خمسة: الدخان، والروم، والقمر، والبطشة، واللزام»[(١)].

وهذا الحديث مخرج في «الصحيحين» ورواه الإمام أحمد في «مسنده»، وهو عند الترمذي والنسائي في تفسيريهما، وعند ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق متعددة عن الأعمش به.

وقد وافق ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على تفسير الآية بهذا، وأن الدخان مضى، جماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما الدخان الذي هو من أشراط الساعة هذا يأتي في آخر الزمان، آية الدخان هذه من أشراط الساعة تأتي في آخر الزمان، بعد خروج

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الدخان، باب ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ برقم (٤٨٢٠)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب الدخان برقم (٢٧٤٨).

المسيح الدجال، وبعد نزول عيسى، وبعد خروج يأجوج ومأجوج تأتي آية الدخان في آخر الزمان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا جعفر بن مسافر، حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا عبد الرحمٰن الأعرج في قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال: كان يوم فتح مكة، وهذا القول غريب، غريب جدًّا؛ بل منكر.

وقال آخرون: لم يمض الدخان بل هو من أمارات الساعة، كما تقدم من حديث أبي سريحة

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سريحة. نعم.

(القارئ): سريحة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[كما تقدم من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حذيفة بن أسيد.

(القارئ): ابن أسيد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ابن أسيد. نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفةٍ ونحن نتذاكر السّاعة فقال النّبيّ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَالدَّابَّةُ وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٍ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٍ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٍ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ، أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ، فَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من غرفة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من غرفةٍ ونحن نتذاكر السّاعة، فقال النّبيّ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ**

حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَالدَّابَّةُ وَثَلَاثَةُ...».

«**وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ، خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ فَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا**»، تفرد بإخراجه مسلم في «صحيحه»[(١)].

وفي «الصَّحيحين»: «أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد: «**إني قد خبأت لك خبأً**»، قال: هو الدخ، فقال ﷺ له: «**اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**»[(٢)]، قال: وخبأ له رسول الله ﷺ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾، وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب.

وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان، وهم يقرضون العبارة، ولهذا قال: هو الدخ؛ يعني: الدخان، فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية، فقال ﷺ: «**اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**».

ثم قال ابن جرير: وحدثني عصام بن رواد بن الجراح، حدثنا أبي، حدثنا سفيان بن أبي سعيد الثوري.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ابن سعيد، أبي خطأ، سفيان بن سعيد.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

سفيان بن سعيد الثوري، حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في كتاب الفتن، باب في الآيات التي قبل الساعة برقم (٢٩٠١).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ برقم (١٣٥٤)، ومسلم في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، برقم (٢٩٢٤).

«إن أول الآيات: الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا، والدخان»، قال حذيفة ﵁: يا رسول الله! وما الدخان؟ **فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية:** «﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ **يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يومًا وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره»**[١].

قال ابن جرير: لو صحَّ هذا الحديث لكان فاصلًا، وإنما لم أشهد له بالصحة؛ لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل رَوَّادًا عن هذا الحديث: هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا، قال: فقلت: أقرأته عليه؟ قال: لا، قال: فقلت له: أقرئ عليه وأنت حاضر فأقر به؟ فقال: لا، فقلت له: فمن أين جئت به؟ فقال: جاءني به قوم فعرضوه علي وقالوا لي: اسمعه منا، فقرأوه علي ثم ذهبوا به فحدثوا به عني، أو كما قال.

وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هاهنا، فإنه موضوع بهذا السند. وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير، وفيه منكرات كثيرة جدًّا ولا سيما في أول سورة بني إسرائيل في ذكر المسجد الأقصى، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

لأن رواد لا يحتج به، رواد بن الجراح، هو الذي، هو علة هذا الخبر، انظر كلام الحافظ في «التقريب» رواد و«الخلاصة».

(مداخلة): رواد بن الجراح العسقلاني أبو عصام عن الأوزاعي عن خليد بن دعلج، وعنه إسحاق الحنظلي وابن معين ووثقه، قال ابن عدي: روى غير حديث منكر، وعامة ما يرويه لا يتابعه عليه الناس.

---

(١) انظر: تفسير الرازي (١٤/٧).

في الحاشية: قال النسائي: ليس بالقوي، وقال الدارقطني: متروك. ابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الصواب إنه متروك، انظر عصام بن رواد..

(مداخلة): ما ترجم له.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا.

(مداخلة): ما ترجم له.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عصام، ما ذكره،... ما روى له الستة، نعم.

(مداخلة): في «التقريب» أحسن الله إليك، رواد بتشديد الواو ابن الجراح أبو عصام العسقلاني أصله من خراسان صدوق اختلط بأخرة فترك، في حديثه عن الثوري ضعف شديد من التاسعة. ابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من بعد الاختلاط صار متروكًا، متروكًا لأجل اختلاطه. انظر عصام ذكر أم ما ذكره.

(مداخلة): لا، ما ترجم له.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ذكره.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير أيضًا: حدثني محمد بن عوف، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن ربكم أنذركم ثلاثًا: الدخان: يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية: الدابة، والثالثة: الدجال**»[1]، ورواه

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف؛ لأن محمد بن إسماعيل بن عياش لم يسمع من أبيه (التقريب ص٤٦٨) ولمعظمه شواهد تقدمت في الصحيحين.

الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن إسماعيل بن عياش به[١]، وهذا إسناد جيد.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا خليل عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة، وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه**»، ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفًا[٢]، وروى سعيد بن عوف عن الحسن مثله.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال: «لم تمض آية الدخان بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى ينفذ»[٣].

وروى ابن جرير من حديث الوليد بن جميع عن عبد الملك بن مغيرة عن عبد الرحمٰن بن السليماني عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: عبد الرحمٰن.

(مداخلة): ابن البيلماني.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ابن البيلماني.

(القارئ): عبد الرحمٰن بن...

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

البيلماني ليس بالسين، نعم، المقصود أنه الدخان يأتي، لم يخرج هذا الدخان، دخان أصاب قريش، وانتقم الله منهم يوم بدر، أما الدخان الذي من أشراط الساعة فقد جاء في الأحاديث الصحيحة

---

(١) المعجم الكبير (٣/ ٢٩٢).

(٢) سنده ضعيف لأن الحسن لم يسمع من أبي سعيد الخدري.

(٣) سنده ضعيف لضعف الحارث وهو الهمداني الأعور وقد كذبه الشعبي كما في التقريب.

يكون في آخر الزمان، بعد الدجال وبعد عيسى وبعد يأجوج ومأجوج.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن عبد الرحمٰن بن البيلماني عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ويدخل مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ؛ أي: المشوي على الرضف»[١].

ثم قال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال: «غدوت على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت»[٢]. وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبد الله بن أبي يزيد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: هذا ضعيف؛ لأن ابن جريج إذا عنعن ضعيف جدًّا، ومثل هذا لا يخفى على ابن عباس، الدخان يأتي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن ابن عمر، عن سفيان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن أبيه.

(مداخلة): عن ابن أبي عمر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن ابن أبي عمر.

(القارئ): أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المكي، نعم. شيخ مسلم.

---

(١) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن البيلماني.

(٢) أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده صحيح وأخرجه الحاكم من طريق ابن جريج به وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٤٥٩).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عن ابن أبي عمر، عن سفيان، عن عبد الله بن أبي يزيد، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فذكره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الذي عنده عبد الله نسخة عبيد الله والذي عنده عبيد الله يضع نسخة عبد الله يحط، يحتاج تأمل. وهكذا رواه... وهكذا رواه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان، وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيه نظر، ما دام رفعها إلى ابن عباس فيه نظر، ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾. كل هذه قصة قريش، أما الدخان فهذا جاء في الأحاديث الصحيحة أنه بعد خروج الدجال وبعد خروج يأجوج ومأجوج بعد نزول عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فيبعد أن يخفى على ابن عباس.

انظر «التقريب» عبد الله بن أبي يزيد وعبيد الله بن أبي يزيد اثنين.

(مداخلة): عبيد الله بن أبي زياد يا شيخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا ابن أبي يزيد، عبيد الله بن أبي يزيد، وعبد الله بن أبي يزيد، تصغير.. المكبر والمصغر وأبوه ابن أبي يزيد الخلاصة كذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾؛

أي: بيِّن واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسَّر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد.

وهكذا قوله تعالى: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: يتغشاهم ويعمهم ولو كان أمرًا خياليًّا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا هو الصواب: أن الدخان آية تكون في آخر الزمان، وأما ما أصاب قريش من الشدة فذاك شيء آخر، أما الآية التي هنا فالمراد به: آية قرب الساعة، هذا الدخان العظيم الذي يغشى المسلم منه مثل الزكام، وشدد فيه على الكافر هذا يكون في آخر الزمان، كما تقدم في حديث حذيفة بن أسيد وغيره، ولهذا قال: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الدخان: ١١] يعني: عموم الناس لا أهل مكة فقط، ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١١]. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: يقال لهم تقريعًا وتوبيخًا؛ كقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور: ١٣، ١٤]، أو يقول بعضهم لبعض ذلك.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه، سائلين رفعه وكشفه عنهم؛ كقوله جلَّت عظمته: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، وكذا قوله جل وعلا: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

وهكذا قال جل وعلا هاهنا: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ يقول: كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولًا بيّن الرسالة والنذارة، ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بيِّن الرسالة واضح الرسالة ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بل كذبوه وقالوا: معلم مجنون، وهذا كقوله جلت عظمته: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ الآية [الفجر: ٢٣]؛ كقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥١، ٥٢] إلى آخر السورة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ يحتمل المعنيين، **أحدهما**: أنه يقوله تعالى: «ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب»؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥]، وكقوله جلَّت عظمته: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

والثاني: أن يكون المراد: إنا مؤخِّرو العذاب عنكم قليلًا، بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم، أن يكون باشرهم؛ كقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم، بل كان قد انعقد سببه عليهم.

ولا يلزم أيضًا أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم، ثم عادوا إليه، قال الله تعالى إخبارًا عن شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه حين قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩]، وشعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم.

وقال قتادة: إنكم عائدون إلى عذاب الله[١].

وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾، فسَّر ذلك ابن مسعود رضي الله عنه بيوم بدر، وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسيره الدخان بما تقدم[٢].

وروي أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية العوفي عنه وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه وهو محتمل، والظاهر أن ذلك يوم القيامة، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضًا، قال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال ابن مسعود رضي الله عنه: «البطشة الكبرى يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة»، وهذا إسناد صحيح عنه، وبه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين عنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هو محتمل، والأقرب والله أعلم مثل ما قال المؤلف، لكن آية الدخان متأخرة، يبعد أن يخفى على ابن عباس أمرها وأن يخاف من ذي الذنَب الذي طلع أنه يؤذن بالدخان هذا وجه الغرابة عن ابن عباس، وإلا القول بأن آية الدخان أن الآية التي وعد الله بها في آخر الزمان قول قريب، وقولهم أقرب من قول ابن مسعود رضي الله عنه.

(مداخلة): عبيد الله يا شيخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: . . . .

(مداخلة): عبيد الله بن أبي يزيد المكي مولى آل قارظ بن شيبة، ثقة كثير الحديث من الرابعة مات سنة ست وعشرين وله ست وثمانون، الجماعة، وجدنا فيه كذلك ابن عبد الله، ولكن من السابعة يا شيخ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن معمر عن قتادة.

(٢) سبق تخريجه (ص٥٣٦).

(**مداخلة**): أحسن الله إليك! من قال إن الآية تحتمل معنيين؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أعلم، نعم، الأقرب فيها أنها يوم القيامة.

(**مداخلة**): قول المؤلف عفا الله عنك! وشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن قط على ملتهم وعلى طريقتهم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: إنه ممن أنشأه شاء الله على التوحيد، هذا القصد.

(**مداخلة**): يعني: يتحدث بلسان أتباعه.

(**مداخلة**): يعني: شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ في الآية يتحدث بلسان أتباعه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو يقول: ما نرجع إلى دينكم، إنا على دين الإسلام الحق، لا نرجع إلى دينكم، لما. . . ثم نعود إليه لا، هذا المقصود، وقال آخرون: معناه: أنه كان أول على دينهم ثم يعني علمه الله وأوحى إليه وأنقذه منهم وصار نبيًّا لهم.

سورة حم الدخان

وقال مجاهدٌ: ﴿رَهْوًا﴾ [٢٤]: طَرِيقًا يَابِسًا، ويقال: رَهْوًا: ساكنًا، ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢﴾ [٣٢]: عَلَى مَنْ بَيْنَ ظَهْرَيْهِ، ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ [٤٧]: ادْفَعُوهُ، ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ﴾ [٥٤]: أَنْكَحْنَاهُمْ حُورًا عِينًا، يَحَارُ فِيهَا الطَّرْفُ، ويقال: ﴿أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠﴾ [٢٠]: الْقَتْلُ، وَرَهْوًا: سَاكِنًا، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [٤٥]: أَسْوَدُ كَمُهْلِ الزَّيْتِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿تُبَّعٍ﴾ [٣٧]: مُلُوكُ الْيَمَنِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسَمَّى تُبَّعًا؛ لأَنَّهُ يَتْبَعُ صَاحِبَهُ، وَالظِّلُّ يُسَمَّى تُبَّعًا؛ لأَنَّهُ يَتْبَعُ الشَّمْسَ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾؛ يعني: ساكنًا يبسًا؛ حتّى يمرّ معه بنو إسرائيل، ثمّ يدخله آل فرعون فيهلكون.

قوله: (﴿تُبَّعٍ﴾: **مُلُوكُ اليَمَنِ...**) إلخ: الألقاب لملوك اليمن «تبّع» متتابعةٌ ألقابٍ، مثل ما يقال: كسرى لملك الفرس، قيصر: لملك الرّوم، النّجاشيّ لملك الحبشة، هذه ألقابٌ لهم. متتابعةٌ لقّبوا بهذا؛ لأنّه يتبع بعضهم بعضًا في ملك اليمن.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ [الدخان: ١٠][1].

﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ [١٠]: فانتظر.

حدّثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش عن مسلم، عن مسروقٍ، عن عبد الله قال: «مَضَى خَمْسٌ: الدُّخَانُ، وَالرُّومُ، وَالْقَمَرُ، وَالْبَطْشَةُ، وَاللِّزَامُ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: مضت في حياة النّبيّ ﷺ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ٢]، كذلك البطشة يوم بدرٍ، والقمر: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، واللّزام: لزمهم العذاب. نسأل الله العافية.

والدّخان الّذي مضى على رأي ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غير الدّخان الّذي يأتي كما تقدّم.

● **س: والبطشة ـ عفا الله عنك ـ واللزام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما جرى يوم بدرٍ، بطش الله بهم، وأخذ ساداتهم، وألزمهم العذاب، ما وقع لهم من العذاب يوم بدرٍ.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على صحيح البخاري، كتاب التفسير.

• س: عفا الله عنك ابن القيّم يقول: إن الدّخان هو سيأتي؛ يعني: يستدلّ بقول ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّه سيأتي، ما أتى؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هنا دخانان: دخانٌ مضى. ودخانٌ يأتي. الدّخان الّذي عاقب الله به قريشًا مضى، والدّخان الّذي يأتي من أشراط السّاعة، دخانان ما هم واحدٌ.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١١][(١)].

حدّثنا يحيى، حدّثنا أبو معاوية، عن الأعمش عن مسلمٍ، عن مسروقٍ قال: قال عبد الله: إنّما كان هذا؛ لأنّ قريشًا لمّا استعصوا على النّبيّ ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحطٌ وجهدٌ، حتّى أكلوا العظام، فجعل الرّجل ينظر إلى السّماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدّخان من الجهد، فأنزل الله ﷻ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾، قال: فأتي رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله استسق الله لمضر، فإنّها قد هلكت، قال: لمضر؟ إنّك لجريءٌ، فاستسقى، فسقوا، فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾، فلمّا أصابتهم الرّفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرّفاهية، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ قال: يعني: يوم بدرٍ[(٢)].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ برقم (٤٨٢١)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب الدخان (٢٧٩٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

• **س: أليس النّبيّ ﷺ استنكر عليه بقوله: (إِنَّكَ جَرِيءٌ)، ومع ذلك استسقى لهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يعني ما هم مضر كلّها، مضر متفرقةٌ في العرب، إنّما هم قريشٌ ومن معهم في مكّة، مضر واسعةٌ، وهم ذرّية النّضر بن كنانة.

المقصود: أن مضر يعني أنّها أمّةٌ واسعةٌ، وإنّما الّذين أصابهم قريشٌ ومن معهم في مكّة.

• **س: يعني مراده الاستسقاء ـ أحسن الله إليك ـ لأهل مكّة خاصةً؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم هذا المراد.

(من الطّالب): دون بقيّة..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ومن حولهم ممّن ساعدهم. مضر بن نزارٍ يجمع قبائل كثيرةً في مكّة وغيرها.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان: ١٢](١).

حدّثنا يحيى، حدّثنا وكيعٌ، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ قال: دخلت على عبد الله فقال: «إنّ من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم، إنّ الله قال لنبيّه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]: إنّ قريشًا لمّا غلبوا النّبيّ ﷺ، واستعصوا عليه، قال: «اللَّهُمْ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ»، فأخذتهم سنةٌ أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتّى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السّماء كهيئة الدّخان من الجوع، قالوا ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربّه، فكشف عنهم فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدرٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ إلى قوله جلّ ذكره: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [١٠ ـ ١٦][1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو العلم، مثل ما قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إنّ من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم. هذا من العلم، لا أدري. كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

الواجب على من كان عنده علمٌ أن يتكلّم عن علمٍ، فينصح النّاس، ويعلّم النّاس، ويوجّه النّاس إلى الخير؛ لما عندهم من العلم، ومن ليس عنده علمٌ لا يتكلّف، فالله جَلَّ وَعَلَا كلّف النّاس بما يعلمون وليس عليهم أن يتكلّموا بما لم يعلموا، بل هو من التّكلّف.

ولهذا يكثر كلام أهل العلم في التّحذير من القول على الله بغير علم؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فجعله في الرّتبة العليا؛ لأنّ هذه الآية فيها التّرقّي من الأدنى إلى

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ برقم (٤٨٢٢)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة النار، باب الدخان برقم (٢٧٩٨).

الأعلى. وقال في شأن الشّيطان في سورة البقرة: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

فالواجب على من عنده علمٌ أن يتكلّم وينصح ويوجّه النّاس إلى الخير، ويصبر على الأذى ويكون له مثل أجورهم.

من هداه الله على يديه يكون له مثل أجورهم: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثم مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»(١).

أمّا من كان جاهلًا فالواجب عليه الكفّ والسّكوت عما لا يعلم، وإنّما يكفيه أن يتكلّم فيما يعلم، وما جهل يقول فيه: الله أعلم، أو لا أدري. هذا هو طريق أهل العلم والإيمان.

● **س: إذا دعاهم ولم يستجب له أحدٌ فهل يتحصّل له الأجر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرّسل لهم الأجر العظيم وأكثرهم لم يستجب له، بعضهم ما أجابه إلّا واحدٌ، وبعضهم ما أجابه أحدٌ، كما في حديث ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في «الصّحيحين» يقال عن نبيٍّ من الأنبياء: «رأيت النّبيّ ومعه الرّجل والرجلان والنّبيّ وليس معه أحد»، «والنّبيّ ومعه الرّجل والرّجلان، والنّبيّ ليس معه أحدٌ»(٢). كلّهم أبوا عليه، بل منهم من قتل نبيّه. نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب العلم، باب من سنَّ سُنَّة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة برقم (٢٦٧٤).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب من لم يرق برقم (٥٧٥٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول =

• س: في الشّرح يقول: الّذي سأل الرّسول ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ أبو سفيان؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا نصّ عليه في الرّواية، أقول: نصّ عليه في الحديث. .

• س: أحسن الله إليك، إحداث البدع من القول على الله بغير علمٍ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم من أعظم القول على الله بغير علم، البدع أعظم من المعصية، المراتب في هذا الباب أربعةٌ: أوّلها: الشّرك الأكبر، ثمّ البدعة، ثمّ الكبائر، ثمّ المعاصي الصّغائر، هذه مراتب المنع، أربعٌ، ويقال: ستٌّ، بعد صغار المعاصي المكروه، ثمّ ما تركه أولى، كما ذكر ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإعلام» وغيرها.

لكن المقصود أن أهمّ الكبائر وأعظمها الشّرك بالله عَزَّ وَجَلَّ عمومًا، ثمّ البدعة، ثمّ الكبائر، ثمّ المعاصي الصّغائر. نسأل الله العافية.

قوله: (اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِم بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ)؛ فأخذتهم سنةٌ أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتّى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السّماء كهيئة الدّخان من الجوع:

متقاربٌ في المعنى، وذلك في نظرهم وفيما يرون كهيئة الدّخان، والله سمّاه دخانًا لشدّة ما أصابهم من الجدب والقحط.

* *

= طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب برقم (٢٢٠).

□ تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾ [الدخان: ١٣][١].

الذّكر والذّكرى واحدٌ.

حدّثنا سليمان بن حربٍ، حدّثنا جرير بن حازمٍ، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ قال: دخلت على عبد الله ثمّ قال: إنّ رسول الله ﷺ لمّا دعا قريشًا كذّبوه، واستعصوا عليه، فقال: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ»، فأصابتهم سنةٌ حصّت كلّ شيءٍ، حتّى كانوا يأكلون الميتة، وكان يقوم أحدهم، فكان يرى بينه وبين السّماء مثل الدّخان من الجهد والجوع، ثمّ قرأ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥﴾ [١٠ ـ ١٥]. قال عبد الله: أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟ قال: والبطشة الكبرى يوم بدرٍ»، قوله: ﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾: هو والذكر سواء[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(من الشّيخ): تكلّم الشّارح على (الذّكرى والذّكر واحدٌ)؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٧٣)]: «قوله: «الذّكرى» هو والذّكر سواءٌ». [انتهى كلامه].

(من الشّيخ): والعينيّ؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ١٦٥)]: «أي:

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾ برقم (٤٨٢٣)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان برقم (٢٧٩٨).

في المعنى والمصدريّة. قال الجوهري: الذّكر والذّكرى بالكسر نقيض النسيان وكذلك الذكرة». [انتهى كلامه].

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ [الدخان: ١٤][1].

حدّثنا بشر بن خالدٍ، أخبرنا محمّدٌ، عن شعبة، عن سليمان ومنصورٍ، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ قال: قال عبد الله: إنّ الله بعث محمّدًا ﷺ وقال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، فإنّ رسول الله ﷺ لمّا رأى قريشًا استعصوا عليه، فقال: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ**» فأخذتهم السّنة حتّى حصّت كلّ شيءٍ، حتّى أكلوا العظام والجلود، فقال أحدهم: حتّى أكلوا الجلود والميتة، وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدّخان، فأتاه أبو سفيان فقال: أي محمّد، إنّ قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا، ثمّ قال: «**تَعُودُوا بَعْدَ هَذَا**». في حديث منصورٍ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ إِلَى: ﴿عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [١٠ ـ ١٥] أيكشف عنهم عذاب الآخرة؟ فقد مضى الدّخان والبطشة واللّزام، وقال أحدهم: القمر، وقال الآخر: الرّوم[2].

• **س: قوله: «ثُمَّ قَالَ: تعودوا»[3] بحذف النّون «أن يكشف عنهم؛ فدعا، ثمّ قال: تعودوا»؟**

---

(١) من شرح سماحة رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ برقم (٤٨٢٤)، ومسلم في كتاب صفة الجنة والنار، باب الرقاق برقم (٢٧٩٨).

(٣) كذا قرأها القارئ من نسخته (ثم تعودوا) بحذف النون وهو خلاف النسخ الأخرى؛ ولهذا جاء الإشكال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما أعرف له وجهًا، إلّا أن تكون لغةً قليلةً، قد تحذف النّون بدون جازمٍ أو ناصبٍ، لكنّها لغةٌ قليلةٌ. تعرّض لها الشّارح؟

(من الطّالب): ما تعرّض.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مثل ما تقدّم في مواضع.

• **س: «حتَّى أَكَلُوا الجُلُودَ وَالمَيْتَةَ» أليس كانوا يأكلون الجلود والميتة من قبل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني دعتهم الضّرورة، يكون هذا عند الحاجة، لكن لما اشتدّ بهم الجدب أكلوها، الميتة لا تؤكل إلّا عند الحاجة. نسأل الله العافية، ليس كلّ كافرٍ يأكل الميتة، إنّما يأكلها من اضطرّ إليها ولو أنّه كافرٌ.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ [الدخان: ١٦][١].

حدّثنا يحيى، حدّثنا وكيعٌ، عن الأعمش عن مسلم، عن مسروقٍ، عن عبد الله، قال: «خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: اللِّزَامُ، وَالرُّومُ، وَالْبَطْشَةُ، وَالْقَمَرُ، وَالدُّخَانُ»[٢].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ برقم (٤٨٢٥)، ومسلم في كتاب صفة القيامة، باب الدخان برقم (٢٧٩٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

● **س: التّكرار للأحاديث، والتّراجم عنها واحدةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو من عادته رَحِمَهُ اللَّهُ يكرّر؛ كأنّه يريد أن يفسّر كلّ كلمةٍ في المعنى بإعادة الحديث، كالشّرح، كالتّرجمة، وقد يكون من أجل اختلاف السّند.

* *

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الدخان: ١٧ ـ ٣٣](١).

يقول تعالى: ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وهم قبط مصر، ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾؛ يعني: موسى كليمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾؛ كقوله ﷻ: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه: ٤٧].

---

(١) من تعليقات سماحة رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير بقراءة فضيلة الشيخ أحمد العرفج.

وقوله ﷺ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾؛ أي: مأمون على ما أبلغكموه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: لا تستكبروا عن اتباع آياته والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه؛ كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

﴿إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: بحجة ظاهرة واضحة، وهي ما أرسله الله تعالى به من الآيات البينات والأدلة القاطعات.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو صالح: هو الرجم باللسان وهو الشتم، وقال قتادة: الرجم بالحجارة؛ أي: أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم من أن تصلوا إلي بسوء من قول أو فعل.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾؛ أي: فلا تتعرضوا لي، ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة، إلى أن يقضي الله بيننا، فلما طال مقامه ﷺ بين أظهرهم وأقام حجج الله تعالى عليهم، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٨، ٨٩]، وهكذا قال هاهنا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾.

فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج ببني إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه، ولهذا قال جل جلاله: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

وقوله ﷻ هاهنا: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾، وذلك أن موسى - عليه الصلاة والسلام - لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر أراد

موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان، ليصير حائلًا بينه وبين فرعون فلا يصل إليه، فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكنًا وبشَّره بأنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف دركًا ولا يخشى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾؛ كهيئته، وامضه.

وقال مجاهد: ﴿رَهْوًا﴾: طريقًا يبسًا كهيئته، يقول: لا تأمره يرجع، اتركه حتى يرجع آخرهم، وكذا قال عكرمة والربيع بن أنس والضحاك وقتادة وابن زيد وكعب الأحبار وسماك بن حرب وغير واحد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا واضح من السياق، وهذه من آيات الله العظيمة أن الله جل وعلا جعل ضربة موسى للبحر تجعله اثني عشر طريقًا كل طريق يبس، والماء قائم بين كل طريقين، قائم كأنه جبل حتى مر موسى وبنو إسرائيل على أسباطهم الاثني عشرة، كل سبط مع طريق، وأنجاهم الله.

وجاء فرعون وجنوده على كثرتهم متبعين لموسى وهارون وأصحابهما وبني إسرائيل للانتقام، قالوا في الحكايات عن فرعون أنه انفلق له البحر... والمقصود أنه دخل وجنوده البحر، تابعًا لموسى وهارون وبني إسرائيل بالانتقام، فلما تكامل آل فرعون في البحر، وخرج موسى ومن معه من بني إسرائيل من البحر، وهؤلاء تكاملوا داخلين وأولئك تكاملوا خارجين أطبق الله عليهم البحر، فأغرقهم جميعًا عن آخرهم، نسأل الله العافية.

هذا جنده العظيم وقدرته العظيمة وآياته الباهرة سبحانه وتعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]، نسأل الله العافية، لكن ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ وهي البساتين، وعيون

وزروع، والمراد بها، الأنهار والآبار ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ هي المساكن الأنيقة والأماكن الحسنة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: المنابر، وقال ابن لهيعة، عن وهب بن عبد الله المعافري عن عبد الله بن عمرو - رضي الله تعالى عنهما - قال: «نيل مصر سيد الأنهار سخَّر الله تعالى له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلَّله له، فإذا أراد الله ﷻ أن يجلي نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فأمدته الأنهار بمائها، وفجَّر الله تبارك وتعالى له الأرض عيونًا، فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله ﷻ أوحى الله تعالى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره، ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾.

وقال في قول الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ٥٧]، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ قال: كانت الجنان بحافتي نهر النيل من أوله إلى آخره، في الشقين جميعًا].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذه العقوبة العاجلة، هذه العقوبة العاجلة، والعقوبة الآجلة أشد وأعظم: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] نسأل الله العافية، جاءتهم العقوبات متتابعة، العقوبة بالغرق، العقوبة في البرزخ بعرضهم على النار، والعقوبة في الآخرة أشد العذاب، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله. نعم.

(مداخلة): المغافري بالغين، أو المعافري بالعين عندنا المغافري والشيخ ذكر المعافري؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يراجع، انظر «التقريب»، وهب بن عبد الله المعافري أو المغافري المعروف.. الأقرب والله أعلم أنه المعافري.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[قال: كانت الجنان بحافتي نهر النيل من أوله إلى آخره، في

الشقين جميعًا، ما بين أسوان إلى رشيد، وكان له تسع خلج، خليج الإسكندرية، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنتهى، متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، وزرع ما بين الجبلين كله، من أول مصر إلى آخره].

(مداخلة): وذرع، ذرع بالذال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وذرع بالذال.

(القارئ): بالذال؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، وذرع، ماذا بعده؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وذرع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخره ما يبلغه الماء.

وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعًا لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها.

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾؛ أي: عيشة كانوا يتفكهون فيها، فيأكلون ما شاءوا، ويلبسون ما أحبوا، مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد.

فسُلبوا ذلك جميعًا، في صبيحة واحدة، وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير، واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل، كما قال تبارك وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وقال عَزَّ وَجَلَّ هاهنا: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ وهم: بنو إسرائيل كما تقدم.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: لم تكن لهم

أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها ففقدتهم، فلهذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم.

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا أحمد بن إسحاق البصري، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا موسى بن عبيدة، حدثني يزيد الرقاشي، حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبدٍ إلا وله في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه**، وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾»[1]، وذكر أنهم لم يكونوا عملوا على الأرض عملًا صالحًا يبكي عليهم، ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب، ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم، ورواه ابن أبي حاتم من حديث موسى بن عبيدة وهو الربذي].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الحديث هذا ضعيف بهذا السند ضعيف؛ فالربذي ضعيف، والرقاشي ضعيف، المقصود نص القرآن كافي: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ لا عمل لهم طيب، نسأل الله... يفقدوه بل راحة للبلاد والعباد من شرهم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[وقال ابن جرير: حدثني يحيى بن طلحة، حدثني عيسى بن يونس عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**»[2]، ألا لا

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٩/ ١٦٠).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا... برقم (٢٣٢).

غربة على مؤمن، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ثم قال: إنهما لا يبكيان على الكافر».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا مرسل، شريح بن عبيد... تابعي،... أعد سند حدثنا، أعد سنده.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يكفي، المقصود أنه مرسل، حدثني يحيى بن طلحة كذا عندك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انظر «التقريب» يحيى بن طلحة.

(مداخلة): وهب بن عبد الله ما ذكره يا شيخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ذكره في «التقريب»؟

(مداخلة): ذكر اثنين فقط.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم، ما فيه معافري ولا مغافري.

(مداخلة): ما ذكره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طيب، انظر يحيى بن طلحة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو أحمد ـ يعني: الزبيري ـ، حدثنا العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال: «سأل رجل عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال له: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، إنه ليس من عبد إلا له مصلى في الأرض، ومصعد عمله من السماء، وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض ولا عمل يصعد في السماء، ثم قرأ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟

مُنظَرِينَ﴾. وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن منهال عن سعيد بن جبير قال: «أتى ابن عباس رضي الله عنهما رجل فقال: يا أبا العباس، أرأيت قول الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال رضي الله عنه: نعم، إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه ففقده بكى عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله عز وجل فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير، فلم تبكِ عليهم السماء والأرض».

وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحو هذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذا سند جيد، السند جيد عن ابن عباس رضي الله عنه، نعم اللَّهُمَّ صلِّ عليه.

(مداخلة): يحيى بن طلحة بن أبي كثير اليربوعي الكوفي لين الحديث من العاشرة، الترمذي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: فقط؟

(مداخلة): . . . واحد قبله؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم.

(مداخلة): يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي المدني ثقة من الثالثة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الثالثة؟

(مداخلة): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الثالثة؟

(مداخلة): الثالثة، نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والأول؟

(مداخلة): والأول من العاشرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هو الذي، هو شيخ ابن جرير.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال سفيان الثوري عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان يقال: تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحًا»، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد.

وقال مجاهد أيضًا: «ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا، قال: فقلت له: أتبكي الأرض؟ فقال: أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل!».

وقال قتادة: «كانوا أهون على الله عَزَّ وَجَلَّ من أن تبكي عليهم السماء والأرض».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا عبد السلام بن عاصم، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا المستورد بن سابق عن عبيد المكتب عن إبراهيم قال: «ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على اثنين، قلت لعبيد: أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن؟ قال: ذاك مقامه حيث يصعد عمله، قال: وتدري ما بكاء السماء؟ قلت: لا، قال: تحمر وتصير وردة كالدهان، إن يحيى بن زكريا ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما قتل احمرت السماء وقطرت دمًا أو وقطرت دمًا، وإن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما قُتِل احمرت السماء»[1].

---

(١) قال سماحته: هو خرافات الرافضة ومن كذب الرافضة الله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كل هذا ليس بشيء، إبراهيم من صغار التابعين، وعبيد المكتب كذلك مما لا يُحتج بأقوالهم في مثل هذا، هذه أخبار تحتاج إلى قول النبي ﷺ ما ينفع فيها أقوال الناس، هذا مما يُتلقى عن بني إسرائيل وغيرهم، فلا يعتمد في مثل هذا في بكاء السماء أو في بكاء غيرها كالأرض أو أخبار الماضين، ما يُعتمد في هذا قول إبراهيم أو قول غيره، وإنما يُعتمد في ذلك على ما يثبت عن النبي ﷺ من السُّنَّة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وحدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو زنيج، حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال: لما قتل الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا احمرت آفاق السماء أربعة أشهر، قال يزيد: واحمرارها بكاؤها؟ وهكذا قال السدي الكبير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كل هذا يحتاج إلى تأمل، يزيد بن أبي زياد شيعي، المقصود أن هذا يحتاج إلى نظر، وإن كان قتل الحسين جريمة عظيمة ومنكر عظيم، لكن كونها بكت عليه السماء أربعة أشهر هذا يحتاج إلى رواية الثقات عما وقع.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عطاء الخراساني: بكاؤها أن تحمر أطرافها.

وذكروا أيضًا في مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ما طلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط، وأنه كسفت الشمس، واحمر الأفق، وسقطت حجارة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من كلام الشيعة، هذا من خرافات الشيعة؛ لقول النبي ﷺ:

«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا، وَادْعُوا، حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ»(١)، مات إبراهيم ابن النبي ﷺ في يوم كسوف الشمس، فقال بعض الناس: إنه كسفت لموت إبراهيم، فقال ﷺ: **«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّ اللهِ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ»**(٢) ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وفي كل من ذلك نظر، والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر، ولا شك أنه عظيم، ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه، وقد وقع ما هو أعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكروه، فإنه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أفضل منه بالإجماع، ولم يقع شيء من ذلك، وعثمان بن عفان رضي الله عنه قُتِل محصورًا مظلومًا ولم يكن شيء من ذلك، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قُتِل في المحراب في صلاة الصبح، وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك، ولم يكن شيء من ذلك، وهذا رسول الله ﷺ وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه، ويوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ خسفت الشمس فقال الناس: خسفت لموت إبراهيم وصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الكسوف وخطبهم، وبيَّن لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه في كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس برقم (١٠٤٠).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف برقم (١٠٤٤)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف برقم (٩٠١).

فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: يمتن عليهم تعالى بذلك، حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من لطفه سبحانه وبحمده، أنجى بني إسرائيل من العذاب المهين، وكان فرعون قد استعبدهم وأذلهم وجعلهم خدمًا للقبط، فأنجاهم الله من شره بعد التعب العظيم، والمدة الطويلة والإمهال الكثير، حتى أنقذ الله بني إسرائيل من بين يديه وخرج بهم موسى من مصر، ثم أتبعهم فرعون، لحقهم فرعون بجنوده الكثيرة، ففلق الله البحر لموسى وبني إسرائيل وأنقذهم وخرجوا، ثم دخل فرعون وجنوده في البحر فغرقوا، وهذا من لطف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، انطبق البحر عليهم بعدما خرجت بنو إسرائيل، وهذه سنته في أوليائه كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١ ـ ٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]، ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧]، هذه سنته في أوليائه تكون لهم العاقبة، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾؛ أي: مستكبرًا جبارًا عنيدًا؛ كقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، وقوله جلَّت عظمته: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٦].

أي: مسرف في أمره سخيف الرأي على نفسه.

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال مجاهد:

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على من هم بين ظهريه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: على، من زمانهم، اختارهم الله على علم في صفاتهم وأعمالهم، وبذلك صاروا خير الناس في زمانهم؛ لتقواهم وإيمانهم؛ يعني: الذين اتبعوا موسى وانقادوا لشرع الله هم خير الناس في زمانهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال قتادة: اختيروا على أهل زمانهم ذلك، وكان يقال: إن لكل زمان عالمًا، وهذا كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١٤٤]؛ أي: أهل زمانه ذلك؛ كقوله ﷻ لمريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]؛ أي: في زمنها، فإن خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إما أفضل منها أو مساوية لها في الفضل، وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، «وفضل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] هذه الأمة هي أفضل الأمم، ونبيّها أفضل الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾، الحجج والبراهين.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥] برقم (٣٤٣٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا برقم (٢٤٣١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: الآيات هي الحجج والبراهين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وخوارق العادات ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣]؛ أي: اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به.

*

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾؟ [الدخان: ٢٩][1].

ذكر العلماء في هذا أنه ليس لهم أعمال صالحة، وأن السماء والأرض تبكي إذا فقدت الأعمال الصالحة من أهل الخير، أما هؤلاء فلا خير فيهم، وليس لهم أعمال تصعد، ولهذا لا تبكي عليهم السماء ولا الأرض؛ لعدم أعمالهم الطيبة ـ نسأل الله العافية ـ.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الدخان: ٣٤ ـ ٣٧][2].

يقول تعالى منكرًا على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور،

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٩٠).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويحتجون بآبائهم الماضين، الذين ذهبوا فلم يرجعوا فإن كان البعث حقًّا: ﴿فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٦﴾. وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في الدار الدنيا، بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها، يعيد الله العالمين خلقًا جديدًا، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودًا، يوم تكونوا: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣] ثم قال تعالى متهددًا لهم ومتوعدًا ومنذرًا لهم بأسه الذي لا يرد، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين المنكرين للبعث، كقوم تبع وهم سبأ حيث أهلكهم وخرب بلادهم وشردهم في البلاد، وفرَّقهم شذَّر مذَّر كما تقدم ذلك في سورة سبأ وهي مصدرة بإنكار المشركين للمعاد، وكذلك هاهنا شبههم بأولئك، وقد كانوا عربًا من قحطان، كما أن هؤلاء عرب من عدنان، وقد كانت حِمْير وهم سبأ كلما ملك فيهم رجل سمَّوه تُبَّعًا، كما يقال: كسرى لمن ملك الفرس، وقيصر لمن ملك الروم، وفرعون لمن ملك مصر كافرًا، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وغير ذلك من أعلام الأجناس. ولكن اتفق أن بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند واشتد ملكه، وعظم سلطانه وجيشه واتسعت مملكته وبلاده وكثرت رعاياه وهو الذي مصَّر الحيرة، فاتفق أنه مر بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية، فأراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار وجعلوا يقرونه بالليل، فاستحيا منهم وكف عنهم، واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة، فإنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان، فرجع عنها وأخذهما معه إلى بلاد اليمن، فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهياه عن ذلك أيضًا وأخبراه بعظمة هذا البيت وأنه من بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وأنه سيكون له شأن عظيم على يد ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان، فعظَّمها وطاف بها وكساها الملاء والوصائل والحبر. ثم كر راجعًا إلى اليمن ودعا أهلها إلى التهود معه،

وكان إذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح عليه الصلاة والسلام، فتهَّود معه عامة أهل اليمن، وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتاب السيرة، وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة، أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا ومما لم نذكر. وذكر أنه ملك دمشق، وأنه كان إذا استعرض الخيل صفت له من دمشق إلى اليمن، ثم ساق من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ما أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا؟ ولا أدري تبَّع لعينًا كان أم لا؟ ولا أدري ذو القرنين نبيًّا كان أم ملكًا؟»** وقال غيره: (عزير أكان نبيًّا أم لا؟)[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا يحتاج إلى صحة السند؛ لأن ابن عساكر متأخر، ومن عبد الرزاق إلى ما بعده جيد لكن ما قبل عبد الرزاق يحتاج إلى. . ، وقد ثبت عن الرسول ﷺ أن الحدود طهرة لأهلها، وأن العبد متى أعتقه الله في الدنيا كان كفارة له بالحد إذا لم يعد على المعصية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الظهراني.

الشيخ:

لعله الطهراني نسبة إلى طهران تبع إيران، وعاصمة إيران، في القاموس بكسر الطاء: طهران.

مداخلة: عندنا الطبراني.

الشيخ: عندكم الظهراني.

مداخلة: الطبراني.

---

(١) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير، تفسير سورة الزخرف برقم (٣٧٢٣) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

إيه، لا، ما هو بـالطبراني إما الطهراني ولا الظهراني ما هو بـالطبراني إي هذا هو أقرب... طهراني نسبة إلى طهران، عجمي، وصاحب الخلاصة جعلها معجمة (ظهراني) ما نعرف نسبة ظهران لأي ظهران، لكن الطهراني عاصمة إيران الآن طهران، نعم رواه أيش؟!

الملقي: وكذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الظهراني.

الشيخ: الطهراني.

مداخلة: الظهراني ؟

الشيخ: الصواب الطهراني بكسر المهملة كما في التقريب.

الشيخ: نعم. ويش بعده حدثنا؟

القاري: نعم، [وكذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الطهراني عن عبد الرزاق، قال الدارقطني : تفرد به عبد الرزاق].

الشيخ: الثاني الذي قبله؟ الثاني.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

نعم، [ثم ساقه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«ما أدري»**].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا جيد، السند هذا جيد، لكن قوله: (لا أدري هل الحدود طهرة) ثبت عنه ﷺ بعد ذلك ما يدل على أنها طهرة.

مداخلة: أي نعم، يقول: [محمد بن حماد الطهراني الرازي سمع عبد الرزاق... وعنه ابن ماجه وابن أبي ثابت وخلق توفي إحدى وسبعين مائتين ابن ماجه.

وفي الحاشية يقول: صدوق إن شاء الله قاله: قال: قد وثقه الدارقطني وابن أبي حاتم وحسبه، وذكر فيه كلامًا آخر..... فانظره من الميزان، انتهى].

الشيخ: بالطاء عندك؟

مداخلة: إي نعم بالطاء.

الشيخ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم روى ابن عساكر من طريق محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: (عزير لا أدري أنبيًّا كان أم لا؟ ولا أدري ألعين تبع أم لا؟) ثم أورد ما جاء في النهي عن سبه ولعنته كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وكأنه والله أعلم كان كافرًا، ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام، وحج البيت في زمن الجرهميين، وكساه الملاء والوصائل من الحرير والحبر، ونحر عنده ستة آلاف بدنة، وعظمه وأكرمه ثم عاد إلى اليمن، وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة، مبسوطة عن أبي بن كعب وعبد الله بن سلام وعبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم، وكعب الأحبار وإليه المرجع في ذلك كله، وإلى عبد الله بن سلام أيضًا وهو أثبت وأكبر وأعلم، وكذا روى قصته وهب بن منبه ومحمد بن إسحاق في السيرة كما هو مشهور فيها.

وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تبَّع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل، فإن تبَّعًا هذا المشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه، ثم لما توفي عادوا بعده إلى عبادة النيران والأصنام، فعاقبهم الله تعالى كما ذكره في سورة سبأ وقد بسطنا قصتهم هنالك ولله الحمد والمنة. وقال سعيد بن جبير: كسا تبع الكعبة، وكان سعيد ينهى عن سبه، وتبَّع هذا هو تُبَّع الأوسط واسمه أسعد أبو كريب بن مليكرب اليماني ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستًّا وعشرين سنة، ولم يكن في حمير أطول مدة منه، وتوفي قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو من سبعمائة سنة. وذكروا أنه لما ذكر له الحبران من يهود المدينة أن هذه البلدة مهاجر نبي في آخر الزمان اسمه أحمد].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني في آخر الزمان، نبي في آخر الزمان اسمه أحمد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

مهاجر نبي في آخر الزمان، اسمه أحمد، قال في ذلك شعرًا واستودعه عند أهل المدينة، فكانوا يتوارثونه ويروونه خلفًا عن سلف، وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله ﷺ في داره وهو:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيرًا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل غم

وذكر ابن أبي الدنيا أنه حفر قبر بصنعاء في الإسلام فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر حي ولميس. وروي حي وتماضر ابنتي تبع، ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيئًا، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما. وقد ذكرنا في سورة سبأ شعر سبأ في ذلك أيضًا، قال قتادة: ذكر لنا أن كعبًا كان يقول فيتبع: نعت الرجل الصالح ذم الله تعالى قومه ولم يذمه. قال: وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: [لا تسبوا تُبَّعًا فإنه قد كان رجلًا صالحًا، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي زرعة يعني: عمرو بن جابر الحضرمي قال: سمعت سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا تبعًا فإنه قد كان أسلم**». ورواه الإمام أحمد في مسنده عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة به[1]. وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا أحمد بن محمد بن أبي برزة، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا سفيان عن سماك بن حرب].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٤٠).

مداخلة: برزة أو بزة أحسن الله إليك؟

الشيخ: برزة كذا بالراء؟

القاري: نعم.

الشيخ: برزة ؟

الملقي: نعم.

الشيخ: محمد أيش؟

مداخلة: أحمد بن محمد بن أبي بزة.

الشيخ: بزة، وعندكم برزة ؟

الشيخ: انظر: التقريب لعله.. التقريب أو الخلاصة محمد بن؟

الشيخ: قد يكون من ذرية القاسم بن أبي بزة المعروف.

مداخلة: عزير في الحديث السابق قال: (فلا أدري أعزير نبي أم..).

الشيخ: الله أعلم، الله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا تبَّعًا فإنه قد أسلم**».

وقال عبد الرزاق أيضًا: أخبرنا معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أدري تبع نبيًّا كان أم غير نبي؟**» وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبي حاتم كما أورده ابن عساكر: (لا أدري تبع كان لعينًا أم لا؟) فالله أعلم، ورواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيى المدني عن عكرمة عن ابن عباس موقوفًا.

الشيخ: نعم.

مداخلة: عندنا زكريا بن يحيى البدي ذكر في التعليق...... عن ترجمته في الجرح والتعديل لـ ابن أبي حاتم واللباب لـ بن الأثير.

الشيخ: زكريا بن يحيى عندك؟ أي المدني.

القاري: زكريا بن يحيى المدني.

الشيخ: المدني؟

الملقي: نعم.

مداخلة: أحمد بن محمد ما ذكر برزة ولا بزة.

الشيخ: ما ذكره؟

مداخلة: ما ذكره.

الشيخ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[وقال عبد الرزاق: أخبرنا عمران أبو الهذيل، أخبرني تميم بن عبد الرحمٰن قال: قال عطاء بن أبي رباح: (لا تسبوا تبعًا فإن رسول ﷺ نهى عن سبه) والله تعالى أعلم].

ولا شك في دخوله في هذه الآية، ولكن ليست خاصة به.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ **[الدخان: ٣٨ ـ ٤٢]**(١).

يقول تعالى مخبرًا عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في مسجده بمدينة الطائف.

والباطل، كقوله جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبين لنا أنه سبحانه إنما خلق الخلق ليعبد وحده لا شريك له، لم يخلق عبثًا ولا سدًى ولا لعبًا، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، استفهام إنكار، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، استفهام إنكار. فالله خلق السموات، وخلق الأرض، وخلق الإنس والجن لحكمة عظيمة، لم يخلقها باطلًا ولا عبثًا، بل خلق الخلق ليعبد وحده لا شريك له، وليُعلم أنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه المالك لكل شيء، وأنه المتصرف في كل شيء، هو الحكم العدل، الذي خلق كل شيء عن حكمة، لا عن لعب ولا عبث: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ [ص: ٢٧]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]. . الله المستعان. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين. وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾؛ أي: يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا ينفع قريب قريبًا،

كقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وكقوله جلَّت عظمته: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠، ١١]؛ أي: لا يسأل أخًا له عن حاله وهو يراه عيانًا. وقوله جل جلاله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾؛ أي: لا ينصر القريب قريبه، ولا يأتيه نصره من خارج ثم قال..].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كما قال جل جلاله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧] الأمر عظيم كل يقول: نفسي نفسي، الله المستعان لا حول ولا قوة إلا بالله.

يعني: كل مشغول بنفسه، ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: ٤٠، ٤١]، ما يغني قريب عن قريب، ولا صاحب عن صاحب، كل مأخوذ بعمله، ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧]. فيجب على العاقل أن يعد العدة، وأن يحرص على العمل الصالح، وألا يقول: أنا ابن فلان، ما ينفعه كونه ابن فلان، إبراهيم ما أنجى أباه، ونوح ما أنجى ابنه، ومحمد ﷺ ما أنجى عمَّيه، لا عمه أبا طالب، ولا عمه أبا لهب، كل مأخوذ بعمله، ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١﴾. فالأمر بيده سبحانه وتعالى، فعليك أن تجتهد في إصلاح العمل.

أما التعلق بالأقارب فلا ينفعك، ولو كانوا أنبياء: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، لا بالأنساب: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠١]، الله المستعان، لا حول ولا قوة إلا بالله. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾؛ أي: لا ينفع يومئذ إلا رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ بخلقه، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢﴾؛ أي: هو عزيز ذو رحمة واسعة.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٦ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠﴾ **[الدخان: ٤٣ ـ ٥٠]**(١).

يقول تعالى مخبرًا عما يعذب به الكافرين الجاحدين للقائه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣﴾ والأثيم؛ أي: في قوله وفعله، وهو الكافر، وذكر غير واحد أنه أبو جهل، قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلًا: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤﴾ فقال: طعام اليتيم. فقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قل: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر.

أي: ليس له طعام من غيرها، قال مجاهد: ولو وقعت قطرة منها في الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، وقد تقدم نحوه مرفوعًا. وقوله: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ قال: كعكر الزيت، ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: من حرارتها ورداءتها. وقوله: ﴿خُذُوهُ﴾؛ أي: الكافر، وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزبانية].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد ذكرها سبحانه في سورة الصافات: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٢ ـ ٦٨]، نسأل الله العافية.

مداخلة: كعكر الزيت؟

الشيخ: ماذا عندك. نعم؟

الملقي: كعكر الزيت.

الشيخ: ماذا عندكم؟

مداخلة: كعكر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

انظر عكر في القاموس باب الراء فصل العين مع الكاف، عكر أو عكر ما هو العبارة عندك؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قالوا: كعكر الزيت يغلي في البطون ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: من حرارتها ورداءتها..

الشيخ: نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿خُذُوهُ﴾؛ أي: الكافر، وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزبانية: ﴿خُذُوهُ﴾ ابتدره سبعون ألفًا منهم. وقوله: ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾؛ أي: سوقوه سحبًا ودفعًا في ظهره، قال مجاهد: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾؛ أي:

خذوه فادفعوه، وقال الفرزدق: ليس الكرام بناحليك أباهم حتى ترد إلى عطية تعتل. ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧﴾ أي: وسطها، ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٨﴾ كقوله ﷻ: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩، ٢٠]. وقد تقدم أن الملك يضربه بمقمعة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الحميم على رأسه، فينزل في بدنه فيسلت ما في بطنه من أمعائه حتى تمرق من كعبيه، أعاذنا الله تعالى من ذلك. وقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾؛ أي: قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ. وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي لست بعزيز ولا كريم، وقد قال الأموي في مغازيه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني تقريعًا له وتوبيخ، كان قد يقال له في الدنيا عزيز كريم وهو المرتذل الذليل الذميم نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد قال الأموي في مغازيه: حدثنا أسباط بن محمد، حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال: (لقي رسول الله ﷺ أبا جهل لعنه الله فقال: إن الله تعالى أمرني أن أقول لك: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥]، قال: فنزع ثوبه من يده وقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، ولقد علمت أني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم، قال: فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيَّره بكلمته، وأنزل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾. وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ۝٥٠﴾[1] كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٣ - ١٥]، ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ۝٥٠﴾.

---

(١) قال سماحته رحمه الله: يعني تشكون وترتابون وتشبهون وتلبسون على الناس، لما عندكم من الشك والريب والتكبر عن الحق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا عام، ليس خاصًا بأبي جهل ولا غيره، إنما هذا يقال لأعداء الله، الذين تكبروا في الدنيا، وعصوا الله، وكابروا الحق، يقال لهم هذا الكلام: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾، كان يقال له هذا ويرى نفسه عزيز كريم، فالآن هو في غاية الذل والهوان والصَّغار والعذاب، نسأل الله العافية، فيتهكم بهذا الكلام له، المعنى: أنك الذليل الحقير الآن المدحور، وإن كنت سابقًا يقال لك: عزيز كريم، وترى نفسك عزيزًا كريمًا، فالآن في الذل والهوان: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾؛ أي: تشكون ولا تؤمنون ﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾. هذه العاقبة، عاقبة عزهم في الدنيا بالباطل، والكفر والضلال، وتكبرهم على الناس، هذه العاقبة، الذل والهوان والصغار، والعذاب الشديد، نسأل الله العافية.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ **[الدخان: ٥١ ـ ٥٩]**(١).

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء، ولهذا سمي القرآن مثاني، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: لله في الدنيا.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ أي: تثنى فيه الأخبار وتكرر، الجنة والنار، قصص الأنبياء... تكرر وتثنى للعظة والذكرى، تارة يذكر الجنة، وتارة يذكر النار، وتارة يذكر قصة هود، قصة ثمود، قصة آدم، قصة نوح، ويكررها ويثنيها؛ للعظة والذكرى.

(مداخلة): هذا خاص بالكافر، وإلا لكل... كل واحد...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: هذا للكافر، يقال للكافر، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٖ﴾؛ أي: في الآخرة وهو الجنة قد أمنوا فيها من الموت والخروج ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب، ومن الشيطان وكيده وسائر الآفات والمصائب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

من كل سوء، مقام أمين من كل سوء من الموت ومن الخراب ومن المرض ومن كل أذى ومن الشيطان، قد أمنوا من كل شيء، في نعيم دائم مع الأمان.

الله أكبر: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ﴾، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، هذه الغبطة النعمة العظيمة، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الحميم.

وقوله تعالى: ﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ﴾: وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها، ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾: وهو ما فيه بريق ولمعان، وذلك كالرياش وما

يُلبس على أعالي القماش، ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾؛ أي: على السرر لا يجلس أحدهم منهم وظهره إلى غيره].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: في مجالسهم متقابلين، وجوه هؤلاء إلى وجوه هؤلاء يتحدثون، كما يقع الآن بين الأخيار.

(القارئ): الرياش ـ عفا الله عنك ـ يعني: الزينة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الزينة نعم، الله أكبر: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]. وجاء.. والقراءة الأخرى: ﴿وَرِيشًا﴾؛ فالثياب قسمان: قسم يستر العورات، وقسم للجمال كما في صلاة الجمعة وغيرها، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ فيها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

(مداخلة): مضافة، معرفة هذه.

(القارئ): معرفة.. العين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا عندك؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾.

(القارئ): معرفة هنا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ خطأ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[أي: هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحسان، الحور العين اللاتي ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: ٥٦]، ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٥٨]، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نوح بن حبيب، حدثنا نصر بن مزاحم العطار، حدثنا عمر بن سعد عن رجل عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رفعه نوح قال: «لو أن حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك الماء؛ لعذوبة ريقها».

وقوله ﷻ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]؛ أي: مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه؛ بل يحضر إليهم كل ما أرادوا].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] الله أكبر، ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧]: ما يطلبون، نعيم حاضر الله أكبر.

الأسئلة:

● **س: قول أنس صحيح يا شيخ؟**

(الشيخ): ماذا فيه؟

(مداخلة): «لو أن حوراء بزقت»؟

الجواب: لا، هذا خبر ضعيف، فيه رجل مجهول.

تتمة تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]: هذا استثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع، ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا كما ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**»[١]. وقد تقدم الحديث في سورة مريم ـ عليها الصلاة والسلام ـ.

وقال عبد الرزاق: حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي مسلم الأغر عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَئِسُوا أَبَدًا**». رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق به[٢].

هكذا يقول أبو إسحاق، وأهل العراق أبو مسلم الأغر، وأهل المدينة يقولون: أبو عبد الله الأغر.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب التفسير، باب قوله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩] برقم (٤٧٣٠)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٩).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما في كتاب الجنة، باب في دوام نعيم أهل الجنة برقم (٢٨٣٧).

وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني: حدثنا أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان عن الحجاج ـ وهو: ابن حجاج ـ عن عبادة عن عبيد الله بن عمرو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اتقى الله..**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: كذا عندكم؟

(مداخلة): إي نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الحجاج هو: ابن الحجاج؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا بعده؟

(القارئ): ابن حجاج عن عبادة عن عبيد الله بن عمرو.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: كذا، عن عبادة عن عبيد الله؟

(مداخلة): إي نعم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا يبأس، ويحيا فيها فلا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الله أكبر، نسأل الله يجعلنا وإياكم منهم، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، يا لها من نعمة، ويا لها من غبطة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن يحيى، حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا سليم بن عبد الله الرقي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: من، سليم من؟

(القارئ): سليم بن عبد الله الرقي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم.

(القارئ): حدثنا مصعب بن إبراهيم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا عندكم؟

(مداخلة): سليمان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: سليم بن عبد الله الرقي. نعم؟

(مداخلة): عندنا سليمان بن عبد الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: سليمان؟

(مداخلة): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنت عندك سليم؟

(القارئ): سليم أو سليم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: انظر «التقريب»، انظر سليم وسليمان.

(مداخلة): أحسن الله إليك! السند الأول، وقال أبو بكر بن أبي دؤاد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، داود، عبد الله بن أبي داود، ولد صاحب السنن، أبو بكر بن عبد الله بن أبي داود ولد صاحب السنن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا مصعب بن إبراهيم، حدثنا عمران بن الربيع الكوفي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سئل نبي الله ﷺ: أينام أهل الجنة؟ فقال ﷺ: **النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون**». وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

النوم موت، يذهب معه الشعور، ولهذا حياتهم دائمة في نعيم دائم

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ٤٣٠).

لا يتعبون حتى يحتاجوا للنوم، ما عندهم تعب ولا مشقة، في نعيم دائم ونشاط دائم، وصحة دائمة، لا يحتاج معها إلى نوم، الله أكبر، نعم، أما في الدنيا فيحتاج.. يضعف الإنسان، يتعب، يحتاج للنوم، أما الآخرة، أما أهل الجنة فليس عندهم تعب؛ بل في نعيم دائم ونشاط دائم وصحة دائمة وخير دائم، وسرور دائم لا يحتاجون معه إلى نوم، والنوم موت، أعد سنده حدثنا، نعم، معروف هذا معروف.. ولو ما صح....

(القارئ): [قال أبو القاسم].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن يحيى، حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا سليم بن عبد الله الرقي، حدثنا مصعب بن إبراهيم، حدثنا عمران بن الربيع الكوفي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يحتاج... سنده يحتاج إلى نظر، نعم، الأمر سهل.

(مداخلة):

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ....، نعم.

(مداخلة): سليم يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وجدتم سليم؟

(مداخلة): لم نجد سليم بن عبد الله، ليس موجودًا يا شيخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا سليمان؟

(مداخلة): سليمان موجود.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: سليمان من؟

(مداخلة): موجود أربعة يا شيخ: سليمان بن عبد الله بن الحارث الهاشمي مجهول الحال من السابعة، النسائي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

(مداخلة): وسليمان بن عبد الله بن الزبرقان ويقال: ابن عبد الرحمٰن بن فيروز لين الحديث من السابعة، ابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: غيره.

(مداخلة): سليمان بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن أبي داود الحراني، أبو أيوب صدوق، من الحادية عشرة مات سنة ثلاث وستين، النسائي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: غيره.

(مداخلة): هذا الذي روى له النسائي، كذلك سليمان بن عبد الله بن عويمر الأسلمي مقبول من السادسة أبو داود.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: غيره.

(مداخلة): سليمان بن عبد الله أبو فاطمة، لين الحديث من السادسة.

(الشيخ): غيره.

(مداخلة): سليمان بن أبي عبد الله مقبول من الثالثة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: غيره.

(مداخلة): ما ذكره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس موجودًا، نعم يحط الذي عنده سليم يحط سليمان نسخة، والذي عنده سليمان يحط سليم نسخة فقط، ما فيه بأس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره: حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري، حدثنا المقدام بن داود، حدثنا عبد الله بن المغيرة، حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن

عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون**».

وقال أبو بكر البزار في «مسنده»: حدثنا الفضل بن يعقوب، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: حدثنا محمد بن يوسف.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال: «قيل: يا رسول الله! هل ينام أهل الجنة؟ قال ﷺ: **لا، النوم أخو الموت**»[1]، ثم قال: لا نعلم أحدًا أسنده عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه إلا الثوري.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: أعد سنده: حدثنا عن البزار.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال أبو بكر البزار في «مسنده»: حدثنا الفضل بن يعقوب، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: وهذا سند صحيح إن سلم من شيخ المؤلف الفضل ما أعرفه، سنده صحيح، انظر الفضل بن يعقوب في «التقريب» أو في «الخلاصة» الفضل بن يعقوب شيخ البزار.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: لا نعلم أحدًا أسنده عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه إلا

---

(١) أخرجه الطبراني بسنده ومتنه في الأوسط (١/ ٥٠٢ ح(٩٢٥٣))، ونسبه الهيثمي إلى الطبراني في الأوسط والبزار، وقال: ورجال البزار رجال الصحيح مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٥)، وصححه السيوطي في الدر المنثور. «انظر: السلسلة الصحيحة» للألباني (١٠٨٧).

الثوري، ولا عن الثوري إلا الفريابي هكذا قال، وقد تقدم خلاف ذلك، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم.

(مداخلة): الفضل بن يعقوب يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم؟

(مداخلة): الفضل بن يعقوب بن إبراهيم بن موسى الرخامي ـ بضم الراء بعدها معجمة ـ أبو العباس البغدادي، ثقة حافظ من الحادية عشرة، مات سنة ثمان وخمسين، البخاري وابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم هذا سند صحيح.

(مداخلة): فيه آخر...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم.

(مداخلة): الفضل بن يعقوب البصري المعروف بالجزري بجيم وزاي وراء صدوق من العاشرة مات سنة ست وخمسين، أبو داود وابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يحتمل هذا... محتمل، غيره أحد ثالث.

(مداخلة): نعم يا شيخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ثالث؟

(مداخلة): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم.

(مداخلة): الفضل بن يعقوب الجعفي الكوفي أبو العباس، صدوق من الثانية عشرة، تمييز.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم، غيره؟

(مداخلة):

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: المقصود لا بأس به، سند لا بأس به.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم وسلَّمهم ونجَّاهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم، فحصل لهم المطلوب، ونجَّاهم من المرهوب، ولهذا قال ﷻ: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: إنما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**»[(١)].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: إنما يسَّرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلًا واضحًا بيِّنًا جليًّا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: يتفهمون ويعملون، ثم لَمَّا كان مع هذا الوضوح

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا من فضل الله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] في هذا القرآن العظيم فيه العجائب، وفيه الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، فيه بيان طريق النجاة وطريق السعادة حتى يُسلَك، وفيه بيان

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل برقم (٦٤٦٣)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى برقم (٢٨١٦).

طريق الغواية والهلاك حتى يُجتنَب، فلا يهلك على الله إلا هالك، قرآن كريم واضح، وأدلة واضحة، وبيان واضح، ولكن لا حول ولا قوة إلا الله، نعوذ بالله من العمى والصدود: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

يجب على أهل الإسلام، بل يجب على المكلفين العقلاء يجب عليهم أن يتدبَّروا هذا القرآن، وهل هناك شيء أوضح منه؟ هدى هدى، وبيان وإرشاد، موعظة، ذكرى، ترغيب، ترهيب، أمر ونهي، قصص، كل أنواع البيان وأنواع التوجيه حاصلة، لكن نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى، نعوذ بالله من الحيرة، نعوذ بالله من الصدود عن الحق، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند، قال الله تعالى لرسوله ﷺ مسليًا له، وواعدًا له بالنصر، ومتوعدًا لمن كذبه بالعطب والهلاك: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾؛ أي: انتظر، ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ [الدخان: ٥٩]؛ أي: فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر، وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك يا محمد ولإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥١ ـ ٥٢]].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، اللَّهُمَّ اجعلنا من المتقين،

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المتقين، لهم العاقبة في الدنيا والآخر، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

آخر تفسير سورة الدخان، ولله الحمد والمنّة، وبه التوفيق والعصمة].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بارك الله فيك.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ **[الدخان: ٥١ ـ ٥٧]**(١).

يبيِّن عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآيات الكريمات مآل المتقين ومصيرهم وما لهم عند الله من الكرامة العظيمة، والخير الكثير؛ تشويقًا لهذا الخير العظيم وترغيبًا للعباد في عمل ما شرع الله جَلَّ وَعَلَا، والبعد عما حرَّم الله؛ ليستحقوا هذه الكرامة.

فإن التقوى كلمة جامعة تجمع الخير كله، فالمتقون هم الذين ابتعدوا عن محارم الله، وأدوا فرائضه، ووقفوا عند حدوده عن رغبة وإيمان وصدق وإخلاص، فلهذا وعدهم الله بهذا الخير العظيم، وذكر أعمالهم في مواضع كثيرة من كتابه المبين، يبيِّن فضلهم، ويحثُّ المكلفين على التخلُّق بأخلاقهم، والسير على منهاجهم.

---

(١) حديث المساء (ص١٤٢).

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات: ٤١، ٤٢]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٤] إلى غير ذلك.

يبيِّن مصيرهم العظيم وثوابهم الجزيل وما أعد لهم من الكرامة ﷻ؛ لقيامهم بحقه، واتقاء محارمه، وبعدهم عن أسباب غضبه ﷻ.

فلهذا يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١﴾ الجنة مقام أمين لا موت ولا خراب ولا عداء ولا غير ذلك من الأذى، فهو مقام أمين من كل أذى. فأهل الجنة في نعيم وفي أمان وفي خير وصلاح وفي نعمة دائمة وصحة دائمة وسلامة من كل الأكدار والأحزان ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١﴾.

ثم فسَّر ذلك فقال: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢﴾.

فهم في خير عظيم، فينبغي للمؤمن أن ينافس في هذه الخيرات وهذه الصفات العظيمة، ثم بيَّن اللباس فقال: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣﴾.

يعني: أنواع الحرير العظيم الذي لا يشبه حرير الدنيا، بل هو خير من ذلك، وإنما شابه في الأسماء، فعليك يا عبد الله أن تُعنى بهذا الأمر العظيم: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾.

يعني: مع زوجاتهم من الدنيا، فالمتقون لهم زوجات من الدنيا وزوجات من الحور، لهم فيها ما يدعون وما يشتهون، وذلك من فضله سبحانه وإحسانه إليهم ﷻ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾.

يدعون بكل ما يشتهون ويطلبون مع الأمان لا يخشون تألمًا ولا مرضًا ولا عواقب وخيمة مهما أكلوا ومهما شربوا ومهما تنعموا، بخلاف أهل الدنيا فقد تضرهم بعض الأكلات وقد تسبِّب عليهم أمراضًا، أما

أولئك الأخيار في دار النعيم، فمهما أكلوا ومهما شربوا فلا تعب ولا مشقة ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

يعني: آمنين من كل سوء من مرض أو تخمة أو كدر أو ألم أو مغص أو غير هذا. فليس هناك شيء من التعب، ثم بعد ذلك كمل الأمر بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾، فهي حياة مستمرة أبد الآباد، ليس فيها موت ولا مرض ولا كدر ولا حزن ولا أذى.

ثم أكَّد هذا بقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

التي صارت في الدنيا هذه عامتهم، لكن في الجنة لا موت، وفي النار لا موت، أهل النار مخلدون فيها أبد الآباد: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، ويقول سبحانه: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣] بل في عذاب مستمر لا حياة مريحة ولا موت مريح، بل في العذاب والنكال، أما أهل الجنة ففي حياة النعيم والسعادة والخير الكثير لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى.

ثم قال: ﴿...وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾.

يعني: مع هذه النعمة العظيمة لا عذاب، بل سلموا من العذاب في قبورهم وفي آخرتهم فهم في نعيم في القبر وفي نعيم في الآخرة ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾، هذا من كرمه تَعَالَىٰ: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾.

فجدير بكل عاقل وبكل مكلف أن يعمل لعله ينجو، لعله يفوز بهذا الخير العظيم، وذلك بطاعة الله والاستقامة على أمر الله، والتواصي بحق الله، والحذر من أسباب غضب الله.

رَزقَ الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❑ ❑ ❑

تفسير آيات من سورة الجاثية(١)

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة الجاثية:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ **[الجاثية: ١ ـ ٥]**.

يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه وقدرته العظيمة، التي خلق بها السماوات والأرض، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه، وهذا بضيائه، وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقًا؛ لأن به يحصل الرزق، فأحيا بها الأرض بعد موتها؛ أي: بعد ما كانت هامدة، لا نبات فيها ولا شيء.

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير ابن كثير من دروس الفجر بجامع الإمام تركي بن عبد الله بمدينة الرياض بقراءة فضيلة الشيخ أحمد العرفج.

وقوله ﷻ: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾؛ أي: جنوبًا وشمالًا، ودبورًا وصَبا، بريَّةً وبحرية، ليلية ونهارية، ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقاح، ومنها ما هو غذاءٌ للأرواح، ومنها ما هو عقيمٌ لا ينتج.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كل هذه آياته: خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، واختلاف النبات، والحيوانات، واختلاف الرياح وتنوعها، كلها من آياته الدالة على قدرته العظيمة، وأنه ربُّ العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه الواجب أن يُعبد ويُطاع، ويعظم أمره ونهيه ﷻ، فقد أرانا الآيات العظيمات، ولكن أكثر الخلق كالحيوانات لا يبصر ولا يفهم، كما قال ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، هذه حال أكثر الخلق ليس عندهم بصيرة، ولا تدبُّر، ولا تعقُّل لهذه الآيات، فليحذر المؤمن التشبُّه بهم، وليكن له عبرة وعظة وذكرى في هذه المخلوقات، يستدل بها على عظمة الخالق، وأنه المستحق لأن يُعبد ويُعظَّم ويُخاف ويُرجى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال تَعَالَىٰ أولًا: ﴿لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ثم ﴿يُوقِنُونَ﴾، ثم ﴿يَعْقِلُونَ﴾، وهو ترقٍّ من حالٍ شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى، وهذه الآيات شبيهةٌ بآية البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. وقد أورد ابن أبي حاتم ها هنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلًا غريبًا في خلق الإنسان من الأخلاط الأربعة، والله أعلم.

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية: ٦ ـ ١١](١).

يقول تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: القرآن، بما فيه من الحجج والبينات، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: متضمنة الحق من الحق، فإذا كانوا لا يؤمنون بها، ولا ينقادون لها، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾؛ أي: أفاكٍ في قوله، كذَّاب، حلَّاف، مهين، أثيم في فعله وقلبه، كافر بآيات الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الأفَّاك في القول، الكذَّاب؛ يعني: كذَّاب حلَّاف، وأما الأثيم: فهو الأثيم في أفعاله؛ كالقلبية والجارحية، مثل: الزنا والسرقة والكبر، وغير هذا من الأعمال القلبية والجارحية، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

كافرٌ بآيات الله، ولهذا قال: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾؛ أي: تقرأ عليه، ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾؛ أي: على كفره وجحوده استكبارًا وعنادًا، ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾؛ أي: كأنه ما سمعها، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: فأخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذابًا أليمًا موجعًا، ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾؛ أي: إذا حفظ شيئًا من القرآن كفر به، واتخذه سخريًا وهزوًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ أي: في مقابلة ما استهان بالقرآن

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

واستهزأ به، ولهذا روى مسلم في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ»(١).

(مداخلة): ما رواه البخاري ومسلم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ما أتذكره الآن إما في الصحيح وإلا في أحدهما.

(مداخلة): ذكر تعليقًا في الحاشية: رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه في أيديهم، وقد أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب السفر بالمصاحف إلى أرضهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم طيب، هذا هو الظاهر، والمقصود إذا كان على خطر أن تناله أيديهم، أما إذا كان لا خطر فيه فلا حرج.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم فسَّر العذاب الحاصل له يوم معاده، فقال: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: كل من اتصف بذلك، سيصيرون إلى جهنم يوم القيامة، ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئًا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾؛ يعني: القرآن، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾: وهو المؤلم الموجع، والله سبحانه وتعالى أعلم.

*

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو برقم (٢٩٩٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم برقم (١٨٦٩).

□ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٢ ـ ١٥][(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يذكر تعالى نعمه على عبيده، فيما سخَّر لهم من البحر: ﴿لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾، وهي السفن فيه بأمره تعالى، فإنه هو الذي أمر البحر بحملها، ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: في المتاجر والمكاسب، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: على حصول المنافع المجلوبة إليكم من الأقاليم النائية، والآفاق القاصية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من جوده وكرمه، أن سخّر البحر يحمل هذه المراكب العظيمة، وهو ما لو وضعت حجرًا صغيرًا نزل، وهذا مركبٌ عظيم، وما فيه من الأموال والأنفس، يحمله البحر، هذه من آيات الله العظيمة، ومن فضله جَلَّ وَعَلَا، سخَّر لنا هذا الفُلك يجري في البحر بأمره، تمخر البحر، هذه من آيات الله العظيمة، ثم هذه الطائرات التي تمخر الجو، سخَّرها أيضًا، وعلّم الإنسان ما لم يعلم، كل هذا من فضله؛ فالواجب على العباد الشكر للذي علّمهم، ويسَّر لهم هذه الأمور، حتى اتصلت البلاد بعضها ببعض؛ كأنها بلدٌ واحدة، ما بين مشارقها ومغاربها، بهذه المراكب العظيمة البحرية والجوية والبرية، من السيارات والسفن والبواخر والطائرات، وغير هذا مما سخّر، كل هذه من آياته ومن نعمه؛

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالواجب على العباد أن يشكروه، وأن يتقوه، فما أصابهم مما يؤذيهم هو بسبب ذنوبهم، فالواجب الحذر، وأن يشكر الله على هذه النعم العظيمة، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، فهذه النعم التي ساقها الله للعباد وأنعم بها عليهم هي من فضله وجوده وكرمه، ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: من الكواكب والجبال والبحار والأنهار، وجميع ما تنتفعون به؛ أي: الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه، ولهذا قال: ﴿جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾؛ أي: من عنده وحده لا شريك له في ذلك، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ كل شيءٍ هو من الله، وذلك الاسم فيه اسمٌ من أسمائه، فذلك جميعًا منه، ولا ينازعه فيه المنازعون، واستيقن أنه كذلك، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا الفريابي عن سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن أبي أراكة قال: سأل رجلٌ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مِمَّ خلق الخلق؟ قال: من النور والنار والظلمة والثرى، قال: وأتِ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فاسأله، فأتاه، فقال له مثل ذلك، فقال: ارجع إليه، فاسأله: مم خلق ذلك كله؟ فرجع إليه، فسأله، فتلا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾، هذا أثرٌ غريبٌ، وفيه نكارة، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

(مداخلة): أحسن الله إليك! تفسير ابن عباس لما قال: وذلك الاسم فيه اسمٌ من أسمائه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من رواية ضعيفة، ، عطية العوفي ضعيف، الله جَلَّ وَعَلَا خلق كل دابةٍ من ماء، وخلق آدم من التراب، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخلق كل دابة من ماءٍ مهين، وخلق بقيتها مما يخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(مداخلة): كل الأشياء يا شيخ خُلِقت من ماء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله خلق كل دابة من ماء، الله جَلَّ وَعَلَا. . . الدابة من ماء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ليصفحوا عنهم، ويتحملوا الأذى منهم، وكان هذا في ابتداء الإسلام، أُمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب؟ ليكون ذلك كالتأليف لهم، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد، هكذا روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقتادة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل ما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] هذا في أول الإسلام، ثم أمر بالجهاد.

(مداخلة): في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ماذا تفيد هذه الآية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الماء من الله خلق كل دابة من ماء، الحي الدواب والنبات.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال مجاهد: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ لا يرجون أيام الله: لا ينالون نعم الله تعالى، وقوله تبارك وتعالى: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤]؛ أي: إذا صفحوا عنهم في الدنيا؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ مجازيهم

بأعمالهم السيئة في الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: تعودون إليه يوم القيامة، فتُعرَضون بأعمالكم عليه، فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ١٦ ـ ٢٠][(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم، وإرسال الرسل إليهم، وجعله الملك فيهم، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: من المآكل والمشارب ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: في زمانهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: عالمي زمانهم، عالمي وقتهم، وأمة محمد أفضل، فهم مفضلون على عالمي زمانهم، وهذه الأمة أفضل منهم، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: حججًا وبراهين، وأدلة قاطعات، فقامت عليهم الحجج، ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة، وإنما كان ذلك بغيًا منهم على بعضهم بعضًا، ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: سيفصل بينهم بحكمه العدل، وهذا فيه تحذيرٌ لهذه الأمة، أن تسلك مسلكهم، وأن تقصد منهجهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كل ما يقصّه علينا فهو تحذير لنا، مثلما قال حذيفة: مضى القوم ولم يُعنَ به سواكم، عندما قصَّ الله علينا من أخبار الماضين، هو عظة لنا، حتى نحذر ما حذَّرهم الله، وحتى نأتي ما أمر الله، وحتى نقف عند حدود الله، حتى لا يصيبنا ما أصاب أولئك الظالمين المختلفين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ولهذا قال ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو، وأعرض عن المشركين، وقال ﷻ ها هنا: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ أي: وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضًا، فإنهم لا يزيدهم إلا خسارًا ودمارًا وهلاكًا: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ثم قال ﷻ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾؛ يعني: القرآن، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: أنه ﷻ بصَّر الناس بهذا الكتاب العظيم القرآن، وهداهم

ورحمهم، فالواجب أن يأخذوا بكتاب الله ويتدبَّروه ويتعقَّلوه؛ لأن فيه الهدى والنور والبصيرة، وليحذروا أهواءهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(مداخلة): ما يروى عن ابن عباس، عفا الله عنك: نزل القرآن على: إياك أعني واسمعي يا جارة»].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما بلغني، ما أعرفه.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢١ ـ ٢٣][(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: لا يستوي المؤمنون والكافرون، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم والله لا يستوون، لا يستوي أصحاب الجنان وأصحاب النيران، فرقٌ عظيم، لا يستوي أصحاب العذاب والبلاء مع أصحاب النعيم والخير والهدى، لا يستوي هؤلاء وهؤلاء، فجديرٌ بالعاقل أن يحرص على أن يكون من أصحاب السعادة، من أصحاب الجنة، من أصحاب التقوى، حتى يفوز غاية الفوز، وينجو غاية النجاة، ﴿لَا يَسْتَوِىٓ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: عملوها، وكسبوها، ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ﴾؛ أي: نساويهم بهم في الدنيا والآخرة، ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ أي: ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا، أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: ساء ظنهم، من ظن بالله أنه يساوي بين الفجار والأبرار، فقد ساء ظنه، وأخطأ السبيل، ولهذا قال سبحانه: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: لا يساوي الله بين الفجار والأبرار، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ يعني: ساء الحكم حكمهم، وبئس الحكم حكمهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا مؤمل بن إهاب، حدثنا بكير بن عثمان التنوخي، حدثنا الوضين بن عطاء، عن يزيد بن مرثد الباجي، عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال: «إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان، فمن صبر عليهن، ولم يعمل بهن لقي الله من الفاسقين، قيل: وما هنَّ يا أبا ذر؟ قال: يسلم حلال الله لله، وحرام الله لله، وأمر الله لله، ونهي الله لله، لا يؤتمن عليهنّ إلا الله، قال أبو القاسم ﷺ: «**كما أنه لا يُجتنى من الشوك العنب، كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار**»، هذا حديث غريب من هذا الوجه[1].

---

(١) رواه من طريقه ابن حبان في المجروحين (٣/ ٤١)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٣/ ١٥٤)، وعزاه لأبي يعلى.

(مداخلة): أحسن الله إليك! هذا في «الخلاصة»: يزيد بن مرثد الهمداني أبو عثمان الصنعاني الدمشقي، عن شداد بن أوس، وعنه خالد بن معدان والوضين بن عطاء. وقال: رأيته وفي يده رغيف وعرق يأكل منه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عَرَق؛ يعني: عظم فيه لحم.

(مداخلة): والوضين بن عطاء. وقال: رأيته وفي يده رغيف وعَرَق يأكل منه، حين طلب للقضاء فلم يزل يفعل ذلك حتى تخلص. أبو داود في المراسيل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يزيد بن مرثد.

(مداخلة): يزيد بن مرثد الهمداني، أبو عثمان الصنعاني الدمشقي، عن شداد بن أوس، وعنه خالد بن معدان والوضين بن عطاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما قال (باجي)؟ انظر «التقريب».

(مداخلة): أحسن الله إليك! يزيد بن مرثد أبو عثمان الهمداني الصنعاني، من صنعاء دمشق، ثقة من الثالثة، وله مراسيل، أبو داود في المراسيل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه (باجي)؟

(مداخلة): لا ، أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

(مداخلة): عن أبي ذر، يا شيخ عندنا ساقطة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسخة عن أبي ذر، الذي ما عنده (أبي ذر) يحط على النسخة (أبي ذر)، نعم، روي مرسلًا وروي متصلًا.

(مداخلة): الصنعاني؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بلدة في دمشق يقال لها: صنعاء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[قال: «إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان، فمن صبر عليهن، ولم يعمل بهن لقي الله من الفاسقين، قيل: وما هنَّ يا أبا ذر؟ قال: يسلم حلال الله لله، وحرام الله لله، وأمر الله لله، ونهي الله لله، لا يؤتمن عليهنّ إلا الله، قال أبو القاسم ﷺ: «**كما أنه لا يُجتنى من الشوك العنب، كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار**» هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب «السيرة»، أنهم وجدوا حجرًا بمكة، في أس الكعبة، مكتوبٌ عليه: تعملون السيئات، وترجون الحسنات؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب. وروى الطبراني من حديث شعبة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أعد السند، حدثنا، قال أبو يعلى، حديث أبي ذر هذا، أعد سنده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا مؤمل بن إهاب، حدثنا بكير بن عثمان التنوخي، حدثنا الوضين بن عطاء.

(**الشيخ**): الأول حدثنا مؤمل بن إهاب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا مؤمل بن إهاب، حدثنا بكير بن عثمان التنوخي، حدثنا الوضين أو الوضين بن عطاء...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الوضين هو بكير بن عطاء؟

(**مداخلة**): الوضين بن عطاء الخزاعي الدمشقي.

(**القارئ**): بكير بن عثمان التنوخي.

(**مداخلة**): الوضين بن عطاء الخزاعي الدمشقي عن خالد بن معدان

ومحفوظ بن علقمة، وعنه الحمادان، وثَّقه أحمد وابن معين ودحيم، وقال: مات سنة تسع وأربعين ومائة، وقال ابن عدي: لم أرَ في حديثه بأسًا، وضعَّفه ابن سعد والجوزجاني. أبو داود والنسائي في مناقب علي وابن ماجه.

(الشيخ): انظر بكير بن عثمان ومؤمل بن إهاب.

(مداخلة): في «التقريب» أحسن الله إليك، الوضين بفتح أوله وكسر المعجمة بعدها تحتانية ساكنةٌ ثم نون، ابن عطاء بن كنانة أبو عبد الله أو أبو كنانة الخزاعي الدمشقي، صدوق سيئ الحفظ، ورُمِي بالقدر، من السادسة، مات سنة ستٍّ وخمسين وهو ابن سبعين، أبو داود والنسائي في مناقب علي وابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: انظر مؤمل بن إهاب وبكير بن عثمان، نعم. مؤمل بعد محمد، بكير بن عثمان.

(مداخلة): ما له ذكر. ما له ذكر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يمكن ليس من أهل السنة، أقول: ليس من رجال الستة، انظر «تعجيل المنفعة»، كتاب الذهبي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عندكم ماذا يقول؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

انظر «الكاشف» للذهبي ومؤمل بن إهاب أيضًا بعد محمد في «التقريب» أو «الخلاصة»، «التقريب» مؤمل بن إهاب أعد عن أبي ذر.

(القارئ): عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان، فمن صبر عليهن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن أبي ذر عن النبي ﷺ؟

(القارئ): عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أن الله..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: موقوف.

(القارئ): إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان، فمن صبرَ عليهنّ ولم يعمل بهنّ لقي الله من الفاسقين، قيل: وما هنّ يا أبا ذر؟ قال: يسلم حلال الله لله، وحرام الله لله، وأمر الله لله، ونهي الله لله، لا يؤتمن عليهن إلا الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يحلُّ ما أحلَّ، ويحرِّم ما حرَّم، ويمتثل أمر الله، وينتهي عن نهي الله، لو صحَّ عن أبي ذر، من قام بهذا استقام أمره، ومن فرَّط في شيء من هذا فسق، هذا مراده لو صح عنه.

(مداخلة): هذا مؤمل ـ أحسن الله إليك ـ في «الخلاصة».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

(مداخلة): قال: مؤمل بن إهاب بن عبد العزيز الربعي، كذا أحسن الله إليك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، الربعي نسبة إلى ربيعة.

(مداخلة): ثم العجلي أبو عبد الرحمٰن الكوفي ثم الرملي عن ضمرة...

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّمْلي.

(مداخلة): أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نسبة إلى الرملة رملي، رملة بلدة في فلسطين.

(مداخلة): أبو عبد الرحمٰن الكوفي ثم الرَّمْلي. عن ضمرة وأيوب بن سويد وطائفة، وعنه أبو داود والنسائي، وقال: لا بأس به، قال ابن يونس: مات سنة أربع وخمسين ومائتين. أبو داود والنسائي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أعد أبي ذر ماذا.. إن الله بنى دينه.

(القارئ): عن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان، فمن صبر عليهن ولم يعمل بهنّ لقي الله من الفاسقين، قيل: وما هنّ يا أبا ذر؟ قال: «يُسلم حلال الله لله، وحرام الله لله، وأمر الله لله، ونهي الله لله، لا يؤتمن عليهنّ إلا الله»، قال أبو القاسم ﷺ: «**كما أنه لا يُجتنى من الشوك العنب، كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار**»، هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه.

وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب «السيرة»: أنهم وجدوا حجرًا بمكة في أس الكعبة، مكتوبًا عليه: تعملون السيئات وترجون الحسنات؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب.

وروى الطبراني من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: كما يجتنى كذا؟

(القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: تعملون ماذا؟ السيئات..

(القارئ): تعملون السيئات وترجون الحسنات؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، لا، كيف؟ فيه نظر، هذه العبارة سقيمة كأنها محرفة، أجل، لعلها: كلا لا يُجتنى، يمكن أجل بدلها كلا، أما أجل نعم يجتنى.. ليس بصحيح.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وروى الطبراني من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق: أن تميمًا الداري قام ليلةً حتى أصبح يردد هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

وروى الطبراني من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى

عن مسروق: أن تميمًا الداري قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر، لا والله، لا يسوي بينهم سبحانه وهو الحكم العدل، لا إله إلا هو والله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالعدل، ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾؛ أي: إنما يأتمر بهواه، فمهما رآه حسنًا فعله، ومهما رآه قبيحًا تركه، وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين، وعن مالك فيما رُوي عنه من التفسير: لا يهوى شيئًا إلا عبده.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فيما، فيما.

(القارئ): وعن مالك فيما رُوي عنه من التفسير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: التفسيق؟

(القارئ): التفسير.

(الشيخ): التفسير، نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يهوى شيئًا إلا عَبْده، وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل قولين: **أحدهما**: وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك، **والآخر**: وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه، والثاني يستلزم الأول، ولا ينعكس].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الأظهر، أضلَّه الله مع علمه؛ كاليهود وأشباههم، نسأل الله العافية كبلعام وأشباهه، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾؛ أي: فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئًا يهتدي به، ولا يرى حجةً يستضيءُ بها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

(مداخلة): عفا الله عنك، تكرار الآية في صلاة الفرض.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما بلغنا أقول: ما بلغنا؛ كأن هذا ورد في النافلة، النبي ﷺ فعله في قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] في صلاة الليل ﷺ.

(مداخلة): وينهى عن التكرار أحيانًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تركها أولى، لو كان خيرًا لسبق إليه ﷺ.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٤ - ٢٦](١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يخبرُ تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾؛ أي: ما ثَمَّ إلا هذا الدار.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ثَمَّ.

(القارئ): [أي: ما ثم إلا هذه الدار].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: ما هناك، ثَمَّ معناها: ما هناك، ما ثَمَّ يعني: ما هناك إلا هذه الدنيا، ما فيه بعث ولا نشور، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يموت قوم، ويعيش آخرون، وما ثَمّ معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد، وتقوله الفلاسفة الإلٰهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع.

المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا معنى الدورية، الدورية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وهكذا الفلاسفة الدورية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من خرافاتهم، من خرافاتهم وضلالاتهم، الله جَلَّ وَعَلَا بعث الرسل وأنزل الكتب؛ لبيان حقِّه على عباده، وأنهم صائرون إليه، وأنه يجمعهم يوم القيامة ويجازيهم بأعمالهم، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وزعموا أن هذا قد تكرر مراتٍ لا تتناهى، فكابروا العقول، وكذَّبوا المنقول، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾؛ أي: يتوهَّمون ويتخيَّلون، فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا «الصحيح»، وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ**

وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١)، وفي رواية: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**»(٢).

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدًّا فقال: حدثنا أبو كريب، حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، وهو الذي يهلكنا، يميتنا ويحيينا، فقال الله تعالى في كتابه:** ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ **ويسبون الدهر، فقال الله** عز وجل: **يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: سريج.

(القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: سريج بالجيم.

(مداخلة): أحسن الله إليك. فسِّر يؤذيني يغضبني...

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بمعنى: يغضبني؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يضره أحد، الأذى هو ما يغضبه جل وعلا، ويخالف أمره، وإلا فلا يضره أحد، «**إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»، لا يضره أحد فهو الغني عن كل ما سواه، ولا يضره أحد سبحانه وتعالى، لكن الأذى فعل ما يغضبه جل وعلا من المعاصي.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة حم «الجاثية» برقم (٤٨٢٦)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر برقم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر برقم (٢٢٤٦).

(**مداخلة**): هل يُقال باللازم، باللازم إذا... أو نقول: إنه يدل على... لازم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

متقارب، المعنى متقارب، نعم. المقصود أنه لا يضره.... الله لا يضره شيء.

(**مداخلة**): أحسن الله إليك! صاحب «الصحيح» أو صاحبا «الصحيح».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم. صاحبا «الصحيح». صاحبا: البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن سريج بن النعمان عن ابن عيينة مثله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والحديث صريح في أن المراد به هو خالق الدهر، يقلب ليله ونهاره جَلَّ وَعَلَا، فهو سبحانه خالق الليل والنهار، وهو الذي يقلب الأشياء، هذا شتاء وهذا صيف، وهذا بين ذلك، سبحانه مقلبها جَلَّ وَعَلَا.

(**مداخلة**): شريح بن النعمان الصائدي يا شيخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم؟

(**مداخلة**): أقول: شريح بن النعمان الصائدي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، سريج بن النعمان معروف، شيخ أحمد وغيره، نعم. من رجال الصحيح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة، عن

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ عز وجل: يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**»، وأخرجه صاحبا «الصحيح» والنسائي من حديث يونس بن يزيد به، وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: إِنَّ اللهَ عز وجل قَالَ: اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُقْرِضْنِي، وَسَبَّنِي عَبْدِي وَلَا يَدْرِي يَقُولُ: وَادَهْرَاهُ وَادَهْرَاهُ، وَأَنَا الدَّهْرُ**»(١)، قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدةٌ، أو بلاء، أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر! فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر، ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكأنهم إنما سبُّوا الله عز وجل؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه، ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد، والله أعلم.

وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدّهم الدهر من الأسماء الحسنى، أخذًا من هذا الحديث، وقوله تعالى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا ظاهر: «أنا الدهر أقلِّب ليله ونهاره».. ظاهر أنه الزمن يعني، هذه من غلط الظاهرية، الله يعفو عنا وعنهم.

(مداخلة): الشافعي وأبو عبيد؟ أو أبو عبيدة؟

قال رحمه الله: نعم!.

(مداخلة): يقول هنا: الشافعي و...

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢/ ٣٠٠ و٥٠٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كلاهما أبو عبيد وأبو عبيدة، كلاهما من أئمة اللغة، أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عبيدة معمر بن المثنى.

(مداخلة): ما معنى قوله: «**اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُقْرِضْنِي**»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: أمرته أن يتصدق ويحسن فبخل، وهو له... له، يُوفَّى أجره، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

(مداخلة): ... استغراب الحافظ لسياق ابن جرير...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليس بظاهر، أقول: غير واضح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: إذا استدل عليهم وبيِّن لهم الحق، وأن الله تعالى قادر، وأن الله تعالى قادرٌ على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها، ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: أحيوهم إن كان ما تقولونه حقًّا، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾؛ أي: كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]؛ أي: الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: إنما يجمعكم إلى يوم القيامة، لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا: ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.. ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ [المرسلات: ١٢، ١٣]، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ

مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٤]، وقال هاهنا: ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: لا شك فيه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: فلهذا ينكرون المعاد، ويستبعدون قيام الأجساد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦، ٧]؛ أي: يرون وقوعه بعيدًا، والمؤمنون يرون ذلك سهلًا قريبًا.

❊

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ الآية [الجاثية: ٢٤][(١)].

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا الزّهريّ، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال: الله عز وجل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا هو معنى الدّهر؛ يعني: أقلّب اللّيل والنّهار؛ يعني: تصريف الدّهر بيده جل جلاله. المشركون قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]؛ فبيّن الرّسول ﷺ أنّه لا يجوز سبّ الدّهر، الدّهر هو الزّمان، وتقليبه بيد الله، هو مالكه يقلّب اللّيل والنّهار سبحانه وتعالى، وهم ينكرون البعث والنّشور، ويرون إهلاكهم بدوران هذا اللّيل والنّهار واستمرار هذا اللّيل والنّهار؛ يموت قومٌ ويعيش آخرون، وهكذا. فكذّب الله قولهم، وبيّن أن لهم موعدًا، ولهم دارًا يرجعون إليها وهي الجنّة أو النّار، فآمن من هداه الله، وكفر من سبقت له الشّقاوة. نسأل الله العافية.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ الآية برقم (٤٨٢٦)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر برقم (٢٢٤٦).

• **س: أحسن الله إليك، نسبة الحوادث إلى هذا الدّهر هكذا مطلقًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من أعمال المشركين، الحوادث بأمر الله، هو مصرّف الأمور، ومدبّرها، يدبّر الأمر يدبّر كلّ شيءٍ.

(**من السّائل**): أحيانًا ينسبونها إلى السّماء، أحسن الله إليك، ينسبون الأمور إلى السّماء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الواجب التحرّز في مثل هذا. وأنّ: مطرنا من السّماء، قول النّبيّ ﷺ: «**على إثر سماءٍ من اللّيل**»؛ يعني: المطر، هذا من باب التّجوّز في العبارة، أمّا إذا أراد أنّ السّماء هي الّتي تفعل؛ مثل قولهم: الدّهر، لكن إذا أطلق السّماء يعني المطر، على إثر سماءٍ من اللّيل حديث زيد بن خالدٍ يعني مطرًا من اللّيل، أمّا نسبة الحوادث إلى السّماء مثل نسبتها إلى الدّهر فما يجوز.

• **س: كثيرٌ من الشّعراء يشكو الزّمان، كمن يقول: جار الزّمان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا من جهلهم، هذا من جهلهم.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ **[الجاثية: ٢٧ ـ ٢٩]**(١).

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أنه مالك السماوات والأرض، والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة، ولهذا قال عَجَّلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: يوم القيامة، ﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات، والدلائل الواضحات، وقال ابن أبي حاتم: قدم سفيان الثوري المدينة، فسمع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يُضحك.

قال الحافظ: ببعض ما يضحك به الناس، فقال له: يا شيخ! أما علمت أن لله تعالى يومًا يخسر فيه المبطلون؟ قال: فما زالت تعرف بـالمعافري حتى لحق. . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: في المَعافري، في المعافري.

(القارئ): أحسن الله إليك، [فما زالت تعرف في المعافري].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: في المعافري، بفتح الميم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في المعافري حتى لحق بالله تعالى، ذكره ابن أبي حاتم.

ثم قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾؛ أي: على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم، فإنها تزفرُ زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه، حتى إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ويقول: نفسي، نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى إن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني، قال مجاهد وكعب الأحبار والحسن البصري: ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾؛ أي: على الركب، وقال عكرمة: جاثية: متميزة على ناحيتها، وليس على الركب، والأول أولى.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المقري.

(القارئ): المقري، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو عن عبد الله بن باباه أن رسول الله ﷺ قال: «**كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم**»[(١)]، وقال إسماعيل بن أبي رافع:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: جاثين ماذا؟

(القارئ): نعم.

قال الحافظ: [وقال إسماعيل بن أبي رافع المدني عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا في حديث الصور: «**فيتميز الناس وتجثو الأمم**»[(٢)]، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾، وهذا فيه جمعٌ بين القولين ولا منافاة، والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾؛ يعني: كتاب أعمالها؛ كقوله جل جلاله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩]، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: تجازون بأعمالكم خيرها وشرها؛ كقوله عز وجل: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٣ ـ ١٥]، ولهذا قال جلّت عظمته: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾؛ أي: يستحضر جميع أعمالكم، من غير زيادة ولا نقص؛ كقوله جل جلاله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

---

(١) رواه أبو نعيم في زوائد زهد ابن المبارك برقم (٣٦٠)، وفي الحلية (٧/٢٩٩) من طريق سفيان بن عيينة به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/٢٣).

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: إنا كنّا نأمر الحضرة أن تكتب أعمالكم عليكم، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: تكتب الملائكة أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيدي الكتبة مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلةِ قدر، مما كتبه الله في القدم على العباد قبل أن يخلقهم، فلا يزيد حرفًا ولا ينقص حرفًا، ثم قرأ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ **[الجاثية: ٣٠ ـ ٣٧]**(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه تعالى يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ أي: آمنت قلوبهم، وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة، وهي الخالصة الموافقة للشرع، ﴿فَيُدْخِلُهُمْ

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

﴿رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦٓ﴾ وهي الجنة، كما ثبت في «الصحيح»: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطٍ قَطٍ قَطٍ. فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ ﷻ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ ﷻ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا**»[(١)]، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: البيِّن الواضح، ثم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾؛ أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا: أما قرئت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم عن اتباعها، وأعرضتم عن سماعها، وكنتم قومًا مجرمين في أفعالكم مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه التحذير، المؤمن يستقيم ويثبت على الحق، وله البشرى، وفيه الحذر من الانحراف والميل عن الحق، والاستكبار عن اتباعه، فالعاقبة وخيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: إذا قال لكم المؤمنون ذلك، ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: لا نعرفها، ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾؛ أي: نتوهَّم وقوعها إلا توهمًا؛ أي: مرجوحًا، ولهذا قال: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾؛ أي: بمتحقِّقين، قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠] برقم (٤٨٥٠)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦).

عَمِلُوا﴾؛ أي: وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾؛ أي: أحاط بهم، ﴿مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: من العذاب والنكال، ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾؛ أي: نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم، ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾؛ أي: فلم تعملوا له؛ لأنكم لم تصدقوا به، ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتني»[(١)].

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾؛ أي: إنما جازيناكم على هذا الجزاء؛ لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريًّا، تسخرون وتهزءون بها، ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: خدعتكم فاطمأننتم إليها، فأصبحتم من الخاسرين، ولهذا قال ﷻ: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾؛ أي: من النار، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾؛ أي: لا يطلب منهم العتبى؛ بل يُعذَّبون بغير حسابٍ ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذابٍ ولا حساب.

ثم لمّا ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين قال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: المالك لهما وما فيهما، ولهذا قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثم قال ﷻ: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، قال مجاهد: يعني: السلطان؛ أي: هو العظيم الممجد، الذي كل شيءٍ خاضع لديه، فقير إليه، وقد ورد في الحديث الصحيح: «**يقول الله تعالى: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما أسكنته ناري**»، ورواه مسلم من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن الأغر أبي

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الزهد والرقاق برقم (٢٩٦٨).

مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: عن الأغر.

(القارئ): عن الأغر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لا. أبي مسلم. عن الأغر أبي مسلم. نعم.

(القارئ): عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ بنحوه، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾؛ أي: الذي لا يُغالَب ولا يُمانَع، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله، وقدره تعالى، وتقدس لا إله إلا هو.

آخر تفسير سورة الجاثية، ولله الحمد والمنّة، وبه التوفيق والعصمة.

*

﴿جَاثِيَةً﴾ [٢٨]: مستوفزين على الرّكب، وقال مجاهدٌ: ﴿نَسْتَنسِخُ﴾ [٢٩]: نَكْتُب، ﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ [٣٤]: نَتْرُكُكُمْ.



---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر برقم (٢٦٢٠).

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة

الحديث | الصفحة

الحديث	الصفحة

فهرس الموضوعات